الأمثل

في تفسير كتاب الله المنزل

العلامة الفقيه المفسر

الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

١

بسم الله الرحمن الرحیم

الامثل فی تفسیر کتاب الله المنزل

کاتب:

آیت الله ناصرمکارم شیرازی

نشرت فی الطباعهٔ:

مدرسه الامام علی بن ابی طالب (علیه السلام)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الامثل فی تفسیر کتاب الله المنزل المجلد ۱

اشاره

سرشناسه : مکارم شیرازی، ناصر، - ۱۳۰۵

عنوان و نام پدیدآور : الامثل فی تفسیر کتاب الله المنزل/ تالیف ناصر مکارم شیرازی؛ [با همکاری جمعی از فضلا]

وضعیت ویراست : [ویرایش]۲

مشخصات نشر : قم: مدرسه الامام علی بن ابی طالب(ع)، ۱۴۲۱ق. = ۱۳۷۹.

مشخصات ظاهری : ج ۲۰

شابک : ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۳-X(دوره) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۹-۱(ج.۱) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۳-۲(ج.۲) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۸-۳(ج.۳) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۲-۴(ج.۴) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۷-۵(ج.۵) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۱-۶(ج.۶) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۶-۷(ج.۷) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۰-۸(ج.۸) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۵-۹(ج.۹) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۴-۰(ج.۱۰) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۲-۱(ج.۱۱) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۷-۲(ج.۱۲) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۱-۳(ج.۱۳) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۰-۵(ج.۱۵)

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : کتاب حاضر ترجمه و تلخیص "تفسیر نمونه" است

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است

یادداشت : کتابنامه

موضوع : تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

شناسه افزوده : مدرسه الامام علی بن ابی طالب(ع)

رده بندی کنگره : BP۹۸/م۷ ت۷۰۴۴۷ ۱۳۷۹

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۹-۱۰۳۹۱

ص: ۱

اشاره

الأمثل من جديد

لكلّ عصر خصائصه و ضروراته و متطلباته،و هی تنطلق من الأوضاع الاجتماعیّه و الفکریّه السائده فی ذلک العصر،و لکلّ عصر مشاکله و ملابساته النّاتجه من تغییر المجتمعات و الثّقافات،و هو تغییر لا ینفکّ عن مسیره المجتمع التّاریخیّه الفکریه الفاعله،هو ذلک الّذی فهم الضّرورات و المتطلبات،و أدرک المشاکل و الملابسات.

هذا ما قاله البحاثه الفرید الفقیه و المفسر المعاصر الأمثل،العلّامه آیه اللّه العظمی مکارم الشّیرازی فی دوافع تألیف تفسیره الأمثل.

و یقول:واجهنا دوما أسئله وردت إلینا من مختلف الفئات-و خاصه الشباب المتعطّش الی نبع القرآن-عن التّفسیر الأفضل.

هذه الأسئله تنطوی ضمنیا علی بحث عن تفسیر یبیّن عظمه القرآن عن تحقیق و لا عن تقلید و یجیب علی ما فی الساحه من احتیاجات و تطلّعات و آلام و آمال...تفسیر یجدی کل الفئات،و یخلو من المصطلحات العلمیّه المعقّده.

و هذا التّفسیر دوّن علی أساس هذین الهدفین.

و لتنفیذ هذا الهدف العظیم،صمّم القسم الثّقافی لمدرسه الامام أمیر المؤمنین علیه السّلام بعرض جدید لکامل التّفسیر الأمثل،فأعاد النظر و إمعان فیه بدقّه،مع تصحیح الأخطاء المطبعیّه و الإنشائیه و الإملائیه،و اضافه کثیر من الأحادیث الّتی کانت محذوفه فی الطبعه الاولی.

نأمل أن یکون مقبولا لدی الباری عزّ اسمه و جمیع الباحثین فی حقائق القرآن الکریم.

القسم الثّقافی لمدرسه الإمام أمیر المؤمنین علیه السّلام

ص :۴

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

المقدّمه

اشاره

ما هو التّفسير؟

التّفسير فى اللغه الإبانه و إماطه اللّثام.

و لكن هل يحتاج القرآن إلى إبانه و إماطه لثام...و هو«النّور»و«الكلام المبين»؟! كلاّ،ليس على وجه القرآن لثام أو نقاب...بل إنّنا بالتّفسير ينبغى أن نكشف اللثام عن روحنا،و نزيح الستار المسدول على بصيرتنا،فنستجلى بذلك مفاهيم القرآن و نعيش أجواءه.

من جهه اخرى،ليس للقرآن بعد واحد...نعم،له بعد عام ميسّر للجميع،ينير الطريق،و يهدى البشريّه إلى سواء السبيل.

و له أيضا أبعاد اخرى للعلماء و المتفكّرين،لأولئك الطامحين إلى مزيد من الارتواء...و هؤلاء يجدون فى القرآن ما يروى ظمأهم إلى الحقيقه،و يغرفون من بحره قدر آنيتهم...و تتسع الآنيه باتّساع دائره السعى و الجهد و الإخلاص.

هذه الأبعاد أطلقت عليها الأحاديث اسم«البطون»...بطون القرآن...و هى لا تتجلّى للجميع،أو بعباره أدقّ لا تقوى كلّ العيون على رؤيتها.

و التّفسير يمنح العيون قوه،و يقشع عن البصائر الحجب و الأستار،و يمنحنا اللياقه لرؤيه تلك الأبعاد بدرجه و اخرى.

و للقرآن أبعاد اخرى تنجلى بمرور الزمان و تعاقب التجارب البشريه و نموّ الكفاءات الفكريّه،و هذا ما أشار إليه ابن عباس إذ قال:«القرآن يفسّره الزمان».

أضف إلى ذلك أنّ«القرآن يفسّر بعضه بعضا»،و هذا لا يتنافى مع كونه نورا و كلاما مبينا،لأنّه كلّ لا يتجزأ،و جميع لا تفرّد،يشكّل بمجموعه النور و الكلام المبين.

متى بدأ تفسير القرآن؟

تفسير القرآن بالمعنى الحقيقى بدأ منذ عصر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم،بل من بدء نزول الوحى إلاّ أنّه ك«علم مدوّن»بدأ من زمن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السّلام كما تجمع على ذلك أقوال المورّخين و المفسّرين،و رجال هذا العلم يصلون بسلسله أسانيدهم إليه،و لا عجب فى ذلك،فهو باب مدينه علم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم.

إنّ مئات التفاسير كتبت لحدّ الآن،و بلغات مختلفه،و بأساليب و مناهج متنوعه،منها الأدبى،و الفلسفى،و الأخلاقى، و الروائى،و التأريخى،و العلمى، و كلّ واحد من المفسّرين تناول القرآن من زاويه تخصّصه.

و فى هذا«بستان»مثمر و مزدهر...،شغف أحدهم بمناظره الشاعريّه الخلاّبه.

و آخر عكف على ما فيه من أشكاليات طبيعيّه ترتبط بتكوين النبات و هندسه الأزهار و عمل الجذور.

و ثالث ألفت نظره الى المواد الغذائيه المستفاده منه.

و رابع اتّجه إلى دارسه الخواصّ العلاجيّه فى نباتاته.

و خامس اهتمّ بكشف أسرار الخلقه فى عجائب ثماره اليانعه و أوراده الملوّنه.

و سادس راح يفكّر من أىّ أزهاره يستطيع استخراج أفضل العطور.

و سابع كالنحله لا تفكّر إلاّ بامتصاص رحيق الورد لتهيئه العسل.

و هكذا روّاد طريق التّفسير القرآنى،عكس كلّ منهم بما يملكه من مرآه خاصّه،مظهرا من مظاهر جمال القرآن و أسراره.

واضح أنّ كلّ هذه التفاسير فى الوقت الذى تعتبر فيه تفسيرا للقرآن،إلاّ أنها ليست تفسيرا للقرآن،لأنّ كلّ واحد منها يميط اللثام عن بعد من أبعاد القرآن لا عن كلّ الأبعاد،و حتى لو جمعناها لتجلّى من خلالها بعض أبعاد القرآن لا جميع أبعاده.

ذلك لأنّ القرآن كلام اللّه و فيض من علمه اللامتناهى،و كلامه مظهر لعلمه، و علمه مظهر لذاته،و كلّها لا متناهيه.

من هنا،لا ينبغى أن نتوقع استطاعه البشر إدراك جميع أبعاد القرآن،فالكوز لا يسع البحر.

طبعا،ممّا لا شكّ فيه أنّنا نستطيع أن نغرف من هذا البحر الكبير...الكبير جدا...بقدر سعه آنيه فكرنا،و من هنا كان على العلماء فرض أن لا يتوانوا فى كلّ عصر و زمان عن كشف مزيد من حقائق القرآن الكريم،و أن يبذلوا جهودهم المخلصه فى هذا المجال ما استطاعوا،عليهم أن يستفيدوا ممّا خلّفه الأسلاف رضوان اللّه عليهم فى هذا المجال،و لكن لا يجوز لهم أن يكتفوا به،

فرسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم قال عن كتاب اللّه العزيز: «لا تحصى عجائبه،و لا تبلى غرائبه».

خطر التّفسير بالرأى:

أخطر طريقه فى تفسير القرآن هى أن يأتى المفسّر إلى كتاب اللّه العزيز معلّما لا تلميذا.

أى يأتى إليه ليفرض أفكاره على القرآن،و ليعرض رؤاه و تصوراته المتولّده من إفرازات البيئه و التخصّص العلمى،و الاتّجاه المذهبىّ الخاص،

و الذّوق الشّخصی،باسم القرآن،و بشکل تفسیر للقرآن،مثل هذا الشخص لا یتّخذ القرآن هادیا و إماما،بل یتّخذه وسیله لإثبات نظریاته و تبریر ذوقه و أفکاره.

هذا اللون من تفسیر القرآن-أو قل تفسیر الأفکار الشخصیه بالقرآن-راج بین جماعه،و لیس وراءه إلاّ الانحراف...الانحراف عن طریق اللّه...و الانزلاق فی متاهات الضّلال.

إنّه لیس بتفسیر،و إنّما هو قسر و فرض و تحمیل...لیس باستفتاء،و إنّما إفتاء ...لیس بهدایه،و إنّما هو الضلال...إنّه مسخ و تفسیر بالرأی،و نحن فی منهجنا التّفسیری سوف لا ننحو-بإذن اللّه-هذا النحو،بل نتّجه بکلّ قلوبنا و أفکارنا نحو القرآن لنتتلمذ علیه، لا غیر.

متطلّبات العصر:

لکلّ عصر خصائصه و ضروراته و متطلّباته،و هی تنطلق من الأوضاع الاجتماعیه و المتغیّرات الفکریه و المستجدّات الثقافیه الطارئه علی مفاصل الحیاه فی ذلک العصر.

و لکلّ عصر مشاکله و ملابساته الناتجه عن تغییر المجتمعات و الثقافات، و هو تغییر لا ینفک عن مسیره المجتمع التأریخیه.

المفکّر الفاعل فی الحیاه الاجتماعیه هو ذلک الذی فهم الضرورات و المتطلّبات،و أدرک المشاکل و الملابسات...و بعباره اخری هو الذی استوعب مسائل عصره.

أمّا أولئک الّذین لا یدرکون هذه المسائل إطلاقا،أو لا یتفاعلون معها بسبب عدم انتمائهم إلی عصرهم،أی بسبب فقدانهم عنصر«المعاصره»،فهم الهامشیّون

الـذين لاـ يقـدرون على التأثير و لا على المعالجه،بل يقفون دوما متأسّـفين و متحسّـرين و شاكين و منتقـدين،و يزداد تشاؤمهم و يأسهم باستمرار حتى يقعوا فی طامّه«الانزواء الاجتماعی».

ذلک لأنّهم ما استطاعوا أو ما أرادوا أن يستوعبوا احتياجات عصرهم و مشاكله.

هؤلاـء يعيشون فی ظلاـم مطبق،و بسبب عـدم تفهّمهم لأسـباب الحوادث و عللهـا و نتائجهـا،يفقـدون أنفسـهم أمـام هجوم هـذه الحوادث و يرتبكون و يخافون و يظلّون دون خطّه للمواجهه و الـدفاع،و بما أنّ مسـيرتهم فی الظلام فسوف تزلّ قـدمهم فی كلّ خطوه،و ما أجمل ما

قاله الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام: «العالم بزمانه لا تهجم عليه اللّوابس».

رسـاله العلمـاء فی كـلّ عصـر أن يـدركوا بـوعی كامـل هـذه المسائل...هـذه الاحتياجـات،و هـذا الفراغ الروحی و الفكری و الاجتماعی،و أن يسـعوا لمعالجتها بشكل صحيح كی لا يفسحوا المجال للأطروحات المنحرفه أن تخترق الساحه و تملأ الفراغ و تقدّم الحلول الكاذبه.

من المسائل التی تلمّسـناها بوضوح عطش الجيل الراهن لدرک المفاهيم الإسلاميّه و المسائل الدينيّه-و خلافا لما يردّده اليائسون و المتشـائمون-إنّ هـذا الجيـل لاـ يتـوق إلی الفهـم فحسـب،بـل يتلهـف إلی التطـبيق العملی لهـذه المفـاهيم و المسائـل،و لمس المعطيات الدّينيّه من خلال العمل بها.

من الواضـح أنّ أمام هذا الجيل التوّاق مسائل غامضه و نقاط إبهام و مواضع اسـتفهام كثيره،و الخطوه الاولی لتلبيه هذه الحاجات إعـاده كتـابه التراث العلمی و الفكری الإسـلامی بلغه العصـر،و تقـديم كـلّ هـذه المفاهيم الساميه عن طريق هـذه اللغه إلی روح الجيل و عقله.

و الخطوه الاخری استنباط الاحتياجات و المتطلّبات الخاصه بهذا الزمان

من مبادئ الإسلام العامّه.

و هذا التّفسير دوّن على أساس هذين الهدفين.

الأمثل بين التفاسير:

واجهنا دوما أسئله وردت إلينا من مختلف الفئات و خاصّه الشباب المتعطّش إلى نبع القرآن عن التّفسير الأفضل.

هذه الأسئله تنطوى ضمنيا على بحث عن تفسير يبيّن عظمه القرآن عن تحقيق لا تقليد،و يجيب على ما فى الساحه من احتياجات و تطلّعات و آلام و آمال...تفسير نافع لكلّ الفئات،و يخلو من المصطلحات العلميّه المعقّده.

فى الواقع نحن نفتقر إلى مثل هذا التّفسير،فالأسلاف و المعاصرون رضوان اللّه عليهم كتبوا فى حقل التّفسير كثيرا،لكنّ بعضها كتب قبل عدّه قرون و بأسلوب خاصّ لا يستفيد منه إلاّ العلماء و الأدباء،و بعضها مدوّن بمستوى علمى لا يدركه سوى الخواصّ،و بعضها تناول جانبا معيّنا من القرآن،و كأنّها باقه ورد اقتطفت من بستان مزدان،فهى قبس من هذا البستان،و ليست البستان...و هكذا.

من هنا لم نجد أمام هذه الأسئله المتدفّقه علينا جوابا مقنعا يرضى هذه الأرواح المتعطّشه التّواقه.فآلينا على أنفسنا أن نجيب على هذا السؤال عمليّا، فالكلام لا يرضى السائلين.

لكنّنا وجدنا أنفسنا فى خضمّ الأشغال المتزايده من جهه،و أمام القرآن...

البحر الذى لا ساحل له...من جهه اخرى،فأنّى لنا أن نخوض عبابه دون عدّه و وقت و استعداد فكرى،لذلك وقفنا على ضفاف هذا البحر الموّاج ننظر إليه بحسره.

ص:١٠

و فجأه هدانا اللّه إلى الطريق الحلّ،و انقدحت فى الذهن فكره العمل الجماعى،فكان أن اجتمع معنا على الطريق عشره من الفضلاء المخلصين الواعين كانوا حقّا مصداق«عشره كامله»فبذلت المساعى الدائبه ليلا و نهارا لتثمر خلال مدّه أقصر ممّا توقّعناها هذا الذى يراه القارئ الكريم.

و لكى لا تبقى نقطه غموض أمام القارئ الكريم نشرح باختصار منهج عملنا فى هذا التّفسير.

قسّمت الآيات الكريمه أوّلا فى الفروع المختلفه بين الاخوه و بتوجيه موحّد،و درسوا المصادر المختلفه فى التّفسير لكبار المفسّرين من علماء الشيعه و أهل السنّه،مثل:

١-مجمع البيان للشيخ الطبرسى.٢-أنوار التنزيل للقاضى البيضاوى.

٣-الدرّ المنثور لجلال الدين السيوطى.۴-البرهان للمحدّث البحرانى.

۵-الميزان للعلاّمه الطباطبائى.۶-المنار،تقرير دروس للشيخ محمّد عبده.

٧-فى ضلال القرآن للأستاذ سيد قطب.٨-المراغى لأحمد مصطفى المراغى.

٩-مفاتيح الغيب للفخر الرازى.١٠-روح الجنان لأبى الفتوح الرازى.

١١-أسباب النّزول للواحدى. ١٢-تفسير القرطبى لمحمّد بن أحمد الأنصارى القرطبى.١٣-روح المعانى للعلاّمه شهاب الدين الآلوسى.

١۴-نور الثقلين لعبد على بن جمعه الحويزى.١۵-الصافى للملاّ محسن الفيض الكاشانى.١۶-التبيان للشيخ الطوسى.و تفاسير اخرى...

ثمّ جمعنا من المفاهيم ما يتناسب مع متطلّبات عصرنا و احتياجاته،و فى الجلسات العامّه التى عقدناها يوميّا أضفنا إلى كلّ ذلك المستجدات الضروريه من المعارف القرآنيه،و بعد دراسات و مشاورات حول المباحث المختلفه، و مراجعه المصادر المتنوعه،أمليت تلك البحوث و دوّنها الاخوان بسرعه،ثمّ

راجعنا الكتابات و دقّقنا فيها بصبر وسعه صدر،و أعددناها للطبع،و بعد الطبع أيضا-و قبل مرحله النشر-أعيد النظر فيها مره اخرى.

و كانت نتيجه هذه الجهود ما يراه القارئ العزيز،و نرجو أن يكون بإذن اللّه نافعا مفيدا للجميع.

خصائص هذا التّفسير:

لكى يرد القرّاء الأعزّاء إلى هذا التّفسير برؤيه أوضح،و ليجدوا فيه ما يريدونه بشكل أيسر،نذكر باختصار خصائص هذا التّفسير و مزاياه:

۱-لمّا كان القرآن«كتاب حياه»فإنّا لم نركّز-فى التّفسير-على المسائل الأدبيه و العرفانيّه،بل بدلا من ذلك عالجنا المسائل الحيويه-الماديّه و المعنويّه- و خاصّه المسائل الاجتماعيّه،و سعينا إلى إشباعها بحثا و تحليلا،و خاصّه ما يرتبط من قريب بحياه الفرد و المجتمع.

۲-فى ذيل كلّ آيه تناولنا تحت عنوان«بحوث»المسائل المطروحه فى الآيه بشكل مستقل،كالربا،و الرّق،و حقوق المرأه،و فلسفه الحج،و أسرار تحريم القمار،و الخمر،و لحم الخنزير،و مسائل الجهاد الإسلامى،و أمثالها من الموضوعات،كى يستغنى القارئ عن مراجعه الكتب الاخرى فى هذه المجالات.

۳-عزفنا عن تناول البحوث ذات الفائده القليله،و أعطينا الأهميّه لمعانى الكلمات و أسباب النّزول ممّا له تأثير فى الفهم الدقيق لمعنى الآيه.

۴-عرضنا التساؤلات و الشبهات و الاعتراضات المطروحه حول أصول الإسلام و فروعه بمناسبه كلّ آيه،و ذكرنا الجواب عليها باختصار،مثل شبهه الآكل و المأكول،و المعراج،و تعدّد الزوجات،و سبب الاختلاف بين إرث المرأه و الرجل،و ديه المرأه و الرجل،و الحروف المقطّعه فى القرآن،و نسخ الأحكام، و الغزوات الإسلاميّه،و الاختبارات الإلهيّه،و عشرات المسائل الاخرى،كى لا

تبقى أيّه علامه استفهام عند مطالعه تفسير الآيات.

۵-أعرضنا عن استعمال المصطلحات العلميه المعقّده التى تجعل الكتاب خاصّا بفئه خاصّه من القرّاء،ولدى الضروره تناولنا ذلک فى هامش الكتاب من أجل استفاده المتخصّصين.

نسأل اللّه سبحانه أن يأخذ بأيدينا لما فيه رضاه،و يوفّق كلّ العالمين لخدمه كتابه العظيم.

الصّحوه الإسلاميه المعاصره و زياده الحاجه إلى تفسير القرآن:

تشهد أمتنا الإسلاميّه خلال هذه الأعوام صحوه إسلاميّه عامّه،تتمثل فى رفض كلّ المستوردات الفكريّه،و العوده إلى الإسلام،لإقامه حياتها على أساس أحكام الرساله الخاتمه.

هذه الصّحوه تعود إلى فشل كلّ الأطروحات الوضعيه الكافره فى تحقيق ما لوّحت به من تقدّميّه و تحرّر و سعاده كما تعود أيضا إلى العواطف الإسلاميّه المتوغّله فى أعماق أبناء الامّه.

و يتحمّل العلماء الواعون فى هذه المرحله الحسّاسه مسئوليّات كبرى تفرض عليهم أن يعمّقوا هذا التحرک الواعى بين صفوف الامّه و يجذّروه و يؤصّلوه،كى تكون المسيره على بصيره فى حركتها و على يقظه فى اتّخاذ قراراتها،و على ثقه من أنّها تسلک الطريق نحو أهدافها الإسلاميّه الكبرى دون زيغ أو انحراف أو التقاط.

و كتاب اللّه هدى و نور،و فيه الإطار العامّ للمسيره،و فيه الزاد اللازم لمواصله الطريق المستقيم نحو ربّ العالمين.

و أخيرا نشكر جهود العلماء و الفضلاء الذين شاركونا فى تأليف هذا التفسير الجليل:

۱-الشيخ محمّد رضا الآشتيانى.

۲-الشيخ محمّد جعفر الإمامى.

۳-الشيخ داود الإلهامى.

۴-الشيخ أسد اللّه الإيمانى ۵-الشيخ عبد الرسول الحسنى.

۶-السيد حسن الشجاعى.

۷-السيد نور اللّه الطباطبائى.

۸-الشيخ محمود عبد اللهى.

۹-الشيخ محسن القرائتى.

۱۰-الشيخ محمّد محمّدى الإشتهاردى و كذلك نشكر الإخوه الأفاضل الأستاذ محمد على آذرشب،الشّيخ محمد رضا آل صادق،الأستاذ خالد توفيق عيسى،السيّد محمّد الهاشمى، الأستاذ قصى هاشم فاخر،الأستاذ أسد مولوى،الشيخ مهدى الأنصارى و السيّد أحمد القبانچى و الشّيخ هاشم الصالحى بمساهمتهم فى تنقيح و إخراج هذا السفر الجليل و داموا مشكورين.

نسأل اللّه سبحانه أن نكون بهذا التّفسير قد ساهمنا فى إعلان كلمه القرآن بشأن واقعنا،و بشأن مستقبلنا،و بشأن ما يجب أن نفعله للخروج من الواقع المؤلم الذى تعيش فيه أمتنا.

و نسأله سبحانه أنّ يوفّق كلّ العالمين على إعلاء رايه القرآن فى العالم و يسدّد خطاهم و ينصرهم على أعدائهم.

نسأله جلّ و علا أن يوفّق العلماء و المفكّرين الواعين الملتزمين إلى قياده هذا التحرك الإسلامى المتصاعد فى كلّ أرجاء العالم الإسلامى،قياده أصيله قائمه على هدى القرآن و السنه.

و نتضرّع إليه أن يوفّقنا لإكمال بقيّه أجزاء هذا التّفسير و أن يتقبّل من كلّ العاملين عليه فى أى سبيل إنّه تعالى سميع مجيب.

و آخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين.

ناصر مكارم الشيرازى قم-الحوزه العلميه ۱۴۰۴ ه

سوره الحمد

اشاره

مکّیه و عدد آیاتها سبع آیات

ص :۱۵

بسم الله الرحمن الرحيم سوره الحمد

خصائصها:

لهذه السّوره مكانه متميّزه بين سائر سور القرآن الكريم،و تتميز بالخصائص التاليه:

۱-سياق السّوره-تختلف سوره الحمد عن سائر سور القرآن فى لحنها و سياقها،فسياق السور الاخرى يعبّر عن كلام اللّه،و سياق هذه السّوره يعبّر عن كلام عباد اللّه.و بعباره اخرى:شاء اللّه فى هذه السّوره أن يعلّم عباده طريقه خطابهم له و مناجاتهم إيّاه.

تبدأ هذه السّوره بحمد اللّه و الثناء عليه،و تستمر فى إقرار الإيمان بالمبدأ و المعاد«باللّه و يوم القيامه»و تنتهى بالتضرع و الطلب.

الإنسان الواعى المتيقّظ يحسّ و هو يقرأ هذه السّوره بأنّه يعرج على أجنحه الملائكه،و يسمو فى عالم الروح و المعنويه،و يدنو باستمرار من ربّ العالمين.

هذه السّوره تعبّر عن اتجاه الإسلام فى رفض الوسطاء بين اللّه و الإنسان...

هؤلاء الوسطاء الذين افتعلتهم المذاهب الزائفه المنحرفه،و تعلّم البشر أن يرتبطوا باللّه مباشره دونما واسطه،فهذه السّوره عباره عن تبلور هذا الارتباط المباشر و الوثيق بين اللّه و الإنسان...بين الخالق و المخلوق.فالإنسان لا يرى فى مضامين آيات السّوره سوى اللّه...يخاطبه...يناجيه...يتضرّع إليه...دونما واسطه حتى و إن كانت الواسطه نبيّا مرسلا أو ملكا مقرّبا. و من العجيب أن يحتلّ

هذا الارتباط المستقيم بين الخالق و المخلوق مكان الصداره فی کتاب اللّه العزیز!.

۲-سوره الحمد أساس القرآن-

فقد روی عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و سلّم أنّه قال لجابر بن عبد اللّه الأنصاری: «ألا أعلّمک أفضل سوره أنزلها اللّه فی کتابه؟»قال جابر:بلی بأبی أنت و أمّی یا رسول اللّه،علّمنیها.فعلّمه الحمد أمّ الکتاب،و قال:هی شفاء من کلّ داء،إلاّ السّام،و السّام الموت»

(۱)

.

و روی عنه صلّی اللّه علیه و اله و سلّم أیضا أنّه قال: «و الّذی نفسی بیده ما أنزل اللّه فی التّوراه،و لا فی الإنجیل و لا فی الزّبور و لا فی القرآن مثلها،و هی أمّ الکتاب»

(۲)

.

سبب أهمیه هذه السّوره یتضح من محتواها،فهی فی الحقیقه عرض لکل محتویات القرآن،جانب منها یختصّ بالتوحید و صفات اللّه،و جانب آخر بالمعاد و یوم القیامه،و قسم منها یتحدّث عن الهدایه و الضلال باعتبارهما علامه التمییز بین المؤمن و الکافر و فیها أیضا إشارات إلی حاکمیه اللّه المطلقه،و إلی مقام ربوبیّته،و نعمه اللامتناهیه العامه و الخاصه«الرحمانیه و الرحیمیه»،و إلی مسأله العباده و العبودیه و اختصاصهما بذات اللّه دون سواه.

إنّها تتضمّن فی الواقع توحید الذات،و توحید الصفات،و توحید الأفعال، و توحید العباده.

و بعباره اخری:تتضمّن هذه السّوره مراحل الإیمان الثلاث:الاعتقاد بالقلب،و الإقرار باللسان،و العمل بالأرکان.و من المعلوم أنّ لفظ«الأمّ»یعنی هنا الأساس و الجذر.

و لعل ابن عباس ینطلق من هذا الفهم إذ یقول:

۱- ۱،۲) -مجمع البیان،و نور الثقلین،مقدمه سوره الحمد.

-۲

«إن لكل شيء أساسا...و أساس القرآن الفاتحه».

و من هذا المنطلق أيضا

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم فيما روى عنه: «أيّما مسلم قرأ فاتحه الكتاب أعطى من الأجر كأنّما قرأ ثلثى القرآن،و أعطى من الأجر كأنّما تصدّق على كلّ مؤمن و مؤمنه»

(۱)

.

تعبير«ثلثى القرآن»،ربّما كان إشاره إلى أنّ القرآن ينطوى على ثلاثه أقسام:الدّعوه إلى اللّه،و الإخبار بيوم الحساب،و الفرائض و الأحكام.و سوره الحمد تتضمن القسمين الأوّلين.و تعبير«أمّ القرآن»إشاره إلى القرآن يتلخّص من وجهه نظر اخرى فى(الإيمان و العمل)و قد جمعا فى سوره الحمد.

۳-سوره الحمد شرف النّبى صلّى اللّه عليه و اله و سلّم-القرآن الكريم يتحدّث عن سوره الحمد باعتبارها هبه إلهيه لرسوله الكريم،و يقرنها بكل القرآن إذ يقول:

وَ لَقَدْ آتَيْنٰاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثٰانِي وَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ

(۲)

.

فالقرآن بعظمته يقف هنا إلى جنب سوره الحمد،و لأهميه هذه السّوره أيضا أنّها نزلت مرّتين.

نفس هذا المضمون

رواه أمير المؤمنين على عليه السّلام عن الرّسول صلّى اللّه عليه و اله و سلّم قال: «إنّ اللّه تعالى قال لى يا محمّد و لقد آتيناك سبعا من المثانى و القرآن العظيم،فأفرد الامتنان علىّ بفاتحه الكتاب و جعلها بإزاء القرآن العظيم،و إنّ فاتحه الكتاب أشرف ما فى كنوز العرش...»

(۳)

.

۱- ۱) -مجمع البيان،بدايه سوره الحمد.

۲ - ۲) -سيأتى تفسير«سبعا من المثانى»فى ذيل الآيه المذكوره.انظر:المجلد الثامن من هذا التّفسير،ذيل الآيه ۸۷ من سوره«الحجر».

۳- ۳) -تفسير البرهان،ج ۱،ص ۲۶،نقلا عن تفسير البيان.

۴-التّأكيد على تلاوه هذه السّوره-ممّا تقدم نفهم سبب تأكيد السّنه بمصادرها الشيعيه و السّنّيه على تلاوه هذه السّوره-فتلاوتها تبعث الروح و الإيمان و الصفاء فى النفوس،و تقرّب العبد من اللّه،و تقوّى إرادته،و تزيد اندفاعه نحو تقديم المزيد من العطاء فى سبيل اللّه،و تبعده عن ارتكاب الذنوب و الانحرافات.و لذلك كانت أمّ الكتاب صاعقه على رأس إبليس كما

ورد عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام:

«رنّ إبليس أربع رنّات،أوّلهنّ يوم لعن،و حين أهبط إلى الأرض،و حين بعث محمّد صلّى اللّه عليه و اله على حين فتره من الرّسل،و حين نزلت أمّ الكتاب»

(۱)

.

محتوى السّوره:

كلّ واحده من الآيات السبع فى هذه السّوره تشير إلى حقيقه هامّه:

بِسْمِ اللّٰهِ... بدايه لكلّ عمل،و تعلّمنا الاستمداد من البارى تعالى لدى البدء بأى عمل.

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِينَ درس فى عوده كلّ نعمه و رعايه إلى اللّه تعالى، و إلفات إلى حقيقه انطلاق كلّ هذه المواهب من ذات اللّه تعالى.

اَلرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ تبيّن هذه الحقيقه،و هى:إنّ خلق اللّه و رعايته و حاكميته تقوم على أساس الرّحمه و الرّحمانيه،و هذا المبدأ يشكّل المحور الأساس لنظام رعايه العالم.

مٰالِكِ يَوْمِ الدِّينِ استحضار للمعاد و يوم الجزاء،و لحاكميه اللّه على تلك

۱- ۱) -نور الثقلين،ج ۱،ص ۴.

المحكمه الكبرى.

إِیّاکَ نَعْبُدُ وَ إِیّاکَ نَسْتَعِینُ تبیّن التوحید فی العباده،و التوحید فی الاستعانه بالأسباب.

اِهْدِنَا الصِّرٰاطَ الْمُسْتَقِیمَ توضّح حاجه العباد و رغبتهم الشدیده للهدایه، و تؤکّد حقیقه أن کل ألوان الهدایه إنما تصدر منه تعالی.

و آخر آیه من هذه السّوره ترسم معالم اَلصِّرٰاطَ الْمُسْتَقِیمَ و تمیّز بین صراط الذین أنعم اللّه علیهم،و صراط الذین ضلّوا و الذین استحقّوا غضب اللّه علیهم.

و یمکن تقسیم هذه السّوره،من منظار آخر إلی قسمین:قسم یختصّ بحمد اللّه و الثناء علیه،و قسم یتضمّن حاجات العبد.

و إلی هذا التقسیم یشیر

الحدیث الشریف عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و سلّم قال:

«قال اللّه عزّ و جلّ:قسّمت فاتحه الکتاب بینی و بین عبدی،فنصفها لی و نصفها لعبدی و لعبدی ما سأل.

إذا قال العبد بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیمِ قال اللّه جلّ جلاله:بدأ عبدی باسمی و حقّ علیّ أن أتمّم له أموره و أبارک له فی أحواله.

فإذا قال: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِینَ قال اللّه جلّ جلاله:حمدنی عبدی و علم أنّ النعم الّتی له من عندی،و أنّ البلایا الّتی دفعت عنه فبتطوّلی،أشهدکم أنّی أضیف له إلی نعم الدّنیا نعم الآخره،و أدفع عنه بلایا الآخره کما دفعت عنه بلایا الدّنیا.

و إذا قال: اَلرَّحْمٰنِ الرَّحِیمِ قال اللّه جلّ جلاله:شهد لی عبدی أنّی الرّحمن الرّحیم، أشهدکم لأوفّرنّ من رحمتی حظّه و لأجزلنّ من عطائی نصیبه.

فإذا قال: مٰالِکِ یَوْمِ الدِّینِ قال اللّه تعالی:أشهدکم کما اعترف بأنّی أنا مالک یوم الدّین لأسهّلنّ یوم الحساب حسابه،و لأتقبّلنّ حسناته،و لأتجاوزنّ عن سیّئاته.

فإذا قال: إِیّاکَ نَعْبُدُ قال اللّه عزّ و جلّ:صدق عبدی،إیّای یعبد أشهدکم لأثیبنّه

على عبادته ثوابا يغبطه كلّ من خالفه فى عبادته لى.

فإذا قال: وَ إِيّاكَ نَسْتَعِينُ قال اللّه تعالى:بى استعان عبدى،و إلىّ التجأ،أشهدكم لأعيننّه على أمره،و لأغيثنّه فى شدائده و لآخذنّ بيده يوم نوائبه.

فإذا قال: اِهْدِنَا الصِّرٰاطَ الْمُسْتَقِيمَ إلى آخر السّوره قال اللّه عزّ و جلّ:هذا لعبدى و لعبدى ما سأل و قد استجبت لعبدى و أعطيته ما أمّل و آمنته ممّا منه و جل» (۱) .

لماذا سمّيت فاتحه الكتاب؟

«فاتحه الكتاب»اسم اتخذته هذه السّوره فى عصر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم،كما يبدو من الأخبار و الأحاديث المنقوله عن النّبى الأعظم صلّى اللّه عليه و اله و سلّم.

و هذه المسأله تفتح نافذه على مسأله مهمّه من المسائل الإسلاميه،و تلقى الضوء على قضيه جمع القرآن،و توضّح أنّ القرآن جمع بالشكل الذى عليه الآن فى زمن الرّسول صلّى اللّه عليه و اله و سلّم،خلافا لما قيل بشأن جمع القرآن فى عصر الخلفاء، فسوره الحمد ليست أول سوره فى ترتيب النّزول حتى تسمّى بهذا الاسم و لا يوجد دليل آخر لذلك،و تسميتها بفاتحه الكتاب يرشدنا إلى أنّ القرآن قد جمع فى زمن الرّسول صلّى اللّه عليه و اله و سلّم بهذا الترتيب الذى هو عليه الآن.

و ثمّه أدلّه اخرى تؤيّد حقيقه جمع القرآن بالترتيب الذى بأيدينا اليوم فى عصر الرّسول صلّى اللّه عليه و اله و سلّم و بأمره.

روى علىّ بن إبراهيم،عن الإمام الصادق عليه السّلام،أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم قال لعلّى عليه السّلام:

«يا علىّ،إنّ القرآن خلف فراشى فى الصّحف و الحرير و القراطيس،فخذوه و اجمعوه

۱- ۱) -عيون أخبار الرضا،نقلا عن الميزان،ج ۱،ص ۳۷.

و لا تضيّعوه كما ضيّعت اليهود التّوراه،و انطلق علىّ عليه السّلام فجمعه فى ثوب أصفر،ثمّ ختم عليه»

(۱)

.

و

يروى(الخوارزمى)فى المناقب عن(على بن رباح) أنّ على بن أبى طالب و أبىّ بن كعب جمعا القرآن فى عصر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم.

و روى(الحاكم)فى(المستدرک)عن(زيد بن ثابت)قال:«كنّا نؤلّف القرآن من الرّقاع».

و يقول العالم الجليل السيد المرتضى رحمه اللّه:«إنّ القرآن كان على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم مجموعا مؤلّفا على ما هو عليه الآن» (۲) .

و يروى الطبرانى و ابن عساكر عن الشعبى أنّ القرآن جمعه سته من الأنصار فى عصر النّبى صلّى اللّه عليه و اله و سلّم (۳) .

و يروى قتاده أنّه سأل أنس عن جمع القرآن فى عصر النّبى صلّى اللّه عليه و اله و سلّم فقال:

أربعه من الأنصار هم:أبىّ بن كعب،و معاذ،و زيد بن ثابت،و أبو زيد (۴) و هناك روايات اخرى يطول ذكرها.

على أىّ حال،اتّخاذ سوره الحمد اسم(فاتحه الكتاب)دليل واضح على إثبات هذه المسأله،إضافه إلى الأدله الاخرى المستفيضه فى مصادر الشيعه و السنّه.

سؤال:

و هنا يثار سؤال حول المشهور بين بعض العلماء بشأن جمع القرآن بعد عصر النّبى صلّى اللّه عليه و اله و سلّم.

و فى الجواب نقول:ما روى بشأن جمع القرآن على يد الامام علىّ عليه السّلام بعد

۱- ۱) -تاريخ القرآن،أبو عبد اللّه الزنجانى،ص ۴۴.

۲- ۲) -مجمع البيان،ج ۱،ص ۱۵.

۳- ۳) -منتخب كنز العمال،ج ۲،ص ۵۲.

۴- ۴) -صحيح البخارى،ج ۶،ص ۱۰۲.

عصر الرّسول،لم يكن القرآن وحده،بل مجموعه تتضمّن القرآن و تفسيره و أسباب نزول الآيات،و ما شابه ذلك ممّا يحتاجه الفرد لفهم كلام اللّه العزيز.

و أمّا ما فعله عثمان فى هذا الصدد،فتدلّ القرائن أنّه أقدم على كتابه قرآن واحد عليه علامات التلاوه و الإعجام،منعا للاختلاف فى القراءات،إذ لم يكن التنقيط معمولا به حتى ذلك الوقت.

و ما نراه من إصرار لدى جماعه على عدم جمع القرآن فى عصر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم،و على نسبه هذا الأمر للخليفه عثمان أو للخليفه الأول أو الثانى،فإنّما يعود إلى ظروف و ملابسات و عصبيات تأريخيه لسنا بصددها الآن.

و إذا رجعنا إلى استقصاء طبيعه الأشياء فى مجال جمع القرآن،ألفينا أنّه من غير المعقول أن يترك النّبى صلّى اللّه عليه و اله و سلّم هذه المهمّه الكبيره،بينما نجده يهتمّ بدقائق الأمور المرتبطه بالرساله.

أليس القرآن دستور الإسلام،و كتاب هدايه البشريه،و أساس عقائد الإسلام و أحكامه؟ أليس من الممكن أن يتعرّض القرآن-إن لم يجمع-فى عصر الرّسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم إلى الضياع،و إلى الاختلاف فيه بين المسلمين؟! (حديث الثقلين)المروى فى المصادر الشيعيه و السنّيه،حيث أوصى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم بوديعته:كتاب اللّه و عترته،يؤكّد أيضا أن القرآن كان قد جمع فى مجموعه واحده فى عصر الرّسول الأعظم.

أمّا اختلاف الرّوايات فى عدد الصحابه الذين جمعوا القرآن خلال عصر النّبى فلا يشكّل عقبه فى البحث،و من الممكن أنّ تتّجه كلّ روايه إلى ذكر عدد منهم.

ص:٢۴

الآيات [سوره الفاتحه (۱): الآيات ۱ الى ۷]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ (۱) اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ اَلْعٰالَمِينَ (۲) اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ (۳) مٰالِكِ يَوْمِ اَلدِّينِ (۴) إِيّٰاكَ نَعْبُدُ وَ إِيّٰاكَ نَسْتَعِينُ (۵) اِهْدِنَا اَلصِّرٰاطَ اَلْمُسْتَقِيمَ (۶) صِرٰاطَ اَلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ اَلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لاَ اَلضّٰالِّينَ (۷)

التّفسير

اشاره

۱- بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

دأبت الأمم و الشّعوب على أن تبدأ كل عمل هام ذى قيمه باسم كبير من رجالها.و الحجر الأساس لكل مؤسسه هامّه يوضع باسم شخصيه مرموقه فى نظر أصحابها،أى أن أصحاب المؤسسه يبدأون العمل باسم تلك الشّخصيه.

و لكن،أليس من الأفضل أن يبدأ العمل فى اطروحه أريد لها البقاء و الخلود باسم وجود خالد قائم لا يعتريه الفناء؟فكلّ ما فى الكون يتجه إلى الزّوال و الفناء،إلا ما كان مرتبطا بالذات الأبديه الخالده...ذات اللّه سبحانه.

إنّ خلود ذكر الأنبياء سببه ارتباطهم باللّه و بالقيم الإنسانيه الإلهيه الخالده كالعداله و طلب الحقيقه،و خلود اسم رجل فى التّاريخ مثل(حاتم الطّائى)،يعود إلى ارتباطه بواحده من تلك القيم هى(السّخاء).

صفه الخلود و الأبـديه يختص بهـا اللّه تعـالى من بين سائر الموجودات،و من هنا ينبغى أن يبـدأ كلّ شـىء باسـمه و تحت ظلّه و بالاستمداد منه.و لذلک کانت البسمله أوّل آیه فی القرآن الکریم.

و البسـمله لا ينبغى أن تنحصـر فى اللفظ و الصوره،بل لا بـدّ أن تتعدّى ذلک إلى الارتباط الواقعى بمعناها،و هذا الارتباط يخلق الاتجاه الصحيح و يصون من الانحراف،و يؤدى حتما إلى نتيجه مطلوبه مباركه.لذلك

جاء فى الحديث النّبوى الشريف: «كلّ أمر ذى بال لم يذكر فيه اسم اللّه فهو أبتر» (۱) .

و أمير المـؤمنين عليه السّـلام بعـد نقله لهـذا الحـديث الشـريف قـال: «إنّ العبـد إذا أراد أن يقرأ أو يعمـل عملاـ فيقـول بسم اللّه الرّحمن الرّحيم فإنّه يبارک فيه» (۲) .

و يقول الإمام محمّد بن على الباقر عليه السّلام:

«...و ينبغى الإتيان به عند افتتاح كلّ أمر عظيم أو صغير ليبارک فيه» (۳) .

بعباره موجزه:بقاء العمل و خلوده يتوقف على ارتباطه باللّه.

من هنا كانت الآيه الاولى التى أنزلها اللّه على نبيّه الكريم تحمل أمرا لصاحب الرساله أن يبدأ مهمته الكبرى باسم اللّه: اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ... (۴) .

و لـذلک أيضـا فـإنّ نوحـا عليه السّـلام-حين يركـب السـفينه فى ذلـک الطوفان العجيب، و يمخر عباب الأمواج الهادره،و يواجه ألوان الأخطـار على طريق تحقيق هـدفه- يطلب من أتبـاعه أن يردّدوا البسـمله فى حركات السـفينه و سـكناتها. وَ قالَ ارْكَبُوا فِيها بِسْمِ اللّهِ مَجْراها وَ مُرْساها (۵) .و انتهت هذه السفره المليئه بالأخطار بسلام و بركه كما يذكر القرآن الكريم:

ص: ۲۶

۱- ۱) -بحار الأنوار،ج ۱۶،باب ۵۸.نقلا عن تفسير البيان،ج ۱،ص ۴۶۱.

۲- ۲) -بحار الأنوار،مجلد ۹۲،باب ۲۹،ص ۲۴۲.

۳- ۳) -الميزان،ج ۱،ص ۲۱.

۴- ۴) -العلق،۱.

۵- ۵) -هود،۴۱.

قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِنّا وَ بَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَ عَلىٰ أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ

(۱)

.

و سليمان عليه السّلام يبدأ رسالته إلى ملكه سبأ بالبسمله: إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ... (۲) .

و انطلاقا من هذا المبدأ تبدأ كلّ سور القرآن بالبسمله،كى يتحقّق هدفها الأصل المتمثل بهدايه البشريه نحو السعاده،و يحالفها التوفيق من البدايه إلى ختام المسيره.

و تنفرد سوره التوبه بعدم بدئها بالبسمله،لأنّها تبدأ بإعلان الحرب على مشركى مكه و ناكثى الأيمان،و إعلان الحرب لا ينسجم مع وصف اللّه بالرحمن الرحيم.

تجدر الإشاره إلى أنّ البسمله تقتصر على صيغه «بسم اللّه» و لا تقول فيها:

باسم الخالق أو باسم الرزاق و ما شابهها من الصيغ.و السبب يعود إلى أنّ كلمه (اللّه)-كما سيأتى-جامعه لكلّ أسماء اللّه و صفاته.أمّا الأسماء الاخرى للّه فتشير إلى قسم من كمالاته كالرحمه و الخالقيه.

اتضح ممّا سبق أيضا أنّ قولنا:«باسم اللّه»فى بدايه كلّ عمل يعنى«الاستعانه» باللّه،و يعنى أيضا«البدء»باسم اللّه.و هذان المعنيان يعودان إلى أصل واحد،و إن عمد بعض المفسّرين إلى التفكيك بينهما و تقدير كل واحد منهما فى الكلام.

فالمعنيان متلازمان،أى:أبدأ باسم اللّه و أستعين بذاته المقدّسه.

و طبيعى أنّ البدء باسم اللّه الذى تفوق قدرته كل قدره،يبعث فينا القوه، و العزم،و الثقه، و الاندفاع،و الصمود و الأمل أمام الصعاب و المشاكل، و الإخلاص و النزاهه فى الحركه.

۱- ۱) -هود،۴۸.

۲- ۲) -النمل،۳۰.

و هذا رمز آخر للنجاح،حين تبدأ الأعمال باسم اللّه.

مهما أطلنا الحديث فى تفسير هذه الآيه فهو قليل،فالمعروف عن علىّ عليه السّلام أنّه بدأ يفسّر لابن عباس آيه البسمله فى أول الليل،فأسفر الصبح و هو لم يتجاوز تفسير الباء منها،غير أنّنا ننهى البحث بحديث عنه عليه السّلام،و ستكون لنا بحوث أخرى فى هذا الصدد خلال بحوثنا القادمه.

دخل عبد اللّه بن يحيى على أمير المؤمنين عليه السّلام و بين يديه كرسىّ فأمره بالجلوس عليه فجلس عليه فمال به حتّى سقط على رأسه فأوضح عن عظم رأسه و سال الدّم،فأمر أمير المؤمنين عليه السّلام بماء فغسل عنه ذلك الدّم ثمّ قال:أدن منّى،فوضع يده على موضحته«...أما علمت أنّ رسول اللّه حدّثنى عن اللّه جلّ و عزّ:كلّ أمر ذى بال لم يذكر فيه بسم اللّه فهو أبتر؟»فقلت:بلى بأبى أنت و أمّى لا أتركها بعدها،قال:«إذا تحظى بذلك و تسعد» (1) .

و

قال الصّادق عليه السّلام: «و لربّما ترك فى افتتاح أمر بعض شيعتنا بسم اللّه الرّحمن الرّحيم فيمتحنه اللّه بمكروه لينبّهه على شكر اللّه تعالى و الثّناء عليه و يمحو فيه عنه وصمه تقصيره عند تركه قول بسم اللّه» (2) .

بحوث

اشاره

1-هل البسمله جزء من السّوره؟

أجمع علماء الشيعه على أنّ البسمله جزء من سوره الحمد و كلّ سور القرآن،و كتابتها فى مطالع السور أفضل شاهد على ذلك،لأنّنا نعلم أن النصّ القرآنى مصون عن أيّه اضافه،و ذكر البسمله معمول به منذ زمن النّبى صلّى اللّه عليه و اله و سلّم.

1- 1) -بحار الأنوار،ج 92،الباب 29،ص 241 و 242.

2- 2) -نفس المصدر،ص 240.

أمّا علماء السنّه فاختلفوا فی ذلک،و صاحب المنار یجمع أقوالهم فیما یلی:

«أجمع المسلمون علی أن البسمله من القرآن و أنها جزء آیه من سوره النمل.و اختلفوا فی مکانها من سائر السور،فذهب إلی أنّها جزء آیه من کل سوره علماء السلف من أهل مکه-فقهاؤهم و قراؤهم-و منهم:ابن کثیر.و أهل الکوفه و منهم عاصم و الکسائی من القراء،و بعض الصحابه و التابعین من أهل المدینه، و الشافعی فی الجدید و أتباعه،و الثوری و أحمد فی أحد قولیه،و الإمامیه،و من المروی عنهم ذلک من علماء الصحابه علیّ و ابن عباس و ابن عمر و أبو هریره، و من علماء التابعین سعید بن جبیر و عطاء و الزهری و ابن المبارک.و أقوی حججهم فی ذلک إجماع الصحابه و من بعدهم علی إثباتها فی المصحف أول کل سوره سوی سوره البراءه(التوبه)مع الأمر بتجرید القرآن عن کل ما لیس منه.

و لذلک لم یکتبوا(آمین)فی آخر الفاتحه...».

ثم ینقل عن مالک و الحنفیه و آخرین،أنّهم ذهبوا إلی أنّ البسمله آیه مستقلّه نزلت لبیان رؤوس السور و الفصل بینها.

و عن حمزه من قرّاء الکوفه و أحمد«الفقیه السنّی المعروف»أنّها من الفاتحه دون غیرها من سور القرآن (۱) .

و من مجموع ما ذکر یستفاد أنّ الأکثریه الساحقه من أهل السنه یرون أنّ البسمله جزء من السّوره کذلک.

ننقل هنا طائفه من الروایات المنقوله فی هذا الصدد بطرق الشیعه و السنه، و بالقدر الذی یتناسب مع هذا البحث التّفسیری:

-۱

عن معاویه بن عمّار قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام:إذا قمت للصّلاه أقرأبسم اللّه الرّحمن الرّحیم فی فاتحه القرآن؟قال:«نعم»قلت:فإذا قرأت فاتحه القرآن أقرأبسم اللّه

۱- ۱) -تفسیر المنار،ج ۱،ص ۳۹-۴۰.

الرّحمن الرّحيم مع السّوره؟قال:«نعم» (۱) .

۲-ما

أخرجه الدار قطنی بسند صحيح عن علی عليه السّلام: «أنّه سئل عن السّبع المثانی،فقال:الحمد للّه ربّ العالمين،فقيل له:إنّما هی ستّ آيات فقال: بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ آيه» (۲) .

۳-

روی البيهقی بسنده عن ابن جبير،عن ابن عباس،قال: «استرق الشّيطان من النّاس أعظم آيه من القرآن: بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ : (إشاره إلی شيوع عدم قراءتها فی مطالع السور) (۳) .

أضف إلی ذلک،أنّ سيره المسلمين جرت دوما علی قراءه البسمله فی مطالع السور لدی تلاوه القرآن،و ثبت بالتواتر قراءه النّبی لها.و كيف يمكن أن تكون أجنبيه عن القرآن و النّبی و المسلمون يواظبون علی قراءتها لدی تلاوتهم القرآن؟! و أمّا ما ذهب إليه بعضهم من احتمال أنّ البسمله آيه مستقلّه و ليست جزء من سور القرآن،فهو احتمال واه ضعيف،لأن مفهوم البسمله يشعر ببدايه العمل، و لا يفصح عن معنی منفصل مستقل.

و فی اعتقادنا أنّ الإصرار علی فصل البسمله عن السور تعصّب لا مبرر له، و لا ينهض عليه دليل،فی حين أنّ مضمونها مسفر عن أنّها بدايه لما بعدها من الأبحاث.

يبقی إيراد واحد،هو أنّ البسمله لا تحتسب فی عدّ آيات سور القرآن(عدا بسمله سوره الحمد)،بل يبدأ العدّ من الآيه التاليه للبسمله.

و الجواب علی ذلک ما ذكره(الفخر الرازی)فی تفسيره الكبير،إذ قال:لا

۱- ۱) -الكافی،ج ۳،ص ۳۱۲.

۲- ۲) -الإتقان،مجلد ۱،ص ۱۳۶.نقلا عن البيان،ص ۴۴۱.

۳- ۳) -البيهقی،ج ۲،ص ۵۰.

یمنع أن تکون البسمله لوحدها آیه في سوره الحمد،و أن تکون جزء من الآیه الاولی فی سائر سور القرآن(أی أنّ مطلع سوره الکوثر مثلا: بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیمِ إِنّا أَعْطَیْناکَ الْکَوْثَرَ یعتبر کلّه آیه واحده.

و المسأله-علی أیّ حال-واضحه إلی درجه کبیره حتی روی:أنّ معاویه صلّی بالنّاس فی فتره حکومته فلم یقرأ البسمله،فصاح جمع من المهاجرین و الأنصار بعد الصّلاه:أسرقت أم نسیت؟ (۱) .

۲-لفظ الجلاله جامع لصفاته تعالی:

کلمه(اسم)أول ما تطالعنا فی البسمله من کلمات،و هو فی رأی علماء اللغه من(السموّ)علی وزن(العلوّ)،و معناه الارتفاع،و یفهم أن الشیء بعد التسمیه یخرج من مرحله الخفاء إلی مرحله البروز و الظهور و الرقی،أو إنّه یرتفع بالتسمیه عن مرحله الإهمال و یکتسب المعنی و العلو (۲) .

بعد کلمه الاسم نلتقی بکلمه(اللّه)و هی أشمل أسماء ربّ العالمین فکل اسم ورد للّه فی القرآن الکریم و سائر المصادر الإسلامیه یشیر إلی جانب معین من صفات اللّه.و الاسم الوحید الجامع لکل الصفات و الکمالات الإلهیه أو الجامع لکل صفات الجلال و الجمال هو(اللّه).

و لذلک اعتبرت بقیه الأسماء صفات لکلمه(اللّه)مثل:(الغفور)و(الرحیم) و(السمیع)و(العلیم)و(البصیر)و(الرزاق)و(ذو القوه)و(المتین)و(الخالق)

ص: ۳۱

۱- ۱) -البیهقی،ج ۲،ص ۴۹.و الحاکم فی المستدرک،ج ۱،ص ۲۳۳.

۲- ۲) -ذهب بعضهم إلی أنّ(الاسم)من(السمه)علی وزن(الهبه)من ماده(وسم)أی وضع علامه.لان الاسم علامه المعنی.و لکن أکثر علماء اللغه رفضوا هذا الاشتقاق،لأنه من الواضح أن الجذور الاصلیه للکلمه تظهر عند الجمع و التصغیر فالواو لا تظهر فی الجمع و التصغیر(کما تظهر فی المثال الواوی عاده)فنقول فی الجمع أسماء،فی التصغیر، سمّی،و سمیّه فهو إذن ناقص واوی لا مثال واوی.

و(البارى)و(المصوّر).

كلمه(اللّه)هى وحدها الجامعه،و من هنا اتّخذت هذه الكلمه صفات عديده فى آيه كريمه واحده،حيث يقول تعالى: هُوَ اللّهُ الَّذِى لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاٰمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبّٰارُ الْمُتَكَبِّرُ (١) أحد شواهد جامعيه هذا الاسم أنّ الإيمان و التوحيد لا يمكن إعلانه إلاّ بعباره(لا إله إلاّ اللّه)،و عباره(لا إله إلاّ القادر...أو إلاّ الخالق...أو إلاّ الرّزّاق)لا تفى بالغرض.و لهذا السبب يشار فى الأديان الاخرى إلى معبود المسلمين باسم (اللّه)فهذه التسميه الشامله خاصه بالمسلمين.

٣-الرّحمه الإلهيه الخاصه و العامّه:

المشهور بين جماعه من المفسّرين أنّ صفه(الرحمن)تشير إلى الرحمه الإلهيه العامه،و هى تشمل الأولياء و الأعداء،و المؤمنين و الكافرين،و المحسنين و المسيئين،فرحمته تعمّ المخلوقات،و خوان فضله ممدود أمام جميع الموجودات،و كلّ العباد يتمتعون بموهبه الحياه،و ينالون حظهم من مائده نعمه اللامتناهيه.و هذه هى رحمته العامه الشامله لعالم الوجود كافه و ما تسبّح فيه من كائنات.

و صفه(الرحيم)إشاره إلى رحمته الخاصه بعباده الصالحين المطيعين،قد استحقوها بإيمانهم و عملهم الصالح،و حرم منها المنحرفون و المجرمون.

الأمر الذى يشير إلى هذا المعنى أنّ صفه(الرحمن)ذكرت بصوره مطلقه فى القرآن الكريم ممّا يدل على عموميتها،لكنّ صفه(الرحيم)ذكرت أحيانا مقيّده، لدلالتها الخاصه،كقوله تعالى: وَ كٰانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً (٢) و أحيانا اخرى مطلقه

١- ١) -الحشر،٢٣.

٢- ٢) -الأحزاب،۴٣.

كما فى هذه السّوره.

و فى روايه عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام قال: «و اللّه إله كلّ شىء الرّحمن بجميع خلقه،الرّحيم بالمؤمنين خاصّه» (۱) .

من جهه اخرى،كلمه(الرحمن)اعتبروها صيغه مبالغه،و لذلك كانت دليلا آخر على عموميه رحمته.و اعتبروا(الرحيم)صفه مشبّهه تدلّ على الدوام و الثبات،و هى خاصه بالمؤمنين.

و ثمّه دليل آخر،هو إنّ(الرحمن)من الأسماء الخاصه باللّه،و لا تستعمل لغيره،بينما(الرحيم)صفه تنسب للّه و لعباده.فالقرآن وصف بها الرّسول الكريم، حيث قال: عَزِيزٌ عَلَيْهِ مٰا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ (عَلَيْكُمْ)بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ (۲) .

و إلى هذا المعنى

أشار الإمام الصادق عليه السّلام،فيما روى عنه: «الرّحمن اسم خاصّ بصفه عامّه،و الرّحيم عامّ بصفه خاصّه» (۳) .

و مع كل هذا،نجد كلمه(الرحيم)تستعمل أحيانا كوصف عام.و هذا يعنى أن التمييز المذكور بين الكلمتين إنما هو فى جذور كل منهما،و لا يخلو من استثناء.

فى دعاء عرفه-المنقول عن الحسين بن على عليه السّلام-وردت عباره: «يا رحمن الدّنيا و الآخره و رحيمهما».

نختتم هذا الموضوع بحديث عميق المعنى،

عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم قال: «إنّ للّه عزّ و جلّ مائه رحمه،و إنّه أنزل منها واحده إلى الأرض،فقسّمها بين خلقه،بها يتعاطفون و يتراحمون،و أخّر تسعا و تسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامه» (۴) .

۱- ۱) -الكافى،و توحيد الصدوق،و معانى الأخبار(نقلا عن الميزان).

۲- ۲) -التوبه،۱۲۸.

۳- ۳) -مجمع البيان،ج ۱،ص ۲۱.

۴- ۴) -نفس المصدر.

لم لم ترد بقيه صفات اللّه فی البسمله؟ فی البسمله ذكرت صفتان للّه فقط هما:الرحمانيه و الرحيميه،فما هو السبب؟ الجواب يتضح لو عرفنا أنّ كل عمل ينبغی أن يبدأ بالاستمداد من صفه تعم آثارها جميع الكون و تشمل كلّ الموجودات،و تنقذ المستغيثين فی اللحظات الحساسه.

هذه حقيقه يوضّحها القرآن إذ يقول: وَ رَحْمَتِی وَسِعَتْ كُلَّ شَیْءٍ (۱) ،و يقول علی لسان حمله العرش: رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَیْءٍ رَحْمَهً (۲) .

و من جانب آخر نری الأنبياء و أتباعهم يتوسّلون برحمه اللّه فی المواقف الشديده الحاسمه.فقوم موسی تضرّعوا إلی اللّه أن ينقذهم من تجبّر فرعون و ظلمه،و توسّلوا إليه برحمته فقالوا: وَ نَجِّنا بِرَحْمَتِكَ (۳) .

و بشأن هود و قومه،يقول القرآن: فَأَنْجَيْناهُ وَ الَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَهٍ مِنّا (۴) .

من الطبيعی أنّنا-حين نتضرّع إلی اللّه-نناديه بصفات تتناسب مع تلك الحاجه،فعيسی عليه السّلام حين يطلب من اللّه مائده من السماء،يقول: اَللّهُمَّ رَبَّنا أَنْزِلْ عَلَيْنا مائِدَهً مِنَ السَّماءِ ... وَ ارْزُقْنا وَ أَنْتَ خَيْرُ الرّازِقِينَ (۵) .

و نوح عليه السّلام يدعو اللّه فی حطّ رحاله: رَبِّ أَنْزِلْنِی مُنْزَلاً مُبارَكاً وَ أَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (۶) .

و زكريا نادی ربّه لدی طلب الولد الوارث قال: رَبِّ لا تَذَرْنِی فَرْداً وَ أَنْتَ خَيْرُ الْوارِثِينَ (۷) .

۱- ۱) -الأعراف،۱۵۶.

۲- ۲) -المؤمن،۷.

۳- ۳) -يونس،۸۶.

۴- ۴) -الأعراف،۷۲.

۵- ۵) -المائده،۱۱۴.

۶- ۶) -المؤمنون،۲۹.

۷- ۷) -الأنبياء،۸۹.

للبدء بأيّ عمل ينبغى-إذن-أن نتوسّل برحمه اللّه الواسعه،رحمته العامه و رحمته الخاصه.و هل هناك أنسب من هذه الصفه لتحقّق النجاح فى الأعمال، و للتغلب على المشاكل و الصعاب؟! و القوه التى تستطيع أن تجذب القلوب نحو اللّه و تربطها به هى صفه الرحمه، إذ لها طابعها العام مثل قانون الجاذبيه،ينبغى الاستفاده من صفه الرحمه هذه لتوثيق العرى بين المخلوقين و الخالق.

المؤمنون الحقيقيون يطهّرون قلوبهم بذكر البسمله فى بدايه كلّ عمل من كل علقه و ارتباط،و يرتبطون باللّه وحده و يستمدّون منه العون،و يتوسلون إليه برحمته التى وسعت كلّ شىء.

و البسمله أيضا تعلّمنا أنّ أفعال اللّه تقوم أساسا على الرحمه،و العقاب له طابع استثنائى لا ينزل إلاّ فى ظروف خاصه،

كما نقرأ فى الأدعيه المرويه عن آل بيت رسول اللّه: «يا من سبقت رحمته غضبه» (1) .

المجموعه البشريه السائره على طريق اللّه ينبغى أن تقيم نظام حياتها على هذا الأساس أيضا،و أن تقرن مواقفها بالرحمه و المحبه،و أن تترك العنف إلى المواضع الضروريه،«113»سوره من مجموع«114»سوره قرآنيه تبدأ بالتأكيد على رحمه اللّه،و سوره التوبه وحدها تبدأ بإعلان الحرب و العنف بدل البسمله.

1- 1) -دعاء الجوشن الكبير،الفقره،20.

الآيه [سوره الفاتحه (۱): آیه ۲]

اشاره

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ اَلْعٰالَمِینَ (۲)

التّفسیر

اشاره

العالم مغمور فی رحمته

بعد البسمله،أول واجبات العباد أن یستحضروا دوما مبدأ عالم الوجود، و نعمه اللامتناهیه،هذه النعم التی تحیطنا و تغمر وجودنا،و تهدینا إلی معرفه اللّه من جهه،و تدفعنا علی طریق العبودیه من جهه اخری.

و عند ما نقول أن النعم تشکّل دافعا و محرّکا علی طریق العبودیه،لأنّ الإنسان مفطور علی البحث عن صاحب النعمه حینما تصله النعمه،و مفطور علی أن یشکر المنعم علی أنعامه.

من هنا فان علماء الکلام(علماء العقائد)یتطرقون فی بحوثهم الأولیه لهذا العلم إلی«وجوب شکر المنعم»باعتباره أمرا فطریا و عقلیا دافعا إلی معرفه اللّه سبحانه.

و إنما قلنا إن النعم تهدینا إلی معرفه اللّه،لأن أفضل طریق و أشمل سبیل لمعرفته سبحانه،دراسه أسرار الخلیقه،و خاصه ما یرتبط بوجود النعم فی حیاه الإنسان.

ص: ۳۶

ممّا تقدم ابتدأت سوره الحمد بعباره اَلْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ .

و لفهم عمق هذه العباره و عظمتها يلزمنا توضيح الفرق بين«الحمد»و «المدح»و«الشكر»و النتائج المترتبه على ذلك:

١-«الحمد»فى اللغه:الثناء على عمل أو صفه طيبه مكتسبه عن اختيار،أى حينما يؤدى شخص عملا طيّبا عن وعى،أو يكتسب عن اختيار صفه تؤهله لأعمال الخير فإنّنا نحمده و نثنى عليه.

و«المدح»هو الثناء بشكل عام،سواء كان لأمر اختيارى أو غير اختيارى، كمد حنا جوهره ثمينه جميله.و مفهوم المدح عام،بينما مفهوم الحمد خاص.

أمّا مفهوم«الشكر»فأخصّ من الاثنين،و يقتصر على ما نبديه تجاه نعمه تغدق علينا من منعم عن إختيار (١) .

و لو علمنا أنّ الألف و اللام فى(الحمد)هى لاستغراق الجنس،لعلمنا أنّ كل حمد و ثناء يختص باللّه سبحانه دون سواه.

ثناؤنا على الآخرين ينطلق من ثنائنا عليه تعالى،لأنّ مواهب الواهبين كالأنبياء فى هدايتهم للبشر،و المعلمين فى تعليمهم،و الكرماء فى بذلهم و عطائهم، و الأطباء فى علاجهم للمرضى و تطبيبهم للمصابين،إنّما هى فى الأصل من ذاته المقدسه.و بعباره اخرى:حمد هؤلاء هو حمد للّه،و الثناء عليهم ثناء على اللّه تعالى.

و هكذا الشمس حين تغدق علينا بأشعتها،و السحب بأمطارها،و الأرض ببركاتها،كلّ ذلك منه سبحانه،و لذلك فكلّ الحمد له.

و بكلمه أخرى:جمله اَلْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ إشاره إلى توحيد الذات، و الصفات،و الأفعال(تأمّل بدقه).

١- ١) -«الشكر»،من وجهه نظر اخرى أوسع إطارا،لأنّ الشكر يؤدى بالقول أحيانا و بالعمل اخرى.أمّا الحمد و المدح فبالقول غالبا.

۲-وصف(اللّه)بأنّه(ربّ العالمين)هو من قبيل ذكر الدليل بعد ذكر الادعاء، و كأنّ سائلا- يقول:لم كان حمد للّه؟فيأتى الجواب:لأنّه(رب العالمين).

و فى موقع آخر يقول القرآن عن البارى سبحانه: اَلَّذِی أَحْسَنَ کُلَّ شَیْءٍ خَلَقَهُ... (۱) .

و يقول أيضا: وَ مٰا مِنْ دَابَّهٍ فِی الْأَرْضِ إِلاّٰ عَلَی اللّٰهِ رِزْقُهٰا (۲) .

۳-يستفاد من(الحمد)أن اللّه سبحانه واهب النعم عن إراده و إختيار،خلافا لأولئك القائلين إنّ اللّه تعالى مجبر على أن يفيض بالعطاء كالشمس!! ۴-جدير بالذكر أن الحمد ليس بدايه كل عمل فحسب،بل هو نهايه كل عمل أيضا كما يعلمنا القرآن.

يقول سبحانه عن أهل الجنه: دَعْوٰاهُمْ فِیهٰا سُبْحٰانَکَ اللّٰهُمَّ وَ تَحِیَّتُهُمْ فِیهٰا سَلاٰمٌ،وَ آخِرُ دَعْوٰاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِینَ (۳) .

۵-أما كلمه«ربّ»ففى الأصل بمعنى مالك و صاحب الشيء الذى يهتم بتربيته و إصلاحه.و كلمه«ربيبه»و هى بنت الزوجه،و مأخوذه من هذا المفهوم للكلمه.لأن الربيبه تعيش تحت رعايه زوج أمّها.

و الكلمه بلفظها المطلق تعنى ربّ العالمين،و إذا أطلقت على غير اللّه لزم أن تضاف،كأن نقول:ربّ الدار،و ربّ السفينه (۴) .

و ذكر صاحب تفسير(مجمع البيان)معنى آخر للرب،و هو السيد المطاع، و لكن لا يبعد أن يعود المعنيان إلى أصل واحد (۵) .

۶-كلمه«عالمين»جمع«عالم»،و العالم:مجموعه من الموجودات المختلفه

۱- ۱) -السجده،۷.

۲- ۲) -هود،۶.

۳- ۳) -يونس،۱۰.

۴- ۴) -قاموس اللغه،و مفردات الراغب،و تفسير مجمع البيان،و تفسير البيان.

۵- ۵) -لا بدّ من الالتفات إلى أن(رب)من ماده(ربب)،لا من(ربو)،أى إنه مضاعف لا ناقص.

ذات صفات مشترکه،أو ذات زمان و مکان مشترکین،کأن نقول:عالم الإنسان، و عالم الحیوان،و عالم النبات.أو نقول عالم الشرق و عالم الغرب،و عالم الیوم، و عالم الأمس.فکلمه العالم وحدها تتضمن معنی الجمع،و حین تجمع بصیغه «عالمین»،فیقصد منها کل مجموعات هذا العالم.

و یلفت النظر هنا أن کلمه عالم جمعت هنا جمعا مذکرا سالما،و نعرف أن جمع المذکر السالم یستعمل فی العاقل عاده،و من هنا ذهب بعض المفسرین إلی أن کلمه«عالمین»إشاره إلی المجموعات العاقله فی الکون کالبشر،و الملائکه، و الجن،و لکن قد یکون هذا الاستعمال للتغلیب،أی لتغلیب المجموعات العاقله علی غیر العاقله.

٧-یقول صاحب المنار:(و

یؤثر عن جدنا الإمام جعفر الصادق علیه السّلام أن المراد ب(العالمین)النّاس فقط) (١) .

ثم یضیف:و قد وردت کلمه(العالمین)فی القرآن الکریم أیضا بهذا المعنی کقوله: لِیَکُونَ لِلْعٰالَمِینَ نَذِیراً (٢) .

و لکن،لو استعرضنا مواضع استعمال(عالمین)فی القرآن،لرأینا أن هذه الکلمه وردت فی کثیر من الآیات بمعنی بنی الإنسان،بینما وردت فی مواضع اخری بمعنی أوسع یشمل البشر و سائر موجودات الکون الاخری،کقوله تعالی:

فَلِلّٰهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمٰاوٰاتِ وَ رَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعٰالَمِینَ

(٣)

و کقوله سبحانه: قٰالَ فِرْعَوْنُ:وَ مٰا رَبُّ الْعٰالَمِینَ؟ قٰالَ:رَبُّ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مٰا بَیْنَهُمَا (۴) .

و

عن الإمام علی بن أبی طالب علیه السّلام فی تفسیر(ربّ العالمین)قال: «ربّ العالمین هم الجماعات من کلّ مخلوق من الجمادات و الحیوانات» (۵) .

١- ١) -المنار،ج ١،ص ٥١.

٢- ٢) -الفرقان،١.

٣- ٣) -الجاثیه،٣۶.

۴- ۴) -الشعراء،٢٣ و ٢۴.

۵- ۵) -تفسیر نور الثقلین،ج ١،ص ١٧.

كلمه عالمين يمكن فهمها فى إطارها الكونى الأوسع،و يمكن فهمها فى إطار عالم(الإنسان)-كما

ورد فى روايه الإمام زين العابدين عليه السّلام، لأن الكائن البشرى أشرف المخلوقات،و لأنّ الإنسان هو الهدف الأساس من هذه المجموعه الكبرى و ليس بين الفهمين أى تناقض.

٨-جدير بالذكر أن هناك من قسّم العالم إلى:عالم صغير و عالم كبير، و المقصود من العالم الصغير هو الإنسان،لأنه لوحده ينطوى على مجموعه من نفس القوى المتحكمه فى هذا الكون الفسيح.و الإنسان-فى الواقع-عيّنه مصغره لكل هذا العالم.

الذى دعانا إلى التوسّع فى مفهوم كلمه(العالم)هو أن عباره«ربّ العالمين» جاءت و كأنّها دليل على عباره(الحمد للّه)،أى أننا نقول فى سوره الفاتحه:إن الحمد مختص باللّه تعالى لأنه صاحب كل كمال و نعمه و موهبه فى العالم.

بحثان

اشاره

١-رفض الآلهه:

شهد التاريخ البشرى ألوان الانحرافات عن خط التوحيد،و الصفه البارزه فى هذه الانحرافات هو الاعتقاد بوجود آلهه متعدده لهذا العالم،و فكره التعدد انطلقت من ضيق نظره أصحابها الذين راحوا يعيّنون لكل جانب من جوانب الكون و الحياه إلها،و كأنّ ربوبيّه العالمين لا يمكن إناطتها لمصدر واحد!!و راحت بعض الأمم تصنع الآلهه لأمور جزئيه كالحب و العقل و التجاره و الحرب و الصيد.

اليونانيّون مثلا كانوا يعبدون اثنتى عشره الهه وضعوها على قمه(أولمپ)

ص :۴۰

و کل واحده منها تمثل جانبا من صفات البشر!! (۱) .

و الکلدانیّون اعتقدوا بإله الماء و إله القمر و إله الشمس و إله الزهره،و أطلقوا علی کل واحد منها اسما معینا،و اتخذوا فوق ذلک«مردوخ»إلها أکبر لهم.

و الروم تعددت آلهتهم أیضا،و راج سوق الشرک عندهم أکثر من أیه أمّه اخری.فقد قسموا الآلهه إلی مجموعتین:آلهه الأسره و آلهه الحکومه.و لم یکونوا یکنون ولاء لآلهه الحکومه،(لعدم ارتیاحهم من حکومتهم!).

و قد ورد فی التاریخ أن الروم اتخذوا لهم ثلاثین ألف إلها حتی قال أحد رجالهم مازحا:إن عدد الهتنا من الکثره إلی درجه أنها اکثر من المارّه فی الأزقه و الطرقات، و کلّ واحد منها مظهر من مظاهر الکون المشهوده،إله مثل إله الزراعه، و إله المطبخ،و إله مستودع الطعام،و إله البیت،و إله النار،و إله الفاکهه،و إله الحصاد، و إله شجره العنب،و إله الغابه،و إله الحریق،و إله بوابه روما،و إله بیت النار (۲) .

و للخلاصه،أن البشریه کانت غارقه فی و حل الخرافات کما أنها تعانی الآن أیضا من ذلک الموروث السقیم.

و فی عصر نزول القرآن کان فی الجزیره العربیه و فی کثیر من مناطق العالم، آلهه تعبد من دون اللّه،کما کانت عباده الأفراد رائجه،و إلی ذلک یشیر القرآن فی خطابه للیهود و النصاری إذ یقول: اِتَّخَذُوا أَحْبٰارَهُمْ وَ رُهْبٰانَهُمْ أَرْبٰاباً مِنْ دُونِ اللّٰهِ (۳) .

بعباره موجزه:حین تنحرف البشریه عن خط التوحید،و تتورط فی شراک الخرافات و فخاخ الأوهام.فمضافا الی أنها تساهم فی تغریب العقل و انحطاط الفکر،تؤدی الی تشتت المجتمع و تعمل علی تمزیقه.

خط التوحید الذی دعا إلیه الأنبیاء یتمیز بنبذ الآلهه المتعدده،و هدایه

۱- ۱) -أعلام قرآن،ص ۲۰۲.

۲- ۲) -تاریخ«آلبرماله»،ج ۱،الفصل الرابع.

۳- ۳) -التوبه،۳۱.

البشریه نحو الإله الواحد الأحد،و انطلاقا من هذه الأهمیه القصوی للقضاء علی الآلهه المتعدده جاء التأکید القرآنی بعد آیه البسمله بقوله: اَلْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ .

و بهذا یرسم القرآن الکریم خط البطلان علی جمیع الآلهه المزیفه و ارباب النوع و یلقی بها فی وادی العدم مکانها الاوّلی،و یغرس محلّها أزهار التوحید و الاتحاد.

هذا التأکید یتلوه الإنسان المسلم عشر مرات فی صلواته الیومیه- علی الأقل-لتترسخ فکره التوحید،و فکره رفض ربوبیه کل الأرباب و الآلهه،غیر ربوبیّه اللّه ربّ العالمین.

۲-ربوبیه اللّه طریق لمعرفه اللّه

کلمه(الربّ)،و إن کانت تعنی فی الأصل المالک و الصاحب،تتضمّن معنی الصاحب المتعهّد بالتربیه.

إمعان النظر فی المسیره التکاملیه للموجودات الحیّه،و فی التغییرات و التحولات التی تجری فی عالم الجماد،و فی الظروف التی تتوفّر لتربیه الموجودات،و فی تفاصیل هذه الحرکات و العملیات،هو أفضل طریق لمعرفه اللّه.

و التنسیق اللاإرادی بین أعضاء جسدنا هو نموذج حیّ لذلک.

لو واجهنا فی حیاتنا-مثلا-حادثه هامّه تتطلب منّا أن ننهض أمامها بقوه و حزم،فإنّ أوامر منسّقه تصدر خلال لحظه قصیره إلی جمیع أجزاء جسدنا بشکل لا إرادی.و بسرعه خاطفه یشتد ضربان قلبنا و تنفسنا،و تتجهز کل قوانا،و تتدفق المواد الغذائیه و الأوکسجین-المحموله عن طریق الدم-إلی جمیع الخلایا، و تتأهب الأعصاب و العضلات للعمل و الحرکه السریعه،و ترتفع قدره تحمّل الإنسان للمتاعب و الآلام،و یغادر النوم العیون،و یزول التعب من الأعضاء،

و يزول الإحساس بالجوع.

من الـذى أوجد هذا التنسـيق العجيب فى هذه اللحظه الحساسه،و بهذه السـرعه،بين جميع أجزاء وجود الإنسان؟هل هذه العنايه و التربيه ممكنه من غير اللّه العالم القادر؟! آيات القرآن الكريم تكثر من عرض نماذج لهذه التربيه الإلهيه،سـنتعرض لها فى مكانها إن شاء اللّه تعالى،و كل واحده منها دليل واضح على معرفه اللّه.

ص :۴۳

الآیه [سوره الفاتحه (۱): آیه ۳]

اشاره

اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ (۳)

التّفسیر

معنی(الرّحمن)و(الرّحیم)و اتساع مفهومهما و الفرق بینهما،شرحناه فی تفسیر البسمله،و لا حاجه إلی التکرار.و ما نضیفه هنا هو أن هاتین الصفتین تتکرران فی البسمله و الحمد،«و الملتزمون»بذکر البسمله فی السّوره بعد الحمد یکررون هاتین الصفتین فی صلواتهم الیومیه الواجبه ثلاثین مرّه.و بذلک یصفون اللّه برحمته ستین مرّه یومیا.

و هذا فی الواقع درس لکل جماعه بشریه سائره علی طریق اللّه،و تواقه للتخلق بأخلاق اللّه.إنه درس یبعد البشریه عن تلک الحالات التی شهدها تاریخ الرق فی ظل القیاصره و الأکاسره و الفراعنه.

القرآن یرکز علی علاقه الرحمه و الرأفه بین ربّ العباد و العباد،حیث یقول:

قُلْ یٰا عِبٰادِیَ الَّذِینَ أَسْرَفُوا عَلیٰ أَنْفُسِهِمْ لاٰ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَهِ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ یَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِیعاً

(۱)

.

هذه العلاقه نستحضرها مرات یومیا إذ نقول: اَلرَّحْمٰنِ الرَّحِیمِ ،لنربّی أنفسنا تربیه صحیحه فی علاقتنا باللّه،و فی علاقتنا بأبناء جنسنا.

۱- ۱) -الزمر،۵۳.

الآیه [سوره الفاتحه (۱): آیه ۴]

اشاره

مٰالِکِ یَوْمِ اَلدِّینِ (۴)

التّفسیر

اشاره

الرّکیزه الثّانیه:الإیمان بیوم القیامه

هذه الآیه تلفت الأنظار إلی أصل هامّ آخر من أصول الإسلام،هو یوم القیامه: مٰالِکِ یَوْمِ الدِّینِ ،و بذلک یکتمل محور المبدأ و المعاد،الذی یعتبر أساس کل إصلاح أخلاقی و اجتماعی فی وجود الإنسان.

تعبیر(مالک)یوحی بسیطره اللّه التامه و هیمنته المستحکمه علی کل شیء و علی کل فرد فی ذلک الیوم،حیث تحضر البشریه فی تلک المحکمه الکبری للحساب،و تقف أمام مالکها الحقیقی للحساب،و تری کل ما فعلته و قالته،بل و حتی ما فکرت به،حاضرا،فلا یضیع أی شیء-مهما صغر-و لا ینسی، و الإنسان-وحده-یحمل أعباء نتائج أعماله،بل نتائج کل سنّه استنّها فی الأرض أو مشروع أقامه.

مالکیه اللّه فی ذلک الیوم دون شک لیست ملکیه اعتباریه،نظیر ملکیتنا للأشیاء فی هذا العالم،ملکیتنا هذه عقد یبرم بموجب تعامل و وثائق،و ینفسخ بموجب تعامل آخر و وثائق اخری، لکن ملکیه اللّه لعالم الکون ملکیه حقیقیه،

تتمثل فی ارتباط الموجودات ارتباطا خاصا باللّه.و لو انقطع هذا الارتباط لحظه لزالت الموجودات تماما مثل زوال النور من المصابیح الکهربائیه،حین ینقطع اتصالها بالمولّد الکهربائی.

بعباره اخری:مالکیه اللّه نتیجه خالقیته و ربوبیته.فالذی خلق الموجودات و رعاها و ربّاها،و أفاض علیها الوجود لحظه بلحظه،هو المالک الحقیقی للموجودات.

نستطیع أن نری نموذجا مصغرا للمالکیه الحقیقیه،فی مالکیتنا لأعضاء بدننا، نحن نملک ما فی جسدنا من عین و أذن و قلب و أعصاب،لا بالمعنی الاعتباری للملکیه،بل بنوع من المعنی الحقیقی القائم علی أساس الارتباط و الإحاطه.

و قد یسأل سائل فیقول:لماذا وصفنا اللّه بأنه مٰالِکِ یَوْمِ الدِّینِ بینما هو مالک الکون کله؟ و الجواب هو أنّ اللّه مالک لعالم الدنیا و الآخره،لکن مالکیته لیوم القیامه أبرز و أظهر،لأن الارتباطات المادیه و الملکیات الاعتباریه تتلاشی کلها فی ذلک الیوم،و حتی الشفاعه لا تتم یومئذ إلا بأمر اللّه: یَوْمَ لاٰ تَمْلِکُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَیْئاً وَ الْأَمْرُ یَوْمَئِذٍ لِلّٰهِ (۱) .

بتعبیر آخر:قد یسارع الإنسان فی هذه الدنیا لمساعده إنسان آخر،و یدافع عنه بلسانه،و یحمیه بأمواله،و ینصره بقدرته و أفراده،و قد یشمله بحمایته من خلال مشاریع و مخططات مختلفه، لکن هذه الألوان من المساعدات غیر موجوده فی ذلک الیوم.من هنا حین یوجه هذا السؤال إلی البشر: لِمَنِ الْمُلْکُ الْیَوْمَ یجیبون: لِلّٰهِ الْوٰاحِدِ الْقَهّٰارِ (۲) .

الإیمان بیوم القیامه،و بتلک المحکمه الإلهیه الکبری التی یخضع فیها کل

ص: ۴۶

۱- ۱) -الانفطار،۱۹.

۲- ۲) -المؤمن،۱۶.

شیء للاحصاء الدقیق،له الأثر الکبیر فی ضبط الإنسان أمام الزلات،و وقایته من السقوط فی المنحدرات،و أحد أسباب قدره الصلاه علی النهی عن الفحشاء و المنکر هو أنها تذکر الإنسان بالمبدأ المطّلع علی حرکاته و سکناته و تذکّره أیضا بمحکمه العدل الإلهی الکبری.

الترکیز علی مالکیه اللّه لیوم القیامه یقارع من جهه اخری معتقدات المشرکین و منکری المعاد،لأن الإیمان باللّه عقیده فطریه عامه،حتی لدی مشرکی العصر الجاهلی،و هذا ما یوضحه القرآن إذ یقول: وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ لَیَقُولُنَّ اللّٰهُ (۱) بینما الإیمان بالمعاد لیس کذلک،فهؤلاء المشرکون کانوا یواجهون مسأله المعاد بعناد و استهزاء و لجاج: وَ قٰالَ الَّذِینَ کَفَرُوا هَلْ نَدُلُّکُمْ عَلیٰ رَجُلٍ یُنَبِّئُکُمْ إِذٰا مُزِّقْتُمْ کُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّکُمْ لَفِی خَلْقٍ جَدِیدٍ، أَفْتَریٰ عَلَی اللّٰهِ کَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّهٌ (۲) .

و روی عن علی بن الحسین السجاد علیه السّلام: «أنّه کان إذا قرأ مٰالِکِ یَوْمِ الدِّینِ یکرّرها حتّی یکاد أن یموت» (۳) .

أما تعبیر یَوْمِ الدِّینِ ،فحیثما ورد فی القرآن یعنی یوم القیامه،و تکرر ذلک فی أکثر من عشره مواضع من کتاب اللّه العزیز،و فی الآیات ۱۷ و ۱۸ و ۱۹ من سوره الإنفطار ورد هذا المعنی بصراحه.

و أما سبب تسمیه هذا الیوم بیوم الدین،فلأن یوم القیامه یوم الجزاء،و (الدین)فی اللغه(الجزاء)،و الجزاء أبرز مظاهر القیامه،ففی ذلک الیوم تکشف السرائر و یحاسب النّاس عما فعلوه بدقه،و یری کل فرد جزاء ما عمله صالحا أم طالحا.

و

فی حدیث عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق علیه السّلام یقول: «یوم الدّین هو یوم

۱- ۱) -لقمان،۲۵.

۲- ۲) -سبأ،۷ و ۸.

۳- ۳) -تفسیر نور الثقلین،ج ۱،ص ۱۹.

الحساب» (۱) (و الـدين)اسـتنادا إلى هـذه الروايه يعنى(الحساب)،و قـد يكون هذا التعبير من قبيل ذكر العلّه و إراده المعلول.لأن الحساب دوما مقدمه للجزاء.

من المفسّرين من يعتقـد أن سـبب تسـميه يَوْمِ الدِّينِ يعود إلى أن كل إنسان يوم القيامه يجازى إزاء دينه و معتقده.لكن المعنى الأول(الحساب و الجزاء)يبدو أقرب إلى الصحه.

۱- ۱) -مجمع البيان،ذيل الآيه:مالك يوم الدين.

الآیه [سوره الفاتحه (۱): آیه ۵]

اشاره

إِیّٰاکَ نَعْبُدُ وَ إِیّٰاکَ نَسْتَعِینُ (۵)

التّفسیر

اشاره

الإنسان بین یدی اللّه

فی هذه الآیه یتغیّر لحن السّوره،إذ یبدأ فیها دعاء العبد لربّه و التضرّع إلیه.

الآیات السابقه دارت حول حمد اللّه و الثناء علیه،و الإقرار بالإیمان و الاعتراف بیوم القیامه،و فی هذه الآیه یستشعر الإنسان-بعد رسوخ أساس العقیده و معرفه اللّه فی نفسه حضوره بین یدی اللّه...یخاطبه و یناجیه،یتحدث إلیه أولا عن تعبّده،ثم یستمد العون منه وحده دون سواه: إِیّٰاکَ نَعْبُدُ وَ إِیّٰاکَ نَسْتَعِینُ .

بعباره اخری:عند ما تتعمق مفاهیم الآیات السابقه فی وجود الإنسان، و تتنّور روحه بنور ربّ العالمین،و یدرک رحمه اللّه العامه و الخاصه،و مالکیته لیوم الجزاء،یکتمل الإنسان فی جانبه العقائدی.و هذه العقیده التوحیدیه العمیقه،ذات عطاء یتمثّل أوّلا:فی تربیه الإنسان العبد الخالص للّه،المتحرر من العبودیه للآلهه الخشبیه و البشریه و الشهویه،و یتجلّی ثانیا:فی الاستمداد من ذات اللّه تبارک و تعالی.

الآیات السابقه تحدثت فی الحقیقه عن توحید الذات و الصفات،و هذه الآیه

ص :۴۹

تتحدّث عن توحيد العباده و توحيد الأفعال.

توحيد العباده:يعنى الاعتراف بأن اللّه سبحانه هو وحده اللائق بالعباده و الطاعه و الخضوع،و بالتشريع دون سواه،كما يعنى تجنب أيّ نوع من العبوديه و التسليم،لغير ذاته المقدسه.

و توحيد الأفعال:هو الإيمان بأن اللّه هو المؤثّر الحقيقى فى العالم(لا مؤثّر فى الوجود إلاّ اللّه).و هذا لا يعنى إنكار عالم الأسباب،و تجاهل المسببات،بل يعنى الإيمان بأن تأثير الأسباب،إنّما كان بأمر اللّه،فاللّه سبحانه هو الذى يمنح النار خاصيه الإحراق،و الشمس خاصيه الإناره،و الماء خاصيه الإحياء.

ثمره هذا الاعتقاد أن الإنسان يصبح معتمدا على(اللّه)دون سواه،و يرى أن اللّه هو القادر العظيم فقط،و يرى ما سواه شبحا لا حول له و لا قوّه،و هو وحده سبحانه اللائق بالاتكال و الاعتماد عليه فى كل الأمور.

هذا التفكير يحرر الإنسان من الانشداد بأى موجود من الموجودات، و يربطه باللّه وحده.و حتى لو تحرك هذا الإنسان فى دائره استنطاق عالم الأسباب،فإنما يتحرّك بأمر اللّه تعالى،ليرى فيها تجلّى قدره اللّه،و هو«مسبّب الأسباب».

هذا المعتقد يسمو بروح الإنسان و يوسّع آفاق فكره،ليرتبط بالأبديه و اللانهايه،و يحرر الكائن البشرى من الأطر الضيقه الهابطه.

بحوث

اشاره

۱-هو المستعان وحده

تقدم المفعول على الفاعل يفيد الحصر-كما يذكر أصحاب اللغه-و تقدم «إيّاك»على«نعبد»يدلّ على الحصر،أى أننا نعبدك دون سواك،و نتيجه هذا

الحصر،هو توحيد العباده و توحيد الأفعال.

نعم،نحن محتاجون إلى عونه حتى فى العبوديه و الطاعه،و لذلك ينبغى أن نستعين به فى ذلك أيضا،كى لا تتسرب إلى أنفسنا أوهام العجب و الرياء و أمثالها من الانحرافات التى تجهض عبوديتنا.

بعباره اخرى:حين نقول إِيّاكَ نَعْبُدُ فان هذه الجمله يشم منها رائحه الاستقلاليه،لذلك نتبعها مباشره بعباره إِيّاكَ نَسْتَعِينُ ،كى نجسّم حاله الأمر بين الأمرين(لا جبر و لا تفويض)،فى عباداتنا،و من ثمّ فى كل أعمالنا.

٢-استعمال صيغ الجمع فى تعبير الآيات

كلمه«نعبد»و«نستعين»بصيغه الجمع تشير إلى أن العباده-خاصه الصلاه- تقوم على أساس الجمع و الجماعه.و على العبد أن يستشعر وجوده ضمن الجمع و الجماعه،حتى حين يقف متضرّعا بين يدى اللّه،فما بالك فى المجالات الاخرى! و هذا الاتجاه فى العباده يعنى رفض الإسلام لكل ألوان الفرديه و الانعزال.

الصلاه خاصه-ابتداء من اذانها و إقامتها حتى تسليمها-تدل على أن هذه العباده هى فى الأصل ذات جانب اجتماعى،أى أنها ينبغى أن تؤدّى بشكل جماعه،صحيح أن الصلاه فرادى صحيحه فى الإسلام،لكن العباده الفرديه ذات طابع فرعى ثانوى.

٣-الاستعانه به فى كل الأمور

يواجه الإنسان فى مسيرته التكامليه قوى مضاده داخليه(فى نفسه)، و خارجيه(فى مجتمعه)،و يحتاج فى مقاومه هذه القوى المضاده إلى العون و المساعده،و من هنا يلزم على الإنسان عند ما ينهض صباحا أن يكرر عباره

إِيّٰاکَ نَعْبُدُ وَ إِيّٰاکَ نَسْتَعِينُ

ليعترف بعبوديته للّه سبحانه،و ليستمد العون منه فى مسيرته الطويله الشاقه.و عند ما يجنّ عليه الليل لا يستسلم للرقاد إلّا بعد تكرار هذه العباره أيضا.و الإنسان المستعين حقّا،هو الذى تتضاءل أمام عينيه كلّ القوى المتجبّره المتغطرسه.و كل الحواذب الماديه الخادعه،و ذلك ما لا يكون إلّا حينما يرتفع الإنسان إلى مستوى القول: إِنَّ صَلاٰتِی وَ نُسُکِی وَ مَحْيٰایَ وَ مَمٰاتِی لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِينَ (1) .

1- 1) -الأنعام،162.

الآيه [سوره الفاتحه (١): آيه ۶]

اشاره

اِهْدِنَا اَلصِّرٰاطَ اَلْمُسْتَقِيمَ (۶)

التّفسير

اشاره

السير على الصراط المستقيم

بعـد أن يقرّ الإنسان بالتسـليم لربّ العالمين،و يرتفع إلى مسـتوى العبوديه للّه و الاسـتعانه به تعالى،يتقدّم هذا العبد بأول طلب من بـارئه،و هو الهـدايه إلى الطريق المسـتقيم،طريق الطّهر و الخير،طريق العـدل و الإحسـان،طريق الإيمان و العمل الصالـح،ليهبه اللّه نعمه الهدايه كما وهبه جميع النعم الاخرى.

الإنسان فى هـذه المرحله مؤمن طبعا و عارف بربّه،لكنه معرّض دوما بسـبب العوامل المضاده إلى سـلب هـذه النعمه و الانحراف عن الصراط المستقيم.من هنا كان عليه لزاما أن يكرر عشر مرات فى اليوم على الأقل طلبه من اللّه أن يقيه العثرات و الانحرافات.

أضف إلى ما تقدم أن الصـراط المسـتقيم هو دين اللّه،و له مراتب و درجات لا يستوى فى طيّها جميع النّاس،و مهما سما الإنسان فى مراتبه،فثمّه مراتب اخرى أبعـد و أرقى،و الإنسـان المؤمن توّاق دومـا إلى السـير الحثيث على هـذا السـلّم الارتقائى،و عليه أن يستمد العون من اللّه فى ذلك.

ثمه سؤال يتبادر إلى الأذهان عن سبب طلبنا من اللّه الهدايه إلى الصراط المستقيم،ترى هل نحن ضالون كى نحتاج إلى هذه الهدايه؟و كيف يصدر مثل هذا الأمر عن المعصومين و هم نموذج الإنسان الكامل؟! و فى الجواب نقول:

أوّلا:الإنسان معرض فى كل لحظه إلى خطر التعثر و الانحراف عن مسير الهدايه-كما أشرنا إلى ذلك-و لهذا كان على الإنسان تفويض أمره إلى اللّه، و الاستمداد منه فى تثبيت قدمه على الصراط المستقيم.

ينبغى أن نتذكر دائما أن نعمه الوجود و جميع المواهب الإلهيه،تصلنا من المبدأ العظيم تعالى لحظه بلحظه.و ذكرنا من قبل أننا و جميع الموجودات(بلحاظ معين)مثل مصابيح كهربائيه،النور المستمر فى هذه المصابيح يعود إلى وصول الطاقه إليها من المولد الكهربائى باستمرار.فهذا المولّد ينتج كل لحظه طاقه جديده و يرسلها عن طريق الأسلاك إلى المصابيح لتتحول إلى نور.

وجودنا يشبه نور هذه المصابيح.هذا الوجود،و إن بدا ممتدا مستمرا،هو فى الحقيقه وجود متجدّد يصلنا باستمرار من مصدر الوجود الخالق الفيّاض.

هذا التجدّد المستمر فى الوجود،يتطلب باستمرار هدايه جديده،فلو حدث خلل فى الأسلاك المعنويه التى تربطنا باللّه،كالظلم و الإثم و...فإن ارتباطنا بمنبع الهدايه سوف ينقطع،و تزيغ أقدامنا فورا عن الصراط المستقيم.

نحن نتضرّع إلى اللّه فى صلواتنا أن لا يعترى ارتباطنا به مثل هذا الخلل،و أن نبقى ثابتين على الصراط المستقيم.

ثانيا:الهدايه هى السير على طريق التكامل،حيث يقطع فيه الإنسان تدريجيا مراحل النقصان ليصل إلى المراحل العليا.و طريق التكامل-كما هو معلوم-غير محدود،و هو مستمر الى اللانهايه.

ممّا تقدّم نفهم سبب تضرّع حتى الأنبياء و الأئمه عليهم السّلام للّه تعالى أن يهديهم

،فالكمـال المطلق للّه تعـالى،و جميع ما سواه يسـيرون على طريق التكامل،فما الغرابه فى أن يطلب المعصومون من ربّهم درجات أعلى؟! نحن نصلّى على محمّد و آل محمّد،و الصلاه تعنى طلب رحمه إلهيه جديده لمحمّد و آل محمّد،و مقام أعلى لهم.

و الرّسول صلّى اللّه عليه و اله و سلّم قال: رَبِّ زِدْنِی عِلْماً (۱) .

و القرآن الكريم يقول: وَ يَزِيدُ اللّٰهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً (۲) .

و يقول: وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زٰادَهُمْ هُدىً وَ آتٰاهُمْ تَقْوٰاهُمْ (۳) .

و لمزيد من التوضيح نذكر الحديثين التاليين:

-۱

عن أمير المؤمنين على عليه السّلام،قال فى تفسير اِهْدِنَا الصِّرٰاطَ الْمُسْتَقِيمَ :

أى:«أدم لنا توفيقك الّذى أطعناك به فى ما مضى من أيّامنا،حتّى نطيعك فى مستقبل أعمارنا» (۴) .

-۲

و قال الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السّـلام: «يعنى أرشدنا للزوم الطّريق المؤدّى إلى محبّتك،و المبلّغ إلى جنّتك،و المانع من أن نتّبع أهواءنا فنعطب،أو أن نأخذ بآرائنا فنهلك» (۵) .

ما هو الصّراط المستقيم؟

هذا الصّراط كما يبدو من تفحص آيات الذكر الحكيم هو دين التوحيد

۱- (۱) -طه،۱۱۴.

۲- (۲) -مريم،۷۶.

۳- (۳) -محمّد،۱۷.

۴- (۴) -معانى الاخبار،و تفسير الإمام الحسن العسكرى،نقلا عن تفسير الصافى ذيل الآيه المذكوره.

۵- (۵) -معانى الاخبار،و تفسير الإمام الحسن العسكرى،نقلا عن تفسير الصافى.

و الالتزام بأوامر اللّه.و لكنه ورد فى القرآن بتعابير مختلفه.

فهو الدين القيم و نهج إبراهيم عليه السّلام و نفى كل أشكال الشّرك كما جاء فى قوله تعالى: قُلْ إِنَّنِی هَدانِی رَبِّی إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ دِیناً قِیَماً مِلَّهَ إِبْراهِیمَ حَنِیفاً وَ ما کانَ مِنَ الْمُشْرِکِینَ (۱) ،فهذه الآیه الشریفه عرّفت الصراط المستقیم من جنبه ایدیولوجیه.

و هو أیضا رفض عباده الشیطان و الاتجاه إلی عباده اللّه وحده،کما فی قوله:

أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَیْکُمْ یا بَنِی آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّیْطانَ إِنَّهُ لَکُمْ عَدُوٌّ مُبِینٌ وَ أَنِ اعْبُدُونِی هذا صِراطٌ مُسْتَقِیمٌ

(۲)

،و فیها إشاره إلی الجنبه العملیه للدین.

أمّا الطریق إلی الصراط المستقیم فتمّ من خلال الاعتصام باللّه: وَ مَنْ یَعْتَصِمْ بِاللّهِ فَقَدْ هُدِیَ إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ (۳) .

یلزمنا أن نذکر أنّ الطریق المستقیم هو طریق واحد لا أکثر،لأنه لا یوجد بین نقطتین أکثر من خطّ مستقیم واحد،یشکل أقصر طریق بینهما.من هنا کان الصراط المستقیم فی المفهوم القرانی،هو الدین الإلهی فی الجوانب العقائدیه و العملیه،ذلک لأن هذا الدین أقرب طریق للارتباط باللّه تعالی.و من هنا أیضا فإن الدین الحقیقی واحد لا أکثر إِنَّ الدِّینَ عِنْدَ اللّهِ الْإِسْلامُ (۴) .

و سنری فیما بعد-إن شاء اللّه-أن للإسلام معنی واسعا یشمل کل دین توحیدی فی عصره،أی قبل أن ینسخ بدین جدید.

من هذا یتضح أن التفاسیر المختلفه للصراط المستقیم،تعود کلها إلی معنی واحد.

فقد قالوا:إنه الإسلام.

و قالوا:إنه القرآن.

۱- ۱) -الأنعام،۱۶۱.

۲- ۲) -یس،۶۱ و ۶۲.

۳- ۳) -آل عمران،۱۰۱.

۴- ۴) -آل عمران،۱۹.

و قالوا:إنه الأنبياء و الأئمه.

و قالوا:إنه دين اللّه،الذی لا یقبل سواه.

و کل هذا المعانی تعود إلی نفس الدین الإلهی فی جوانبه الاعتقادیه و العملیه.

و الروایات الموجوده فی المصادر الإسلامیه فی هذا الحقل،تشیر إلی جوانب متعدده من هذه الحقیقه الواحده،و تعود جمیعا إلی أصل واحد منها:

عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و سلّم: «اهدنا الصّراط المستقیم صراط الأنبیاء،و هم الّذین أنعم اللّه علیهم (۱) .

و عن جعفر بن محمّد الصادق علیه السّلام فی تفسیر الآیه:

اِهْدِنَا الصِّرٰاطَ الْمُسْتَقِیمَ

،قال:«الطّریق هو معرفه الإمام» (۲) .

و عنه أیضا: «و اللّه نحن الصّراط المستقیم» (۳) .

و عنه أیضا: «الصّراط المستقیم أمیر المؤمنین علیه السّلام» (۴) .

و من الواضح أن النّبی صلّی اللّه علیه و اله و سلّم،و أئمّه أهل البیت علیهم السّلام، دعوا جمیعا إلی دین التوحید الإلهی،و الالتزام به عقائدیا و عملیا.

و اللافت للنظر،أنّ«الراغب»یقول فی مفرداته فی معنی الصراط:إنّه الطریق المستقیم،فکلمه الصراط تتضمّن معنی الاستقامه.و وصفه بالمستقیم کذلک تأکید علی هذه الصفه.

۱- ۱،۲،۳،۴) -تفسیر نور الثقلین،ج ۱،ص ۲۰ و ۲۱.

۲-

۳-

۴-

الآیه [سوره الفاتحه (۱): آیه ۷]

اشاره

صِراطَ اَلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ اَلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لاَ اَلضّالِّينَ (٧)

التّفسیر

اشاره

خطّان منحرفان!

هذه الآیه تفسیر واضح للصراط المستقیم المذکور فی الآیه السابقه،إنّه صراط المشمولین بأنواع النعم(مثل نعمه الهدایه،و نعمه التوفیق،و نعمه القیاده الصالحه،و نعمه العلم و العمل و الجهاد و الشهاده)لا المشمولین بالغضب الإلهی بسبب سوء فعالهم و زیغ قلوبهم،و لا الضائعین التائهین عن جاده الحق و الهدی:

صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لاَ الضّالِّينَ

.

و لأننا لسنا علی معرفه تامّه بمعالم طریق الهدایه،فإن اللّه تعالی یأمرنا فی هذه الکریمه أن نطلب منه هدایتنا إلی طریق الأنبیاء و الصالحین من عباده:

اَلَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ ،و یحذّرنا کذلک بأن أمامنا طریقین منحرفین،و هما طریق اَلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ،و طریق اَلضّالِّينَ ،و بذلک یتبین للإنسان طریق الهدایه بوضوح.

بحثان

اشاره

۱-من هم اَلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ؟

الـذين أنعم اللّه عليهم،تبيّنهم الآـيه الكريمه من سوره النسـاء إذ يقول: وَ مَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَدٰاءِ وَ الصّٰالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولٰئِكَ رَفِيقاً (۱) .

و الآيه-كما هو واضح-تقسم الذين أنعم اللّه عليهم على أربع مجاميع:

الأنبياء،و الصديقين،و الشهداء،و الصالحين.

لعل ذكر هذه المجاميع الأربع،إشاره إلى المراحل الأربع لبناء المجتمع الإنسانى السالم المتطوّر المؤمن.

المرحله الاولى:مرحله نهوض الأنبياء بدعوتهم الإلهيه.

المرحله الثانيه:مرحله نشاط الصديقين،الذين تنسجم أقوالهم مع أفعالهم، لنشر الدعوه.

المرحله الثالثه:مرحله الكفاح بوجه العناصر المضاده الخبيثه فى المجتمع.

و فى هذه المرحله يقدم الشهداء دمهم لإرواء شجره التوحيد.

المرحله الرابعه:هى مرحله ظهور«الصالحين»فى مجتمع طاهر ينعم بالقيم و المثل الانسانيه باعتباره نتيجه للمساعى و الجهود المبذوله.

نحن-إذن-فى سوره الحمد نطلب من اللّه-صباحا و مساء-أن يجعلنا فى خط هذه المجاميع الأربع:خط الأنبياء،و خط الصديقين،و خط الشهداء،و خط الصالحين.و من الواضح أنّ علينا أن ننهض فى كل مرحله زمنيّه بمسؤوليتنا و نؤدّى رسالتنا.

ص: ۵۹

۱- ۱) -النساء،۶۹.

٢-من هم اَلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ،و من هم اَلضّالِّينَ ؟

يتضح من الآيه الكريمه أن اَلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ و اَلضّالِّينَ مجموعتان لا مجموعه واحده،و أما الفرق بينهما ففيه ثلاثه أقوال:

١-يستفاد من استعمال التعبيرين فى القرآن أنّ«المغضوب عليهم»أسوأ و أحطّ من«الضّالّين»،أى إنّ الضّالين هم التائهون العاديّون،و المغضوب عليهم هم المنحرفون المعاندون،أو المنافقون،و لذلك استحقوا لعن اللّه و غضبه.

قال تعالى: وَ لٰكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللّٰهِ (١) .

و قال سبحانه: وَ يُعَذِّبَ الْمُنٰافِقِينَ وَ الْمُنٰافِقٰاتِ وَ الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُشْرِكٰاتِ الظّٰانِّينَ بِاللّٰهِ ظَنَّ السَّوْءِ،عَلَيْهِمْ دٰائِرَةُ السَّوْءِ وَ غَضِبَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ وَ لَعَنَهُمْ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ (٢) .

اَلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ

إذن يسلكون-إضافه إلى كفرهم-طريق اللجاج و العناد و معاداه الحق،و لا يألون جهدا فى توجيه ألوان التنكيل و التعذيب لقاده الدعوه الإلهيه.

يقول سبحانه: وَ بٰاؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللّٰهِ ... ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كٰانُوا يَكْفُرُونَ بِآيٰاتِ اللّٰهِ وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبِيٰاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذٰلِكَ بِمٰا عَصَوْا وَ كٰانُوا يَعْتَدُونَ (٣) .

٢-ذهب جمع من المفسرين إلى أن المقصود من اَلضّالِّينَ المنحرفون من النصارى،و اَلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ المنحرفون من اليهود.

هذا الفهم ينطلق من مواقف هذين الفريقين تجاه الدعوه الإسلاميه.فالقرآن يصرّح مرارا أنّ المنحرفين من اليهود كانوا يكنون عداءا شديدا و حقدا دفينا للإسلام.

مع أن علماء اليهود كانوا من مبشّرى ظهور الإسلام،لكنهم تحوّلوا إلى أعداء ألدّاء للإسلام لدى انتشار الدعوه لأسباب عديده لا مجال لذكرها،منها تعرّض

١- ١) -النحل،١٠۶.

٢- ٢) -الفتح،۶.

٣- ٣) -آل عمران،١١٢.

مصالحهم الماديه للخطر.(تماما مثل موقف الصهاينه اليوم من الإسلام و المسلمين).

تعبير اَلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ينطبق تماما على هؤلاء اليهود،لكن هذا لا يعنى حصر مفهوم المغضوب عليهم بهذه المجموعه من اليهود،بل هو من قبيل تطبيق الكلى على الفرد.

أما منحرفو النصارى فلم يكن موقفهم تجاه الإسلام يبلغ هذا التعنت،بل كانوا ضالين فى معرفه الحق.و التعبير عنهم بالضالين هو أيضا من قبيل تطبيق الكلى على الفرد.

الأحاديث الشريفه أيضا فسّرت اَلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ باليهود،و اَلضّالِّينَ بمنحرفى النصارى،و السبب فى ذلك يعود إلى ما ذكرناه (۱) .

۳-من المحتمل أن اَلضّالِّينَ إشاره إلى التائهين الذين لا يصرّون على تضليل الآخرين،بينما اَلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ هم الضالّون و المضلّون الذين يسعون إلى جرّ الآخرين نحو هاويه الانحراف.

الشاهد على ذلك حديث القرآن عن المغضوب عليهم بوصفهم: اَلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ (۲) إذ يقول: وَ الَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ عَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ (۳) .

و يبدوا أن التّفسير الأول أجمع من التّفسيرين التاليين،بل إن التّفسيرين التاليين يتحركان على مستوى التطبيق للتفسير الأول.و لا دليل لتحديد نطاق المفهوم الواسع للآيه.

و الحمد للّه رب العالمين (نهايه سوره الحمد)

۱- ۱) -راجع تفسير نور الثقلين،ج ۱،ص ۲۳ و ۲۴.

۲- ۲) -هود،۱۹.

۳- ۳) -الشورى،۱۶.

سوره البقره

اشاره

مدنیّه و عدد آیاتها مائتان و ست و ثمانون آیه

ص :۶۳

محتوى سوره البقره:

هذه السّوره أطول سور القرآن،و من المؤكد أنّها لم تنزل مرّه واحده.بل فى مناسبات عديده،حسب متطلبات المجتمع الإسلامى فى المدينه.و تتميز بشمولها لمبادئ العقيده و لكثير من الأحكام العمليه(العباديه،و الاجتماعيه، و السياسيه،و الاقتصاديه).ففى هذه السّوره.

۱-موضوعات حول التوحيد و معرفه الخالق،عن طريق استنطاق أسرار الكون.

۲-جولات فى عالم المعاد و البعث و النشور مقرونه بأمثله حسيّه،مثل قصّه إبراهيم عليه السّلام و إحياء الطير،و قصّه عزير عليه السّلام.

۳-آيات ترتبط بإعجاز القرآن و أهميه كتاب اللّه العزيز.

۴-سرد مطوّل حول وضع اليهود و المنافقين و مواقفهم المعاديه للقرآن و الإسلام و شدّه ضررهم فى هذا المجال.

۵-استعراض لتاريخ الأنبياء،و خاصه إبراهيم و موسى عليهما السّلام.

۶-بيان لأحكام إسلاميه مختلفه مثل:الصلاه،و الصوم،و الجهاد،و الحج، و القبله،و الزواج و الطلاق،و التجاره و الدّين،و الربا،و الإنفاق،و القصاص، و تحريم بعض الأطعمه و الأشربه،و القمار،و ذكر نبذه من أحكام الوصيه و أمثالها.

و أما تسميتها بالبقره،فمأخوذه من قصّه بقره بنى إسرائيل،التى سيأتى شرحها فى الآيات ۶۷-۷۳ إن شاء اللّه.

فضيله هذه السّوره:

وردت فى فضيله هذه السّوره نصوص عديده فى المصادر الاسلاميه،منها:

روى عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم أنّه سئل أىّ سور القرآن أفضل؟قال:«البقره»قيل:أىّ آيه البقره أفضل؟قال:«آيه الكرسىّ» (۱) .

أفضليه هذه السور تعود على ما يبدو إلى جامعيتها.و أفضليه آيه الكرسى تعود إلى محتواها التوحيدى،و سيأتى ذكر ذلك فى تفسيرها بإذن اللّه.و هذا لا يتنافى مع أفضليه سور اخرى من جهات اخرى.و

روى على بن الحسين عليهما السّلام عن النّبى صلّى اللّه عليه و اله و سلّم أنّه قال:

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم: «من قرأ أربع آيات من أوّل البقره،و آيه الكرسىّ،و آيتين بعدها،و ثلاث آيات من آخرها،لم ير فى نفسه و ماله شيئا يكرهه و لا يقربه الشّيطان،و لا ينسى القرآن» (۲) .

من اللازم هنا أن نعيد التأكيد على هذه الحقيقه،و هى إنّ ما ذكر من ثواب و فضيله و جزاء لتلاوه بعض السور و الآيات الخاصه، لا يعنى-إطلاقا-قراءتها بشكل أوراد،و لا الاكتفاء بترديد ألفاظها،بل التلاوه للفهم،و الفهم من أجل التفكير،و التفكير لغرض العمل.و من الملاحظ أنّ كل فضيله ذكرت لآيه أو سوره إنما تتناسب كثيرا مع محتوى السّوره و الآيه.

ففى فضيله سوره النور ذكر أنّ من يواظب على قراءتها يصونه اللّه و أولاده

۱- ۱،۲) -نور الثقلين،ج ۱،ص ۲۶.و مجمع البيان،ج ۱،ص ۳۲.

-۲

من(الزنـا)و ذلک لأن محتوی هـذه السّوره یتضـمن تعالیم فی حقل مکافحه الانحرافات الجنسـیه،مثل حث العزاب علی الزواج،و الأمر بالحجاب و غضّ الأبصار عما یثیر الشهوه،و التحذیر من إشاعه الفاحشه و القذف،و کذلک الأمر بإجراء الحد الشرعی علی الزانی و الزانیه.

و من الطبیعی أن محتوی هـذه السّوره-إن دخـل حیّز التنفیـذ-یصون المجتمع و الأسـره من الزنـا.و هکـذا الآیات المـذکوره من سوره البقره،سـتکون لهـا تلـک الفضائل حتما إن قرأها الإنسان بامعان و تشـبّعت نفسه بمحتواها،خاصه و أنّها جمیعا تـدور حول محور التوحید و الإیمان بالغیب و معرفه اللّه،و الحذر من وساوس الشیطان.

صحیـح أنّ قراءه القرآن عمـل مثـاب علیه فی أی حـال من الأـحوال،لکن الثواب الأساس یترتب علی التلاوه المقرونه بالتفکیر و العمل.

الآیتان [سوره البقره (۲): الآیات ۱ الی ۲]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ الم (۱) ذٰلِکَ اَلْکِتٰابُ لاٰ رَیْبَ فِیهِ هُدیً لِلْمُتَّقِینَ (۲)

التّفسیر

اشاره

تحقیق فی الحروف المقطعه فی القرآن

تسع و عشرون سوره من سور القرآن تبدأ بحروف مقطعه،و هذه الحروف- کما هو واضح من اسمها-لا تشکل کلمه مفهومه.

هذه الحروف من أسرار القرآن،و ذکر المفسرون لها تفاسیر عدیده،و أضاف لها العلماء المعاصرون تفاسیر جدیده من خلال تحقیقاتهم.

جدیر بالذّکر أن التاریخ لم یحدثنا أنّ عرب الجاهلیه و المشرکین عابوا علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم وجود هذه الحروف المقطعه فی القرآن.و لم یتخذوا منها وسیله للطعن و الاستهزاء.و هذا یشیر إلی أنهم لم یکونوا جاهلین تماما بأسرار وجود الحروف المقطعه.

اخترنا من التفاسیر الکثیره لهذه الحروف،عددا من التفاسیر باعتبار مسندیتها و انسجامها مع آخر الدراسات فی هذا المجال.و سنذکر هذه التفاسیر بالتدریج فی بدایه هذه السّوره،و سوره آل عمران،و سوره الأعراف،إن شاء اللّه.

ص :۶۸

و نبدأ الآن بأهمها:

هـذه الحروف إشـاره إلى أن هـذا الكتاب السـماوى،بعظمته و أهميّته التى حيّرت فصـحاء العرب و غير العرب،و تحـدت الجن و الإنس فى عصر الرساله و كل العصور،يتكون من نفس الحروف المتيسره فى متناول الجميع.

و مع أنّ القرآن يتكون من هـذه الحروف الهجـائيه و الكلمـات المتـداوله،فإن ما فيه من جمال العباره و عمق المعنى يجعله ينفذ إلى القلب و الروح،و يملأ النفس بالرضا و الإعجاب،و يفرض احترامه على الأفكار و العقول.

فى القرآن من الفصاحه و البلاغه ما لا يخفى على أحـد،و ليس هذا مجرّد ادّعاء،فخالق الكون تحدّى بهذا الكتاب جميع(الجن و الإنس)،ليأتوا بمثله وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (۱) ،و لكنهم عجزوا جميعـا عن ذلك،و تلك دلاله على أن هـذا الكتاب لم يصدر عن فكر بشر.

و كمـا إن اللّه تعـالى خلـق من الـتراب موجـودات،كالإنسـان بمـا فيه من أجهزه معقّـده محيّره،و كـأنواع الطيور الجميله الرائقه،و الأحياء المتنوعه،و النباتات و الزهور المختلفه،و كما إننا ننتـج من هـذا التراب نفسه ألوان المصـنوعات،كذلك اللّه سـبحانه خلق من هـذه الحروف الهجـائيه المتـداوله،موضوعـات و معـان سـاميه، فى قـوالب لفظيه جميله،و عبـارات موزونه،و أسـلوب خـاص مدهش معجز،و هذه الحروف الهجائيه موجوده تحت تصرف الإنسان،لكنه عاجز عن صنع جمل و عبارات شبيهه بالقرآن.

الأدب فى العصر الجاهلى:

من المهم أن نذكر هنا أن العصر الجاهلى كان عصرا ذهبيا للأدب العربى.

۱- ۱) -الإسراء،۸۸.

فالوثائق المتوفره بأيدينا تشير إلى أن العرب الحفاه الجفاه الجاهليين،كانوا يتمتعون بذوق أدبى رفيع.و ما وصلنا من شعر و نثر من تلك الفتره،يشير إلى قدره أولئك على التعبير الجميل الدقيق،و يحتل ذروه الفصاحه فى الأدب العربى.

و كـان للأدب سوق رائجه تـدلّ على اهتمـام العرب بلغتهم و آدابهم،و(سوق عكـاظ)و أمثالهـا من الأسواق الأدبيه تعكس هـذا الاهتمام بوضوح.

و السوق المذكور كـان يشـهد-إضـافه إلى المعاملات الاقتصـاديه و القضايـا الاجتمـاعيه-حركـه أدبيه تعرض خلالهـا أفضـل مقطوعات الشعر و النثر،و يتم فيها انتخاب أفضل ما قيل من النظم خلال العام،و(المعلقات السبع)أو(العشر)نموذج لذلك،و كانت القصيده الفائزه تعدّ فخرا كبيرا للشاعر و لقبيلته.

فى مثل هذا العصر من الانتعاش الأدبى،يتحدى القرآن النّاس أن يأتوا بمثله،و لكنهم عجزوا(سنذكر مزيدا من إعجاز القرآن فى مجال التحدى لدى تفسير الآيه ۲۳ من هذه السّوره).

شاهد ناطق:

الشاهد الناطق على هذا المنحى من تفسير الحروف المقطعه،

حديث عن الإمام على بن الحسين عليه السّلام حيث يقول: «كذّب قريش و اليهود بالقرآن و قالوا هذا سحر مبين،تقوّله،فقال اللّه: الم، ذٰلِكَ الْكِتٰابُ... :أىّ يا محمّد،هـذا الكتاب الّذى أنزلته إليك هو الحروف المقطّعه الّتى منها الف و لام و ميم،و هو بلغتكم و حروف هجائكم فأتوا بمثله إن كنتم صادقين...» (۱) .

و ثم شاهد آخر

عن الإمـام على بن موسـى الرضـا عليه السّلام فى قـوله: «ثمّ قـال إنّ اللّه تبـارك و تعـالى انزل هـذا القرآن بهـذه الحروف الّتى يتداولها جميع العرب،ثمّ قال:

۱- ۱) -تفسير البرهان،ج ۱،ص ۵۴.

قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ...

(۱)

.

و هناک ملاحظه تؤيـد ما ذهبنا إليه فی تفسير معنی الحروف المقطعه،و هی أن هـذه الحروف فی السور الأربع و العشـرين التی ذکرناهـا،يتلوهـا مباشـره ذکر لعظمه القرآن،و هـذا يـدل علی الارتباط بين الحروف المقطعه و عظمه القرآن.و علی سبيل المثال نذکر الآيات التاليه:

۱- الر،کِتٰابٌ أُحْکِمَتْ آيٰاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَکِيمٍ خَبِيرٍ (۲) .

۲- طس،تِلْکَ آيٰاتُ الْقُرْآنِ وَ کِتٰابٍ مُبِينٍ (۳) .

۳- الم، تِلْکَ آيٰاتُ الْکِتٰابِ الْحَکِيمِ (۴) .

۴- المص، کِتٰابٌ أُنْزِلَ إِلَيْکَ (۵) .

بعـد البسـمله و ذکر الآـيه الاولی من سوره البقره يقول تعالی: ذٰلِکَ الْکِتٰابُ لاٰ رَيْبَ فِيهِ .قـد يشـير هـذا التعبير إلی أن اللّه تعالی وعد نبيّه أن ينزّل عليه کتابا يهتدی به من طلب الحق،و لا يشک فيه من کان له قلب أو ألقی السـمع و هو بصير، و ها هو سبحانه قد وفی بوعده الآن.

و قوله: لاٰ رَيْبَ فِيهِ ليس ادعاء،بل تقرير لحقيقه قرآنيه مشهوده،هی إنّ القرآن يشهد بذاته علی حقّانيته.و بعباره اخری فإن مظاهر الصدق و العظمه و الانسـجام و الاسـتحکام و عمق المعانی و حلاوه الألفاظ و العبارات و فصاحتها من الوضوح بدرجه تبعد عنه کلّ شک.

من المشهود أن مرّ العصور و کرّ الدهور لم يقلل من طراوه القرآن،بل إن

۱- ۱) -توحيد الصدوق،ص ۱۶۲،ط سنه ۱۳۷۵ ه.ق..

۲- ۲) -هود،۱-۲.

۳- ۳) -النمل،۱-۲.

۴- ۴) -لقمان،۱-۲.

۵- ۵) -الأعراف،۱-۲.

حقائق القرآن،ازدادت وضوحا بتطور العلوم و بانكشاف أسرار الكائنات.و كلما ازداد العلم تكاملا ازدادت آيات القرآن جلاء و سطوعا.

و سنوضح هذه الحقيقه أكثر بإذن اللّه فی مواضع اخری من هذا التّفسیر.

بحوث

اشاره

۱-لماذا الإشاره إلی البعید؟

نعلم أن کلمه(ذلک)إشاره إلی البعید فی لغه العرب،و قرب القرآن من أیدی النّاس یقتضی أن تکون الإشاره للقریب.

السبب فی استعمال اسم الإشاره للبعید یعود إلی بیان سموّ القرآن و رفعته، حتی کأنه-فی عظمته-یحتل نقطه الذروه فی الوجود.و مثل هذا الاستعمال شائع فی سائر اللغات أیضا حین یراد الإشاره إلی شخص ذی منزله کبیره مثلا.

فی بعض مواضع القرآن وردت أیضا کلمه(تلک)،و هی اسم إشاره للبعید أیضا،مثل: تِلْکَ آیٰاتُ الْکِتٰابِ الْحَکِیمِ (۱) .و السبب فیه ما ذکرنا.

۲-معنی الکتاب:

«الکتاب»یعنی المکتوب و المخطوط،و لا شک أن المراد منه فی الآیه کتاب اللّه الکریم.

و هنا یثار سؤال حول سبب استعمال کلمه الکتاب للقرآن و هو آنئذ لم یکتب کلّه.

و فی الجواب نقول:استعمال هذه الکلمه لا یستلزم أن یکون القرآن کله

۱- ۱) -لقمان،۲.

مکتوبا.لإن اسم القرآن یطلق علی کل هذا الکتاب،و علی أجزائه أیضا.

أضف إلی ذلک أن«الکتاب»یطلق أحیانا بمعنی أوسع،لیشمل کل ما یلیق أن یکتب فیما بعد،و إن لم یکن کذلک حین إطلاق اسم الکتاب علیه.ففی آیه اخری نقرأ: کِتٰابٌ أَنْزَلْنٰاهُ إِلَیْکَ مُبٰارَکٌ لِیَدَّبَّرُوا آیٰاتِهِ (۱) .و من المؤکد أن القرآن لم یکن بشکل کتاب مدوّن بین النّاس قبل نزوله.

و ثمه احتمال آخر و هو إن التعبیر بالکتاب یشیر إلی کتابه القرآن فی«اللوح المحفوظ» (۲) .

۳-ما هی الهدایه؟

کلمه(الهدایه)لها عده معانی فی القرآن الکریم،و کلها تعود أساسا إلی معنیین:

۱-الهدایه التکوینیه:و هی قیاده رب العالمین لموجودات الکون،و تتجلی هذه الهدایه فی نظام الخلیقه و القوانین الطبیعیه المتحکمه فی الوجود.و واضح أن هذه الهدایه تشمل کل موجودات الکون.

یقول القرآن علی لسان موسی علیه السّلام: رَبُّنَا الَّذِی أَعْطیٰ کُلَّ شَیْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدیٰ (۳) .

۲-الهدایه التشریعیه:و هی التی تتم عن طریق الأنبیاء و الکتب السماویه، و عن طریقها یرتفع الإنسان فی مدارج الکمال،و شواهدها فی القرآن کثیره منها قوله تعالی: وَ جَعَلْنٰاهُمْ أَئِمَّهً یَهْدُونَ بِأَمْرِنٰا (۴) .

۱- ۱) -ص ۲۹.

۲- ۲) -راجع المجلد السابع من هذا التّفسیر،ذیل الآیه ۳۹ من سوره الرعد.

۳- ۳) -طه،۵۰.

۴- ۴) -الأنبیاء،۷۳.

۴-لماذا اختصت هدایه القرآن بالمتقین؟

واضح أن القرآن هدایه للبشـریه جمعاء،فلما ذا خصت الآیه الکریمه المتقین بهذه الهدایه؟ السـبب هو أن الإنسان لا یتقبل هدایه الکتب السـماویه و دعوه الأنبیـاء،مـا لم یصـل إلی مرحله معینه من التقوی(مرحله التسـلیم أمام الحق و قبول ما ینطبق مع العقل و الفطره).

و بعباره اخری:الأفراد الفاقدون للإیمان علی قسمین:

قسم یبحث عن الحق،و یحمل مقدارا من التقوی یدفعه لأن یقبل الحق أنّی وجده.

و قسم لجوج متعصب قد استفحلت فیه الأهواء،لا یبحث عن الحق،بل یسعی فی إطفاء نوره حیثما وجده.

و من المسلّم به أن أفراد القسم الأول هم الـذین یسـتفیدون من القرآن أو أیّ کتاب سـماوی آخر،أما القسم الثانی فلا حظّ لهم فی ذلک.

و بعباره ثالثه:کما إنّ«فاعلیّه الفاعل»شرط فی الهدایه التکوینیه و فی الهدایه التشریعیه،کذلک«قابلیه القابل»شرط فیهما أیضا.

الأرض السبخه لا تثمر و إن هطل علیها المطر آلاف المرات،فقابلیه الأرض شرط فی استثمار ماء المطر.

و سـاحه الوجود الإنسانی لا تتقبّل بـذر الهـدایه ما لم یتمّ تطهیرها من اللجاج و التعصب و العناد.و لـذلک قال سـبحانه فی کتابه العزیز أنه: هُدیً لِلْمُتَّقِینَ .

ص :۷۴

الآیات [سوره البقره (۲): الآیات ۳ الی ۵]

اشاره

اَلَّذِینَ یُؤْمِنُونَ بِالْغَیْبِ وَ یُقِیمُونَ اَلصَّلاٰهَ وَ مِمّٰا رَزَقْنٰاهُمْ یُنْفِقُونَ (۳) وَ اَلَّذِینَ یُؤْمِنُونَ بِمٰا أُنْزِلَ إِلَیْکَ وَ مٰا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِکَ وَ بِالْآخِرَهِ هُمْ یُوقِنُونَ (۴) أُولٰئِکَ عَلیٰ هُدیً مِنْ رَبِّهِمْ وَ أُولٰئِکَ هُمُ اَلْمُفْلِحُونَ (۵)

التّفسیر

اشاره

آثار التقوی فی روح الإنسان و بدنه:

فی بدایه هذه السّوره قسم القرآن النّاس حسب ارتباطهم بخط الإسلام علی ثلاثه أقسام:

۱-المتقون:و هم الذین تقبّلوا الإسلام فی جمیع أبعاده.

۲-الکافرون:و یقعون فی النقطه المقابله للمتقین،و یعترفون بکفرهم،و لا یأبون أن یظهروا عداءهم للإسلام فی القول و العمل.

۳-المنافقون:و لهم وجهان،فهم مسلمون ظاهرا أمام المسلمین،و کفّار أمام أعداء الدین.و شخصیتهم الأصلیه هی الکفر طبعا و إن تظاهروا بالإسلام.

المجموعه الثالثه تضر بالإسلام-دون شک-أکثر من المجموعه الثانیه، و لذلک فإن القرآن یقابلهم بشدّه أکثر کما سنری.

ص:۷۵

هـذه المسأله لاـ تختص بالإسـلام طبعـا،كـل المـذاهب فى العـالم لهـا مؤمنـون معتقـدون،أو معـارضون صـريحون،أو منـافقون محافظون.كما أنها لا تختص بزمان معين،بل هى ساريه فى كل العصور.

الآيات المذكوره تدور حول المجموعه الاولى،و تطرح خصائصهم فى خمسه عناوين هى:

۱-الإيمان بالغيب:

«الغيب و الشـهود»نقطتـان متقابلتـان،عـالم الشـهود هو عالم المحسوسات، و عالم الغيب هو ما وراء الحس.لأنّ«الغيب»فى الأصـل يعنى ما بطن و خفى.

و قيـل عن عالم ما وراء المحسوسات«غيب»لخفائه عن حواسّـنا.التقابل بين العالمين مـذكور فى آيات عديـده كقوله تعالى: عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَهِ هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ (۱) .

الإيمـان بالغيب هو بالضـبط النقطه الفاصـله الاولى بين المؤمنين بالأديان السـماويه،و بين منكرى الخالق و الوحى و القيامه.و من هنا كان الإيمان بالغيب أول سمه ذكرت للمتّقين.

المؤمنـون خرقـوا طـوق العـالم المـادى،و اجتـازوا جـدرانه،إنّهـم بهـذه الرؤيه الواسـعه مرتبطـون بعـالم كـبير لاـ متناه.بينمـا يصـرّ معارضوهم على جعل الإنسان مثل سائر الحيوانات،محصورا فى موقعه من العالم المادى.و هذه الرؤيه الماديه تقمّصت فى عصرنا صفـات العلميه و التقـدميه و التطوريه! لو قارنّا بين فهم الفريقين و رؤيتهما،لعرفنا أن:«المؤمنين بالغيب»يعتقـدون أن عالم الوجود أكبر و أوسع بكثير من هذا العالم المحسوس،و خالق عالم الوجود

۱- ۱) -الحشر،۲۲.

غیر متناه فی العلم و القدره و الإدراک،و أنّه أزلیّ و أبدیّ.و أنّه صمّم هذا العالم وفق نظام دقیق مدروس.و یعتقدون أنّ الإنسان-بما یحمله من روح إنسانیه-یسمو بکثیر علی سائر الحیوانات.و أنّ الموت لیس بمعنی العدم و الفناء،بل هو مرحله تکاملیه فی الإنسان،و نافذه تطل علی عالم أوسع و أکبر.

بینما الإنسان المادی یعتقد أن عالم الوجود محدود بما نلمسه و نراه.و أن العالم ولید مجموعه من القوانین الطبیعیه العمیاء الخالیه من أی هدف أو تخطیط أو عقل أو شعور.و الإنسان جزء من الطبیعه ینتهی وجوده بموته،یتلاشی بدنه، و تندمج أجزاؤه مرّه اخری بالمواد الطبیعیه.فلا بقاء للإنسان،و لیس ثمّه فاصله کبیره بینه و بین سائر الحیوانات (۱) ! ما أکبر الهوه التی تفصل بین هاتین الرؤیتین للکون و الحیاه!و ما أعظم الفرق بین ما تفرزه کل رؤیه،من حیاه اجتماعیه و سلوک و نظام! الرؤیه الاولی تربّی صاحبها علی أن ینشد الحق و العدل و الخیر و مساعده الآخرین.و الثانیه،لا تقدّم لصاحبها أی مبرّر علی ممارسه الأمور اللهم إلاّ ما عاد علیه بالفائده فی حیاته المادیه.من هنا یسود فی حیاه المؤمنین الحقیقیین التفاهم و الإخاء و الطّهر و التعاون،بینما تهیمن علی حیاه المادیین روح الاستعمار و الاستغلال و سفک الدماء و النهب و السلب.و لهذا السبب نری القرآن یتخذ من «الإیمان بالغیب»نقطه البدایه فی التقوی.

یدور البحث فی کتب التّفسیر عن المقصود بالغیب،أهو إشاره إلی ذات الباری تعالی،أم أنه یشمل-أیضا-الوحی و القیامه و عالم الملائکه و کل ما هو وراء الحس؟و نحن نعتقد أن الآیه أرادت المعنی الشامل لکلمه الغیب،لأن الإیمان بعالم ما وراء الحس-کما ذکرنا-أول نقطه افتراق المؤمنین عن

۱- ۱) -نقلا عن:«محمّد و القرآن».

الكافرين،إضافه إلى ذلك،تعبير الآيه مطلق ليس فيه قيد يحدده بمعنى خاص.

بعض الروايات المنقوله عن أهل البيت عليهم السّلام تفسّر الغيب فى الآيه،بالمهدى الموعود المنتظر(سلام اللّه عليه)و الذى نعتقد بحياته و خفائه عن الأنظار،و هذا لا ينافى ما ذكرناه بشأن معنى الغيب،لأن الروايات الوارده فى تفسير الآيات تبين غالبا مصاديق خاصه للآيات،دون أن تحدد الآيات بهذه المصاديق الخاصه، و سنرى فى صفحات هذا التّفسير أمثله كثيره لذلك.و الروايات المذكوره بشأن تفسير معنى الغيب،تستهدف فى الواقع توسيع نطاق معنى الإيمان بالغيب،ليشمل حتى الإيمان بالمهدى المنتظر عليه السّلام و يمكننا القول أنّ الغيب له معنى واسع قد نجد له بمرور الزمن مصاديق جديده.

٢-الارتباط باللّه:

الصفه الاخرى للمتقين هى أنهم يُقِيمُونَ الصَّلاةَ .

«الصّلاه»باعتبارها رمز الارتباط باللّه،تجعل المؤمنين المنفتحين على عالم ما وراء الطبيعه على ارتباط دائم بالخالق العظيم.فهم لا يحنون رؤوسهم إلاّ أمام اللّه،و لا يستسلمون إلاّ لرب السماوات و الأرض،و لذلک لا معنى فى قاموس حياتهم لعباده الأوثان،أو التسليم أمام الجبابره و الطواغيت.

مثل هذا الإنسان يشعر أنّه أسمى من جميع المخلوقات الاخرى،إذ أنّه منح لياقه الحديث مع ربّ العالمين،و هذا الإحساس الوجدانى أكبر عامل فى تربيه الموجود البشرى.

الإنسان الذى يقف خمس مرات يوميّا أمام اللّه،يتضرع إليه و يناجيه،ينطبع فكره و عمله و قوله بطابع إلهى،و مثل هذا الإنسان لا ينهج طريقا فيه سخط اللّه (على أن يكون تضرعه للّه صادرا عن أعماق قلبه و منطلقا من تمام وجوده) (١) .

١- ١) -بشأن أهميه الصلاه و آثارها التربويه الكبرى،راجع تفسير الآيه ١١۴ من سوره هود(فى المجلد السابع

۳-الارتباط بالنّاس:

المتقون-إضافه إلى ارتباطهم الدائم بالخالق-لهم ارتباط وثيق و مستمر بالمخلوقين،و من هنا كانت الصفه الثالثه التى يبيّنها لهم القرآن أنّهم وَ مِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ .

يلاحظ أن القرآن لا يقول:و من أموالهم ينفقون،بل يقول: وَ مِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ .

يلاحظ أن القرآن لا يقول:و من أموالهم ينفقون،بل يقول: وَ مِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ ،و بذلك وسّع نطاق الإنفاق ليشمل المواهب الماديه و المعنويه.

فالمتقون لا ينفقون أموالهم فسحب،بل ينفقون من علمهم و مواهبهم العقليه و طاقاتهم الجسميّه و مكانتهم الاجتماعيه،و بعباره اخرى ينفقون من جميع إمكاناتهم لمن له حاجه إلى ذلك دون توقّع الجزاء منه.

الملاحظه الاخرى:إن الإنفاق قانون عام فى عالم الخليقه،و خاصه فى التركيب العضوى لكل موجود حى.قلب الإنسان لا يعمل لنفسه فقط،بل ينفق ما عنده لجميع خلايا البدن.الدماغ و الرئه و سائر أجهزه البدن تنفق دائما من ثمار عملها،و الحياه الجماعيه-أساسا-لا مفهوم لها دو نما إنفاق (۱) .

الارتباط بالنّاس-فى الحقيقه حصيله الارتباط باللّه.فالإنسان المرتبط باللّه يؤمن أن كل ما لديه من نعم إنّما هى مواهب إلهيّه مودعه لديه لفتره زمنيّه معينه.

و من هنا فلا يزعجه الإنفاق بل يسره و يفرحه،لأنه بالإنفاق قسّم مال اللّه بين عباد اللّه،و بقيت له نتائج هذا العمل و بركاته الماديه و المعنويه.و هذا التفكير يطهّر روح الإنسان من البخل و الحسد،و يحوّل الحياه من ساحه لتنازع البقاء إلى مسرح للتعاون حيث يشعر كل فرد بأنه مسئول أن يضع ما لديه من مواهب تحت تصرف كل المحتاجين،مثل الشمس تفيض بأشعتها على الموجودات دون أن تتوقع من

(۱)

من هذا التّفسير).

۱- ۱) -راجع بشأن الإنفاق و أهميته و آثاره،المجلد الثانى من هذا التّفسير،ذيل الآيات ۲۶۱-۲۷۴ من سوره البقره.

أحد جزاء.

فی حدیث عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق علیه السّلام بشأن تفسیر الآیه وَ مِمّا رَزَقْناهُمْ یُنْفِقُونَ یقول:«إنّ معناه و ممّا علّمناهم یبثّون» (۱) .

بـدیهی أنّ الرّوایه لاـ تریـد أن تجعـل الإنفاق مختصا بالعلم،بل إن الإمام الصادق یریـد-بـذکر هـذا اللون من الإنفاق-أن یوسّـع مفهوم الإنفاق کی لا یکون مقتصرا علی الجانب المالی کما یتبادر إلی الأذهان لأول وهله.

و من هنـا یتضـح ضـمنیا أن الإنفـاق المـذکور فی الآـیه،لا یقتصـر علی الزکوات الواجبه و المسـتحبه،بل یتسع معناه لیشـمل کل مساعده بلا مقابل.

۴-الإیمان بالأنبیاء علیهم السّلام:

الخاصـیه الرابعه للمتّقین الإیمـان بجمیع الأنبیـاء و برسالاـتهم الإلـهیه؛ وَ الَّذِینَ یُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَیْکَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِکَ .و فی هذا التعبیر القرآنی إشاره إلی أن المتقین یؤمنون بتوافق دعوه الأنبیاء فی المبادی و الاسس،بأنهم جمیعا هداه البشریه نحو صراط مسـتقیم واحد،أحدهم یکمل الشوط الذی قطعه سـلفه فی قیاده البشـریه نحو کمالها المرسوم.و یؤمنون بأن الأدیان الإلهیه لیست وسیله للتفرقه و النفاق،بل علی العکس وسیله للارتباط و عامل للشّد بین أبناء البشر.

الأشـخاص الـذین یحملون مثل هـذه الرّؤیه و مثل هذا الإدراک،یسـعون تطهیر أرواحهم من التعصّب،و یؤمنون بما جاء به جمیع الأنبیاء لهدایه البشر و تکاملهم، و یحترمون کل دعاه و هداه طریق التوحید.

الإیمان برسالات الأنبیاء السابقین،لا یمنع طبعا من انتهاج رساله خاتم

۱- ۱) -مجمع البیان،و نور الثقلین،فی تفسیر الآیه المذکوره.

الأنبياء فى الفكر و العمل،لأن هذه الرّساله هى آخر حلقه من السلسله التكامليه للأديان،و عدم انتهاجها يعنى التخلف عن المسيره التكامليه للبشريه.

۵-الإيمان بيوم القيامه:

آخر صفه فى هذه السلسله من الصفات التى قررها القرآن للمتقين وَ بِالْآخِرَهِ هُمْ يُوقِنُونَ .

إنهم يوقنون بأن الإنسان لم يخلق هملا-و عبثا،فالخليقه عينت للكائن البشرى مسيره تكامليه لا تنتهى إطلاقا بموته،إذ لو كان الموت نهايه المسير لكانت حياه الإنسان عبثا لا طائل تحته.

المتّقون يقرّون بأن عداله اللّه المطلقه تنتظر الجميع،و لا شيء من أعمال البشر فى هذه الدنيا يبقى بدون جزاء.

هذا اللون من التفكير يبعث فى نفس حامله الهدوء و السكينه،و يجعله يتحمل أعباء المسؤوليه و مشاقها بصدر رحب،و يقف أمام الحوادث كالطود الأشمّ، و يرفض الخضوع للظلم.و هذا التفكير يملأ الإنسان ثقه بأن الأعمال-صالحها و طالحها-لها جزاء و عقاب،و بأنه ينتقل بعد الموت إلى عالم أرحب خال من كل ألوان الظلم،يتمتع فيه برحمه اللّه الواسعه و ألطافه الغزيره.

الإيمان بالآخره يعنى شقّ حاجز عالم الماده و الدخول إلى عالم أسمى.

و يعنى أن عالمنا هذا مزرعه لذلك العالم الأسمى و مدرسه إعداديه له،و أنّ الحياه فى هذا العالم ليست هدفا نهائيا،بل تمهيد و إعداد للعالم الآخر.

الحياه فى هذا العالم شبيهه بحياه المرحله الجنينيه،فهى ليست هدفا لخلقه الإنسان،بل مرحله تكامليه من أجل حياه اخرى.و ما لم يولد هذا الجنين سالما خاليا من العيوب،لا يستطيع أن يعيش سعيدا فى الحياه التاليه.

الإيمان بيوم القيامه له أثر عميق فى تربيه الإنسان.يهبه الشجاعه و الشهامه،

لأن أسـمی و سام یتقلده الإنسان فی هذا العالم،هو و سام«الشـهاده»علی طریق هدف مقدس إلهی،و الشهاده أحبّ شیء للإنسان المؤمن،و بدایه لسعادته الأبدیّه.

الإیمـان بیوم القیـامه یصون الإنسـان من ارتکـاب الـذّنوب.بعباره اخری، یتنـاسب ارتکابنـا للـذنوب مع إیماننا باللّه و الیوم الآخر تناسبا عکسیـا،فکلمـا قوی الإیمـان قلت الـذنوب.یقول اللّه سـبحانه لنبیّه داود: وَ لاٰ تَتَّبِعِ الْهَویٰ فَیُضِلَّکَ عَنْ سَبِیلِ اللّٰهِ إِنَّ الَّذِینَ یَضِلُّونَ عَنْ سَبِیلِ اللّٰهِ لَهُمْ عَذٰابٌ شَدِیدٌ بِمٰا نَسُوا یَوْمَ الْحِسٰابِ (۱) .

نسیان یوم الحساب أساس کل طغیان و ظلم و ذنب،و بالتالی أساس استحقاق العذاب الشدید.

آخر آیه فی هذا البحث تشیر إلی النتیجه التی یتلقاها المؤمنون المتصفون بالصفات الخمس المذکوره،تقول: أُولٰئِکَ عَلیٰ هُدیً مِنْ رَبِّهِمْ... وَ أُولٰئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ .

و قد ضمن ربّ العالمین لهؤلاء هدایتهم و فلاحهم،و عباره مِنْ رَبِّهِمْ إشاره إلی هذه الحقیقه.

و استعمال حرف(علی)فی عباره عَلیٰ هُـدیً مِنْ رَبِّهِمْ یوحی بأن الهـدایه الإلهیه مثل سـفینه یرکبها هؤلاء المتقون لتوصـلهم إلی السعاده و الفلاح.(لأن حرف-علی-یوحی غلبا معنی الاستعلاء).

و استعمال کلمه«هدی»فی حاله نکره یشیر إلی عظمه الهدایه التی شملهم اللّه بها.

و تعبیر هُمُ الْمُفْلِحُونَ یفید الانحصار کما یذکر علماء البلاغه،أی إن الطریق الوحید للفلاح هو طریق هؤلاء المفلحین (۲) !

ص: ۸۲

۱- ۱) -ص،۲۶.

۲- ۲) -صاحب«المنار»یصر علی أن تکرار کلمه«أولئک»فی الآیه یفید الإشاره إلی مجموعتین:

بحثان

اشاره

۱-مواصله طریق الإیمان و العمل:

الآیات المذکوره استعملت الفعل المضارع الذی یشیر عاده إلی الاستمرار یؤمنون بالغیب-یقیمون الصلاه-ینفقون-و بالآخره هم یوقنون.و هذا یعنی أن المتقین و المؤمنین الحقیقیین هم الذین یواصلون مسیرتهم الحیاتیه بثبات و استمرار،دون تعثر أو تلکّؤ أو توقف.

هؤلاء ینطلقون منذ البدء بروح البحث عن الحق،و هذا یؤدی بهم إلی تلبیه دعوه القرآن،و القرآن بعد ذلک یوجد فیهم الخصائص الخمس المذکوره.

۲-ما هی حقیقه التقوی؟

التقوی من الوقایه،أی الحفظ و الصیانه (۱) ،و هی بعباره اخری جهاز الکبح الداخلی الذی یصون الإنسان أمام طغیان الشهوات.

لهذا السبب

وصف أمیر المؤمنین علی علیه السّلام التقوی بأنها الحصن الذی یقی الإنسان أخطار الانزلاق إذ قال:«اعلموا عباد اللّه أنّ التّقوی دار حصن عزیز» (۲) .

و فی النصوص الدینیه و الأدبیه تشبیهات کثیره تجسّم حاله التقوی،فعن الامام علی علیه السّلام قال: «ألا و إنّ التّقوی مطایا ذلل،حمل علیها أهلها،و أعطوا أزمّتها، فأوردتهم الجنّه» (۳) .

(۲)

الاولی-أولئک الذین یتصفون بالإیمان بالغیب،و بإقامه الصلاه،و بالإنفاق.و الثانیه-هم المؤمنون بالوحی السماوی و بالاخره.نحن نستبعد کثیرا هذا التّفسیر،لأن الصفات الخمس المذکوره مترابطه لا یمکن التفکیک بینها، و کلها تصف مجموعه واحده.

ص :۸۳

---

۱ - ۱) -یقول الراغب فی مفرداته:الوقایه حفظ الشیء ممّا یؤذیه و یضرّه،و التقوی جعل النفس فی وقایه ممّا یخاف،لذلک یسمی الخوف تاره تقوی بینما الخوف سبب للتقوی.و فی عرف الشرع،التقوی حفظ النفس عمّا یؤثم.و«کمال التقوی»اجتناب المشتبهات.

۲- ۲) -نهج البلاغه،الخطبه ۱۵۷.

۳- ۳) -نهج البلاغه،الخطبه ۱۶.

و عبد اللّه بن المعتز شبّه التقوى بحاله رجل يسير على طريق شائكه،و يسعى إلى أن يضع قدمه على الأرض بتأنّ و حذر،كى لا تخزه الأشواك،أو تتعلق بثيابه، يقول:

خل الذّنوب صغيرها

و كبيرها فهو التّقى

و اصنع كماش فوق أر

ض الشّوك يحذر ما يرى

لا تحقرنّ صغيره

إنّ الجبال من الحصى! (۱)

هذا التشبيه يفيد أيضا أن التقوى لا تعنى العزله و الانزواء عن المجتمع،بل تعنى دخول المجتمع،و خوض غماره،مع الحذر من التلوّث بأدرانه إن كان المجتمع ملوثا.

بشكل عام،فانّ حاله التقوى و الضبط المعنوى من أوضح آثار الإيمان باللّه و اليوم الآخر.و معيار فضيله الإنسان و افتخاره،و مقياس شخصيته فى الإسلام، حتى أضحت الآيه الكريمه: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاكُمْ (۲) شعارا إسلاميا خالدا.

يقول الامام علىّ عليه السّلام «انّ تقوى اللّه مفتاح سداد،و ذخيره معاد،و عتق من كلّ ملكه،و نجاه من كلّ هلكه» (۳) .

جدير بالذكر أن التقوى ذات شعب و فروع،منها التقوى الماليه و الاقتصاديه، و التقوى الجنسيه و الاجتماعيه و التقوى السياسيه....

۱- ۱) -تفسير أبو الفتوح الرازى،ج ۱،ص ۶۲.

۲- ۲) -الحجرات،۱۴.

۳- ۳) -نهج البلاغه،الخطبه ۲۳۰.

الآيتان [سوره البقره (٢): الآيات ۶ الی ٧]

اشاره

إِنَّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا سَوٰاءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ (۶) خَتَمَ اَللّٰهُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ وَ عَلىٰ سَمْعِهِمْ وَ عَلىٰ أَبْصٰارِهِمْ غِشٰاوَةٌ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ عَظِيمٌ (٧)

التّفسير

اشاره

المجموعه الثّانيه:الكفّار المعاندون

هذه المجموعه تقف فی النقطه المقابله تماما للمتقين،و الآيتان المذكورتان بيّنتا باختصار صفات هؤلاء.

الآيه الاولی تقول إن الإنذار لا يجدی نفعا مع هؤلاء،فهم متعنتون فی كفرهم إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوٰاءٌ عَلَيْهِمْ أَ أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاٰ يُؤْمِنُونَ بعكس الطائفه الاولی المستعدّه لقبول الحق لدی أول ومضه.

هذه المجموعه غارقه فی ضلالها و ترفض الانصياع للحق حتی لو اتضح لديها.من هنا كان القرآن غير مؤثر فی هؤلاء.و هكذا الوعد و الوعيد،لأنهم يفتقدون الأرضيه اللازمه لقبول الحق و الاستسلام له.

الآيه الثّانيه تشير إلی سبب هذا اللجاج و التعصب و تقول: خَتَمَ اللّٰهُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ وَ عَلىٰ سَمْعِهِمْ وَ عَلىٰ أَبْصٰارِهِمْ غِشٰاوَةٌ ،و لذلك استحقوا أن يكون لَهُمْ

عَذٰابٌ عَظِيمٌ

.

أجهزه استقبال الحقائق معطوبه عند هؤلاء...العين التى يرى المتقون فيها آيات اللّه،و الاذن التى يسمعون بها نداء الحق،و القلب الذى يدركون به الحقائق، كلها قد تعطّلت و توقفت عن العمل لدى الكافرين.هؤلاء لهم عيون و آذان و عقول،لكنهم يفتقدون قدره«الرؤيه»و«الإدراك»و«السمع».لأن انغماسهم فى الانحراف و عنادهم و لجاجهم،كلها عناصر تشكل حجابا أمام أجهزه المعرفه.

الإنسان قابل للهدايه طبعا-إن لم يصل إلى هذه المرحله-مهما بلغ به الضلال أمّا حينما يبلغ فى درجه يفقد معها حسّ التشخيص «فلات حين نجاه» لأنه افتقد أدوات الوعى و الفهم،و من الطبيعى أن يكون فى انتظاره عذاب عظيم.

بحوث

اشاره

١-سلب قدره التشخيص و مسأله الجبر

أول سؤال يطرح فى هذا المجال يدور حول مسأله الجبر،التى قد تتبادر إلى الأذهان من قوله تعالى: خَتَمَ اللّٰهُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ وَ عَلىٰ سَمْعِهِمْ وَ عَلىٰ أَبْصٰارِهِمْ غِشٰاوَةٌ... فهذا الختم يفيد بقاء هؤلاء فى الكفر إجبارا،دون أن يكون لهم اختيار فى الخروج من حالتهم هذه.أليس هذا بجبر؟و إذا كان جبرا فلما ذا العقاب؟ القرآن الكريم يجيب على هذه التساؤلات و يقول:إن هذا الختم و هذا الحجاب هما نتيجه إصرار هؤلاء و لجاجهم و تعنتهم أمام الحق،و استمرارهم فى الظلم و الطغيان و الكفر.يقول تعالى: بَلْ طَبَعَ اللّٰهُ عَلَيْهٰا بِكُفْرِهِمْ (١) و يقول:

١- ١) -النساء،١۵۵.

كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبّٰارٍ

(۱)

و يقول أيضا: أَ فَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوٰاهُ وَ أَضَلَّهُ اللّٰهُ عَلىٰ عِلْمٍ وَ خَتَمَ عَلىٰ سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ جَعَلَ عَلىٰ بَصَرِهِ غِشٰاوَةً (۲) .

كل هذه الآيات تقرر أنّ السبب فى سلب قدره التشخيص،و توقف أجهزه الإدراك عن العمل يعود إلى الكفر و التكبر و التجبر و اتباع الهوى و اللجاج و العناد أمام الحق،هذه الحاله التى تصيب الإنسان،هى فى الحقيقه ردّ فعل لأعمال الإنسان نفسه.

من المظاهر الطبيعيه فى الموجود البشرى،أن الإنسان لو تعوّد على انحراف و استأنس به،يتخذ فى المرحله الاولى ماهيه ال«حاله»ثمّ يتحول إلى«عاده» و بعدها يصبح«ملكه»و جزء من تكوين الإنسان حتى يبلغ أحيانا درجه لا يستطيع الإنسان أن يتخلّى عنها أبدا.لكن الإنسان اختار طريق الانحراف هذا عن علم و وعى،و من هنا كان هو المسؤول عن عواقب أعماله،دون أن يكون فى المسأله جبر.تماما مثل شخص فقأ عينيه و سدّ أذنيه عمدا،كى لا يسمع و لا يرى.

و لو رأينا أن الآيات تنسب الختم و إسدال الغشاوه إلى اللّه،فذلك لأن اللّه هو الذى منح الانحراف مثل هذه الخاصيه.(تأمّل بدقّه).

عكس هذه الظاهره مشهود أيضا فى قوانين الطبيعه،أى إن الفرد السائر على طريق الطهر و التقوى و الاستقامه تمتد يد اللّه عز و جل إليه لتقوّى حاسّه تشخيصه و إدراكه و رؤيته،هذه الحقيقه توضحها الآيه الكريمه.يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللّٰهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقٰاناً (۳) .

فى حياتنا اليوميه صور عديده لأفراد ارتكبوا عملا محرّما،فتألموا فى البدايه لما فعلوه و اعترفوا بذنبهم،لكنهم استأنسوا تدريجيا بفعلهم،و زالت من

۱- ۱) -المؤمن،۳۵.

۲- ۲) -الجاثيه،۲۳.

۳- ۳) -الأنفال،۲۹.

نفوسهم حساسيتهم السابقه تجاه الذنب،و وصل أمرهم إلى حدّ يجدون اللذه و الإنشراح فی الانحراف،و قد یضفون علیه صفه الواجب الإنسانی!أو الواجب الدینی!! و فی تاریخنا الإسلامی ظهر مجرمون سفّاکون مولعون بإزهاق الأرواح و التنکیل بالمسلمین کما ذکر فی حالات«الحجاج بن یوسف الثقفی»أنه کان یضع لأعماله الإجرامیه تبریرات دینیه،و یقول مثلا:إن اللّه سلّطنا علی هؤلاء النّاس المذنبین لنظلمهم،فهم مستحقون لذلک!! و کذلک قیل إن أحد جنود المغول خطب فی أحد مدن ایران الحدودیه و قال:

-ألستم یعتقدون أن عذاب اللّه یصیب المذنبین؟فنحن عذاب اللّه علیکم،فلا ینبغی لکم المقاومه.

۲-لماذا یصرّ الأنبیاء علی هدایه هؤلاء،إذا کانوا لا یهتدون؟

و هذا سؤال آخر یطرح فی إطار الآیات المذکوره.و الجواب علیه یتضح لو عرفنا أن العقاب الإلهی یرتبط بمواقف الإنسان العملیه و سلوکه الفعلی،لا بما یکنّه فی قلبه من زیغ و ضلال فقط.من هنا کان لا بدّ من توجیه الدعوه حتی إلی هؤلاء الذین لا یهتدون.بعد ذلک یستحق الفرد العقاب تبعا لموقفه من الدعوه.

بعباره اخری لا بدّ من«إتمام الحجّه»قبل العقاب.

بعباره موجزه:الثّواب و العقاب یتوقفان حتما علی العمل بعد إنجازه،لا علی المحتوی الفکری و الروحی للفرد.

أضف إلی ما سبق:أن الأنبیاء بعثوا للناس جمیعا،و هؤلاء الذین طَبَعَ اللّهُ عَلیٰ قُلُوبِهِمْ قلیلون فی المجتمع،أما الأکثریه فهم التائهون الذین یتقبّلون الهدایه ضمن برنامج تعلیمی تربوی صحیح.

۳-الختم على القلوب:

فى الآيات المذكوره و آيات اخرى عبّر القرآن عن عمليه سلب حسّ التشخيص و الإدراك الواقعى للأفراد بالفعل«ختم»،و أحيانا بالفعل«طبع» و«ران».

فى اللغه«ختم»الإناء بمعنى سدّه بالطين أو غيره،و أصلها من وضع الختم على الكتب و الأبواب كى لا تفتح،و الختم اليوم مستعمل فى الاستيثاق من الشّىء و المنع منه كختم سندات الأملاك و الرسائل السرّيه الهامه.

و هناك شواهد من التأريخ تدلّ على أن الملوك و أرباب السلطه كانوا سابقا يختمون صرر الذهب بخاتمهم الخاص و يبعثون بها إلى المنظورين للاطمئنان على سلامه الصرر و عدم التلاعب فى محتوياتها.

و الشائع فى هذا الزمان الختم على الطرود البريديه أيضا،و قد استعمل القرآن كلمه«الختم»هنا للتعبير عن حال الأشخاص المعاندين الذين تراكمت الذنوب و الآثام على قلوبهم حتى منعت كلمه الحق من النفوذ إليها و أمست كالختم لا سبيل إلى فتحه.

و«طبع»بمعنى ختم أيضا.

أما«ران»فمن«الرين»و هو صدأ يعلو الشيء الجليّ،و استعمل القرآن هذه الكلمه فى حديثه عن قلوب الغارقين فى أوحال الفساد و الرّذيله: كَلاّ بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ (۱) .

المهم أن الإنسان ينبغى أن يكون حذرا لدى صدور الذنب منه،فيسارع إلى غسله بماء التوبه و العمل الصالح،كى لا يتحول إلى صفه ثابته مختوم عليها فى القلب.

ص: ۸۹

۱- ۱) -المطففين،۱۴.

فی حدیث عن الإمام محمّد بن علی الباقر علیه السّلام: «ما من عبد مؤمن إلّا و فی قلبه نکته بیضاء،فإذا أذنب ذنبا خرج فی تلک النّکته نکته سوداء،فإذا تاب ذهب ذلک السّواد، فإن تمادی فی الذّنوب زاد ذلک السّواد حتّی یغطّی البیاض،فإذا غطّی البیاض لم یرجع صاحبه إلی خیر أبدا،و هو قول اللّه عزّ و جلّ: کَلاّ بَلْ رانَ عَلی قُلُوبِهِمْ ما کانُوا یَکْسِبُونَ (1) .

۴-المقصود من«القلب»فی القرآن

لماذا نسب إدراک الحقائق فی القرآن إلی القلب،بینما القلب لیس بمرکز للإدراک بل مضخه لدفع الدم إلی البدن؟! الجواب علی ذلک،أن القلب فی القرآن له معان متعدده منها:

۱-بمعنی العقل و الإدراک کقوله تعالی: إِنَّ فِی ذلِکَ لَذِکْری لِمَنْ کانَ لَهُ قَلْبٌ (2) .

۲-بمعنی الروح و النفس کقوله سبحانه: وَ إِذْ زاغَتِ الْأَبْصارُ وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ (3) .

۳-بمعنی مرکز العواطف،کقوله: سَأُلْقِی فِی قُلُوبِ الَّذِینَ کَفَرُوا الرُّعْبَ (4) و قوله: فَبِما رَحْمَهٍ مِنَ اللّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ کُنْتَ فَظًّا غَلِیظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِکَ (5) .

لمزید من التوضیح نقول:

فی وجود الإنسان مرکزان قویّان هما:

۱-مرکز الإدراک،و یتکون من الدماغ و جهاز الأعصاب.لذلک نشعر أننا

۱- ۱) -اصول الکافی،ج ۲،باب الذنوب،ح ۲۰،ص ۲۰۹.

۲- ۲) -ق،۳۷.

۳- ۳) -الأحزاب،۱۰.

۴- ۴) -الأنفال،۱۲.

۵- ۵) -آل عمران،۱۵۹.

نستقبل المسائل الفکریه بدماغنا حیث یتمّ تحلیلها و تفسیرها.(و إن کان الدماغ و الأعصاب فی الواقع وسیله و آله للروح).

۲-مرکز العواطف،و هو عباره عن هذا القلب الصنوبری الواقع فی الجانب الأیسر من الصدر.و المسائل العاطفیه تؤثر أول ما تؤثر علی هذا المرکز حیث تنقدح الشراره الاولی.

حینما نواجه مصیبه فإننا نحسّ بثقلها علی هذا القلب الصنوبری،و حینما یغمرنا الفرح فإننا نحسّ بالسرور و الإنشراح فی هذا المرکز(لا حظ بدقّه).

صحیح أن المرکز الأصلی للإدراک و العواطف هو الروح و النفس الإنسانیه، لکن المظاهر و ردود الفعل الجسمیه لها مختلفه. ردود فعل الفهم و الإدراک تظهر أولا فی جهاز الدماغ،بینما ردود فعل القضایا العاطفیه کالحب و البغض و الخوف و السکینه و الفرح و الهمّ تظهر فی القلب بشکل واضح،و یحسّها الإنسان فی هذا الموضوع من الجسم.

ممّا تقدم نفهم سبب ارتباط المسائل العاطفیه فی القرآن بالقلب(العضو الصنوبری المخصوص)،و ارتباط المسائل العقلیه بالقلب(أی العقل أو الدماغ).

أضف إلی ما تقدم أنّ عضو القلب له دور مهم فی حیاه الإنسان و بقائه، و توقفه لحظه یؤدی إلی الموت،فما ذا یمنع أن تنسب النشاطات الفکریه و العاطفیه إلیه؟!

۵-لماذا جاءت«قلوبهم»و«أبصارهم»بصیغه الجمع،و«سمعهم»بصیغه المفرد؟

یتکرر فی القرآن استعمال القلب و البصر بصیغه الجمع:قلوب و أبصار،بینما یستعمل السمع دائما بصیغه المفرد،فما السرّ فی ذلک؟ قبل الإجابه لا بد من الإشاره إلی أن القرآن استعمل السمع و البصر بصیغه

المفرد أیضا کقوله تعالی: وَ خَتَمَ عَلیٰ سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ جَعَلَ عَلیٰ بَصَرِهِ غِشٰاوَةً (۱) .

الشّیخ الطّوسی رحمه اللّه فی تفسیر«التبیان»ذکر نقلا عن لغوی معروف،أن سبب ذلک قد یعود إلی أحد أمرین:

أوّلا:إن کلمه«السمع»قد تستعمل باعتبارها اسم جمع،و لا حاجه عندئذ إلی جمعها.

ثانیا:إن کلمه«السمع»لها معنی المصدر،و المصدر یدل علی الکثیر و القلیل، فلا حاجه إلی جمعه.

و یمکننا أن نضیف إلی ما سبق تعلیلا ذوقیا و علمیا هو أن الإدراکات القلبیه و المشاهدات العینیه تزید بکثیر علی«المسموعات»،و لذا جاءت القلوب و الأبصار بصیغه الجمع،و الفیزیاء الحدیثه تقول لنا إن الأمواج الصوتیه المسموعه معدوده لا تتجاوز عشرات الآلاف،بینما أمواج النور و الألوان المرئیه تزید علی الملایین.(تأمل بدقه).

۱- ۱) -الجاثیه،۲۳.

الآیات [سوره البقره (۲): الآیات ۸ الی ۱۶]

اشاره

وَ مِنَ اَلنّاسِ مَنْ یَقُولُ آمَنّا بِاللّهِ وَ بِالْیَوْمِ اَلْآخِرِ وَ ما هُمْ بِمُؤْمِنِینَ (۸) یُخادِعُونَ اَللّهَ وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ ما یَخْدَعُونَ إِلاّ أَنْفُسَهُمْ وَ ما
یَشْعُرُونَ (۹) فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَهُمُ اَللّهُ مَرَضاً وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ بِما کانُوا یَکْذِبُونَ (۱۰) وَ إِذا قِیلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِی اَلْأَرْضِ
قالُوا إِنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ (۱۱) أَلا إِنَّهُمْ هُمُ اَلْمُفْسِدُونَ وَ لکِنْ لا یَشْعُرُونَ (۱۲) وَ إِذا قِیلَ لَهُمْ آمِنُوا کَما آمَنَ اَلنّاسُ قالُوا أَ نُؤْمِنُ
کَما آمَنَ اَلسُّفَهاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ اَلسُّفَهاءُ وَ لکِنْ لا یَعْلَمُونَ (۱۳) وَ إِذا لَقُوا اَلَّذِینَ آمَنُوا قالُوا آمَنّا وَ إِذا خَلَوْا إِلی شَیاطِینِهِمْ قالُوا إِنّا
مَعَکُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ (۱۴) اَللّهُ یَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَ یَمُدُّهُمْ فِی طُغْیانِهِمْ یَعْمَهُونَ (۱۵) أُولئِکَ اَلَّذِینَ اِشْتَرَوُا اَلضَّلالَهَ بِالْهُدی فَما
رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَ ما کانُوا مُهْتَدِینَ (۱۶)

التّفسیر

اشاره

المجموعه الثّالثه:المنافقون

هذه الآیات تبین-باختصار و عمق-الخصائص الروحیه للمنافقین

ص:۹۳

و أعمالهم.

الإسلام واجه فی عصر انبثاق الرساله مجموعه لم تکن تملک الإخلاص اللازم للإیمان،و لا القدره اللازمه للمعارضه.

هذه المجموعه المذبذبه المصابه بازدواج الشخصیه توغلت فی أعماق المسلمین،و شکّلت خطرا کبیرا علی الإسلام و المسلمین.کان تشخیصهم صعبا لأنهم متظاهرون بالإسلام،غیر أن القرآن بیّن بدقه مواصفاتهم و أعطی للمسلمین فی کل القرون و الأعصار معاییر حیّه لمعرفتهم.

الآیات المذکوره قبلها بیّنت فی مطلعها الخط العام للنفاق و المنافقین: وَ مِنَ النّٰاسِ مَنْ یَقُولُ آمَنّٰا بِاللّٰهِ وَ بِالْیَوْمِ الْآخِرِ وَ مٰا هُمْ بِمُؤْمِنِینَ .

هؤلاء یعتبرون عملهم المذبذب هذا نوعا من الشطاره و الدهاء یُخٰادِعُونَ اللّٰهَ وَ الَّذِینَ آمَنُوا بینما لا یشعر هؤلاء أنهم یسیئون بعملهم هذا إلی أنفسهم، و یبدّدون بانحرافهم هذا طاقاتهم،و لا یجنون من ذلک إلاّ الخسران و العذاب الإلهی. وَ مٰا یَخْدَعُونَ إِلاّٰ أَنْفُسَهُمْ وَ مٰا یَشْعُرُونَ .

فی الآیه التالیه یبیّن القرآن أن النفاق فی حقیقته نوع من المرض.الإنسان السالم له وجه واحد فقط،و فی ذاته انسجام تام بین الروح و الجسد،لأن الظاهر و الباطن،و الروح و الجسم،یکمل أحد هما الآخر.إذا کان الفرد مؤمنا فالإیمان یتجلی فی کل وجوده،و إذا کان منحرفا فظاهره و باطنه یدلان علی انحرافه.

و ازدواجیه الجسم و الروح مرض آخر و علّه إضافیه.إنه نوع من التضاد و الانفصال فی الشخصیه الإنسانیه: فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ .

و بما أنّ سنّه اللّه فی الکون اقتضت أن یتیسّر الطریق لکل سالک،و أن تتوفر سبل التقدّم لکل من یجهد فی وضع قدمه علی طریق.و بعباره اخری:إن تکریس أعمال الإنسان و أفکاره فی خط معین،تدفعه نحو الانغماس و الثبات فی ذلک الخط فقد أضاف القرآن قوله: فَزٰادَهُمُ اللّٰهُ مَرَضاً .

ص:94

و بما أن الکذب رأس مال المنافقین،یبرّرون به ما فی حیاته من متناقضات، و لهذا أشار القرآن فی ختام الآیه إلی هذه الحقیقه: وَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِیمٌ بِمٰا کٰانُوا یَکْذِبُونَ .

ثم تستعرض الآیات خصائص المنافقین،و تذکر أوّلا أنهم یتشدّقون بالإصلاح،بینما هم یتحرکون علی خط التخریب و الفساد: وَ إِذٰا قِیلَ لَهُمْ لاٰ تُفْسِدُوا فِی الْأَرْضِ،قٰالُوا:إِنَّمٰا نَحْنُ مُصْلِحُونَ. أَلاٰ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَ لٰکِنْ لاٰ یَشْعُرُونَ .

ذکرنا سابقا أنّ الإنسان،لو تمادی فی الغیّ و الضلال،یفقد قدره التشخیص، بل تنقلب لدیه الموازین،و یصبح الذنب و الإثم جزء من طبیعته.و المنافقون أیضا بإصرارهم علی انحرافهم یتطبّعون بخط النفاق،و تتراءی لهم أعمالهم بالتدریج و کأنهم أعمال إصلاحیه،و تغدو بصوره طبیعه ثانیه لهم.

علامتهم الاخری:اعتدادهم بأنفسهم و اعتقادهم أنهم ذووا عقل و تدبیر،و أن المؤمنین سفهاء و بسطاء: وَ إِذٰا قِیلَ لَهُمْ آمِنُوا کَمٰا آمَنَ النّٰاسُ،قٰالُوا:أَ نُؤْمِنُ کَمٰا آمَنَ السُّفَهٰاءُ؟!! .

و هکذا تنقلب المعاییر لدی هؤلاء المنحرفین،فیرون الانصیاع للحق و إتباع الدعوه الإلهیه سفاهه،بینما یرون شیطنتهم و تذبذبهم تعقّلا و درایه!!غیر أن الحقیقه عکس ما یرون: أَلاٰ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهٰاءُ وَ لٰکِنْ لاٰ یَعْلَمُونَ .

ألیس من السفاهه أن لا یضع الإنسان لحیاته خطا معینا،و یبقی یتلوّن بألوان مختلفه؟ألیس من السفاهه أن یضیّع الإنسان وحده شخصیته،و یتجه نحو ازدواجیه الشخصیه و تعدّد الشخصیات فی ذاته،و یهدر بذلک طاقاته علی طریق التذبذب و التآمر و التخریب،و هو مع ذلک یعتقد برجاحه عقله؟! العلامه الثالثه لهؤلاء،هی تلوّنهم بألوان معینه تبعا لما تفرضه علیهم مصالحهم،فهم انتهازیون یظهرون الولاء للمؤمنین و لأعدائهم من الشیاطین:

وَ إِذٰا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قٰالُوا:آمَنّٰا،وَ إِذٰا خَلَوْا إِلىٰ شَيٰاطِينِهِمْ قٰالُوا:إِنّٰا مَعَكُمْ،إِنَّمٰا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ

.!

يؤكدون لشياطينهم أنهم معهم،و أن ولاءهم للمؤمنين ظاهرى،هدفه الاستهزاء.

و بلهجه قويّه حاسمه يردّ القرآن الكريم على هؤلاء و يقول: اَللّٰهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَ يَمُدُّهُمْ فِي طُغْيٰانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١) .

الآيه الأخيره توضّح المصير الأسود المظلم لهؤلاء المنافقين،و خسارتهم فى سيرتهم الحياتيه الضّاله: أُولٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلاٰلَةَ بِالْهُدىٰ فَمٰا رَبِحَتْ تِجٰارَتُهُمْ وَ مٰا كٰانُوا مُهْتَدِينَ .

بحوث

اشاره

۱-ظهور النّفاق و أسبابه:

حينما تندلع الثوره فى منطقه معينه،فإن مصالح الفئه الظالمه الناهبه المستبده تتعرض للخطر حتما،خاصه إذا كانت الثوره مثل ثوره الإسلام تقوم على أساس الحقّ و العداله.هذه الفئه تسعى للإطاحه بالثوره عن طريق السخريّه و الاستهزاء أوّلا،ثمّ بالاستفاده من القوه المسلحه و الضغوط الاقتصاديه،و التضليل الاجتماعى.

و حين تبدو فى الأفق علامات انتصار الثوره،تعمد فئه من المعارضين إلى تغيير موقفها،فتستسلم ظاهريا،و تتحول فى الواقع إلى مجموعه معارضه سريّه.

هؤلاء يسمّون«منافقين»لانطوائهم على شخصيتين مختلفتين(المنافق

۱- ۱) -يعمهون،من«العمه»أى التردّد فى الأمر،و أيضا بمعنى عمى القلب و البصيره بسبب التحيّر(راجع: مفردات الراغب،و تفسير المنار،و قاموس اللغه).

مشتقه من النفق:و هو الطريق النافذ فی الأرض المحفور فیها للاستتار أو الفرار)، و هم أخطر أعداء الثوره،لأن مواقفهم غیر واضحه،و الامّه الثائره لا تستطیع أن تعرفهم و تطردهم من صفوفها،لذلک یتغلغلون فی صفوف النّاس المخلصین الطیبین،و یتسلمون أحیانا المناصب الحساسه فی المجتمع.

ثوره الإسلام فی عصرها الأوّل واجهت مثل هذه المجموعه.فبعد الهجره المبارکه وضعت أول لبنه للدوله الإسلامیه فی المدینه المنوره،و ازداد الکیان الإسلامی الولید قوه بعد انتصار المسلمین فی غزوه«بدر».و هذه الانتصارات عرضت للخطر مصالح زعماء المدینه،و خاصه الیهود منهم،لأن الیهود کانوا یتمتعون فی المدینه بمکانه ثقافیه و اقتصادیه مرموقه.و هؤلاء أنفسهم کانوا یبشّرون قبل البعثه النّبویه المبارکه بظهور النّبی.

کما کان فی المدینه أفراد مرشحون للزعامه و الملکیه،لکن الهجره النّبویه بدّدت آمال هؤلاء المتضررون من الدعوه رأوا أن الجماهیر تندفع نحو الإسلام، و تنقاد إلی النّبی الخاتم صلّی اللّه علیه و اله و سلّم حتی عمّت الدعوه ذویهم و أقاربهم.

و بعد مدّه من الدین الجدید،لم یروا بدّا من الاستسلام و التظاهر بالإسلام، تجنبا لمزید من الأخطار الاقتصادیه و الاجتماعیه و حذرا من الإباده،خاصه و أن قوّه العربی تتمثل فی قبیلته،و القبائل أسلمت للدین الجدید لکن هؤلاء راحوا یخططون خفیه للإطاحه بالإسلام.

بعباره موجزه،إن ظاهره«النفاق»فی المجتمع،تعود إلی عاملین:أحد هما، انتصار الثوره و سیطره الرساله الثوریه علی المجتمع، و الآخر:انهزام المعارضین نفسیا،و فقدانهم للشجاعه الکافیه لمواجهه المد الجدید،و اضطرارهم إلی الاستسلام الظاهری أمام الدعوه.

۲-ضروره معرفه المنافقين فى كل مجتمع

ظـاهره النفـاق و المنـافقين لاـ تختص-دون شـك-بعصـر الرسـاله الأـول،بـل هى ظـاهره عـامه تظهر بشـكل و آخر فى كل المجتمعـات.من هنـا لاـ بـدّ للجماعه المسـلمه أن تعرف أوصافهم كما جاء فى القرآن،كى تحبط مؤامراتهم و تقف بوجههم.فى الآيات السابقه و فى سوره المنافقين و هكذا فى النصوص الإسلاميه وردت للمنافقين أوصاف مختلفه منها:

۱-كثره الضجيج و الادعاءات الفارغه،أو بعباره اخرى كثره القول و قلّه العمل المفيد المتزن.

۲-التلوّن و التذبذب،فمن المؤمنين يقولون«آمنا»و مع المعارضين يقولون «إنّا معكم».

۳-الانفصال عن الامّه،و تشكيل الجمعيات السريه وفق خطط مبيّته.

۴-المكر و الخداع و الكذب و التملق و النكول و الخيانه.

۵-التعالى على النّاس،و تحقيرهم،و اعتبارهم بلهاء سفهاء،إلى جانب الاعتداد بالنفس.

على أى حال،ازدواجيه الشخصـيه،و التضاد بين المحتوى الـداخلى و السـلوك الخارجى فى وجود المنافقين،يفرز ظواهر عديـده بارزه مشهوده فى أعمالهم و أقوالهم و سلوكهم الفردى و الاجتماعى.

و مـا أجمـل تعبير القرآن فى حقّ هؤلاء إذ يقول: فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ،و أىّ مرض أسوأ من ازدواجيه الظاهر و الباطن،و من التعالى على النّاس؟!! هـذا المرض مثـل سـائر الأـمراض الخفيه التى تصـيب القلب لا يمكن إخفاؤه تماما،بل تظهر علائمه بوضوح على جميع أعضاء الإنسان.

فى مجلدات هذا التّفسير شرح أو فى لحاله النفاق و المنافقين لدى البحث فى الآيات ۱۴۱-۱۴۳ من سوره النساء(المجلد الثالث).

و فی الآیات ۴۹-۵۷ من سوره التّوبه(المجلد السادس).

و فی الآیات ۶۲-۸۵ من سوره التوبه أیضا(المجلد السادس).

۳-سعه معنی النفاق:

النفاق فی مفهومه الخاص-کما ذکرنا-صفه أولئک الذین یظهرون الإسلام، و یبطنون الکفر.لکن النفاق له معنی عام واسع یشمل کل ازدواجیه بین الظاهر و الباطن،و کل افتراق بین القول و العمل.من هنا قد یوجد فی قلب المؤمن بعض ما نسمیه«خیوط النفاق».

ففی الحدیث النّبوی: «ثلاث من کنّ فیه کان منافقا و إن صام و صلّی و زعم أنّه مسلم:من إذا ائتمن خان،و إذا حدّث کذب،و إذا وعد أخلف» (۱) .

الحدیث لا-یدور هنا طبعا عن المنافق بالمعنی الخاص،بل عن الذی فی قلبه خیوط من النفاق،تظهر علی سلوکه بأشکال مختلفه،و خاصه بشکل ریاء،کما

جاء فی الحدیث عن الإمام الصادق علیه السّلام: «الرّیاء شجره لا تثمر إلاّ الشّرک الخفیّ، و أصلها النّفاق» (۲) .

و فی نهج البلاغه نصّ رائع فی وصف المنافقین عن أمیر المؤمنین علی علیه السّلام یقول فیه:

(۳)

«أوصیکم عباد اللّه بتقوی اللّه،و أحذّرکم أهل النّفاق،فإنّهم الضّالّون المضلّون، و الزّالّون المزلّون (۴) ،یتلوّنون ألوانا،و یفتنّون افتنانا (۵) ،و یعمدونکم بکلّ عماد،و یرصدونکم

۱- ۱) -سفینه البحار،ج ۲،ص ۶۰۵.

۲- ۲) -سفینه البحار،ج ۱،ماده(رئی).

۳- ۳) -ننقل نص الخطبه مع هوامشها کما جاءت فی نهج البلاغه،شرح محمّد عبده،ص ۳۸۱(م).

۴- ۴) -الزالون من زلّ أخطأ.و المزلون من أزله إذا أوقعه فی الخطأ.

۵- ۵) -یفتنون أی یأخذون فی فنون من القول لا یذهبون مذهبا واحدا.و یعمدونکم أی یقیمونکم بکل عماد.

بكلّ مرصاد،قلوبهم دويّه (۱) و صفاحهم نقيّه.يمشون الخفاء (۲) ،و يدبّون الضراء وصفهم دواء،و قولهم شفاء،و فعلهم الدّاء العياء (۳) ،حسده الرّخاء (۴) ،و مؤكّدو البلاء،و مقنطو الرّجاء،لهم بكلّ طريق صريع (۵) و إلى كلّ قلب شفيع،و إلى كلّ شجو دموع (۶) يتقارضون الثّناء (۷) و يتراقبون الجزاء:إن سألوا الحفوا (۸) ،و إن عذلوا كشفوا...».

۴-مؤامره المنافقين:

المنافقون يشكّلون أخطر تجمع معارض،لا على الإسلام فحسب،بل على كلّ رساله ثوريه تقدميه،حيث ينفذون بين صفوف المسلمين،و يستغلّون كل فرصه للتآمر.

يتحدّث القرآن عن تآمر هؤلاء فی صدر الإسلام و يذكر نماذج من أعمالهم.

(۵

و العماد:ما يقام عليه البناء.أی إذا ملتم عن أهوائهم أقاموكم عليها بأعمده من الخديعه حتی توافقوهم. و المرصاد محل الارتقاب.و يرصدونكم:يقعدون لكم بكل طريق ليحوّلوكم عن الاستقامه.

---

۱ - ۱) -دويّه أی مريضه من الدّوی بالقصر و هو المرض.و الصفاح-جمع صفحه:و المراد منها صفاح وجوههم، و نقاوتها:صفاؤها من علامات العداوه و قلوبهم ملتهبه بنارها.

۲- ۲) -يمشون مشی التستّر.و يدبون:أی يمشون علی هيئه دبيب الضراء،أی يسرون سريان المرض فی الجسم أو سريان النقص فی الأموال و الأنفس و الثمرات.

۳- ۳) -الداء العياء-بالفتح:الّذی أعيی الأطباء و لا يمكن منه الشفاء.

۴- ۴) -حسده:جمع حاسد،أی يحسدون علی السعه،و إذا نزل بلاء بأحد أكدوه و زادوه.و إذا رجی أحد شيئا أوقعوه فی القنوط و اليأس.

۵- ۵) -الصريع:المطروح علی الأرض،أی إنّهم كثيرا ما خدعوا أشخاصا حتی أوقعوهم فی الهلكه.

۶- ۶) -الشجو:الحزن،أی يبكون تصنّعا متی أرادوا.

۷- ۷) -يتقارضون:كل واحد منهم يثنی علی الآخر ليثنی الآخر عليه،كأنّ كلا منهم يسلف الآخر دينا ليؤديه إليه، و كل يعمل للآخر عملا يرتقب جزاءه عليه.

۸- ۸) -ألحفوا:بالغوا فی السؤال و ألحوا.و إن عذلوا أی لاموا،كشفوا أی فضحوا من يلومونه.

يذكر مثلا استهانه هؤلاء بشخصيه المؤمنين،و بما يقدمه المؤمنون على قدر طاقتهم من صدقات فيقول: اَلَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِی الصَّدَقاتِ وَ الَّذِینَ لا یَجِدُونَ إِلاّ جُهْدَهُمْ فَیَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ (۱) .

و يتخذون أحيانا فى اجتماعاتهم السريّه قرارات بشأن قطع مساعدتهم الماليه لأصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم،كى يتفرقوا عن الرساله و الرّسول: هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ حَتّى يَنْفَضُّوا،وَ لِلّهِ خَزائِنُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لكِنَّ الْمُنافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ (۲) .

كما يتخذون القرارات بإخراج المؤمنين من المدينه بعد انتهاء الحرب و العوده إلى المدينه: لَئِنْ رَجَعْنا إِلَى الْمَدِينَهِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ (۳) .

و كانوا يتخلفون عن الجهاد بمبررات مختلفه من قبيل الانشغال بالحصاد مثلا،و يتركون الرّسول فى ساعات الشدّه.و هم مع ذلك خائفين من انفضاح أمرهم و انكشاف سرّهم.

بسبب هذه المواقف العدائيه التآمريه ركز القرآن على التنديد بالمنافقين فى مواضع عديده، و احتوت سوره المنافقين عرضا مفصّلا لوضعهم.كما تضمنت سوره التوبه و الحشر و سور اخرى حملات شديده على المنافقين،و تحدثت ثلاث عشره آيه من سوره البقره عن صفاتهم و عواقب مكرهم.

۵-خداع الضمير:

المنافقون يشكلون مشكله كبرى للمسلمين،ذلك لأن المسلمين مكلفون-

---

۱- ۱) -التوبه،۷۹.

۲- ۲) -المنافقون،۷.

۳- ۳) -المنافقون،۸.

مـن جهه-باحتضـان كـلّ من يظهر الإسـلام و بالامتنـاع عن تفـتيش عقائـد الأفـراد، و مسـئولون-من جهه اخرى-عن الحـذر من مؤامرات المنافقين و تحركاتهم المشـبوهه التى يسـتهدفون منها الوقوف بوجه الرساله،و إن اتخذت هذه التحركات صفه إسلاميه ظاهريه.

المنافقون يظنون أنهم بعملهم هذا يستطيعون أن يخدعوا المسلمين و يمرروا عليهم مؤامراتهم،بينما هؤلاء يخدعون أنفسهم.

التعبير القرآنى يُخَادِعُونَ اللّهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا يوضّـح مفهوما دقيقا،فكلمه يخادعون تعنى الخـداع المشترك من الطرفين،و تبين أن هؤلاء المنافقين كانوا يعتقـدون-لعمى بصـيرتهم-أنّ النّبى خـدّاع توسّل بالـدين و النبوّه و جمع حوله السذّج من النّاس ليكون له حكم و سلطان،و من هنا راح المنافقين يتوسلون بخدعه لمقابله خدعه النّبى!فالتعبير القرآنى المذكور يوضّح إذن لجوء المنافقين إلى الخدعه،و يبين كذلك نظره هؤلاء الخاطئه إلى النّبى الأعظم صلّى اللّه عليه و اله و سلّم.

ثم تردّ الآيه الكريمه على هؤلاء و تقول: وَ مٰا يَخْدَعُونَ إِلاّ أَنْفُسَـهُمْ وَ مٰا يَشْعُرُونَ ، فالفعل«يخدعون»يوضّح أنّ الخداع من جانب المنـافقين فقـط، و تؤكـد الآيه أيضا أنهم يخـدعون أنفسـهم دون أن يشـعروا،لأنهم يبـددون.بأفعالهم هـذه طاقاتهم العظيمه على طريـق الانـحراف،و يحرمـون أنفسـهم مـن السـعاده الـتى رسـم اللّـه طريقهـا لهـم،و يغـادرون الـدنيا و هـم صـفر اليـدين من كل خير،مثقلون بأنواع الذنوب و الآثام.

لا يمكن لأحد أن يخدع اللّه طبعا لأنه سبحانه عالم بالجهر و ما يخفى،و تعبير «يخادعون اللّه»إمّا أن يكون المقصود به يخادعون الرّسول و المؤمنين،لأن من يخـدع الرّسول و المؤمنين فكأنه خـدع اللّه(فى القرآن مواضع كثيره عظم فيها اللّه رسوله و المؤمنين إذ قرن اسـمهم باسـمه).و إمّا أن يكون نقص العقل و سوء الفهم قـد بلغ بالمنافقين حدا تصوروا معه أنهم قادرون على أن يخفوا على اللّه شيئا من

أعمالهم(شبیه ذلک ما ورد فی آیات اخری من کتاب اللّه العزیز).

علی أیّ حال،الآیه المذکوره تشیر بوضوح إلی حقیقه خداع الضمیر و الوجدان،و أن الإنسان النمحرف الملوث کثیرا ما یعمد إلی خداع نفسه و وجدانه للتخلص من تأنیب الضمیر،و یصبح بالتدریج مقتنعا بأن قبائحه لیست عملا انحرافیا،بل هی أعمال إصلاحیه إِنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ ،و بذلک یخدعون أنفسهم،و یستمرون فی غیّهم.

ذکر أنّ أحد القاده الأمریکیین وجّه إلیه سؤال حول سبب إلقاء القنبله الذریه علی مدینتی(هیروشیما و ناکازاکی)الیابانیتین ممّا أدّی إلی مقتل مائتی ألف إنسان بریء أو أصابتهم بالعاهات،فقال:نحن فعلنا ذلک من أجل السلام!و لو لم نفعل ذلک لطالت الحرب أکثر،و لذهب ضحیتها عدد أکبر من القتلی!! المنافقون فی کل عصر و فی عصرنا هذا یتشبثون بمثل هذه الأقاویل لخداع النّاس و خداع أنفسهم،فهذا الزعیم الأمریکی یضع أمامه طریقین فقط هما:

استمرار الحرب أو القصف الذری للمدن الآمنه،متناسیا طریقا ثالثا واضحا و هو الکف عن الاعتداء علی الشعوب و ترک النّاس أحرارا مع ثرواتهم!و ممّا تقدم یتضح أن النفاق وسیله لخداع الضمیر و شلّ مفعوله،و ما أخطر عملیه شلّ الضمیر الإنسانی،الذی یعتبر الواعظ الداخلی و الرقیب الیقظ الأمین و المندوب الإلهی فی نفس الإنسان!!.

۶-التجاره الخاسره:

شبّه القرآن الکریم فی مواضع عدیده عمل الإنسان فی الحیاه الدنیا بالتجاره.و نحن فی الحیاه الدنیا تجار نأتی إلی هذا المتجر الکبیر برأس مال وهبه لنا اللّه سبحانه،و عناصره العقل و الفطره و العواطف و الطاقات الجسمیّه المختلفه

و مواهب عـالم الطبيعه،ثم قيـاده الأنبيـاء،جمع يربحون و يفوزون و يسـعدون، و جمع لا يجنون ربحا،بل أكثر من ذلك يفقـدون رأس مالهم،و يفلسون بكل ما لهـذه الكلمه من معنى.المجاهدون فى سبيل اللّه من أفراد الجمع الأول،و يقول عنهم اللّه تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلىٰ تِجٰارَهٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذٰابٍ أَلِيمٍ؟ تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُجٰاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللّٰهِ بِأَمْوٰالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ (1) .

و المنافقون من أبرز نماذج الجمع الثانى،فبعـد أن يذكر القرآن أعمالهم التخريبيه المتلبسه بظاهر الإصـلاح و التعقّل يقول عنهم: أُولٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلاٰلَهَ بِالْهُدىٰ فَمٰا رَبِحَتْ تِجٰارَتُهُمْ وَ مٰا كٰانُوا مُهْتَدِينَ .

كـان بمقـدور هؤلاء أن ينتخبـوا أفضـل طريـق لحيـاتهم،لأنـهم كـانوا يعيشون إلى جـانب ينبوع الوحى الصـافى،و فى جوّ مفعم بالصـدق و الإخلاص و الإيمان.لكنهم فوّتوا على أنفسـهم هـذه الفرصه الفريده العظيمه،و أضاعوا ما وهبهم اللّه من هدايه فطريه فى ذواتهم،و من هـدايه تشـريعيه فى إطار نور الوحى،و اشتروا الضـلاله و سـلكوا طريقا خالوا أنهم يسـتطيعون به أن يقضوا على الدعوه و يصلوا إلى مآربهم الخبيثه.

و كان فى هذه المقايضه الخاطئه خسارتان:

الاولى:ضياع ثرواتهم الماديه و المعنويه.و الثانيه:فشلهم فى تحقيق أهدافهم المشؤومه.فالإسلام سرعان ما ضرب بجرانه فى أرجاء الأرض فاضحا خطط المنافقين.

١- ١) -الصف،١٠ و ١١.

الآیات [سوره البقره (۲): الآیات ۱۷ الی ۲۰]

اشاره

مَثَلُهُمْ کَمَثَلِ اَلَّذِی اِسْتَوْقَدَ نٰاراً فَلَمّٰا أَضٰاءَتْ مٰا حَوْلَهُ ذَهَبَ اَللّٰهُ بِنُورِهِمْ وَ تَرَکَهُمْ فِی ظُلُمٰاتٍ لاٰ یُبْصِرُونَ (۱۷) صُمٌّ بُکْمٌ عُمْیٌ فَهُمْ لاٰ یَرْجِعُونَ (۱۸) أَوْ کَصَیِّبٍ مِنَ اَلسَّمٰاءِ فِیهِ ظُلُمٰاتٌ وَ رَعْدٌ وَ بَرْقٌ یَجْعَلُونَ أَصٰابِعَهُمْ فِی آذٰانِهِمْ مِنَ اَلصَّوٰاعِقِ حَذَرَ اَلْمَوْتِ وَ اَللّٰهُ مُحِیطٌ بِالْکٰافِرِینَ (۱۹) یَکٰادُ اَلْبَرْقُ یَخْطَفُ أَبْصٰارَهُمْ کُلَّمٰا أَضٰاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِیهِ وَ إِذٰا أَظْلَمَ عَلَیْهِمْ قٰامُوا وَ لَوْ شٰاءَ اَللّٰهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَ أَبْصٰارِهِمْ إِنَّ اَللّٰهَ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۲۰)

التّفسیر

اشاره

مثالان رائعان لوصف حاله المنافقین:

بعد أن بین القرآن صفات المنافقین و خصائصهم،یقدّم مثالین متحرکین لتجسیم وضعهم:

۱- مَثَلُهُمْ المنافقین کَمَثَلِ الَّذِی اسْتَوْقَدَ نٰاراً فی لیله مظلمه،کی یهتدی بها إلی طریق و یبلغ مقصده. فَلَمّٰا أَضٰاءَتْ مٰا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّٰهُ بِنُورِهِمْ

ص :۱۰۵

وَ تَرَکَهُمْ فِی ظُلُماتٍ لاٰ یُبْصِرُونَ

.

لقد ظنّ هؤلاء أنهم قادرون على أن یحققوا أهدافهم بما لدیهم من إمکانات إناره محدوده.

و لکن نارهم سرعان ما انطفأت بسبب عوامل جوّیّه،أو بسبب نفاد الوقود، و ظلّوا حائرین لا یهتدون سبیلا.

ثم تضیف الآیه الکریمه أن هؤلاء فقدوا کل وسیله لدرک الحقائق: صُمٌّ بُکْمٌ عُمْیٌ فَهُمْ لاٰ یَرْجِعُونَ .

و المثال المذکور یصوّر بدقّه عمل المنافقین على ساحه الحیاه الإنسانیه.

فهذه الحیاه مملوءه بطرق الانحراف و الضلال،و لیس فیها سوى طریق مستقیم واحد للهدایه،و هذا الطریق ملیء بالمزالق و الأعاصیر.و لا یستطیع الفرد أن یهتدی من بین الطرق الملتویه إلى الصراط المستقیم،کما لا یستطیع أن یتجنب المزالق و یقاوم أمام الأعاصیر،إلاّ بنور العقل و الإیمان،و بمصباح الوحی الوهّاج.

و هل تستطیع الشعله المحدوده المؤقته التی یضیئها الإنسان،أن تهدی الکائن البشری فی هذا الطریق الشائک الطویل؟! هؤلاء الذین سلکوا طریق النفاق،ظنوا أنّهم قادرون بذلک أن یحافظوا على مکانتهم و مصالحهم لدى المؤمنین و الکافرین.و أن ینضمّوا إلى الفئه الغالبه بعد نهایه المعرکه.کانوا یخالون أن عملهم هذا ذکاء و حنکه.و أرادوا أن یستفیدوا من هذا الذکاء و هذه الحنکه،کضوء یشقّ لهم طریق الحیاه و یوصلهم إلى مآربهم.لکن اللّه سبحانه ذهب بنورهم و فضحهم،إذ قال لرسوله: إِذٰا جٰاءَکَ الْمُنٰافِقُونَ قٰالُوا:

نَشْهَدُ إِنَّکَ لَرَسُولُ اللّٰهِ،وَ اللّٰهُ یَعْلَمُ إِنَّکَ لَرَسُولُهُ،وَ اللّٰهُ یَشْهَدُ إِنَّ الْمُنٰافِقِینَ لَکٰاذِبُونَ

(1)

.

١- ١) -المنافقون،١ و ٢.

و القرآن الكريم يفضح المنافقين لدى الكافرين أيضا،و يبيّن كذبهم و نكولهم إذ يقول: أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نٰافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوٰانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتٰابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَ لاٰ نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً،وَ إِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَ اللّٰهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكٰاذِبُونَ. لَئِنْ أُخْرِجُوا لاٰ يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَ لَئِنْ قُوتِلُوا لاٰ يَنْصُرُونَهُمْ،وَ لَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبٰارَ ثُمَّ لاٰ يُنْصَرُونَ (۱) .

جدير بالذكر أن القرآن استعمل عباره اِسْتَوْقَدَ نٰاراً أى إنهم استفادوا للإناره من«النار»ذات الدخان و الرّماد و الحريق،بينما يستنير المؤمنون بنور الإيمان الخالص و بضوئه الساطع.

باطن المنافقين ينطوى على النار،و إن تظاهروا بنور الإيمان،و إذا كان ثمه نور فهو ضعيف فى قوته و قصير فى مدته.

هذا النور الضعيف المؤقّت،إمّا أن يكون إشاره إلى الضمير و الفطره التوحيديه،أو إشاره إلى الإيمان الأوّلى لهؤلاء المنافقين حيث أسدلت عليه ستائر مظلمه على أثر التقليد الأعمى و التعصب المقيت و اللجاج و العداء،فتحولت ساحه حياتهم لا إلى ظلمه،بل إلى«ظلمات»فى التعبير القرآنى.

و هؤلاء سيفقدون فى النهايه قدره الرؤيه الصحيحه،و الاستماع الصحيح، و النطق الصحيح،و هذه نتيجه طبيعيه-كما ذكرنا سابقا-للاستمرار على الانحراف و الإصرار على الغىّ،حيث يؤدى إلى إضعاف آليات الإدراك لدى الإنسان فيرى الحقائق مقلوبه،فالخير فى نظره شرّ،و الملك شيطان،و هكذا.

على أى حال هذا التشبيه يوضّح واحده من حقائق النفاق،و هى إن عمر النفاق و التذبذب لا يدوم طويلا،قد يستطيع المنافقون لمده قصيره أن يتمتعوا بمصونيه الإسلام و الإيمان،و بصداقه الكفار سرا.لكن هذه الحاله مثل شعله

۱- ۱) -الحشر،۱۱ و ۱۲.

ضعیفه معرضه لألوان العواصف،سرعان ما تنطفئ،و یظهر الوجه الحقیقی للمنافقین،و یظلون منفورین مطرودین حائرین،مثل إنسان یتخبّط فی ظلام دامس.

لا بدّ من الإشاره إلی ما ورد فی تفسیر الآیه الکریمه: هُوَ الَّذِی جَعَلَ الشَّمْسَ ضِیٰاءً وَ الْقَمَرَ نُوراً (۱) .

عن الإمام محمّد بن علی الباقر علیه السّلام قال: «أضاءت الأرض بنور محمّد صلّی اللّه علیه و اله و سلّم کما تضیء الشّمس،فضرب اللّه مثل محمّد صلّی اللّه علیه و اله و سلّم الشّمس و مثل الوصیّ القمر» (۲) .

و هذا یعنی أن نور الإیمان و الوحی یغمر العالم کلّه.و لا یمتلک منه المنافقون شیئا،حتّی لو کان فی النفاق نور،فإنّ مدیاته قصیره و دائرته صغیره لا یضیء إلاّ (ما حوله).

فی المثال الثانی صوّر القرآن حیاه المنافقین بشکل لیله ظلماء مخوفه خطره،یهطل فیها مطر غزیر،و ینطلق من کل ناحیه منها نور یکاد یخطف الأبصار،و یملأ الجوّ صوت مهیب مرعب یکاد یمزّق الآذان.و فی هذا المناخ القلق ضلّ مسافر طریقه،و بقی فی بلقع فسیح لا ملجأ فیه و لا ملاذ،لا یستطیع أن یحتمی من المطر الغزیر،و لا من الرعد و البرق،و لا یهتدی إلی طریق لشدّه الظلام.

هذه الصوره یرسمها القرآن علی النحو التالی: أَوْ کَصَیِّبٍ مِنَ السَّمٰاءِ فِیهِ ظُلُمٰاتٌ وَ رَعْدٌ وَ بَرْقٌ،یَجْعَلُونَ أَصٰابِعَهُمْ فِی آذٰانِهِمْ مِنَ الصَّوٰاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ،وَ اللّٰهُ مُحِیطٌ بِالْکٰافِرِینَ یَکٰادُ الْبَرْقُ یَخْطَفُ أَبْصٰارَهُمْ کُلَّمٰا أَضٰاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِیهِ وَ إِذٰا أَظْلَمَ عَلَیْهِمْ قٰامُوا.

هؤلاء یحسّون کلّ لحظه بخطر،لأنهم یطوون صحراء لا جبال فیها و لا أشجار تحمیهم من خطر الرعد و البرق و الصواعق،و نحن نعلم أن خطر الصاعقه

۱- ۱) -یونس،۵.

۲- ۲) -نور الثقلین،ج ۱،ص ۳۶.

يتجه إلى كل ارتفاع على الأرض.لكن الأرض التى يسير عليها هؤلاء خاليه من أى ارتفاع سوى مرتفع أجسامهم،و من هنا فخطر الصاعقه يهددهم كل آن بتحويلهم إلى رماد! (أهميه هذا المثال تتضح لدى أهل الحجاز-حيث الصحارى المنبسطه-أكثر من وضوحها لدى أهالى المناطق الجبليه).

نعم،هؤلاء حيارى مضطربون،لا يجدون طريقا يسلكونه،و لا دليلا يهتدون به،خطر صوت الرعد يهدّد أسماعهم،و نور البرق يكاد يذهب بأبصارهم وَ لَوْ شاءَ اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَ أَبْصارِهِمْ إِنَّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

المنافقون مثل هؤلاء المسافرين،يعيشون بين المؤمنين المتزايدين المتدفقين كالسيل الهادر و كالمطر الغزير،لكنهم لم يتخذوا لهم ملجأ آمنا يقيهم من شر صاعقه العقاب الإلهى.

نهوض المسلمين بواجبهم الجهادى المسلح بوجه أعداء الإسلام،يشكل صواعق و حمما تنزل على رؤوس المنافقين.و تسنح أحيانا لهؤلاء المنافقين فرصه للهدايه و اليقظه،لكن هذه الفرصه لا تلبث طويلا،إذ تمرّ كما يمرّ نور البرق، و يعود الظلام يطبق عليهم،و يعودون إلى ضلالهم و حيرتهم.

انتشار الإسلام بسرعه كالبرق الخاطف قد أذهلهم.و آيات القرآن التى تفضح أسرارهم صعقتهم،و فى كل لحظه يحتملون أن تنزل آيه تكشف عن مكائدهم و نواياهم.و هذا ما تعبّر عنه الآيه الكريمه: يَحْذَرُ الْمُنافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِما فِي قُلُوبِهِمْ،قُلِ اسْتَهْزِؤُا إِنَّ اللّهَ مُخْرِجٌ ما تَحْذَرُونَ (۱) .

و المنافقون خائفون أيضا أن يأذن اللّه بمحاربتهم،و أن يحثّ القوه الإسلاميه المتصاعده على مجابهتهم،لأنهم كانوا يواجهون مثل هذه التهديدات القرآنيه،

۱- ۱) -التوبه،۶۴.

كقوله تعـالى: لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لاٰ يُجَاوِرُونَكَ فِيهٰا إِلاّ قَلِيلاً. مَلْعُونِينَ أَيْنَمٰا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَ قُتِّلُوا تَقْتِيلاً (۱) .

مثل هـذه الآيات كانت تنزل كالرعـد و البرق على المنافقين،و تتركهم فى خوف و ذعر و حيره فى المدينه،و تضـعهم أمام خطر الإباده أو الإخراج من المدينه كلّ حين.

هـذه الآيات-و إن كانت تتحـدث عن المنافقين فى عصـر نزول الوحى- تمتـد لتشـمل كلّ المنافقين فى التاريـخ،لإن خطّ النفاق يقـف دومـا بوجه الخـط الثورى الصـادق الصـحيح.و نحن نرى بأعيننـا اليوم مـدى انطبـاق مـا يقوله القرآن على منـافقى عصـرنا بـدقّه.نرى حيرتهم و خوفه و اضـطرابهم،و نرى تعاسـتهم و بؤسـهم و انفضـاحهم تمامـا مثل تلك المجموعه المسافره الهائمه فى صحراء مقفره و فى ليله ظلماء موحشه.

أما بشأن الفرق بين المثالين فثمه تفسيران:

الأـوّل:إنّ قـوله تعـالى: مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي... يصور حـاله المنـافقين الـذين انخرطوا فى صـفوف المؤمنين عن اعتقـاد حقيقى،ثم تزعزعوا و اتّجهوا نحو النفاق.أما قوله: كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمٰاءِ... فيمثل حاله المنافقين الـذين كانوا منـذ البدايه فى صف النفاق،و لم يؤمنوا باللّه قط.

الثّـانى:أن المثـال الأـول يتحـدث عن حـاله الأـفراد،و لـذلك يقول: مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ و الثـانى يجسّـد وضع الأجواء المخيفه المرعبه الخطره التى تحدق بهؤلاء المنافقين،و من هنا جاء التشبيه بالجوّ المظلم الممطر المليء بالخوف و الذعر و الاضطراب.

۱- ۱) -الأحزاب،۶۰-۶۱.

الآيتان [سوره البقره (٢): الآيات ٢١ الى ٢٢]

اشاره

يا أَيُّهَا اَلنّاسُ اُعْبُدُوا رَبَّكُمُ اَلَّذِی خَلَقَكُمْ وَ اَلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) اَلَّذِی جَعَلَ لَكُمُ اَلْأَرْضَ فِراشاً وَ اَلسَّماءَ بِناءً وَ أَنْزَلَ مِنَ اَلسَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ اَلثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلّهِ أَنْداداً وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)

التّفسير

اشاره

فيما سبق من آيات كتاب اللّه سبحانه تبيّن ثلاث مجموعات هی:مجموعه المتقين،و مجموعه الكافرين،و مجموعه المنافقين،فالمتقون هم المشمولون بالهدايه الإلهيه،و المنافقون هم الذين طبع اللّه على قلوبهم، و المنافقون هم المرضى الذين زادهم اللّه مرضا،و فقدوا قدره التشخيص نتيجه أعمالهم.

أمّا الآيات المذكوره فدعت النّاس إلى انتخاب طريق المجموعه الاولى، و إلى عباده اللّه الواحد الأحد.

و فی الآيه الكريمه: يا أَيُّهَا النّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِی خَلَقَكُمْ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ عده ملاحظات نشير إليها فيما يلی:

١-قوله تعالى: يا أَيُّهَا النّاسُ تكرر فی القرآن عشرين مرّه تقريبا،و هو نداء عام شامل يشير إلى أن القرآن لا يختص بعنصر أو قبيله أو طائفه أو فئه

خاصه،بل يوجّه دعوته إلى البشريه عامه لعباده اللّه،و للثوره على كل ألوان الشرك و الانحراف عن طريق التوحيد.

۲-يركّز القرآن،في دعوته إلى عباده اللّه و إلى شكر اللّه،على نعمه خلق البشر.و هي نعمه تتجلى فيها قدره اللّه كما يتجلى فيها علم اللّه و حكمته و كذلك رحمته العامه و الخاصّه.لأن الموجود البشري سيّد الموجودات،و مظهر علم اللّه و قدرته اللامتناهيه و نعمه الكثيره الواسعه.

أولئك الـذين يستنكفون عن عباده اللّه و الخضوع له،غافلون غالبا عن العظمه المنطويه في خلقهم و خلق الذين من قبلهم،و عن اليد المدبّره المقدّره التي أو جدت هذا الخلق،و أودعت فيه النعم الدقيقه المدروسه المتجليه في جسم الإنسان و روحه.

فالتذكير بهذه النعم دليل لمعرفه اللّه،و محرك للشكر على هذه النعم.

۳-نتيجه هذه العباده هي التقوى: لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ فعباداتنا لا تزيد اللّه عظمه و جلالا،كما أن إعراضنا عن العباده لا ينقص من عظمه اللّه شيئا.هذه العبادات مدرسه لتعليم التقوى،و التقوى هي الإحساس بالمسؤوليه و المحرّك الذاتي للفرد،و هي معيار قيمه الإنسان و ميزان تقييم شخصيته.

۴-عباره: اَلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لعلها ردّ على استدلال المشركين الذين برروا عبادتهم للأصنام بتمسكهم بسنه آبائهم.و الآيه الكريمه تشير بهذه العباره إلى أن اللّه الواحد الأحد،خالق البشر و خالق آبائهم،و كل شرك يعتري المسيره البشريه في حاضرها و سالفها هو انحراف عن الخط الصحيح.

نعم الأرض و السماء:

الآيه التاليه استعرضت قسما آخر من النعم الإلهيه التي تستحق الشكر،

ذكرت أوّلا خلق الأرض: اَلَّذِی جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ فِراشاً .

فهذه الکره السائره بسرعه مذهله فی الفضاء،قد سخرت للإنسان کی یمتطیها و یستقر علیها دون أن تؤثر علیه حرکتها.

و تتجلی عظمه نعمه الأرض أکثر حین نلاحظ خاصّیه الجاذبیه التی تؤمّن لنا إمکانیه الاستقرار و إنشاء الأبنیه و المزارع،و سائر مستلزمات الحیاه علی هذه الأرض. فلو انعدمت هذه الخاصیه لحظه واحده لتناثر کل ما علی هذه الأرض من إنسان و حیوان و نبات فی الفضاء! تعبیر«فراش»یصوّر بشکل رائع مفهوم الاستقرار و الاستراحه،کما یصوّر إضافه إلی ذلک مفهوم الاعتدال و التناسب فی الحراره.هذه الحقیقه یعبّر عنها الإمام علی بن الحسین علیه السّلام مفسرا هذه الآیه إذ

یقول:

«جعلها ملائمه لطباعکم،موافقه لأجسادکم و لم یجعلها شدیده الحماء و الحراره فتحرقکم،و لا شدیده البروده فتجمدکم،و لا شدیده طیب الرّیح فتصدع هاماتکم،و لا شدیده النّتن فتعطبکم،و لا شدیده اللّین کالماء فتغرقکم،و لا شدیده الصّلابه فتمتنع علیکم فی دورکم و أبنیتکم و قبور موتاکم...فلذلک جعل الأرض فراشا لکم»! (۱) .

ثم تتعرض الآیه إلی نعمه السماء فتقول: وَ السَّماءَ بِناءً .

کلمه«سماء»وردت فی القرآن بمعان مختلفه،و کلها تشیر إلی العلو،و اقتران کلمه«سماء»مع«بناء»یوحی بوجود سقف یعلو البشر علی ظهر هذه الأرض.بل إنّ القرآن صرّح بکلمه«سقف»فی بیان حال السماء إذ قال: وَ جَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً (۲) .

لعل هذا التعبیر القرآنی یثیر استغراب أولئک الذین یفهمون موقع الأرض فی الفضاء،فیتساءلون عن هذا السقف...عن مکانه و کیفیته.و لعل هذا التعبیر یعید-

ص:۱۱۳

۱- ۱) -نور الثقلین،ج ۱،ص ۴۱.
۲- ۲) -الأنبیاء،۳۲.

بادئ الرأی-إلی الأذهان فرضیه بطلیموس التی تصور الکون علی أنه طبقات من الأفلاک متراکمه بعضها فوق بعض مثل طبقات قشور البطل!!من هنا لا بدّ من توضیح لمفهوم السماء و البناء و السقف فی التعبیرات القرآنیه.

ذکرنا أن سماء کل شیء أعلاه،و أحد معانی السماء«جوّ الأرض»،و هو المقصود فی الآیه الکریمه.و جوّ الأرض هو الطبقه الهوائیه الکثیفه المحیطه بالکره الأرضیه،و یبلغ سمکها عدّه مئات من الکیلومترات.

لو أمعنّا النظر فی الدور الحیاتی الأساس الذی تؤدیه هذه الطبقه الهوائیه لفهمنا مدی استحکام هذا السقف و أهمیته لصیانه البشر.

هذه الطبقه الهوائیه مثل سقف شفّاف یحیط بکرتنا الأرضیه من کل جانب، و قدره استحکامه تفوق قدره أضخم السدود الفولاذیه،علی الرغم من أنه لا یمنع وصول أشعه الشمس الحیویه الحیاتیه إلی الأرض.

لو لم یکن هذا السقف لتعرضت الأرض دوما إلی رشق الشهب و النیازک السماویه المتناثره،و لما کان للبشر أمان و لا استقرار علی ظهر هذا الکوکب، و هذه الطبقه الهوائیه التی یبلغ سمکها عدّه مئات من الکیومترات (۱) تعمل علی إباده کل الصخور المتجهه إلی الکره الأرضیه،و قلیل جدا من هذه الصخور تستطیع أن تخترق هذا الحاجز و تصل الأرض لتنذر أهل الأرض دون أن تعکّر صفو حیاتهم.

من الشواهد الداله علی أن أحد معانی السماء هو«جو الأرض»

حدیث عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق علیه السّلام یتحدث فیه إلی«المفضّل»عن السماء فیقول:

«فکّر فی لون السّماء و ما فیه من صواب التّدبیر،فإنّ هذا اللّون أشدّ الألوان موافقه للبصر

۱- ۱) -تذکر کثیر من الکتب أن سمک الجوّ المحیط بالأرض یبلغ مائه کیلومتر،و یبدو أن المقصود بهذا السمک هو الطبقه الجویه الکثیفه،لأن العلم الحدیث أثبت أن الهواء موجود بشکل رقیق متباعد الجزئیات علی بعد مئات الکیلومترات.

و تقويه...» (۱) .

و من الواضح أن زرقه السماء ليست إلّا لون الهواء الكثيف المحيط بالأرض.

و لهذا فإن المقصود بالسماء فی هذا الحديث هو جوّ الأرض نفسه.

و أضيفت كلمه الجوّ إلی السماء فی قوله تعالی: أَ لَمْ يَرَوْا إِلَی الطَّيْرِ مُسَخَّرٰاتٍ فِی جَوِّ السَّمٰاءِ (۲) .

و حول معانی السماء الاخری سنتحدّث بشكل أوفی فی ذيل الآيه ۲۹ من هذه السّوره.

و حول معانی السماء الاخری سنتحدّث بشكل أوفی فی ذيل الآيه ۲۹ من هذه السّوره.

بعد ذلک تطرقت الآيه الی نعمه المطر: وَ أَنْزَلْنٰا مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً ... ماء يحيی الأرض و يخرج منها الثمرات.

عباره وَ أَنْزَلْنٰا مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً تؤكد مرّه اخری أن المقصود من«السماء» هنا هو جوّ الأرض،لأننا نعلم أن المطر ينزل من الغيوم،و الغيوم بخار متناثر فی جوّ الأرض.

الإمام علی بن الحسين عليه السّلام يتحدث عن نزول المطر فی تفسير هذه الآيه فيقول: «ينزله من أعلی ليبلغ قلل جبالكم و تلالكم و هضابكم و أوهادكم،ثمّ فرّقه رذاذا و وابلا و هطلا لتنشفه أرضوكم،و لم يجعل ذلک المطر نازلا عليكم قطعه واحده فيفسد أرضيكم و أشجاركم و زرعكم و ثماركم» (۳) .

ثم تشير الآيه إلی نعمه الثمرات التی تخرج من بركه الأمطار لتكون رزقا لبنی البشر فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرٰاتِ رِزْقاً لَكُمْ .

و إخراج الثمرات مدعاه للشكر علی رحمه رب العالمين لعباده،و مدعاه للإذعان بقدره ربّ العالمين فی إخراج ثمر مختلف ألوانه،من ماء عديم اللون، ليكون قوتا للإنسان و الحيوان،لذلک عطف عليها قوله تعالی:

ص: ۱۱۵

۱- ۱) -بحار الأنوار،ط الجديد،ج ۳،ص ۱۱۱.

۲- ۲) -النحل،۷۹.

۳- ۳) -تفسير نور الثقلين،ج ۱،ص ۴۱.

فَلاٰ تَجْعَلُوا لِلّٰهِ أَنْدٰاداً وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ

.

فهـذه الأنـداد المفتعله و مـا تعبـدون من دون اللّه،لم يخلقوكم و لا خلقوا آباءكم،و لا خلقوا ما ترونه حولكم من مظاهر كونيه و نعم موفوره.

و«الأنداد»جمع«ند»على وزن ضدّ،و هو الشبيه و الشريك،و واضح أن هذا الشبه قائم فى أذهان المشركين و ليس أمرا واقعيا.

و بعباره أدق:نـدّ الشـيء و نديـده-كما يقول الراغب فى المفردات-مشاركه فى جوهره،و ذلك ضـرب من المماثله،أى المماثله فى جوهر الذات.

بحث

اشاره

الشّرك فى أشكال مختلفه:

لاـ بـدّ من التأكيـد على أن الشّرك بـاللّه لاـ ينحصـر باتّخـاذ الأوثان الحجريه و الخشبيه آلهه من دون اللّه كما يفعل الوثنيون،أو القول بأن اللّه ثالث ثلاثه كما تقول النصارى.بل إن للشرك معنى أوسع و صورا متنوعه أكثر ضمورا و خفاء.

و بشكل عام كل اعتقاد بوجود أشياء لها نفس تأثير اللّه فى الحياه هو نوع من الشرك.و هذا ما يعبّر عنه ابن عباس إذ يقول:

(الأنداد)هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاه سوداء فى ليله ظلماء، و هو أن يقول:و اللّه،و حياتك يا فلان،و حياتى!...و يقول:لو لا كلبه هذا لأتانا اللصوص البارحه!...و قول الرجل لصاحبه:ما شاء اللّه و شئت...هذا كله به شرك (۱) .

و نقرأ

فى حديث شريف أن رجلا قال لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم:ما شاء اللّه و شئت.

۱- ۱) -فى ظلال القرآن،سيد قطب،ج ۱،ص ۵۳.

فقال النّبى صلّى اللّه عليه و اله و سلّم:«أ جعلتنى للّه ندّا»؟! مثل هذه التعابير التى يشمّ منها رائحه الشرك رائجه-مع الأسف-بين سواد المسلمين و غير لائقه بالشخص الموحّد،كقولهم:اعتمادى على اللّه و عليك!!

فى الروايه عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام فى تفسير قوله تعالى:

وَ مٰا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلاّٰ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ

(۱)

قال:«قول الرّجل لو لا فلان لهلكت، و لو لا فلان لأصبت كذا و كذا،و لو لا فلان لضاع عيالى» (۲) .

و سيأتى توضيح أكثر فى هذا المجال فى ذيل الآيه ۱۰۶ من سوره يوسف.

۱- ۱) -يوسف،۱۰۶.

۲- ۲) -سفينه البحار،ج ۱،ص ۶۹۷.

الآيتان [سوره البقره (۲): الآيات ۲۳ الی ۲۴]

اشاره

وَ إِنْ كُنْتُمْ فِی رَيْبٍ مِمّا نَزَّلْنا عَلی عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَهٍ مِنْ مِثْلِهِ وَ اُدْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اَللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۲۳) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا اَلنّارَ اَلَّتِی وَقُودُهَا اَلنّاسُ وَ اَلْحِجارَهُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ (۲۴)

التّفسير

اشاره

القرآن معجزه خالده:

ظاهره الكفر و النفاق،التی دارت حولها موضوعات الآيات السابقه،تنشأ أحيانا عن عدم فهم محتوى النّبوه و معجزه الرّسول صلّى اللّه عليه و اله و سلّم.و الآيات التی نحن بصددها تعالج هذه المسأله،و تركز على المعجزه القرآنيه الخالده كی تزيل كل شك و ترديد فی رساله نبی الإسلام صلّى اللّه عليه و اله و سلّم.تقول الآيه:

وَ إِنْ كُنْتُمْ فِی رَيْبٍ مِمّا نَزَّلْنا عَلی عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَهٍ مِنْ مِثْلِهِ

(۱)

.

۱- ۱) -ذهب بعض المفسرين إلى أن الضمير فی(مثله)يعود على النّبی كما يعود الضمير فی(عبدنا)عليه أيضا. و يصبح المعنى حينئذ:لو كنتم فی شك من الوحی فأتوا بشخص أمّی مثل محمّد يستطيع أن يأتی بمثل هذا القرآن.لكن هذا الاحتمال بعيد،إذ ورد فی موضوع آخر: فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ الطور،۳۴،و فی موضع آخر أيضا فَأْتُوا بِسُورَهٍ مِثْلِهِ يونس،۳۸،و هذه دلاله على أن الضمير فی(مثله)يعود على القرآن.

و بهذا الشكل تحدى القرآن كل المنكرين أن يأتوا بسوره من مثله،كى يكون عجزهم دليلا واضحا على أصاله هذا الوحى السماوى و على الجانب الإلهى للرساله و الدعوه.

و لأجل أن يؤكد هذا التحدى دعاهم أن لا يقوموا بهذا العمل منفردين،بل وَ ادْعُوا شُهَدٰاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ .

كلمه«شهداء»تشير إلى الفئه التى كانت تساعدهم فى رفض رساله النّبى صلّى اللّه عليه و اله و سلّم،و عباره مِنْ دُونِ اللّٰهِ إشاره إلى عجز جميع البشر عن الإتيان بسوره قرآنيه و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا،و إلى قدره اللّه وحده على ذلك.

و عباره إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ تستهدف حثّهم على قبول هذا التحدى، و مفهومها:لو عجزتم عن هذا العمل فذلك دليل كذبكم،فانهضوا إذن لإثبات ادعائكم.

طبيعه التحدى تقتضى أن يكون صارخا إلى أبعد حدّ ممكن،و أن يكون محفّزا للعدو مهما أمكن،و بعباره اخرى أن يثير الحميّه فيه،كى يجنّد كل طاقاته لعمليه المجابهه، حتى إذا فشل و أيقن بعجزه علم أنه أمام ظاهره إلهيه لا بشريه.

من هنا فسياق الآيات التاليه،يركز على عنصر الإثاره و يقول: فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النّٰارَ الَّتِى وَقُودُهَا النّٰاسُ وَ الْحِجٰارَهُ و هذه النار ليست حديث مستقبل،بل هى واقع قائم: أُعِدَّتْ لِلْكٰافِرِينَ .

جمع من المفسرين قالوا:إن المقصود بالحجاره:الأصنام الحجريه، و استشهدوا لذلك بالآيه الكريمه: إِنَّكُمْ وَ مٰا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ (۱) .

جمع آخر قالوا:(الحجاره)إشاره إلى صخور معدنيه كبريتيه تفوق حرارتها

۱- ۱) -الأنبياء،۹۸.

حراره الصخور الأخرى.

و هناك من المفسرين من يعتقد أن المقصود من هذا التعبير،إلفات النظر إلى شده حراره جهنم،أى إن حراره جهنّم و حريقها يبلغ درجه تشتعل فيها الصخور و الأجساد كما يشتعل الوقود.

و يبدو من ظاهر الآيات المذكوره،أن نار جهنم تستعر من داخل النّاس و الحجاره.و لا يصعب فهم هذه المسأله لو علمنا أن العلم الحديث أثبت أن كل أجسام العالم تنطوى فى أعماقها على نار عظيمه(أو بعباره اخرى على طاقه قابله للتبديل إلى نار)،و لا يلزم أن نتصور نار جهنم شبيهه بالنار المشهوده فى هذا العالم.

فى موضع آخر يقول تعالى: نَارُ اللّهِ الْمُوقَدَهُ الَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَهِ (١) .

خلافا لنيران هذا العالم التى تنفذ من الخارج إلى الداخل.

بحوث

اشاره

١-لماذا يحتاج الأنبياء إلى المعجزه؟

نعلم أن منصب النّبوه أعظم منصب منحه اللّه لخاصه أوليائه.فكل المناصب عاده تمنح صاحبها القدره للحكم على أبدان الأفراد،إلاّ منصب النّبوه،فالنّبى يحكم على الأجسام و القلوب فى مجتمعه.من هنا كان مقام النّبوه لا يبلغه مقام فى سموّه،و من هنا أيضا كان أدعياء النبوّات الكاذبه أحطّ النّاس و أشدّهم انحرافا.

و النّاس هنا أمام أمرين:إمّا أن يؤمنوا بدعوات النّبوه جميعا،أو يرفضوها

١- ١) -الهمزه،۶ و ٧.

جميعا،لو قبلوها جمله لتحولت ساحه الأديان إلى فوضى و هرج و مرج.و لو رفضوها جمله لكان عاقبه ذلك الضلال و الضياع.

فالدليل على مبدأ البعثه ذاته يفرض إذن أن يكون الأنبياء الصادقين مجهزين بالدليل على نبوتهم كى يتميز الصادقون من الكاذبين.أى أن يكونوا مجهزين بالمعجزه الداله على صدق ادعائهم.

و«المعجزه»-كما هو واضح من لفظها-عمل خارق يأتى به النّبى و يعجز عن الإتيان به الآخرون.

على النّبى صاحب المعجزه أن يتحدى النّاس بمعجزته،و أن يعلن لهم أن معجزته دليل على صدق دعواه.

٢-القرآن معجزه نبى الإسلام الخالده:

القرآن كتاب يسمو على أفكار البشر،و لم يستطع أحد حتى اليوم أن يأتى بمثله،و هو معجزه سماويه كبرى.

هذا الكتاب الكريم يعتبر-بين معاجز النّبى صلّى اللّه عليه و اله و سلّم-أقوى سند حىّ على نبوه الرّسول الخاتم،لأنه معجزه«ناطقه»و«خالده»و«عالميه»و«معنويه».

أمّا أنّه معجزه«ناطقه»فإنّ معاجز الأنبياء السابقين لم تكن كذلك،أى أنها كانت بحاجه إلى وجود النّبى لكى يتحدث للناس عن معجزته و يتحداهم بها، و معاجز النّبى الخاتم-عدا القرآن-هى من هذا اللون.أما القرآن فمعجزه ناطقه.

لا يحتاج إلى تعريف،يدعو لنفسه بنفسه،يتحدى بنفسه المعارضين و يدينهم و يخرج منتصرا من ساحه التحدى.و هو يتحدى اليوم جميع البشر كما كان يتحداهم فى عصر الرساله.إنه دين و معجزه،إنه قانون،و وثيقه تثبت الهيه القانون.

أما الخلود و العالميه:فإنّ القرآن حطم سدود«الزمان و المكان»و تعالى عليهما،لأن معاجز الأنبياء السابقين-و حتى معاجز النّبى الخاتم غير القرآن-

ص:١٢١

مسجله على شريط معين من الزمان،و واقعه فى مساحه معينه من المكان،و أمام جمع معدود من النّاس،مثل معاجز عيسى عليه السّلام كحديثه فى المهد و إحيائه الموتى.

و واضح أن الأحداث المقيّده بزمان و مكان معينين تمسى صورتها باهته كلما ابتعدنا عن ظروفها الزمانيه و المكانيه.و هذا من خصائص الأمور الزمنيه.

لكن القرآن لا يرتبط بالزمان و المكان،فهو يطلع علينا اليوم كما طلع على عرب الجاهليه قبل قرون،بل إن مرور الزمن زاد البشريه قدره فى العلم و الإمكانات لتستفيد منه أكثر من ذى قبل،و ما لا يرتبط بزمان أو مكان فانه يحوى عناصر الدوام و الخلود وسعه دائرته العالميه،و بديهى أن الدين العالمى الخالد بحاجه إلى مثل هذه الوثيقه العالميه الخالده.

أمّا الصّفه«المعنويه»للقرآن فنفهمها حين ننظر إلى معاجز الأنبياء السابقين، و نرى أنها كانت غالبا«جسميه»مثل:شفاء الأمراض الجسميه المستعصيه، و تحدث الطفل فى المهد...و كانت تتجه نحو تسخير الأعضاء البدنيه.أما القرآن، فيسخر القلوب و النفوس،و يبعث فيها الإعجاب و الإكبار.إنه يتعامل مع الأرواح و الأفكار و العقول البشريه، و واضح امتياز مثل هذه المعجزه على المعاجز الجسميه.

٣-هل تحدّى القرآن؟

القرآن تحدى البشريه فى مواضع عديده من سوره،منها:

١-قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ لاٰ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ،وَ لَوْ كٰانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (١) .

١- ١) -الاسراء،٨٨.

۲- أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ،قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللّهِ (۱) .

۳- أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (۲) .

۴-الآيه الثالثه و العشرون من سوره البقره التی یدور حولها بحثنا.

القرآن تحدی بصراحه و قوه فی هذه الآیات جمیع البشریه،و فی هذه الصراحه و القوّه دلاله حیّه علی حقّانیته.و لم یکتف فی تحدّیه بدعوه النّاس إلی أن یأتوا بمثله،بل حفّزهم و شجعهم علی ذلک،و عبارات التحفیز نجدها فی قوله تعالی:

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ...

فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ...

قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ...

وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ...

قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ ... لاٰ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ... فَاتَّقُوا النّارَ الَّتِی وَقُودُهَا النّاسُ وَ الْحِجارَةُ... فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا... .

هذا التحفیز و الحثّ و الإثاره لم یصدر ضمن إطار معرکه أدبیه أو عقائدیه،بل فی إطار معرکه«سیاسیه»«اقتصادیه»«اجتماعیه»، ضمن إطار معرکه حیاه أو موت،یرتبط بمصیرها وجود هذا الکیان الجدید.و عجز المعارضین أمام هذا التحدّی الحیاتی الصارخ،یبیّن بشکل أوضح أبعاد المعجزه القرآنیه.

جدیر بالذّکر أن تحدی القرآن لا ینحصر بزمان أو مکان،بل إن هذا التحدّی قائم حتی یومنا هذا.

۱- ۱) -هود،۱۳ و ۱۴.

۲- ۲) -یونس،۳۸.

۴-هل جیء بمثله؟

الجواب علی هـذا السؤال یتضـح لو ألقینـا نظره علی الظروف و الملابسات التی عاصـرت نزول القرآن،و علی تاریـخ ما ذکر من محاولات لکتابه ما یشبه القرآن.

غیر خفیّ أن الرسـاله فی عصـر النّزول و مـا بعـده،واجهت خصوما ألـدّاء من المشـرکین و الیهود و النصاری و المنافقین.و هؤلاء توسّـلوا بکـل مـا لـدیهم من قـوه و حیله للوقوف بوجه الـدعوه.(حـتی إن بعض المنـافقین مثـل(ابو عـامر)الراهب و من وافقه من المنافقین اتّصـلوا بأمبراطور الرّوم للتآمر علی الإسـلام،و بلغ الأمر بهؤلاء المتآمرین أن شـیّدوا«مسـجد ضرار»فی المدینه،و حدثت علی أثر ذلک وقائع عجیبه أشار إلیها القرآن فی سوره التوبه).

من الطبیعی أن هؤلاـء الأعـداء الألـدّاء من المنـافقین و غیرهم کانوا یتربصون بالمسـلمین الـدوائر،و یتحینون کل فرصه للإضـرار بالمسلمین.و لو کان هؤلاء قد حصلوا علی کتاب یجیب علی تحدی القرآن،لتهافتوا علیه و نشروه و طبّلوا له و زمّروا،أو لسعوا فی حفظه علی الأقل.

و لذلک نری أن التاریخ احتفظ بأسماء أولئک الذین یحتمل احتمالا ضعیفا أنهم عارضوا القرآن،مثل:

«عبـد اللّه بن المقفع»،فقـد قیل أنه عارض القرآن بکتابه«الـدرّه الیتیمه»بینما لا نعثر فی هذا الکتاب الموجود بین أیدینا الیوم علی إشـاره إلی هـذه المعـارضه، و لا نعرف لماذا وجهت التهمه إلی ابن المقفع بهـذا الکتاب؟ و المتنبی،أحمـد بن الحسـین الکوفی الشاعر،ذکر فی زمره المعارضـین و أصـحاب النبوءات،بینما تؤکد دراسات حیاه المتنبی و أدبه،أنه کان ینطلق فی شعره غالبا من روح الخیبه فی بلوغ المناصب الرفیعه،و من الحرمان العائلی.

و أبو العلاء المعرّی،اتهم بهذا أیضا،و نقلت عنه أشعار تنم عن رفضه لبعض

مسائل الدين،لكنه لم يرفع صوته يوما بمعارضه القرآن،بل نقلت عنه عبارات فى عظمه كتاب اللّه العزيز سنشير إليها فيما بعد.

أما مسيلمه الكذاب من أهل اليمامه فقد عارض القرآن،و أتى بآيات!!أقرب إلى الهزل منها إلى الجد،و من ذلك.

١-ما قاله معارضا سوره«الذاريات»:«و المبذرات بذرا.و الحاصدات حصدا.و الذاريات قمحا.و الطاحنات طحنا.و العاجنات عجنا.و الخابزات خبزا.

و الثاردات ثردا.و اللاقمات لقما.اهاله و سمنا» (١) .

٢-من النماذج الاخرى لآياته:«يا ضفدع نقّى فإنّك نعم ما تنقين،لا واردا تنفرين،و لا ماء تكدرين» (٢) .

٥-شهادات حول القرآن:

يجدر بنا أن ننقل جملا من أقوال المشاهير بشأن القرآن بمن فيهم أولئك الذين اتهموا بمعارضه القرآن.

١-أبو العلاء المعرى(المتهم بمعارضه القرآن)يقول:

«و أجمع ملحد و مهتد أن هذا الكتاب الذى جاء به محمّد كتاب بهر بالإعجاز، و لقى عدوه بالإرجاز،ما حذى على مثال،و لا أشبه غريب الأمثال،...ما هو من القصيد الموزون،و لا الرجز،و لا شاكل خطابه العرب و لا سجع الكهنه،و جاء كالشمس،لو فهمه الهضب لتصدع،و أن الآيه منه أو بعض الآيه لتعرض فى أفصح كلم يقدر عليه المخلوقون،فتكون فيه كالشهاب المتلألئ فى جنح غسق،

١- ١) -إعجاز القرآن،الرافعى.

٢- ٢) -نقلا عن كتاب«إعجاز القرآن»للخطيب،ج ١،ص ٤٨٣.

و الظهره البادیه فی جدوب» (۱) .

۲-الولید بن المغیره المخزومی،و هو رجل عرف بین عرب الجاهلیه بکیاسته و حسن تدبیره،و لذلک سمی«ریحانه قریش»، سمع آیات من سوره «غافر»فرجع إلی قوم من بنی مخزوم فقال لهم:

«و اللّه لقد سمعت من محمّد آنفا کلاما ما هو من کلام الإنس و لا من کلام الجن،و إن له لحلاوه،و إن علیه لطلاوه،و ان أعلاه لمثمر،و إن أسفله لمغدق،و إنه لیعلو و ما یعلی علیه» (۲) .

۳-العالم المؤرخ البریطانی«کارلیل»یقول حول القرآن:

«لو ألقینا نظره علی هذا الکتاب المقدس لرأینا الحقائق الکبیره،و خصائص أسرار الوجود،مطروحه بشکل ناضج فی مضامینه،ممّا یبین بوضوح عظمه القرآن.و هذه المیزه الکبری خاصه بالقرآن،و لا توجد فی أی کتاب علمیّ و سیاسی و اقتصادی آخر.نعم،قراءه بعض الکتب تترک تأثیرا عمیقا فی ذهن الإنسان،و لکن هذا التأثیر لا یمکن مقارنته بتأثیر القرآن.من هنا ینبغی أن نقول:

المزایا الأساسیه للقرآن،ترتبط بما فیه من حقائق و عواطف طاهره،و مسائل کبیره،و مضامین هامه لا یعتریها شک و تردید.و ینطوی هذا الکتاب علی کل الفضائل اللازمه لتحقیق تکامل البشریه و سعادتها» (۳) .

۴-جان دیفن بورت مؤلف کتاب:«الاعتذار إلی محمّد و القرآن».یقول:

«القرآن بعید للغایه عن کل نقص،بحیث لا یحتاج إلی أدنی إصلاح أو تصحیح،و قد یقرؤه شخص من أوّله إلی آخره دون أن یحسّ بأی ملل» (۴) .

و یقول:«لا خلاف فی أن القرآن نزل بأبلغ لسان و أفصحه،و بلهجه قریش

۱- ۱) -رساله الغفران،ص ۲۶۳.

۲- ۲) -مجمع البیان،ج ۱۰،سوره المدثر.

۳- ۳) -من مقدمه کتاب«التنظیمات الحضاریه فی الإمبراطوریه الإسلامیه».

۴- ۴) -نفس المصدر،ص ۱۱۱.

أكثر العرب أصاله و أدبا...و مليء بأبلغ التشبيهات و أروعها» (۱) .

۵-غوره الشاعر الألمانی يقول:

«قد يحسّ قرّاء القرآن للوهله الاولی بثقل فی العبارات القرآنيه،لكنه ما أن يتدرج حتی يشعر بانجذاب نحو القرآن،ثم إذا توغّل فيه ينجذب-دون إختيار- إلی جماله الساحر» (۲) .

و فی موضع آخر يقول:«لسنين طويله،أبعدنا القساوسه عن فهم حقائق القرآن المقدس و عن عظمه النّبی محمّد،و لكن كلما خطونا علی طريق فهم العلم تنزاح من أمام أعيننا حجب الجهل و التعصب المقيت،و قريبا سيلفت هذا الكتاب الفريد أنظار العالم،و يصبح محور أفكار البشريه»! و يقول كذلك:«كنا معرضين عن القرآن،و لكن هذا الكتاب ألفت أنظارنا، و حيّرنا،حتی جعلنا نخضع لما قدمه من مبادئ و قوانين علميه كبری»! ۶-«ويل ديورانت»المؤرخ المعروف يقول:«القرآن أوجد فی المسلمين عزّه نفس و عداله و تقوی لا نری لها نظيرا فی أيه بقعه من بقاع العالم».

۷-المفكر الفرنسی«جول لا بوم»فی كتاب«تفصيل الآيات»يقول:«العلم انتشر فی العالم علی يد المسلمين،و المسلمون أخذوا العلوم من(القرآن)و هو بحر العلم،و فرّعوا منه أنهارا جرت مياهها فی العالم...».

۸-المستشرق البريطانی دينورت يقول:

«يجب أن نعترف أنّ العلوم الطبيعيه و الفلكيه و الفلسفه و الرياضيّات التی شاعت فی أوربا،هی بشكل عام من بركات التعاليم القرآنيه،و نحن فيها مدينون للمسلمين،بل إن أوربا من هذه الناحيه من بلاد الإسلام» (۳) .

۹-الدكتوره لورا واكسيا واغليری أستاذه جامعه نابولی فی كتاب«تقدم

۱- ۱) -نفس المصدر،ص ۹۱.

۲- ۲) -عن كتاب«الاعتذار إلی محمّد و القرآن».

۳- ۳) -المعجزه الخالده.

الإسلام السريع»تقول:

«كتاب الإسلام السماوى نموذج الإعجاز...(القرآن)كتاب لا يمكن تقليده، و أسلوبه لا نظير له فى الآداب،و التأثير الذى يتركه هذا الأسلوب فى روح الإنسان ناشئ عن امتيازاته و سموّه...كيف يمكن لهذا الكتاب الإعجازى أن يكون من صنع محمّد،و هو رجل أميّ؟!....

نحن نرى فى هذا الكتاب كنوزا من العلوم تفوق كفاءه أكثر النّاس ذكاء و أكبر الفلاسفه و أقوى رجال السياسه و القانون.

من هنا لا يمكن اعتبار القرآن عمل إنسان متعلّم عالم» (۱) .

۱- ۱) -تقدم الإسلام السريع«نقلا عن محمّد و القرآن...».

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۲۵]

اشاره

وَ بَشِّرِ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهارُ کُلَّما رُزِقُوا مِنْها مِنْ ثَمَرَهٍ رِزْقاً قالُوا هٰذَا اَلَّذِی رُزِقْنا مِنْ قَبْلُ وَ أُتُوا بِهِ مُتَشابِهاً وَ لَهُمْ فِیها أَزْواجٌ مُطَهَّرَهٌ وَ هُمْ فِیها خالِدُونَ (۲۵)

التّفسیر

اشاره

خصائص نعم الجنّه:

آخر آیه فی بحثنا السابق تحدثت عن مصیر الکافرین،و هذه الآیه تتحدث عن مصیر المؤمنین،کی تتضح الحقیقه أکثر بالمقارنه بین الصورتین،علی الطریقه القرآنیه فی التوضیح.

المقطع الأوّل فی الآیه یبشر الذین آمنوا و عملوا الصالحات،بأن لهم جنات تجری من تحتها الأنهار.

نعلم أن البساتین التی تفتقد الماء الدائم،و تسقی بین حین و حین لیس لها حظ کبیر من النظاره،فالنظاره تطفح علی البساتین التی تمتلک ماء سقی دائم مستمر لا ینقطع أبدا.و مثل هذه البساتین لا یعتریها جفاف و لا تهددها شحه ماء.

و هذه هی بساتین الجنّه.

ص :۱۲۹

و بعد الإشاره إلی ثمار الجنّه المتنوعه تقول الآیه: کُلَّمٰا رُزِقُوا مِنْهٰا مِنْ ثَمَرَهٍ رِزْقاً قٰالُوا هٰذَا الَّذِی رُزِقْنٰا مِنْ قَبْلُ .

ذکر المفسرون لهذا المقطع من الآیه تفاسیر متعدده:

قال بعضهم:المقصود من قولهم: هٰذَا الَّذِی رُزِقْنٰا مِنْ قَبْلُ هو أن هذه النعم أغدقت علینا بسبب ما أنجزناه من عمل فی الحیاه الدنیا،و غرسنا بذوره من قبل.

و قال بعض آخر:عند ما یؤتی بالثمار إلی أهل الجنّه ثانیه یقولون:هذا الذی تناولناه من قبل،و لکنهم حین یأکلون هذه الثمار یجدون فیها طعما جدیدا و لذّه اخری،فالعنب أو التفاح الذی نتناوله فی هذه الحیاه الدنیا مثلا له فی کل مرّه نأکله نفس طعم المرّه السابقه،أمّا ثمار الجنّه فلها فی کلّ مرّه طعم و إن تشابهت أشکالها،و هذه من امتیازات ذلک العالم الذی یبدو أنه خال من کل تکرار! و قال آخرون:المقصود من ذلک أنهم حین یرون ثمار الجنّه یلقونها شبیهه بثمار هذه الدنیا،فیأنسون بها و لا تکون غریبه علیهم،و لکنهم حین یتناولونها یجدون فیها طعما جدیدا لذیذا.

و یجوز أن تکون عباره الآیه متضمنه لکل هذه المفاهیم و التفاسیر،لأن ألفاظ القرآن تنطوی أحیانا علی معان (1) .

ثم تقول الآیه: وَ أُتُوا بِهِ مُتَشٰابِهاً ،أی متشابها فی الجوده و الجمال.فهذه الثمار بأجمعها فاخره بحیث لا یمکن ترجیح إحداها علی الأخری،خلافا لثمار هذا العالم المختلفه فی درجه النضج و الرائحه و اللون و الطعم.

و آخر نعمه تذکرها الآیه هی نعمه الأزواج المطهره من کل أدران الروح و القلب و الجسد.

أحد منغّصات نعم الدنیا زوالها،فصاحب النعمه یقلقه زوال هذه النعمه،و من

١- ١) -فی بحث«استعمال اللفظ فی أکثر من معنی»أثبتنا إمکان هذه الأمر.

هنا فلا تكون هذه النعم عاده باعثه على السعاده و الاطمئنان.أمّا نعم الجنّه ففيها السعاده و الطمأنينه لأنها خالده لا يعتريها الزوال و الفناء.و إلى هذه الحقيقه تشير الآيه فى خاتمتها و تقول: وَ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ .

بحوث

اشاره

۱–«الإيمان»و«العمل»:

فى كثير من الآيات القرآنيه يقترن ذكر الإيمان بذكر العمل الصالح،حتى كان الاثنين متلازمان دونما افتراق.و الحق كذلك،لأن الإيمان و العمل يكمل بعضها الآخر.

لو نفذ الإيمان إلى أعماق النفس لتجلت آثاره فى الأعمال حتما،مثله كمثل مصباح لو أضاء فى غرفه لشع نوره من كل نوافذ الغرفه.و مصباح الإيمان كذلك لو شعّ فى قلب إنسان،لسطع شعاعه من عين ذلك الإنسان و أذنه و لسانه و يده و رجله.

يقول تعالى فى الآيه الحاديه عشره من سوره الطلاق: وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللّٰهِ وَ يَعْمَلْ صٰالِحاً يُدْخِلْهُ جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا أَبَداً .

و يقول فى الآيه الخامسه و الخمسين من سوره النور:

وَعَدَ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ .

فالإيمان بمثابه جذر شجره و العمل الصالح ثمرتها.و وجود الثمر السليم دليل على سلامه الجذر.و وجود الجذر السليم يؤدى إلى نموّ الثمر الطيب.

من الممكن أن يصدر عمل صالح أحيانا عن أفراد ليس لهم إيمان،و لكن ذلك لا يحدث باستمرار حتما.فالذى يضمن بقاء العمل الصالح هو الإيمان المتغلغل فى أعماق وجود الإنسان،الإيمان الذى يضع الإنسان دوما أمام مسئولياته.

۲-الأزواج المطهّره:

ممّا يلفت النظر فی هذه الآيه أن الوصف الوحيد الذی استعمله القرآن لمدح الأزواج فی جنّات النعيم هو أنّها«مطهره».و هی إشاره إلی أول شرط فی الزوجه هو«الطهر».و كل ما سواه من الشروط و الأوصاف ثانوی.

روی عن رسول اللّه صلّی اللّه عليه و اله و سلّم أنه قال: «إيّاكم و خضراء الدّمن.قيل:يا رسول اللّه!و ما خضراء الدّمن؟قال:المرأه الحسناء فی منبت السّوء» (۱) .

۳-النعم الماديه و المعنويه فی الجنّه:

ذكر القرآن الكريم أنواع النعم الماديه فی الجنه مثل:جنات تجری من تحتها الأنهار،و مساكن طيبه،و أزواج مطهره،و ثمار متنوعه،و خلاّن متحابين.و لكنه ذكر إلی جانب هذه النعم الماديه نعما أهم منها هی النعم المعنويه التی لا نستطيع أن نفهم عظمتها بمقاييسنا،كقوله: وَعَدَ اللّٰهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنٰاتِ جَنّٰاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا وَ مَسٰاكِنَ طَيِّبَةً فِی جَنّٰاتِ عَدْنٍ وَ رِضْوٰانٌ مِنَ اللّٰهِ أَكْبَرُ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (۲) .

و فی آيه اخری يقول سبحانه بعد ذكر النعم الماديه: رَضِیَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ (۳) .

لو بلغ الإنسان هذه المرتبه حيث يرضی اللّه عنه و يرضی عن اللّه لأحسّ بلذّه لا ترقی إليها لذّه،و لهانت فی نظر هذا الإنسان سائر اللذات،عندها يرتبط هذا الإنسان باللّه و لا يفكر بما سواه،و هی مرتبه يعجز القلم و اللسان عن وصف سموّها و أبعادها.

بعباره موجزه:كما أن للمعاد جانبا روحيا جسميا،كذلك نعم الجنه ذات

۱- ۱) -وسائل الشيعه،ج ۱۴،ص ۱۹.

۲- ۲) -التوبه،۷۲.

۳- ۳) -البيّنه،۸.

جانبین أیضا،کی تکون جامعه و قابله لاستفاده أهل الجنه جمیعا،کلّ علی قدر کفاءته و لیاقته.

ص:۱۳۳

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۲۶]

اشاره

إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ یَسْتَحْیِی أَنْ یَضْرِبَ مَثَلاً مٰا بَعُوضَهً فَمٰا فَوْقَهٰا فَأَمَّا اَلَّذِینَ آمَنُوا فَیَعْلَمُونَ أَنَّهُ اَلْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَ أَمَّا اَلَّذِینَ کَفَرُوا فَیَقُولُونَ مٰا ذٰا أَرٰادَ اَللّٰهُ بِهٰذٰا مَثَلاً یُضِلُّ بِهِ کَثِیراً وَ یَهْدِی بِهِ کَثِیراً وَ مٰا یُضِلُّ بِهِ إِلاَّ اَلْفٰاسِقِینَ (۲۶)

سبب النّزول

ذکر جمع من المفسرین عن ابن عباس أن سبب نزول هذه الآیه هو اعتراض المنافقین علی ما ورد من أمثله فی الآیات السابقه مَثَلُهُمْ کَمَثَلِ الَّذِی اسْتَوْقَدَ نٰاراً ... أَوْ کَصَیِّبٍ مِنَ السَّمٰاءِ... ،و قالوا إن اللّه أسمی من أن یضرب مثل هذه الأمثال،و بذلک راحوا یشککون فی الرساله و فی القرآن.و فی هذه الظروف نزلت الآیه الکریمه المذکوره.

قال آخرون:عند نزول الآیات التی تضرب الأمثال بالذباب و العنکبوت،بدأ المشرکون ینتقدون و یسخرون.

ص :۱۳۴

التّفسير

اشاره

هل اللّه يضرب المثل؟!

الفقره الاولى من الآيه تقول: إِنَّ اللّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً ما بَعُوضَةً فَما فَوْقَها .

ذلك لأن المثال يجب أن ينسجم مع المقصود،بعباره اخرى،المثال وسيله لتجسيد الحقيقه حين يقصد المتحدث بيان ضعف المدّعى و تحقيره فإنّ بلاغه الحديث تستوجب انتخاب موجود ضعيف للتمثيل به،كيما يتضح ضعف أولئك.

فى الآيه(٧٣)من سوره الحج مثلا-يقول سبحانه: إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً وَ لَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ،وَ إِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطّالِبُ وَ الْمَطْلُوبُ .

يلاحظ فى هذا المثال أن الذباب و أمثاله أحسن وسيله لتجسيد ضعف هؤلاء.

و هكذا فى الآيه(۴١)من سوره العنكبوت،حين يريد القرآن أن يجسد ضعف المشركين فى انتخابهم أولياء من دون اللّه،يشبههم بالعنكبوت التى تتخذ لنفسها بيتا،و هو أضعف البيوت و أوهنها: مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّهِ أَوْلِياءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً،وَ إِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ .

من المؤكد أن القرآن لو ساق الأمثله فى هذه المجالات على الكواكب و السماوات لما أدّى الغرض فى التصغير و التحقير،و لما كانت أمثلته متناسبه مع أصول الفصاحه و البلاغه،فكأن اللّه تعالى يريد بهذه الامثله القول:بأنه لا مانع من التمثيل بالبعوضه أو غيرها لتجسيد الحقائق العقليه فى ثياب حسّيّه و تقديمها للناس.

الهدف هو إيصال الفكره،و الأمثله يجب أن تتناسب مع موضوع الفكره، و لذلك فهو سبحانه يضرب الأمثله بالبعوضه فما فوقها.

ص: ١٣۵

و ما المقصود من فَمٰا فَوْقَهٰا للمفسرين فى هذه رأيان:

الأوّل:«فوقها»فى الصغر،لأن المقام مقام بيان صغر المثال.و هذا مستعمل فى الحوار اليومى،نسمع مثلا رجل يقول لآخر:ألا تستحى أن تبذل كل هذا الجهد من أجل دينار واحد؟!فيجيب الآخر:لا،بل أكثر من ذلك أنا مستعد لأبذل هذا الجهد من أجل نصف دينار!فالزياده هنا فى الصغر.

الثّانى:«فوقها»فى الكبر.أى إن اللّه يضرب الأمثال بالصغير و بالكبير،حسب مقتضى الحال.

لكن الرأى الأوّل يبدو أنسب.

ثم تقول الآيه: فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ . فهؤلاء، بإيمانهم و تقواهم،بعيدون عن اللجاجه و العناد و الحقد للحقيقه.و يستطيعون أن يروا الحق بجلاء و يدركوا أمثله اللّه بوضوح.

وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مٰا ذٰا أَرٰادَ اللّٰهُ بِهٰذٰا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَ يَهْدِى بِهِ كَثِيراً

.

هؤلاء يعترضون على هذه الأمثله لأنّها لا تهدى الجميع،و يزعمون أنها لو كانت من عند اللّه لاهتدى بها النّاس جميعا،و لما أدّت الى ضلال أحد! فيجيبهم اللّه بعباره قصيره تحسم الموقف و تقول: وَ مٰا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفٰاسِقِينَ .

فكل هذه الأمثله من اللّه،و كلها نور و هدايه،لكنها تحتاج إلى عين البصيره التى تستفيد منها،و مخالفه المخالفين تنطلق من نقص فيهم،لا من نقص فى الآيات الإلهيه (١) .

١- ١) -جمع من المفسرين قالوا:إن عباره يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً... ليس حكايه عن لسان المشركين،بل هو حديث اللّه. و يكون المعنى بذلك«أن اللّه يجيب على هؤلاء المعترضين الذين قالوا: مٰا ذٰا أَرٰادَ اللّٰهُ بِهٰذٰا مَثَلاً ؟و يقول سبحانه: إن اللّه يضل به كثيرا و يهدى به كثيرا،و لكن لا يضل إلا الفاسقين».(أما التّفسير الأول فيبدو أنه أصح).

بحوث

اشاره

۱-أهميه المثال فى بيان الحقائق:

الأمثله المناسبه لها دور حساس:و عظيم فى التوضيح و الإقناع و الإفهام.

المثال المناسب قد يقرّب طريق الفهم إلى الأذهان بحيث نستعيض به عن الاقتحام فى الاستدلالات الفلسفيه المعقده.

و أهم من ذلک،نحن لا نستطيع أن نستغنى عن الأمثله المناسبه فى تعميم و نشر الموضوعات العلميه الصعبه بين عامه النّاس.

و لا يمكننا أن ننكر دور المثال فى إسكات الأفراد المعاندين اللجوجين المتعنّتين.

على كل حال،تشبيه«المعقول»ب«المحسوس»أحد الطرق المؤثره فى تفهيم المسائل العقليه،على أن يكون المثال-كما قلنا-مناسبا،و إلاّ فهو مضلّ و خطر.

من هنا نجد فى القرآن أمثله كثيره رائعه شيقه مؤثّره،ذلک لأنه كتاب لجميع البشر على اختلاف عصورهم و مستوياتهم الفكريه،إنه كتاب فى غايه الفصاحه و البلاغه (۱) .

۲-لماذا التمثيل بالبعوضه؟

المعاندون اتخذوا من صغر البعوضه و الذبابه ذريعه للاستهزاء بالأمثله القرآنيه.

لكنّهم لو أنصفوا و أمعنوا النظر فى هذا الجسم الصغير،لرأوا فيه من عجائب

۱- ۱) -حول دور الأمثال فى حياه البشر،راجع الآيه ۱۷ من سوره الرعد فى المجلد السابع من هذا التّفسير.

الخلقه و عظيم الصنع و الدّقه ما يحيّر العقول و الألباب.

يقول الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام بشأن خلقه هذا الحيوان الصغير:

«إنّما ضرب اللّه المثل بالبعوضه لأنّ البعوضه على صغر حجمها خلق اللّه فيها جميع ما خلق فى الفيل مع كبره و زياده عضوين آخرين فأراد اللّه سبحانه أن ينبّه بذلك المؤمنين على لطف(لطيف)خلقه و عجيب صنعته» (۱) .

يريد اللّه سبحانه بهذا المثال أن يبين للمؤمنين دقّه الصنع فى الخلق،التفكير فى هذا الموجود الضعيف على الظاهر،و الشبيه بالفيل فى الواقع،يبيّن للإنسان عظمه الخالق.

خرطوم هذا الحيوان الصغير يشبه خرطوم الفيل،أجوف،ذو فتحه دقيقه جدا،و له قوّه ماصه تسحب الدم.

منح اللّه هذا الحيوان قوه هضم و تمثيل و دفع،كما منحه أطرافا و أذنا و أجنحه تتناسب تماما مع وضع معيشته.هذه الحشره تتمتع بحساسيه تشعر فيها بالخطر بسرعه فائقه و تفرّ عند ما يداهمها عدوّ بمهاره عجيبه،و هى مع صغرها و ضعفها يعجز عن دفعها كبار الحيوانات.

أمير المؤمنين على عليه السّلام يقول فى هذا الصدد:

«كيف و لو اجتمع جميع حيوانها من طيرها و بهائمها و ما كان من مرحها و سائمها، و أصناف أسناخها و أجناسها،و متبلده أممها و أكياسها،على إحداث بعوضه ما قدرت على إحداثها،و لا عرفت كيف السّبيل إلى إيجادها،و لتحيّرت عقولها فى علم ذلك و تاهت، و عجزت قواها و تناهت،و رجعت خاسئه حسيره،عارفه بأنّها مقهوره،مقرّه بالعجز عن إنشائها،مذعنه بالضّعف عن إفنائها» (۲) .

۱- ۱) -تفسير البرهان،ج ۱،ص ۷۲.

۲- ۲) -نهج البلاغه،شرح محمّد عبده،الخطبه ۱۸۶،ص ۲۷۵.

۳-هدایه اللّه و إضلاله:

ظاهر عباره الآیه المذکوره یوحی بأن الهدایه و الضلال جبریان و مرتبطان بإراده اللّه تعالی.بینما العباره الأخیره من الآیه توضح أن الهدایه و الضلال مترتبان علی أعمال الإنسان نفسه.

و لمزید من التوضیح نقول:إن أعمال الإنسان و تصرفاته لها نتائج و ثمار معیّنه.لو کان العمل صالحا فنتیجته مزید من التوفیق و الهدایه فی السیر نحو اللّه و مزید من أداء الأعمال الصالحه.یقول تعالی: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللّهَ یَجْعَلْ لَکُمْ فُرْقاناً (۱) .

و إن جنح الإنسان نحو المنکرات،فان الظلمات تتراکم علی قلبه،و یزداد نهما لارتکاب المحرمات،و قد یبلغ به الأمر إلی أن ینکر خالقه،قال تعالی: ثُمَّ کانَ عاقِبَهَ الَّذِینَ أَساؤُا السُّوای أَنْ کَذَّبُوا بِآیاتِ اللّهِ وَ کانُوا بِها یَسْتَهْزِؤُنَ (۲) .و قال أیضا: فَلَمّا زاغُوا أَزاغَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ (۳) .

و الآیه التی یدور حولها بحثنا شاهد آخر علی ذلک حیث یقول تعالی: وَ ما یُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفاسِقِینَ .

ممّا تقدم یتضح أن الإنسان حرّ فی انتخاب الطریق فی بدایه الأمر،و هذه حقیقه یقبلها ضمیر کل إنسان،ثم علی الإنسان بعد ذلک أن ینتظر النتائج الحتمیه لأعماله.

بعباره موجزه:الهدایه و الضلاله-فی المفهوم القرآنی-لا یعنیان الإجبار علی انتخاب الطریق الصحیح أو الخاطئ،بل إن الهدایه-المفهومه من الآیات المتعدّده-تعنی توفّر سبل السعاده،و الإضلال:یعنی زوال الأرضیه المساعده للهدایه،دون أن یکون هناک إجبار فی المسأله.

۱- ۱) -الأنفال،۲۹.

۲- ۲) -الروم،۱۰.

۳- ۳) -الصف،۵.

توفّر السبل(الذى نسميه التوفيق)،و زوال هذه السبل(الذى نسميه سلب التوفيق)،هما نتيجه أعمال الإنسان نفسه.فلو منح اللّه فردا توفيق الهدايه،أو سلب من أحد هذا التوفيق،فإنما ذلك نتيجه الأعمال المباشره لهذا الفرد أو ذاك.

و يمكن التمثيل لهذه الحقيقه بمثال بسيط:حين يمرّ الإنسان قرب هاويه خطره،فإنه يتعرّض لخطر الانزلاق و السقوط فيها كلّما اقترب منها أكثر.

كما أن احتمال سقوطه فى الهاويه يقلّ كلما ابتعد عنها أكثر،و الحاله الاولى هدايه و الثانيه ضلال.

من مجموع ما ذكرنا يتضح الجواب على ما يثار من أسئله فى حقل الهدايه و الضلال.

۴-«الفاسقون»:هم المنحرفون عن طريق العبوديه،لأن الفسق فى اللغه إخراج النوى من التمر،ثم انتقل إلى الخروج عن طريق اللّه.

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۲۷]

اشاره

اَلَّذِینَ یَنْقُضُونَ عَهْدَ اَللّٰهِ مِنْ بَعْدِ مِیثٰاقِهِ وَ یَقْطَعُونَ مٰا أَمَرَ اَللّٰهُ بِهِ أَنْ یُوصَلَ وَ یُفْسِدُونَ فِی اَلْأَرْضِ أُولٰئِکَ هُمُ اَلْخٰاسِرُونَ (۲۷)

التّفسیر

اشاره

الخاسرون الحقیقیون:

هذه الآیه الکریمه توضح مواصفات الفاسقین بعد أن تحدثت الآیه السابقه عن ضلال هذه الفئه،و تذکر لهم ثلاث صفات:

۱-إنهم یَنْقُضُونَ عَهْدَ اللّٰهِ مِنْ بَعْدِ مِیثٰاقِهِ .

هؤلاء لهم مع اللّه عهود و مواثیق،مثل عهد التوحید،و عهد الرّبوبیه،و عهد عدم اتّباع الشیطان و هوی النفس.لکنهم نقضوا کل هذه العهود،و تمرّدوا علی أوامر اللّه،و اتبعوا أهواءهم و ما أراده الشیطان لهم.

طبیعه هذا العهد:یثار سؤال حول العهد المبرم بین اللّه و الإنسان،فالعهد عقد ذو جانبین،و قد یقول قائل:متی أبرمت مع اللّه عهدا من العهود المذکوره؟ الجواب علی هذا السؤال یتضح لو عرفنا أن اللّه سبحانه أودع فی أعماق النفس الإنسانیه شعورا خاصا و قوی خاصه یستطیع بها أن یهتدی إلی الطریق

الصحيح،و يتجنب مزالق الشيطان و أهواء النفس،و يستجيب لداعی اللّه.

هـذه القوی الفطریه یعبّر عنها القرآن بالعهـد الإلهی،و هو فی الحقیقه«عهد تکوینی»لا تشـریعی أو قانونی.یقول تعالی: أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَ أَنِ اعْبُدُونِي هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ ؟! (۱) .

و واضح أنّ الآیه تشیر إلی فطره التوحید العبودیه و المیل إلی الاتجاه نحو التکامل فی النفس الإنسانیه.

الدلیل الآخر علی هذا الاتجاه فی فهم العهد الإلهی،

ما جاء فی أول خطب نهج البلاغه عن أمیر المؤمنین علی علیه السّلام:حیث قال: «فبعث فیهم رسله و واتر إلیهم أنبیاءه،لیستأدوهم میثاق فطرته».

بتعبیر آخر:کل موهبه یمنحها اللّه للإنسان یصـحبها عهد طبیعی بین اللّه و الإنسان،موهبه العین یصـحبها عهد یفرض علی الإنسان أی یری الحقائق، و موهبه الاذن تنطوی علی عهـد مدوّن فی ذات الخلقه یفرض الاسـتماع إلی نداء الحق...و بهذا یکون الإنسان قد نقض العهد متی ما غفل عن استثمار القوی الفطریه المودعه فی نفسه،أو استخدم الطاقات الموهبه له فی مسیر منحرف.

الفاسقون،ینقضون بعض هذه العهود الفطریه الإلهیه،أو جمیعها.

۲-الصفه الاخری لهؤلاء الفاسقین هی أنهم ...يَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ... .

أکثر المفسـرین ذهبوا إلی أن القطع المـذکور فی الآـیه یعنی قطع الرحم،لکن مفهوم الآـیه-فی نظره أعمق-أعم من ذلـک، و ما قطع الرحم إلاّـ أحـد مصادیقهـا، لأـن الآـیه تتحـدث عن قطع الفاسـقین لکـل ارتبـاط أمر اللّه به أن یوصـل،بمـا فی ذلک رابطه الرحم،رابطه الصداقه،و الروابط الاجتماعیه،و الرابطه بهداه البشریه إلی

۱- ۱) -یس،۶۰ و ۶۱.

اللّه،و الارتباط باللّه.و لا دليل على حصر الآيه برابطه الرحم.

بعض المفسرين ذهبوا إلى أن الآيه تشير إلى قطع الارتباط بالأنبياء و المؤمنين،و بعضهم فسّرها بالارتباط بأئمه أهل البيت عليهم السّلام (۱) .و واضح أن هذه التفاسير تبيّن جزء من المفهوم الكلى للآيه.

۳-علامه الفاسقين الثالثه هى الفساد: ...وَ يُفْسِدُونَ فِی الْأَرْضِ .

و من الواضح أن يكون هؤلاء مفسدين،لأنهم نسوا اللّه و عصوه،و خلت نفوسهم من كل عاطفه إنسانيه حتى تجاه أرحامهم،هؤلاء لا يتحركون إلاّ على خط مصالحهم و أهدافهم الذاتيه الدنيّه،و لا يهمّهم على هذا الطريق أن يعيثوا فى الأرض فسادا،و يرتكبوا كل لون من الانحراف.

و تؤكد الآيه فى الخاتمه أن أُولئِکَ هُمُ الْخاسِرُونَ .

و أى خسران أكبر من تبديد كل القوى الماديه و المعنويه المودعه فى الإنسان الرّاميه لإسعاده،و إهدارها على طريق الشقاوه و التعاسه و الانحراف؟!نعم،هؤلاء الفاسقون الذين خرجوا عن خط إطاعه اللّه ليس لهم مصير سوى الخسران.

بحثان

اشاره

۱-أهميه صله الرحم فى الإسلام:

الآيه المذكوره أعلاه،و إن تحدثت عن كل ارتباط أمر اللّه به أن يوصل،إلاّ أن الارتباط الرحمى دون شك أحد مصاديقها البارزه.

لقد أعار الإسلام اهتماما بالغا بصله الرحم و بالتودّد إلى الأهل و الأقارب.

و نهى بشدّه عن قطع الارتباط بالرحم.

ص:۱۴۳

۱- ۱) -نور الثقلين،ج ۱،ص ۴۵،لمزيد من التوضيح فى هذا المجال راجع المجلد السابع من هذا التّفسير ذيل الآيه ۲۱ من سوره الرعد.

رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و سلّم یصوّر أهمیه صله الرحم

بقوله: «صله الرّحم تعمر الدّیار و تزید فی الأعمار،و إن کان أهلها غیر أخیار» (۱) .

و عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق علیه السّلام قال: «صل رحمک و لو بشربه ماء، و أفضل ما یوصل به الرّحم کفّ الأذی عنها» (۲) .

الإمام علی بن الحسین السّجاد علیه السّلام یحذّر ولده من صحبه خمس مجموعات، إحداها قطاع الرحم،و

یقول: «...و إیّاک و مصاحبه القاطع لرحمه فإنّی وجدته ملعونا فی کتاب اللّه».

و یقول سبحانه: فَهَلْ عَسَیْتُمْ إِنْ تَوَلَّیْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِی الْأَرْضِ وَ تُقَطِّعُوا أَرْحٰامَکُمْ أُولٰئِکَ الَّذِینَ لَعَنَهُمُ اللّٰهُ (۳) .

السبب فی کل هذا التأکید الإسلامی علی الرحم هو أن عملیه إصلاح المجتمع و تقویه بنیته و صیانه مسیره تکامله و عظمته فی الحقول المادیه و المعنویه،تفرض البدء بتقویه اللّبنات الأساسیه التی یتکون منها البناء الاجتماعی، و عند استحکام اللّبنات و تقویتها یتم إصلاح المجتمع تلقائیا.

الإسلام مارس هذه العملیه علی النحو الأکمل فی بناء المجتمع الإسلامی القوی الشامخ،و أمر بإصلاح الوحدات الاجتماعیه.و الکائن الإنسانی لا یأبی عاده أن ینصاع إلی مثل هذه الأوامر اللازمه لتقویه ارتباط أفراد الأسره،لاشتراک هؤلاء الأفراد فی الرحم و الدم.

و واضح أن المجتمع یزداد قوه و عظمه کلّما ازداد التماسک و التعاون و التعاضد فی الوحدات الاجتماعیه الصغیره المتمثله بالأسره.و إلی هذه الحقیقه قد یشیر

الحدیث الشریف: «صله الرحم تعمر الدیار».

۱- ۱) -سفینه البحار(ماده رحم).

۲- ۲) -سفینه البحار(ماده رحم).

۳- ۳) -محمّد،۲۲.

۲-القطع بدل الوصل:

ذكرت الآیه الكريمه:أنّ الفاسقين. يَقْطَعُونَ مٰا أَمَرَ اللّٰهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ و فی هذا الصدد يثار سؤال يقول:هل القطع ممكن قبل الوصل؟ و الجواب:إن المقصود بالوصل استمرار الروابط التی أقرّها اللّه سبحانه بينه و بين عباده،أو بين عباده مع بعضهم بشكل طبيعی و فطری.

بعباره اخری،إن اللّه سبحانه أمر بالحفاظ علی هذه الروابط الفطريه و الطبيعيه و بصيانتها،لكنّ المذنبين يقطعونها(تأمّل بدقه).

ص: ۱۴۵

الآیتان [سوره البقره (۲): الآیات ۲۸ الی ۲۹]

اشاره

کَیْفَ تَکْفُرُونَ بِاللّٰهِ وَ کُنْتُمْ أَمْوٰاتاً فَأَحْیٰاکُمْ ثُمَّ یُمِیتُکُمْ ثُمَّ یُحْیِیکُمْ ثُمَّ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ (۲۸) هُوَ اَلَّذِی خَلَقَ لَکُمْ مٰا فِی اَلْأَرْضِ جَمِیعاً ثُمَّ اِسْتَویٰ إِلَی اَلسَّمٰاءِ فَسَوّٰاهُنَّ سَبْعَ سَمٰاوٰاتٍ وَ هُوَ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ (۲۹)

التّفسیر

اشاره

نعمه الحیاه:

القرآن فی الآیتین یلفت أنظار البشر إلی عظمه الخالق عن طریق ذکر بعض النعمّ الإلهیه و بعض المظاهر المدهشه للخلقه.و بذلک یکمل الأدله التی أوردها فی الآیتین(۲۱ و ۲۲)من هذه السّوره حول معرفه اللّه.

القرآن یبدأ فی أدلته من نقطه لا تقبل الإنکار،و یرکز علی مسأله(الحیاه) بکل ما فیها من تعقید و غموض،و یقول: کَیْفَ تَکْفُرُونَ بِاللّٰهِ وَ کُنْتُمْ أَمْوٰاتاً فَأَحْیٰاکُمْ .

و فی هذه العباره تذکیر للإنسان بما کان علیه قبل الحیاه...لقد کان میتا تماما مثل الأحجار و الأخشاب و لم یکن فیه أی أثر للحیاه،لکنه الآن یتمتع بنعمه الحیاه،و بنعمه الشعور و الإدراک.

ص: ۱۴۶

من الـذی منـح الإنسان نعمه الحیاه؟هل أن الکائن البشـری هو الـذی منح نفسه الحیاه؟!کل إنسان منصف لا یتردد أن یجیب:أن هـذه الحیاه موهوبه للإنسان من لـدن عالم قادر...عالم برموز الحیاه و قوانینها المعقـده...و قادر علی تنظیمها.إذن کیف یکفر هذا الإنسان بمن أحیاه بعد موته؟! أجمعت العلماء الیوم أن مسأله الحیاه أعقد مسأله فی عالمنا هذا،لأن لغز الحیاه لم ینحل حتی الیوم علی الرغم من کل ما حققه البشر من تقدّم هائل فی حقل العلم و المعرفه.قد یستطیع العلم فی المستقبل أن یکتشف بعض أسرار الحیاه ...لکن السؤال یبقی قائما بحاله:کیف یکفر الإنسان باللّه و ینسب هـذه الحیاه بتعقیـداتها و غموضـها و أسـرارها إلی صـنع الطبیعه العمیاء الصّماء الفاقده لکل شعور و إدراک؟! من هنا نقول إن ظاهره الحیاه فی عالم الطبیعه أعظم سند لإثبات وجود اللّه تعـالی.و القرآن یرکز فی الآـیه المـذکوره علی هـذه المسـأله بالـذات،و هی مسأله تحتاج إلی مزیـد من الـدراسه و التعمق،لکننا نکتفی هنا بهذه الإشاره.

بعد التذکیر بهذه النعمه،تؤکد الآیه علی دلیل واضح آخر و هو«الموت» ثُمَّ یُمِیتُکُمْ .

ظـاهره«المـوت»یراهـا الإنسـان فی حیـاته الیـومیه،مـن خلاـل وفـاه من یعرفهم و من لاـ یعرفهم،و هـذه الظـاهره تبعث أیضـا علی التفکیر،من الـذی قبض أرواحهم؟ ألاـ یـدلّ سـلب الحیـاه منهم علی أن هناک من منحهم هـذه الحیاه؟ نعم...إن خالق الحیاه هو خالق الموت أیضا،و إلی ذلک تشیر الآیه الکریمه:

اَلَّذِی خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَیٰاهَ لِیَبْلُوَکُمْ أَیُّکُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً

(۱)

.

بعد أن ذکرت الآیه هذین الدلیلین الواضحین علی وجود اللّه،تناولت المعاد

۱- ۱) -الملک،۲.

و الحیاه بعد الموت: ثُمَّ یُحْیِیکُمْ .

و یأتی ذکر المعاد فی سیاق هذه الآیه لیبین أن مسأله الحیاه بعد الموت (المعاد)مسأله طبیعیه جدا لا تختلف عن مسأله إحیاء الإنسان فی هذه الدنیا بل إنها أیسر من الخلق الاول(مع أن السهل و الصعب لیس لها مفهوم بالنسبه للقادر المطلق).و هل بمقدور إنسان أن ینکر إمکان المعاد و هو یری أنه خلق من عناصر میته؟! و هکذا،و بعباره موجزه رائعه یفتح القرآن أمام الإنسان سجل حیاته منذ ولادته و حتی بعثه.

و فی نهایه الآیه یقول تعالی: ثُمَّ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ .و المقصود بالرجوع هو الرجوع إلی نعم اللّه تعالی یوم القیامه.و الرجوع غیر البعث.و القرآن یفصل بین الاثنین کما فی قوله تعالی: وَ الْمَوْتیٰ یَبْعَثُهُمُ اللّٰهُ ثُمَّ إِلَیْهِ یُرْجَعُونَ (۱) .

قد یکون الرجوع فی الآیه الکریمه إشاره إلی معنی أدقّ،هو إن جمیع الموجودات تبدأ مسیره تکاملها من نقطه العدم التی هی نقطه«الصفر»و تواصل السیر نحو«اللانهایه»التی هی ذات اللّه سبحانه و تعالی.من هنا فإن هذه المسیره لا تتوقف لدی الموت،بل تستمر فی الحیاه الاخری علی مستوی أسمی.

بعد ذکر نعمه الحیاه و الإشاره إلی مسأله المبدأ و المعاد،تشیر الآیه إلی واحده اخری من النعمّ الإلهیه السابقه و تقول: هُوَ الَّذِی خَلَقَ لَکُمْ مٰا فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً .

و بهذا تعیّن الآیه قیمه الإنسان فی هذه الأرض،و سیادته علی ما فیها من موجودات.و منها نستطیع أن نفهم المهمّه العظیمه الثقلیه الموکوله إلی هذا المخلوق

۱- ۱) -الأنعام،۳۶.

فی ساحه الوجود.

و فی القرآن آیات اخری تؤکـد علی مکانه الإنسان السامیه،و توضّـح أن هـذا الکائن هو الهدف النهائی من خلق کل موجودات الکون.

وَ سَخَّرَ لَکُمْ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی الْأَرْضِ

(۱)

و ثمه آیات اخری تحدثت عن هذا المفهوم بالتفصیل کقوله تعالی (۲) .

وَ سَخَّرَ لَکُمُ الْفُلْکَ...

(۳)

.

وَ سَخَّرَ لَکُمُ الْأَنْهٰارَ...

(۴)

.

وَ سَخَّرَ لَکُمُ اللَّیْلَ وَ النَّهٰارَ...

(۵)

.

و سخر لکم البحر... (۶) .

وَ سَخَّرَ لَکُمُ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ...

(۷)

.

و تعود الآیه إلی ذکر أدله التوحید و تقول: ثُمَّ اسْتَویٰ إِلَی السَّمٰاءِ فَسَوّٰاهُنَّ سَبْعَ سَمٰاوٰاتٍ وَ هُوَ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ .

الفعل«استوى»من«الاستواء»و هو التسلط و الإحاطه الكامله و القدره على الخلق و التدبير،و كلمه«ثم»فى الآيه لا تعنى لزاما التأخير الزمانى،بل تعنى أيضا التأخير فى البيان و توالى فى ذكر الحقائق.

١- ١) -الجاثيه،١٣.

٢- ٢) -هناك دراسه أو فى لهـذا المفهوم فى الجزء السابع من هذا التّفسـير،ذيل الآيه ٢ من سوره الرعد،و ذيل الآيتين ٣٢ و ٣٣ من سوره إبراهيم.

٣- ٣) -إبراهيم،٣٢.

۴- ۴) -إبراهيم،٣٢.

۵- ۵) -إبراهيم،٣٣.

۶- ۶) -الجاثيه،١٢.

٧- ٧) -إبراهيم،٣٣.

بحوث

اشاره

۱-التناسخ أو عوده الأرواح

الآيه المذكوره أعلاه من الآيات التى ترفض بوضوح فكره التناسخ، فالمعتقدون بالتناسخ يؤمنون بأن الإنسان يعود بعد الموت ثانيه إلى هذه الحياه، بعد أن تحلّ روحه فى جسم آخر(و نطفه اخرى)،و يحيا فى هذه الدنيا حياه اخرى،و قد تتكرر هذه العوده مرات،و تكرر هذه الحياه يسمى بالتناسخ أو عوده الأرواح.

الآيه تصرح بعدم وجود أكثر من حياه واحده بعد الموت،هى حياه البعث و النشور.و بعباره اخرى توضح الآيه أن للإنسان حياتين و مماتين لا أكثر،و كان الإنسان ميتا يوم كان جزءا من الطبيعه غير الحيّه،ثم أحياه اللّه يوم ولد،ثم يميته، ثم يعيده.و لو كان التناسخ صحيحا لكان للإنسان أكثر من مماتين و حياتين.

هذا المفهوم مذكور فى آيات اخرى أيضا،سنشير إليه فى موضعه (۱) .

فكره التناسخ إذن مرفوضه قرآنيا، كما أنّه مرفوضه عقليا،و هى نوع من الرجعيه و الانتكاس فى قانون التكامل (۲) .

جدير بالذكر أنّ هذه الآيه لا تشير إلى الحياه البرزخيه(الحياه بين الموت و النشور)كما توهم البعض،بل إلى الحياه بعد الموت فى هذه الدنيا(إحياء الإنسان بعد تكونه من مواد طبيعيّه ميته)،ثم الموت بعد هذه الحياه الدنيويه،ثم الحياه الاخرى،و استمرار المسيره التكامليه نحو اللّه.

ص: ۱۵۰

۱- ۱) -موضوع«الرجعه»لا يعارض هذا المفهوم،لأنه محدود بعدد خاص من الأشخاص،و ليس بقانون عام. و الآيه المذكوره تتحدث عن قضيه عامه.

۲- ۲) -درسنا هذه المسأله فى«عود الأرواح و الارتباط بالأرواح».

۲-السّماوات السّبع

کلمه«سماء»تشیر إلی جهه علیا،و لها مفهوم واسع ذو مصادیق مختلفه.

و لذلک کان لها استعمالات عدیده فی القرآن الکریم:

۱-أطلقت أحیانا علی«الجهه العلیا»المجاوره للأرض کقوله تعالی: أَ لَمْ تَرَ کَیْفَ ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلاً کَلِمَهً طَیِّبَهً کَشَجَرَهٍ طَیِّبَهٍ أَصْلُهٰا ثٰابِتٌ وَ فَرْعُهٰا فِی السَّمٰاءِ (۱) .

۲-و عنی بها القرآن تاره المنطقه البعیده عن سطح الأرض: وَ نَزَّلْنٰا مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً مُبٰارَکاً (۲) .

۳-عبّر القرآن بها فی موضع آخر عن(الغلاف الجوی)المحیط بالأرض:

وَ جَعَلْنَا السَّمٰاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً

(۳)

. لأن هذا الغلاف یقی الکره الأرضیه من الصخور السماویه(النیازک)التی تتجه إلی الأرض لیلا و نهارا بفعل جاذبیه الأرض،لکن اصطدام هذه الصخور بجوّ الأرض یؤدی إلی اشتعالها و من ثم تحوّلها إلی رماد.

۴-و أراد القرآن بالسماء فی موضع آخر(الکرات العلیا): ثُمَّ اسْتَویٰ إِلَی السَّمٰاءِ وَ هِیَ دُخٰانٌ (۴) .

نعود الآن إلی«السماوات السبع»لنری ما المقصود من هذا العدد.تعددت آراء المفسرین و العلماء المسلمین فی ذلک.

۱-منهم من قال إنها السّیارات السّبع (۵) فی اصطلاح الفلکیین القدماء:أی

۱- ۱) -إبراهیم،۲۴.

۲- ۲) -ق،۹.

۳- ۳) -الأنبیاء،۳۲.

۴- ۴) -فصلت،۱۱.

۵- ۵) -منهم من قسّم کرات المنظومه الشمسیه العشر(تسع سیارات معروفه إضافه سیاره کانت موجوده بین المریخ و المشتری،ثم تهشمت و ظلت بقایاها تدور فی نفس المدار)إلی مجموعتین:مجموعه تحت مدار الأرض(عطارد و الزهره)و مجموعه خارج مدار الأرض و فوقه،و هی سبع سیارات.و لعلهم بهذا أرادوا تفسیر السماوات السبع بالکرات السبع الخارجیه.(تأمل بدقه).

عطارد و الزهره و المریخ و المشتری و زحل و القمر و الشمس.

۲-و منهم من قال إن المقصود بها هو الطبقات المتراکمه للغلاف الجوی المحیط بالکره الأرضیه.

۳-و منهم من قال إن العدد(سبعه)لا یراد به هذا العدد المعروف، بل یراد به الکثره،أی أن معنی«السماوات السبع»هو السماوات و الکرات الکثیره فی الکون.

و لهذا نظیر فی کلام العرب و فی القرآن،کقوله تعالی: وَ لَوْ أَنَّ مٰا فِی الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَهٍ أَقْلاٰمٌ وَ الْبَحْرُ یَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَهُ أَبْحُرٍ مٰا نَفِدَتْ کَلِمٰاتُ اللّٰهِ (۱) .

و واضح أن المقصود بالسبعه فی هذه الآیه لیس العدد المعروف،لأن علم اللّه لا ینتهی حتی و لو أن البحر یمده من بعده الآلاف المؤلفه من الأبحر.

۴-الأصح فی رأینا أن المقصود بالسماوات السبع،هو وجود سبع سماوات بهذا العدد.و تکرر هذه العباره فی آیات الذکر الحکیم یدل علی أن العدد المذکور فی هذا الآیات لا یعنی الکثره،بل یعنی العدد الخاص بالذات.

و یستفاد من آیات اخری أن کل الکرات و السیّارات المشهوده هی جزء من السماء الاولی،و ثمه سته عوالم اخری خارجه عن نطاق رؤیتنا و وسائلنا العلمیه الیوم.و هذه العوالم السبعه هی التی عبّر عنها القرآن بالسماوات السبع.

یقول تعالی: وَ زَیَّنَّا السَّمٰاءَ الدُّنْیٰا بِمَصٰابِیحَ (۲) .

و یقول أیضا: إِنّٰا زَیَّنَّا السَّمٰاءَ الدُّنْیٰا بِزِینَهٍ الْکَوٰاکِبِ (۳) .

و یتضح من هاتین الآیتین أن ما نراه و ما یتکون منه عالم الأفلاک هو جزء من السماء الاولی،و ما وراء هذه السماء ست سماوات اخری لیس لدینا الیوم معلومات عن تفاصیلها.

۱- ۱) -لقمان،۲۷.

۲- ۲) -فصلت،۱۲.

۳- ۳) -الصافات،۶.

نحن نری الیوم أنه کلما تقدمت العلوم الناقصه للبشر اکتشفت عجائب و مجاهیل عظیمه.علم الفلک تقدّم إلی مرحله بعیده جدا فی الرصد عن طریق التلسکوبات،ثم توقفت قدره الرؤیه إلی أکثر من ذلک.

أبعد ما اکتشفته دوائر الأرصاد الفلکی العالمیه حتی الآن مسافه فی الکون تعادل ألف ملیون(ملیار)سنه ضوئیه.و الراصدون یعترفون أن أقصی ما اکتشفوه هو بدایه الکون لا نهایته.و ما یدریک أن العلم سیکتشف فی المستقبل سماوات و عوامل اخری! من الأفضل أن نسمع هذا الحدیث عن لسان مرصد عالمی کبیر.

۳-عظمه الکائنات

المرصد ل«بالومر»یصف عظمه الکون کالآتی:

«...قبل نصب مرصد بالومر،کان العالم فی نظرنا لا یزید علی خمسمائه سنه ضوئیه.لکن هذا الناظور وسّع عالمنا إلی ألف ملیون سنه ضوئیه.و اکتشف علی أثر ذلک ملایین المجرات الجدیده التی یبعد بعضها عنا ألف ملیون سنه ضوئیه.أما بعد هذه المسافه فیتراءی لنا فضاء عظیم مهیب مظلم لا نبصر فیه شیئا،أی أن النور لا ینفذ إلیه کی یؤثر علی صفحه التصویر فی المرصد.

و من دون شک أن هذا الفضاء المهیب المظلم یحتوی علی مئات الملایین من المجرات التی تحافظ بجاذبیّتها علی هذا العالم المرئی.

کل هذا العالم العظیم المرئی الحاوی علی مئات آلاف الملایین من المجرات لیس إلا جزءا صغیرا جدا من عالم أعظم.و لسنا واثقین من عدم وجود عالم آخر غیر هذا العالم الأعظم» (۱) .

۱- ۱) -نقلا عن مجله«فضاء»العدد ۵۶،فروردین ۱۳۵۱.

الآيات [سوره البقره (٢): الآيات ٣٠ الی ٣٣]

اشاره

وَ إِذْ قٰالَ رَبُّکَ لِلْمَلاٰئِکَهِ إِنِّی جٰاعِلٌ فِی اَلْأَرْضِ خَلِیفَهً قٰالُوا أَ تَجْعَلُ فِیهٰا مَنْ یُفْسِدُ فِیهٰا وَ یَسْفِکُ اَلدِّمٰاءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِکَ وَ نُقَدِّسُ لَکَ قٰالَ إِنِّی أَعْلَمُ مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ (٣٠) وَ عَلَّمَ آدَمَ اَلْأَسْمٰاءَ کُلَّهٰا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَی اَلْمَلاٰئِکَهِ فَقٰالَ أَنْبِئُونِی بِأَسْمٰاءِ هٰؤُلاٰءِ إِنْ کُنْتُمْ صٰادِقِینَ (٣١) قٰالُوا سُبْحٰانَکَ لاٰ عِلْمَ لَنٰا إِلاّٰ مٰا عَلَّمْتَنٰا إِنَّکَ أَنْتَ اَلْعَلِیمُ اَلْحَکِیمُ (٣٢) قٰالَ یٰا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمٰائِهِمْ فَلَمّٰا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمٰائِهِمْ قٰالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَکُمْ إِنِّی أَعْلَمُ غَیْبَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ مٰا تُبْدُونَ وَ مٰا کُنْتُمْ تَکْتُمُونَ (٣٣)

التّفسیر

اشاره

الإنسان خلیفه اللّه فی الأرض

الآیات السابقه ذکرت أن اللّه سبحانه خلق ما فی الأرض جمیعا للإنسان، و فی هذه الآیات تقریر صریح لخلافه الإنسان و قیادته،و توضیح لمکانته المعنویه التی استحق بها کل هذه المواهب.

فی هذه الآیات عرض لخلقه آدم(أبو البشر)،و فی الآیات ٣٠ إلی ٣٩ ترکیز علی ثلاث مسائل أساسیه هی:

۱-إخبار اللّه ملائكته بشأن خلافه الإنسان فى الأرض،و ما دار فى المشهد من حوار.

۲-أمر اللّه تعالى ملائكته بإكرام و تعظيم الإنسان الأول،و هذا ما نجده فى مواضع عديده من القرآن الكريم بمناسبات مختلفه.

۳-شرح وضع آدم و حياته فى الجنّه،و الحوادث التى أدت إلى خروجه من الفردوس،ثم توبه آدم،و حياته هو و ذريته فى الأرض.

الآيات المذكوره تتحدث عن المرحله الاولى،حين شاء اللّه أن يخلق على ظهر الأرض موجودا،يكون فيها خليفته،و يحمل أشعه من صفاته،و تسمو مكانته على مكانه الملائكه،و شاء سبحانه أن تكون الأرض و نعمها و ما فيها من كنوز و معادن و إمكانات تحت تصرف هذا الإنسان.

مثل هذا الموجود بحاجه إلى قسط وافر من العقل و الشعور و الإدراك و الكفاءه الخاصه،كى يستطيع أن يتولى قياده الموجودات الأرضيه.

و بهذه المناسبه تقول الآيه الاولى: وَ إِذْ قالَ رَبُّکَ لِلْمَلائِکَهِ إِنِّی جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَهً ،و الخليفه هو النائب عن الغير.أما هذا الغير الذى ينوب الإنسان عنه فاختلفت فيه أقوال المفسرين....

منهم من قال إنه خليفه الملائكه الذين كانوا يسكنون من قبل على ظهر الأرض.و منهم من قال إنه خليفه بشر آخرين أو موجودات اخرى كانت تعيش قبل ذلك على الأرض.

و ذهب بعضهم إلى أن الخليفه إشاره إلى أن كل جيل من البشر يخلف الجيل السابق.

و الحق أن المقصود بالخليفه هو خليفه اللّه و نائبه على ظهر الأرض،كما ذهب إلى ذلك كثير من المحققين،لأن سؤال الملائكه بشأن هذا الموجود الذى قد يفسد فى الأرض و يسفك الدماء يتناسب مع هذا المعنى،لأن نيابه اللّه فى الأرض لا

تتناسب مع الفساد و سفک الدماء.

مسأله«تعلیم الأسماء»لآدم التی سیأتی شرحها،و هکذا سجود الملائکه لآدم من أدله ما ذهبنا إلیه فی تفسیر معنی الخلیفه.

الإمام جعفر بن محمّد الصّادق علیه السّلام یشیر أیضا إلی هذا المعنی فی تفسیر هذه الآیات إذ یقول: «إنّ اللّه عزّ و جلّ علّم آدم أسماء حججه کلّها ثمّ عرضهم و هم أرواح علی الملائکه فقال أنبؤنی بأسماء هؤلاء إن کنتم صادقین بأنّکم أحقّ بالخلافه فی الأرض لتسبیحکم و تقدیسکم من آدم فقالوا سبحانک لا علم لنا إلاّ ما علّمتنا إنّک أنت العلیم الحکیم قال اللّه تبارک و تعالی یا آدم أنبئهم بأسمائهم فلمّا أنبئهم بأسمائهم وقفوا علی عظیم منزلتهم عند اللّه عزّ ذکره فعلموا أنّهم أحقّ بأن یکونوا خلفاء اللّه فی أرضه و حججه علی بریّته ثمّ غیّبهم عن أبصارهم و استعبدهم بولایتهم و محبّتهم و قال لهم ألم أقل لکم إنّی أعلم غیب السّموات و الأرض و أعلم ما تبدون و ما کنتم تکتمون» (1) .

ثم تذکر الآیه سؤال الملائکه الذی وجّهوه لربّ العالمین مستفسرین لا معترضین: قٰالُوا أَ تَجْعَلُ فِیهٰا مَنْ یُفْسِدُ فِیهٰا وَ یَسْفِکُ الدِّمٰاءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِکَ وَ نُقَدِّسُ لَکَ ؟ اللّه سبحانه أجاب الملائکه جوابا مغلقا اتضح فی المراحل التالیه: قٰالَ إِنِّی أَعْلَمُ مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ .

الملائکه کانوا عالمین-کما یبدو من تساؤلهم-أن هذا الإنسان موجود یفسد فی الأرض و یسفک الدماء،فکیف عرفوا ذلک؟! قیل إن اللّه سبحانه أوضح للملائکه من قبل علی وجه الإجمال مستقبل الإنسان،و قیل إن الملائکه فهموا ذلک من خلال عباره«فی الأرض»،لأنهم علموا أن هذا الإنسان یخلق من التراب،و الماده لمحدودیتها هی حتما مرکز

۱- ۱) -«المیزان»ج ۱،ص ۱۲۱.نقلا عن معانی الأخبار،و هذا الحدیث و إن کان یوضح أکثر مکانه الأنبیاء و الأئمه-لا ینحصر بهذه الصفوه المقدسه بل إنهم المصداق الأتم و الأکمل لهذا الموضوع.

للتنافس و النزاع.و هذا العالم المحدود المادی لا یستطیع أن یشبع طبیعه الحرص فی الإنسان.و هذه الدنیا لو وضعت بأجمعها فی فم الإنسان فقد لا تشبعه.و هذا الوضع-إن لم یقترن بالالتزام و الشعور بالمسؤولیه-یؤدی إلی الفساد و سفک الدماء.

بعض المفسرین ذهب إلی أنّ تنبؤ الملائکه یعود إلی تجربتهم السابقه مع مخلوقات سبقت آدم،و هذه المخلوقات تنازعت و سفکت الدماء و خلفت فی الملائکه انطباعا مرّا عن موجودات الأرض.

هذه التفاسیر الثلاثه لا تتعارض مع بعضها.و قد یکون موقف الملائکه من استخلاف آدم ناشئا عن هذه الأسباب الثلاثه معا.

الملائکه بیّنوا حقیقه من الحقائق.و لذلک لم ینکر اللّه علیهم قولهم،بل أشار إلی أن ثمه حقائق اخری إلی جانب هذه الحقیقه،حقائق ترتبط بمکانه الإنسان فی الوجود؛و هذا ما لم تعرفه الملائکه.

الملائکه یعلمون أن الهدف من الخلقه هو العبودیه و الطاعه،و کانوا یرون فی أنفسهم مصداقا کاملا لذلک،فهم فی العباده غارقون.و لذلک فهم-أکثر من غیرهم -للخلافه لائقون،غیر عالمین أن بین عباده الإنسان الملیء بألوان الشهوات، و المحاط بأشکال الوساوس الشیطانیه و المغریات الدنیویه و بین عبادتهم-و هم خالون من کل هذه المؤثرات-بون شاسع.فأین عباده هذا الموجود الغارق وسط الأمواج العاتیه،من عباده تلک الموجودات التی تعیش علی ساحل آمن؟! ماذا تعرف الملائکه من أبناء آدم أمثال محمّد صلّی اللّه علیه و اله و سلّم و ابراهیم و نوح و موسی و عیسی و الأئمّه من أهل البیت علیهم السّلام و عباد اللّه الصالحین و الشهداء و المضحّون من الرجال و النساء الذین قدّموا وجودهم علی مذبح العشق الإلهی،و الذین تساوی ساعه من تفکّرهم سنوات متمادیه من عباده الملائکه.

الجدیر بالذکر،إن الملائکه رکنوا فی بیان فضلهم إلی ثلاثه امور:التسبیح

و الحمـد،و التقـديس،أمّا التسبيـح و الحمد فمعنا هما واضح،و هو تنزيه اللّه عزّ و جلّ من كل نقص و الاعتراف له بكل كمال و جمال.أمّا ما هو معنى التقديس؟البعض يرى أنه عباره عن تنزيه اللّه عزّ و جلّ عن كل نقص،و هو معنى التسبيح المتقدم.

و لكـن آخرين ذهبـوا إلى ان التقـديس من مـاده«قـدس»أى تطهير الأـرض من الفاسـدين و المفسـدين،أو تطهير النفس من كل رذيله،أو تطهير الجسم و الروح للّه.

و الشاهـد على ذلك كلمه«لك»،فى جمله«نقـدس لك»لأن الملائكه لم يقولوا «نقـدسك»بل«نقـدس لك»،أى تطهر المجتمع و الأرض لك.

و فى الحقيقه أن مرادهم هو القول بأن الهدف إذا كان هو الطاعه و العبوديه فنحن على أتمّ الاسـتعداد.و لو كان هو العباده فنحن فى هـذه الحـاله دائمـا،و إذا كان المقصود هو تطهير النفس أو تطهير الأرض فسوف ننفـذ هـذا الأمر.فى حين أن الإنسان المادى مضافا إلى فساده.فإنّه يفسد الأرض.

و من أجل أن تتضح الحقيقه للملائكه أقدم اللّه سبحانه على هذه التجربه ليعلموا الفرق الشاسع بينهم و بين آدم عليه السّلام.

الملائكه فى بودقه الاختبار

كان آدم يملك-بفضل اللّه-قابليه خارقه لفهم الحقائق،و شاء اللّه أن ينقل هـذه القابليه من مرحله القوّه إلى مرحله الفعل،و هـذا ما عبر عنه القرآن بقوله:

وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمٰاءَ كُلَّهٰا

.

اختلف المفسـرون فى تفسـير«تعليم الأسـماء»،و من المؤكد أن المقصود من ذلك ليس هو تعليم الأسماء دون المعانى.فذلك لا يكسب آدم فخرا بل المقصود هو معانى الأسماء و المفاهيم و المسميات.

هذا العلم بالكون و بأسرار الموجودات و خواصها،كان مفخره كبيره لآدم طبعا.

عن أبی العباس قال: سألت الإمام الصادق علیه السّلام عن قول اللّه:و علّم آدم الأسماء کلها،ماذا علّمه؟قال:«الأرضین و الجبال و الشعاب و الأودیه ثم نظر إلی بساط تحته فقال:و هذا البساط ممّا علّمه» (۱) .

علم الأسماء إذن لم یکن یشبه«علم المفردات»،بل کان یرتبط بفلسفه الأسماء و أسرارها و کیفیاتها و خواصها.و اللّه سبحانه منح آدم هذا العلم لیستطیع أن یستثمر المواهب المادیه و المعنویه فی الکون علی طریق تکامله.

کما منح اللّه آدم قابلیه التسمیه،لیستطیع أن یضع للأشیاء أسماء،و بذلک یتحدث عن هذه الأشیاء بذکر اسمها لا بإحضار عینها.و هذه نعمه کبری، نفهمها لو عرفنا أن علوم البشریه تنقل عن طریق الکتب و المدوّنات.و ما کان هذا التدوین مقدورا لو لا وضع الأسماء للأشیاء و خواصها.

ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَی الْمَلاٰئِکَهِ فَقٰالَ:أَنْبِئُونِی بِأَسْمٰاءِ هٰؤُلاٰءِ إِنْ کُنْتُمْ صٰادِقِینَ...

و أمام هذا الاختبار تراجع الملائکه لأنهم لم یملکوا هذه القدره العلمیه التی منحها اللّه لآدم، قٰالُوا:سُبْحٰانَکَ لاٰ عِلْمَ لَنٰا إِلاّٰ مٰا عَلَّمْتَنٰا إِنَّکَ أَنْتَ الْعَلِیمُ الْحَکِیمُ .

و هکذا أدرکت الملائکه تلک القدره التی یحملها آدم،التی تجعله لائقا لخلافه اللّه علی الأرض.و فهمت مکانه هذا الکائن فی الوجود.

و حان الدور لآدم کی یشرح أسماء الموجودات و أسرارها أمام الملائکه:

قٰالَ یٰا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمٰائِهِمْ فَلَمّٰا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمٰائِهِمْ قٰالَ أَ لَمْ أَقُلْ لَکُمْ إِنِّی أَعْلَمُ غَیْبَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ مٰا تُبْدُونَ وَ مٰا کُنْتُمْ تَکْتُمُونَ

.

و هنا اتضح للملائکه أن هذا الموجود هو وحده اللائق لاستخلاف الأرض.

عباره مٰا کُنْتُمْ تَکْتُمُونَ إشاره إلی أن الملائکه کانوا یخفون شیئا لم

۱- ۱) -المیزان،ج ۱،ص ۱۱۹.

یظهروه فی أقوالهم.قال بعض المفسـرین:إنها إشاره إلی حاله اسـتکبار إبلیس الذی کان یومئذ بین الملائکه.و کان یکتم إصراره علی عدم الخضوع لآدم.

و من المحتمـل أیضـا أن تکون العبـاره إشـاره إلی مـا کـان یبطنه الملائکه من اعتقاد بأنهم ألیق من غیرهم للخلافه الإلهیه علی الأرض.فهم أشاروا إلی مثل هذا الاعتقاد و لم یصرّحوا به.

جواب علی سؤالین

و یبقی سؤالان فی هـذا المجـال،الأوّل یـدور حول تعلیم اللّه لآدم،کیف تمّ ذلک؟و لو قـدّر أن یکون هـذا التعلیم من نصـیب الملائکه لنالوا نفس فضـیله آدم، فهل هناک مفخره یمتلکها آدم و لا تمتلکها الملائکه؟ أما بشأن کیفیه التعلیم فالجواب هو أن هذا التعلیم تکوینی،أی إن اللّه أودع هذا العلم فی وجود آدم بالقوه،و دفعه خلال مدّه قصیره إلی المرحله الفعلیه.

إطلاق کلمه«تعلیم»فی القرآن علی«التعلیم التکوینی»ورد فی موضع آخر من القرآن،کقوله تعالی: عَلَّمَهُ الْبَیٰانَ (۱) و واضح أن اللّه سبحانه علّم الإنسان البیان فی مدرسه الخلقه،أی منحه الکفاءه و الخصائص الفطریه اللازمه للبیان و الکلام.

أمـا الشـطر الآخر من هـذا السؤال فیتبین جوابه لو علمنـا أن الملائکه کـانت لهم خلقه خـاصه،ما کانت تؤهلهم لتلقی کل هـذه العلوم.إنهم مخلوقون لهـدف آخر،لا لهـذا الهدف،و هذه الحقیقه فهمها الملائکه و تقبلوها بعد أن مرّوا بتلک التجربه المذکوره فی الآیه.و لعلهم اعتقـدوا فی البـدایه أنهم یحملون الکفـاءه اللازمه لهـذا الهـدف،لکن اللّه بیّن لهم الفرق بین کفاءتهم و کفاءه آدم بتجربه تعلیم الأسماء.

۱- ۱) -الرحمن،۴.

أمّا السّؤال الثّانی فیرتبط بالضمیر«هم»فی قوله تعالی: ثُمَّ عَرَضَهُمْ و أسمائهم و باسم الإشاره هؤلاء فی الآیه.فالمعروف أنّ«هم»و«هؤلاء» یستعملان فی العاقل،و هذا لا ینسجم مع تفسیر«الأسماء»بأنهم أسرار الخلقه و فهم خواص جمیع الموجودات.

و الجواب هو أن استعمال الضمیر«هم»و اسم الإشاره«هؤلاء»لا یختص بالعاقل،بل قد یستعملان فی جمع مکوّن من عاقل و غیر عاقل،و قد یستعملان فی جمع غیر عاقل.کقوله تعالی: رَأَیْتُهُمْ لِی سٰاجِدِینَ (۱) و الضمیر«هم»فی الآیه یعود علی الکواکب و الشمس و القمر التی رآها یوسف.

ص:۱۶۱

۱- ۱) -یوسف،۴.

الآیات [سوره البقره (۲): الآیات ۳۴ الی ۳۶]

اشاره

وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِکَهِ اُسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِیسَ أَبی وَ اِسْتَکْبَرَ وَ کانَ مِنَ اَلْکافِرِینَ (۳۴) وَ قُلْنا یا آدَمُ اُسْکُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُکَ
اَلْجَنَّهَ وَ کُلا مِنْها رَغَداً حَیْثُ شِئْتُما وَ لا تَقْرَبا هٰذِهِ اَلشَّجَرَهَ فَتَکُونا مِنَ اَلظّالِمِینَ (۳۵) فَأَزَلَّهُمَا اَلشَّیْطانُ عَنْها فَأَخْرَجَهُما مِمّا کانا فِیهِ
وَ قُلْنَا اِهْبِطُوا بَعْضُکُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ لَکُمْ فِی اَلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتاعٌ إِلی حِینٍ (۳۶)

التّفسیر

اشاره

آدم علیه السّلام فی الجنّه

ینتقل القرآن إلی فصل آخر من موضوع عظمه الإنسان،و یقول: وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِکَهِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِیسَ أَبی وَ اسْتَکْبَرَ،وَ کانَ مِنَ الْکافِرِینَ .

یبدو للوهله الاولی أن مسأله السجود لآدم جاءت بعد تجربه الملائکه المذکوره فی الآیات السابقه و بعد تعلیم الأسماء.و لکن لو أمعنّا النظر فی آیات القرآن الکریم لألفینا أن موضوع السجود جاء بعد اکتمال خلقه الإنسان مباشره، و قبل امتحان الملائکه.

یقول تعالی: فَإِذا سَوَّیْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی فَقَعُوا لَهُ ساجِدِینَ ،

السجود إذن جاء مباشره بعد نفخ الروح فی الإنسان،و هذا المعنی جاء فی الآیه ۷۲ من سوره(ص) (۱) .

ثمه دلیل آخر علی هـذه المسأله هو أن اسـتجابه الملائکه لأمر اللّه بالسـجود، لو کانت بعد اتضاح مکانه آدم،لما اعتبرت مفخره للملائکه.

علی أی حال،الآیه المذکوره تقریر قرآنی واضح صـریح لشـرف الإنسان و عظمه مکانته.فکل الملائکه یؤمرون بالسـجود له بعد اکتمال خلقته.

حقـا،إن هـذا الموجود،اللائق لخلاـفه اللّه علی الأـرض،و المؤهـل لهـذا الشوط الکبیر من التکامل و تربیه أبناء عظام کالأنبیاء و خاصه النّبی الخاتم صلّی اللّه علیه و اله و سلّم، یستحق کل احترام.

نحن نشـعر بالتعظیم و التکریم لمن حوی بعض العلوم و علم شـیئا من القوانین و المعادلات العلمیه،فکیف حال الإنسان الأوّل مع کل تلک العلوم و المعارف الزاخره عن عالم الوجود؟!

بحثان

اشاره

۱-لماذا أبی إبلیس؟

«الشّـیطان»اسم جنس شامـل للشـیطان الأوّل و لجمیع الشّـیاطین.أمّا «إبلیس»فاسم علم للشـیطان الـذی وسوس لآدم.و إبلیس-کما صرح القرآن-مـا کـان من جنس الملاـئکه و إن کـان فی صـفوفهم،بـل کـان من طـائفه الجن،و هی مخلوقات مادیه.قال تعالی: فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِیسَ کانَ مِنَ الْجِنِّ (۲) .

۱- ۱) -إلی هذا أشار أیضا الآلوسی فی روح المعانی،و الفخر الرازی فی التّفسیر الکبیر.

۲- ۲) -الکهف،۵۰.

باعثه علی الامتناع عن السجود کبر و غرور و تعصب خاص استولی علیه حیث اعتقد أنه أفضل من آدم،و لا ینبغی أن یصدر له أمر بالسجود لآدم،بل ینبغی أن یؤمر آدم بالسجود له،و سیأتی شرح ذلک فی تفسیر الآیه ۱۲ من سوره الأعراف (۱) .

کفر إبلیس کان یعود إلی نفس السبب أیضا،فقد اعتقد بعدم صواب الأمر الإلهی، و بذلک لم یعص فحسب،بل انحرف عقائدیا.و هکذا ذهبت أدراج الریاح کل عباداته و طاعاته نتیجه کبره و غروره.و هکذا تکون دوما نتیجه الکبر و الغرور.

و عباره کٰانَ مِنَ الْکٰافِرِینَ تشیر إلی أن إبلیس کان قبل صدور الأمر الإلهی إلیه بالسجود،قد انفصل عن مسیر الملائکه و طاعه اللّه،و أسرّ فی نفسه الاستکبار و الجحود.لعله عزم فی قراره نفسه أن لا یخضع لو صدرت إلیه أوامر بالخضوع و السجود.و من المحتمل أن تکون عباره مٰا کُنْتُمْ تَکْتُمُونَ إشاره إلی ذلک.

و ورد هذا المعنی فی حدیث عن الإمام الحسن العسکری علیه السّلام. قال إبلیس «لئن أمرنی اللّه بالسّجود لهذا لعصیته إلی أن قال:ثمّ قال اللّه تعالی للملائکه:اسجدوا لآدم فسجدوا فأخرج إبلیس ما کان فی قلبه من الحسد فأبی أن یسجد» (۲) .

۲-هل کان السّجود للّه أم لآدم علیه السّلام؟

لا شک أن السجود یعنی«العباده»للّه،إذ لا معبود غیر اللّه،و توحید العباده یعنی أن لا نعبد إلاّ اللّه.

من هنا فإن الملائکه لم یؤدوا لآدم یعنی«سجده عباده»قطعا.بل کان السجود للّه من أجل خلق هذا الموجود العجیب.أو کان سجود الملائکه لآدم

ص:۱۶۴

۱- ۱) -راجع المجلد الرابع من هذا التّفسیر.

۲- ۲) -تفسیر المیزان،ج ۱،ص ۱۲۵.

سجود«خضوع»لا عباده.

جاء فی«عیون الأخبار»عن الإمام علی بن موسی الرضا علیه السّلام: «کان سجودهم للّه تعالی عبودیّه،و لآدم إکراما و طاعه،لکوننا فی صلبه» (۱) .

بعد هذا المشهد و مشهد اختبار الملائکه،أمر آدم و زوجه أن یسکنا الجنّه، کما جاء فی قوله تعالی: وَ قُلْنا یا آدَمُ اسْکُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُکَ الْجَنَّهَ،وَ کُلا مِنْها رَغَداً حَیْثُ شِئْتُما وَ لا تَقْرَبا هٰذِهِ الشَّجَرَهَ (۲) .

یستفاد من آیات القرآن أن آدم خلق للعیش علی هذه الأرض.لکنّ اللّه شاء أن یسکنه قبل ذلک الجنّه،و هی روضه خضراء موفوره النعمه فی هذا العالم، و خالیه من کل ما یزعج آدم.

لعل مرحله مکوث آدم فی الجنّه کانت مرحله تحضیریه لعدم ممارسه آدم للحیاه علی الأرض و صعوبه تحمّل المشاکل الدنیویه بدون مقدمه،و من أجل تأهیل آدم لتحمل مسئولیات المستقبل،و لتفهیمه أهمیه حمل هذه المسؤولیات و التکالیف الإلهیه فی تحقیق سعادته،و لإعطائه صوره عن الشقاء الذی یستتبع إهمال هذه التکالیف،و لتنبیهه بالمحظورات التی سیواجهها علی ظهر الأرض.

و کان من الضروری أیضا أن یعلم آدم بإمکان العوده إلی اللّه بعد المعصیه.

فمعصیه اللّه-لا تسدّ إلی الأبد-أبواب السعاده أمامه،بل یستطیع أن یرجع و یعاهد اللّه أن لا یعود لمثلها،و عند ذاک یعود إلی النعم الإلهیه.

ینبغی أن ینضج آدم علیه السّلام فی هذا الجوّ إلی حد معیّن،و أن یعرف أصدقاءه و أعداءه،و یتعلم کیف یعیش علی ظهر الأرض.نعم،کانت هذه مجموعه من التعالیم الضروریه التی تؤهله للحیاه علی ظهر الأرض.

۱- ۱) -نور الثقلین،ج ۱،ص ۵۸.

۲- ۲) -الرغد علی وزن الصمد یعنی الکثیر و الواسع و الهنیء،و عباره«حیث شئتما»تعنی:من أی مکان شئتما فی الجنّه،أو من أی نوع شئتم من فاکهه الجنّه.

كانت هذه مقدمات تأهيليه يحتاجها آدم و أبناء آدم فی حياتهم الجديده.

و لعل الفتره التی قضاها آدم فی الجنّه أن ينهض بمسؤوليه الخلافه على الأرض كانت تدريبيه أو تمرينيه.

و هنا رأى«آدم»نفسه أمام أمر إلهی يقضی بعدم الاقتراب من الشجره،لكن الشيطان أبى إلّا أن ينفذ بقسمه فی إغواء آدم و ذريته،فطفق يوسوس لآدم و يعده و زوجه-كما يبدو من سائر آيات القرآن الكريم-بالخلود و باتخاذ شكل الملائكه و أقسم أنه لهما من الناصحين. (۱)

تقول الآيه بعد ذلك: فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطانُ عَنْها فَأَخْرَجَهُما مِمّا كانا فِيهِ (۲) .

نعم.أخرجا من الجنه حيث الراحه و الهدوء و عدم الألم و التعب و العناء،على أثر وسوسه الشيطان.

و صدر لهما الأمر الإلهی بالهبوط وَ قُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ،وَ لَكُمْ فِی الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتاعٌ إِلی حِينٍ .

و هنا،فهم آدم أنه ظلم نفسه،و أخرج من الجوّ الهادی الملیء بنعم الجنّه بسبب استسلامه لوسوسه الشيطان.و هبط فی جوّ مفعم بالتعب و المشقه و العناء.مع أن آدم كان نبيّا و معصوما،فإن اللّه يؤاخذ الأنبياء بترک الأولی-كما سنری-كما يؤاخذ باقی الأفراد على ذنوبهم.و هو عقاب شديد تلقاه آدم جرّاء عصيانه.

ص: ۱۶۶

۱- ۱) -الأعراف،۲۰ و ۲۱.

۲- ۲) -مرجع الضمير فی«عنها»إمّا أن يعود على«الجنّه»و يكون معنی«ممّا كانا فيه»فی هذه الحاله:من مقامهما الذی كانا فيه.و إمّا أن يعود على«الشّجره»فيكون معنی الآيه:إن الشيطان أزلهما بوسيله الشّجره،و أخرجهما من الجنّه التی كانا فيها.

بحوث

اشاره

۱-ما هی جنّه آدم علیه السّلام؟

یبدو أن الجنّه التی مکث فیها آدم قبل هبوطه إلی الأرض،لم تکن الجنّه التی وعد بها المتقون.بل کانت من جنان الدنیا،و صقعا منعّما خلّابا من أصقاع الأرض.و دلیلنا علی ذلک:

أوّلا:الجنّه الموعوده فی القیامه نعمه خالده،و القرآن ذکر مرارا خلودها،فلا یمکن إذن الخروج منها.

ثانیا:إبلیس الملعون لیس له طریق للجنّه،و لیس لوسوسته مکان هناک.

ثالثا:وردت عن أهل البیت علیهم السّلام روایات تصرّح بذلک.

منها ما

روی عن الإمام جعفر بن محمّد الصّادق علیه السّلام أنه سئل عن جنّه آدم، فقال:«جنّه من جنّات الدّنیا،یطلع فیها.الشّمس و القمر،و لو کان من جنان الاخره ما خرج منها أبدا» (۱) .

من هذا یتضح أن هبوط آدم و نزوله إلی الأرض لم یکن مکانیا بل مقامیا.

أی أنه هبط من مکانته السامیه و من تلک الجنّه المزدانه.

من المحتمل أیضا أن تکون هذه الجنّه غیر الخالده فی إحدی الکواکب السماویه،و فی بعض الرّوایات الإسلامیه إشاره إلی أن هذه الجنّه فی السماء.

غیر أنّ من الممکن أن یکون المقصود بالسماء فی هذه الرّوایات«المقام الرفیع» لا«المکان المرتفع».

علی کل حال،توجد شواهد کثیره علی أن هذه الجنّه هی غیر جنّه الخلد الموعوده.لأن جنّه آدم بدایه مسیر الإنسان و جنّه الخلد نهایتها.و هذه مقدمه لأعمال الإنسان و مراحل حیاته،و تلک نتیجه أعمال الإنسان و مسیرته.

۱- ۱) -کتاب الکافی،نقلا عن تفسیر نور الثقلین،ج ۱،ص ۶۲.

۲-ما هو ذنب آدم؟

المكانه التی ذكرها القرآن لآدم ساميه و رفيعه،فهو خليفه اللّه فی الأرض و معلم الملائكه،و علی درجه كبيره من التقوی و المعرفه،و هو الذی سجدت له ملائكه اللّه المقربين.و من المؤكد أن آدم هذا لا يصدر عنه ذنب،إضافه إلی أنه كان نبيّا،و النّبی معصوم.

من هنا يطرح سؤال عن نوع العمل الذی صدر عن آدم.و توجد لذلك ثلاثه تفسيرات يكمل بعضها الآخر.

۱-ما ارتكبه آدم كان«تركا للأولی»أو بعباره اخری كان«ذنبا نسبيا»،و لم يكن«ذنبا مطلقا».

الذنب المطلق،و هو الذنب الذی يستحق مرتكبه العقاب أيا كان،مثل الشرك و الكفر و الظلم و العدوان.و الذنب النسبی هو الذی لا يليق بمرتكبه أن يفعله لعلوّ منزله ذلك الشخص،و إن كان ارتكابه مباحا،بل مستحبا أحيانا من قبل الأفراد العاديين.علی سبيل المثال،نحن نؤدی الصلاه بحضور القلب تاره،و بعدم حضور القلب تاره اخری.و هذه الصلاه تتناسب و شأننا،لكن مثل هذه الصلاه لا تليق بأفراد عظام مثل رسول اللّه صلّی اللّه عليه و اله و سلّم.صلاه الرّسول ينبغی أن تكون بأجمعها اتصالا عميقا باللّه تعالی،و إن فعل الرّسول غير ذلك فلا يعنی أنه ارتكب محرّما،بل يعنی أنه ترك الاولی.

و آدم كان يليق به أن لا يأكل من تلك الشجره،و إن كان الأكل منها غير محرّم بل«مكروها».

۲-نهی اللّه لآدم إرشادی،مثل قول الطبيب:لا تأكل الطعام الفلانی فتمرض.

و اللّه سبحانه قال لآدم:لا تقرب هذه الشجره فتخرج من الجنّه.و آدم فی أكله من الشجره خالف نهيا إرشاديا.

۳-الجنّه التی مكث فيها آدم لم تكن محلا للتكليف،بل كانت دوره اختباريه

و تمهیدیه لآدم کی یهبط بعدها إلی الأرض.و کان النهی ذا طابع اختیاری (۱) .

۳-المقارنه بین معارف القرآن و التوراه:

أکبر مفاخر آدم و أعظم نقاط قوته التی جعلته زبده الکون و مسجود الملائکه هی-کما یظهر من الآیات-تعلیمه الأسماء و اطلاعه علی حقائق الکون و أسراره.

واضح أن آدم خلق لهذه العلوم،و أبناء آدم-إن أرادوا التکامل-علیهم أن یستزیدوا من هذه العلوم،و تکاملهم یتناسب مرادفا مع معلوماتهم عن أسرار الخلیفه.

نعم،القرآن یصرّح بأن عظمه آدم تکمن فی هذه النقطه.و لکن التوراه تذهب إلی أن سبب خروج آدم من الجنّه و خطیئته الکبری هو اتجاهه نحو العلم و معرفه الصالح و الطالح! جاء فی الفصل الثانی من«سفر التکوین»من التوراه:

«و أخذ الرّبّ الإله آدم و وضعه فی جنّه عدن لیعلمها و یحفظها.و أوصی الرّب الإله آدم قائلا من جمیع شجر الجنّه تأکل آکلا.و أمّا شجره معرفه الخیر و الشّرّ فلا تأکل منها.

لأنّک یوم تأکل منها موتا تموت».

و جاء فی الفصل الثالث من التوراه:

«و سمعا صوت الرّبّ الإله ماشیا فی الجنّه عند هبوب ریح النّهار.فاختبأ آدم و امرأته من وجه الرّبّ الإله فی وسط شجر الجنّه.فنادی الرّبّ الإله آدم و قال له أین أنت.فقال سمعت صوتک فی الجنّه فخشیت لأنّی عریان فاختبأت.فقال من أعلمک أنّک عریان.هل أکلت من الشّجره الّتی أوصیتک أن لا تأکل منها.فقال آدم:المرأه الّتی جعلتها معی هی أعطتنی من الشّجره فأکلت....

---

۱ - ۱) -لمزید من التوضیح فی هذا المجال،راجع المجلد الرابع من هذا التّفسیر،ذیل الآیات(۱۹-۲۲)من سوره الأعراف،و المجلد العاشر ذیل الآیه(۱۲۱)من سوره طه.

و قال الرّبّ الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منّا عارفا الخير و الشّر،و الآن لعلّه يمدّ يده و يأخذ من شجره الحيوه أيضا و يأكل و يحيا إلى الأبد.فأخرجه الرّبّ الإله من جنّه عدن ليعمل الأرض الّتى أخذ منها.فطرد الإنسان و أقام شرقىّ جنّه عدن الكروبيم و لهيب سيف متقلّب لحراسه طريق شجره الحيوه»!! من هذه«الأسطوره التافهه»،التى تعرضها التوراه الحاليه باعتبارها واقعا تاريخيا يتبين لنا رأى التوراه الحاليه فى سبب خروج آدم من الجنّه،فهو على رأى هذه الأسطوره معرفه آدم بالخير و الشر،و ذنبه الأكبر هو الاتجاه نحو العلم و المعرفه!! و إن لم يمدّ آدم يده إلى«شجره الخير و الشّر»لبقى جاهلا حتى بقبح التعرّى، و لما أخرج من الجنّه،بل كان فيها خالدا.

فيا عجبا،لم إذا حزن آدم على خروجه من الجنّه إذا كان خروجه قد اقترن باكتسابه العلم و المعرفه و بتمييزه بين الخير و الشر،إنها صفقه رابحه تلك التى حصل عليها آدم،فلما ذا ندم عليها؟! و يتضح من ذلك أنّ أسطوره التوراه تقع فى النقطه المقابله للاتجاه القرآنى الذى يرى أن مكانه الإنسان و مقامه و سرّ خلقته تكمن فى«تعليمه الأسماء».

أضف إلى ما سبق أن هذه الأسطوره تتضمّن مفاهيم مشينه مخجله بشأن اللّه سبحانه و بشأن المخلوقات،كل واحده منها تثير الدهشه أكثر من غيرها،و هى عباره عن:

١-نسبه الكذب إلى اللّه،تعالى اللّه عن ذلك علوّا كبيرا(كما جاء فى الجمله ١٧ من الاصحاح الثانى:أما شجره معرفه الخير و الشر فلا تأكل منها،لأنك يوم تأكل منها موتا تموت)! ٢-نسبه البخل إلى اللّه سبحانه(كما جاء فى الجمله ٢٢ من الاصحاح الثالث:

و قال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير و الشر.و الآن لعله

یمدّ یده و یأخذ من شجره الحیاه أیضا و یأکل و یحیا إلی الأبد)! ۳-إمکان وجود الشریک للّه تعالی(کما فی العباره السابقه:قد صار کواحد منا).

۴-نسبه الحسد إلی اللّه(و یستفاد ذلک من العباره السابقه أیضا).

۵-تجسیم اللّه سبحانه(...و سمعا صوت الرب الإله ماشیا فی الجنّه عند هبوب ریح النهار)! ۶-نسبه الجهل إلی اللّه بالحوادث التی تقع قریبا منه(کما تقول هذه التوراه:

فاختبأ آدم و امرأته من وجه الربّ الإله فی وسط شجر الجنّه.فنادی الرب الإله آدم و قال له:أین أنت؟!) (و لا بدّ من التأکید هنا أن هذه الخرافه لم تکن فی التوراه المنزله،بل أضیفت فیما أضیف إلی التوراه).

۴-المقصود من الشّیطان فی القرآن

کلمه الشیطان من ماده«شطن»و«الشاطن»هو الخبیث و الوضیع.و الشیطان تطلق علی الموجود المتمرد العاصی،إنسانا کان أو غیر إنسان،و تعنی أیضا الروح الشریره البعیده عن الحق.و بین کل هذه المعانی قدر مشترک.

و الشّیطان اسم جنس عام،و إبلیس اسم علم خاص،و بعباره اخری،الشیطان کل موجود مؤذ مغو طاغ متمرّد،إنسانا کان أم غیر إنسان،و إبلیس اسم الشیطان الذی أغوی آدم و یتربّص هو و جنده الدوائر بأبناء آدم دوما.

من مواضع استعمال هذه الکلمه فی القرآن یفهم أن کلمه الشیطان تطلق علی الموجود المؤذی المضر المنحرف الذی یسعی إلی بث الفرقه و الفساد و الاختلاف.مثل قوله تعالی:

إِنَّمٰا يُرِيدُ الشَّيْطٰانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدٰاوَةَ وَ الْبَغْضٰاءَ...

(۱)

.

و فی استعمال فعل المضارع«یرید»دلاله علی استمرار إراده الشیطان علی هذا النحو.

و الاستعمال القرآنی لکلمه شیطان یشمل حتی أفراد البشر المفسدین المعادین للدعوه الإلهیه،کقوله تعالی:

وَ كَذٰلِكَ جَعَلْنٰا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيٰاطِينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ

(۲)

.

کلمه الشیطان أطلقت علی إبلیس أیضا بسبب فساده و انحرافه.

و المیکروبات المضرّه تشملها کلمه الشیطان أیضا،کما

ورد عن علی أمیر المؤمنین علیه السّلام: «لا تشربوا الماء من ثلمه الإناء و لا من عروته،فإنّ الشّیطان یقعد علی العروه و الثّلمه» (۳) .

و روی عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق علیه السّلام: «و لا یشرب من أذن الکوز،و لا من کسره إن کان فیه،فإنّه مشرب الشّیاطین» (۴) .

و عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و سلّم: «لا یطوّلنّ أحدکم شاربه فإنّ الشّیطان یتّخذه مخبئا یستتر به» (۵) .

و من الواضح أننا لا نقصد أن معنی کلمه الشیطان هو المیکروب أینما وردت هذه الکلمه،بل نقصد أن الکلمه لها معان متعدده،أحد مصادیقها الواضحه «إبلیس»و جنده و أعوانه.و مصداقها الآخر أفراد البشر المفسدون المنحرفون.

و وردت فی مواضع اخری بمعنی المیکروبات المؤذیه(تأمل بدقّه)!

۱- ۱) -المائده،۹۱.

۲- ۲) -الأنعام،۱۱۲.

۳- ۳) -کتاب الکافی،ج ۶،کتاب الأطعمه و الأشربه،باب الأوانی.

۴- ۴) -کتاب الکافی،ج ۶،کتاب الأطعمه و الأشربه،باب الأوانی.

۵- ۵) -کتاب الکافی،ج ۶،ص ۴۸۷،ح ۱۱.

۵-لماذا خلق الشيطان؟!

يثار أحيانا سؤال عن سبب خلق هذا الموجود المضل المغوى.و فى الجواب نقول:

أوّلا:لم يخلق اللّه الشيطان،شيطانا.و الدليل على ذلك وجوده بين ملائكه اللّه و على الفطره الطاهره.لكنه بعد تحرره أساء التصرف،و عزم على الطغيان و التمرّد.

إنه إذن خلق طاهرا،و سلك طريق الانحراف مختارا.

ثانيا:وجود الشيطان لا يسبب ضررا للأفراد المؤمنين،و لطلاب طريق الحق،فى منظار نظام الخليقه.بل إنه وسيله لتقدمهم و تكاملهم،إذ إن التطوّر و التقدّم يتم من خلال صراع الأضداد.

بعباره أوضح:قوى الإنسان و طاقاته الكامنه لا تتأهب و لا تتفجر إلّا حينما يواجه الإنسان عدوا قويا.هذا العدو يؤدّى إلى تحريك طاقات الإنسان و بالتالى إلى تقدّمه و تكامله.

الفيلسوف المعاصر«توينبى»يقول:«لم تظهر فى العالم حضاره راقيه إلّا بعد تعرّض شعب من الشعوب إلى هجوم خارجى قوى.و هذا الهجوم يؤدى إلى تفجير النبوغ و الكفاءات،لصنع مثل هذه الحضاره».

ص:۱۷۳

الآيات [سوره البقره (٢): الآيات ٣٧ الی ٣٩]

اشاره

فَتَلَقّی آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ اَلتَّوّابُ اَلرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اِهْبِطُوا مِنْها جَمِيعاً فَإِمّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّی هُدیً فَمَنْ تَبِعَ هُدایَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا أُولٰئِكَ أَصْحابُ اَلنّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (٣٩)

التّفسير

اشاره

عوده آدم عليه السّلام إلی اللّه

بعد حادثه وسوسه إبليس،و صدور الأمر الإلهی لآدم بالخروج من الجنّه، فهم آدم أنه ظلم نفسه،و أنه أخرج من ذلک الجوّ الهادیء المنعّم علی أثر إغواء الشيطان،ليعيش فی جوّ جديد ملیء بالتعب و النصب.و هنا أخذ آدم يفكر فی تلافی خطئه،فاتجه بكل وجوده إلی بارئه و هو نادم أشدّ الندم.

و أدركته رحمه اللّه فی هذه اللحظات كما تقول الآيه فَتَلَقّی آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ،إِنَّهُ هُوَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ .

«التوبه»فی اللغه بمعنی«العوده»،و هی فی التعبير القرآنی،بمعنی العوده عن الذنب،إن نسبت إلی المذنب.و إن نسبت كلمه التوبه إلی اللّه فتعنی عودته سبحانه إلی الرحمه التی كانت مسلوبه عن العبد المذنب.و لذلک فهو تعالی«توّاب»فی

التعبير القرآنی.

بعباره اخری«توبه»العبـد عودته إلی اللّه،لأن الذنب فرار من اللّه و التوبه رجوع إلیه.و توبه اللّه،إغداق رحمته علی عبده الآئب (۱)
.

صحیح أن آدم لم یرتکب محرّما،و لکن ترک الأولی یعتبر معصیه منه.و لذلک سرعان ما تدارک الموقف،و عاد إلی خالقه.

و سنتحدث فیما بعد عن المقصود ب«الکلمات»فی الآیه.

علی أیّ حال،لقد حدث ما لا ینبغی أن یحدث-أو ما ینبغی أن یحدث- و قبلت توبه آدم،لکن الأثر الوضعی للهبوط فی الأرض لم یتغیر،کمـا یـذکر القرآن: قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهٰا جَمِیعاً،فَإِمّٰا یَأْتِیَنَّکُمْ مِنِّی هُـدیً،فَمَنْ تَبِعَ هُـدٰایَ فَلاٰ خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لاٰ هُمْ یَحْزَنُونَ. وَ الَّذِینَ کَفَرُوا وَ کَذَّبُوا بِآیٰاتِنٰا أُولٰئِکَ أَصْحٰابُ النّٰارِ هُمْ فِیهٰا خٰالِدُونَ .

بحوث

اشاره

۱-الکلمات التی تلقاها آدم

تعددت الآراء فی تفسیر«الکلمات»،التی تلقاها آدم علیه السّلام من ربّه.

المعروف أنها الکلمات المـذکوره فی الآیه ۲۳ من سوره الأـعراف: قٰالاٰ رَبَّنٰا ظَلَمْنٰا أَنْفُسَـنٰا وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنٰا وَ تَرْحَمْنٰا لَنَکُونَنَّ مِنَ الْخٰاسِرِینَ .

و قال آخرون أن المقصود من الکلمات هذا الدعاء:

«اللّهمّ لا إله إلاّ أنت سبحانک و بحمدک،ربّ إنّی ظلمت نفسی،فاغفر لی إنّک خیر الغافرین».

۱- ۱) -و لـذلک،توبه العبـد تتعـدی بحرف الجر(إلی)،و توبه اللّه تتعـدی ب(علی)،فیقـال فی الاولی«تاب إلیه»و فی الثانیه«تاب علیه»،راجع التّفسیر الکبیر للفخر الرازی و تفسیر الصافی،ذیل آیات بحثنا.

«اللّهمّ لا إله إلّا أنت سبحانك و بحمدك،ربّ إنّى ظلمت نفسى،فارحمنى إنّك خير الرّاحمين».

«اللّهمّ لا إله إلّا أنت سبحانك و بحمدك،ربّ إنّى ظلمت نفسى،فتب علىّ إنّك أنت التّوّاب الرّحيم».

و هذا ما نقل فى روايه عن الإمام محمّد بن على الباقر عليه السّلام (1) .

مثل هذه التعابير ذكرها القرآن على لسان يونس و موسى عليهما السّلام.يونس ناجى ربّه فقال: سُبْحَانَکَ إِنِّی کُنْتُ مِنَ الظَّالِمِینَ (2) .و موسى أيضا: قَالَ رَبِّ إِنِّی ظَلَمْتُ نَفْسِی فَاغْفِرْ لِی فَغَفَرَ لَهُ (3) .

و فى روايات وردت عن طرق أهل البيت عليهم السّلام أن المقصود من«الكلمات» أسماء أفضل مخلوقات اللّه و هم:محمّد و علىّ و فاطمه و الحسن و الحسين-عليهم أفضل الصلاه و السلام-و آدم توسل بهذه الكلمات ليطلب العفو من ربّ العالمين فعفا عنه.

هذه التفاسير الثلاثه لا تتعارض مع بعضها،و لعلّ آدم تلقى من ربّه كل هذه الكلمات،كى يحدث فيه تغيير روحى تام بعد أن يعى حقيقه هذه الكلمات، و ليشمله بعد ذلك لطف اللّه و رحمته.

۲-سبب تكرار جمله«اهبطوا»

الأمر بالهبوط تكرر فى الآيتين:۳۶ و ۳۸ من هذه السّوره،أى قبل توبه آدم و حواء و بعدها.للمفسرين رأيان فى سبب التكرار،بعضهم قالوا للتأكيد،و آخرون قالوا إن موضوع الجمله الاولى يختلف عن موضوع الجمله الثانيه.

و الظاهر أن الجمله الثانيه توضح لآدم مسأله عدم انتفاء الأمر بالهبوط فى

۱- ۱) -مجمع البيان،ذيل الآيات التى نحن بصددها.

۲- ۲) -الأنبياء،۸۷.

۳- ۳) -القصص،۱۶.

الأرض بعـد قبول التوبه،و عدم الانتفاء هذا يعود إمّا إلى أن آدم قد خلق منذ البدايه لهذا الهدف،أو لأن هذا الهبوط أثر وضـعى لعمله.و هذا الأثر الوضعى لا يتغير بالتوبه.

۳-من هم المخاطبون فى جمله«اهبطوا»؟

الضـمير فى«اهبطوا»للجمع،بينما عدد المخاطبين اثنان فقط،هما آدم و زوجه.و الجمع هنا ناظر إلى النتيجه التى تسـتتبع هبوط آدم و حواء فى الأرض.

فأبناؤهما و أجيال البشر بعد هما سيستقرون على هذه المعموره.

ص :۱۷۷

الآيه [سوره البقره (۲): آیه ۴۰]

اشاره

یا بَنِی إِسْرائِیلَ اُذْکُرُوا نِعْمَتِیَ اَلَّتِی أَنْعَمْتُ عَلَیْکُمْ وَ أَوْفُوا بِعَهْدِی أُوفِ بِعَهْدِکُمْ وَ إِیّایَ فَارْهَبُونِ (۴۰)

التّفسیر

اشاره

ذکر النّعم الإلهیه

مرّت بنا فی الآیات السابقه قصّه خلافه آدم فی الأرض،و موقف الملائکه منه،ثم نسیانه العهد الإلهی و هبوطه إلی الأرض،و بعد ذلک توبته.

و من أحداث قصّه آدم علیه السّلام،اتضح أن الساحه الکونیه تنطوی دوما علی قوتین:قوّه الحق و قوّه الباطل.و هاتان القوتان متقابلتان و متصارعتان،و من اتبع الشیطان فی هذا الصراع فقد اختار طریق الباطل،و مصیره الابتعاد عن الجنّه و السّعاده،و معاناه المصائب و الآلام،و من ثمّ الندم.و من التزم بأوامر اللّه و نواهیه و تغلب علی وساوس الشیطان و أتباعه،فقد سار علی طریق الحق،و ابتعد عن نکد العیش و ضنکه و آلامه.

لمّا کانت قصّه بنی إسرائیل ابتداء من تحررهم من السیطره الفرعونیه و استخلافهم فی الأرض،و مرورا بنسیان العهد الإلهی،و انتهاء بسقوطهم فی حضیض الانحراف و العذاب و المشقه،تشبه إلی حد کبیر قصه آدم،بل هی فرع

مـن ذلـك الأصـل العـام،فـإن اللّه سـبحانه فى آيه بحثنـا و عشـرات الآيـات الاـخرى التـاليه،بيّن مقـاطع من حيـاه بنى إسـرائيل و مصيرهم،لإكمال الدرس التربوى الذى بدأ بقصه آدم.

يوجه القرآن خطابه إلى بنى إسـرائيل و يقول: يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ أَوْفُوا بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَ إِيّاىَ فَارْهَبُونِ .

الأوامر الثلاثه التى تذكرها الآيه الكريمه و هى:تذكّر النعم الإلهيه،و الوفاء بالعهد،و الخوف من اللّه،تشكل المنهج الإلهى الكامل للبشريه.

تذكّر النعم الإلهيه يحفّز الإنسان للاتجاه نحو معرفه اللّه سبحانه و شكره.

و استشـعار العهـد الإلهى الـذى يسـتتبع النعم الإلهيه يـدفع الكائن البشـرى إلى النهوض بمسؤولياته و واجباته.ثم الخوف من اللّه وحـده-دون سواه-يمنـح الإنسـان العزم على تحـدّى كـل العقبات التى تقف بوجه تحقيق أهـدافه و الالتزام بعهـده.لأن التخوف الموهوم من هذا و ذاك أهم موانع الالتزام بالعهد الإلهى.

و ظاهره الخوف كانت متغلغله فى أعماق نفوس بنى إسرائيل نتيجه السيطره الفرعونيه الطّويله عليهم.

بحوث

اشاره

۱-اليهود فى المدينه

يحتل الحـديث عن اليهود قسـما هاما من سوره البقره،التى هى أوّل سوره نزلت فى المـدينه كما صـرح بذلك بعض العلماء،لأنّ اليهود كـانوا أشـهر مجموعه من أهـل الكتـاب فى المـدينه،و كـانوا قبـل ظهور النّبى صـلّى اللّه عليه و اله و سـلّم ينتظرون رسولا بشّرت به كتبهم الدينيّه،كما أنهم كانوا يتمتعون بمكانه اقتصاديه مرموقه،و لذلک كله كان لليهود نفوذ عميق فى المدينه.

و لمّا ظهر الإسلام،باعتباره الرساله التی تقف بوجه مصالحهم اللامشروعه و انحرافاتهم و غطرستهم،فمضافا إلی عدم إیمانهم به وقفوا بوجه الدعوه،و بدأوا یحوکون ضدها المؤامرات التی لا زالت مستمره بعد أربعه عشر قرنا من البعثه النبویه المبارکه.

الآیه المذکوره و آیات تالیه أنحت باللائمه الشدیده علی الیهود،و هزت عواطفهم بذکر مقاطع حساسه من تاریخهم،بحیث لو کان لأحدهم قلیل من الموضوعیه لاستیقظ و اتجه نحو الإسلام.کما إن هذا السرد لتاریخ الیهود درس ملیء بالعبر للمسلمین.

و سنقف فی آیات تالیه بإذن اللّه عند دروس من تاریخ الیهود،مثل نجاتهم من فرعون،و انفلاق البحر لهم،و غرق الفرعونیین،و میعاد موسی فی جبل الطور، و عباده بنی إسرائیل للعجل فی غیاب موسی،و الأمر بالتوبه و قتل النفس،و نزول النعم الخاصه الإلهیه،و أمثالها من الدروس.

٢-میثاق بنی إسرائیل:

میثاق بنی إسرائیل الإلهی یتکون من اثنی عشر بندا،عشر منها ذکرت فی آیتین متوالیتین من هذه السّوره.

وَ إِذْ أَخَذْنٰا مِیثٰاقَ بَنِی إِسْرٰائِیلَ لاٰ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّٰهَ،وَ بِالْوٰالِدَیْنِ إِحْسٰاناً،وَ ذِی الْقُرْبیٰ،وَ الْیَتٰامیٰ،وَ الْمَسٰاکِینِ،وَ قُولُوا لِلنّٰاسِ حُسْناً،وَ أَقِیمُوا الصَّلاٰهَ،وَ آتُوا الزَّکٰاهَ...

وَ إِذْ أَخَذْنٰا مِیثٰاقَکُمْ لاٰ تَسْفِکُونَ دِمٰاءَکُمْ،وَ لاٰ تُخْرِجُونَ أَنْفُسَکُمْ مِنْ دِیٰارِکُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ

(١)

.

١- ١) -البقره،٨٣ و ٨۴.

و بندان ذكرا فى الآيه الكريمه:

وَ لَقَدْ أَخَذَ اللّهُ مِيثٰاقَ بَنِى إِسْرٰائِيلَ وَ بَعَثْنٰا مِنْهُمُ اثْنَىْ عَشَرَ نَقِيباً وَ قٰالَ اللّهُ إِنِّى مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاٰهَ وَ آتَيْتُمُ الزَّكٰاهَ وَ آمَنْتُمْ بِرُسُلِى،وَ عَزَّرْتُمُوهُمْ...

(۱)

.

و هما:الإيمان بالأنبياء و مؤازرتهم.

كان بنو إسرائيل قد وعدوا بالنعيم إن وفوا بعهودهم، وَ لَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنّٰاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ لكنهم نقضوا الميثاق،و لا يزالون حتى اليوم ينقضونه.

و كان نتيجه ذلك التشتيت و التشريد،و سيبقون كذلك ما داموا ناكثين.و إذا رأينا لهم يوما جوله و ضجيجا بفضل الدعم الاستكبارى لهم،فإن هذه الجوله سرعان ما ستخبو إن شاء اللّه أمام صوله أبناء الإسلام...و ها نحن نرى فى الأفق بوادر الصحوه الإسلاميه التى تدفع بالشباب أن يتخلوا عن المدارس الفكريه المنحرفه و الاتجاهات القوميه و العنصريه الكافره و يقضوا على هذا الضجيج.

۳-وفاء اللّه بعهده

نعم اللّه تستتبعها دوما قيود و شروط،و إلى جانب كل نعمه،مسئوليه و شرط.

عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام فى قوله اللّه عزّ و جلّ: أَوْفُوا بِعَهْدِى قال:قال بولايه أمير المؤمنين عليه السّلام«أوف بعهدكم أوف لكم بالجنّه» (۲) .

و لا عجب إن ورد الإيمان بولايه على عليه السّلام فى هذا الحديث،باعتباره جزءا من العهد.لأن الإيمان بالأنبياء و مؤازرتهم،من بنود العهد مع بنى إسرائيل، و يستتبع ذلك الإيمان بخلفاء الأنبياء باعتبارهم امتدادا لمسأله القياده و الولايه و هذه المسأله ينبغى تحققها بشكل يتناسب مع زمانها. موسى عليه السّلام فى زمانه كان

۱- ۱) -المائده،۱۲.

۲- ۲) -تفسير نور الثقلين،المجلد الأول الصفحه ۷۲.

يتولى مسئوليه القياده و الولايه،و الرّسول الخاتم صلّى اللّه عليه و اله و سلّم هو الذى كان يتولى هذه المسؤوليه فى عصره،ثم تولّاها فى زمن تال على بن أبى طالب عليه السّلام.

جمله إِيّٰایَ فَارْهَبُونِ تأكيد على كسر كل حواجز الخوف القائمه فى طريق الوفاء بالعهد الإلهى،و على الخوف من اللّه وحده دون سواه،و هذا الحصر يتضح من تقديم ضمير النصب المنفصل«إيّاى»على جمله«فارهبون».

۴-لماذا سمى اليهود«بنى إسرائيل»؟

«إسرائيل»أحد أسماء يعقوب والد يوسف،و فى سبب تسميه يعقوب بهذا الاسم،ذكر المؤرّخون غير المسلمين عللا ممزوجه بالخرافه.

ورد فى«قاموس الكتاب المقدس»:«أن إسرائيل تعنى الشخص المنتصر على اللّه»!!و يقول:«و هذه الكلمه لقّب بها يعقوب بن إسحاق بعد أن صرع الملك الإلهى».

و يقول تحت عنوان«يعقوب»:إنه أثبت مقاومته و استقامته و إيمانه،و فى هذه الحاله غيّر اللّه اسمه إلى«إسرائيل»،و وعده أن يكون أبا لكل الطوائف...ثم مات بعد أن هرم،و دفن كما يدفن السلاطين الدنيويون و أطلق اسم يعقوب و إسرائيل على جميع قومه».

و يقول تحت كلمه«إسرائيل»:«لهذا الاسم معان كثيره،يقصد به أحيانا نسل إسرائيل و نسل يعقوب» (۱) .

أمّا علماؤنا كالمفسر المعروف«الطبرسى رحمه اللّه»فيقول فى«مجمع البيان»: إن إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السّلام و إن«أسر»تعنى«العبد»و«ئيل»

۱- ۱) -قاموس الكتاب المقدس،ص ۵۳ و ۹۵۷.

بمعنی اللّه،فیکون معنی إسرائیل عبد اللّه.

واضح أن ما تتحدث عنه التوراه من مصارعه بین یعقوب و الملک الإلهی،أو بین یعقوب و اللّه،خرافه و سخافه لا تتناسب إطلاقا مع الکتاب الإلهی،و هی أوضح دلیل علی تحریف التوراه الموجوده.

ص:۱۸۳

الآیات [سوره البقره (۲): الآیات ۴۱ الی ۴۳]

اشاره

وَ آمِنُوا بِمٰا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمٰا مَعَکُمْ وَ لاٰ تَکُونُوا أَوَّلَ کٰافِرٍ بِهِ وَ لاٰ تَشْتَرُوا بِآیٰاتِی ثَمَناً قَلِیلاً وَ إِیّٰایَ فَاتَّقُونِ (۴۱) وَ لاٰ تَلْبِسُوا اَلْحَقَّ بِالْبٰاطِلِ وَ تَکْتُمُوا اَلْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۴۲) وَ أَقِیمُوا اَلصَّلاٰهَ وَ آتُوا اَلزَّکٰاهَ وَ اِرْکَعُوا مَعَ اَلرّٰاکِعِینَ (۴۳)

سبب النّزول

ذکر بعض المفسرین العظام روایه عن الإمام محمّد بن علی الباقر علیه السّلام:فی سبب نزول هذه الآیه قال:«کان حیّ بن أخطب و کعب بن أشرف و آخرون من الیهود، لهم مأکله علی الیهود فی کلّ سنه،فکرهوا بطلانها بأمر النّبیّ صلّی اللّه علیه و اله و سلّم،فحرّفوا لذلک آیات من التّوراه فیها صفته و ذکره فذلک الثّمن الّذی أرید فی الآیه» (۱) .

التّفسیر

اشاره

جشع الیهود

الآیات المذکوره أعلاه تتطرق إلی تسعه من بنود العهد الذی أخذه اللّه علی

۱- ۱) -تفسیر مجمع البیان،المجلد الأول ذیل الآیه.

بنی إسرائیل.

یقول تعالی: وَ آمِنُوا بِمٰا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمٰا مَعَکُمْ ،فالقرآن مصدق لما مع الیهود من کتاب،أی أن البشائر التی زفتها التوراه و الکتب السماویه الاخری بشأن النّبی الخاتم،و الأوصاف التی ذکرتها لهذا النّبی و الکتاب السماوی تنطبق علی محمّد صلّی اللّه علیه و اله و سلّم،و علی القرآن المنزل علیه،فلما ذا لا تؤمنون به؟! ثمّ یقول سبحانه: وَ لاٰ تَکُونُوا أَوَّلَ کٰافِرٍ بِهِ أی-لا عجب أن یکون المشرکون و الوثنیون فی مکه-کفّارا بالرساله،بل العجب فی کفرکم،بل فی کونکم روّادا للکفر،و سباقین للمعارضه.لأنکم أهل الکتاب،و کتابکم یحمل بشائر ظهور هذا النّبی،و کنتم لذلک تترقبون ظهوره.فما عدی ممّا بدا؟و لماذا کنتم أول کافر به؟!.

إنه تعنتهم الذی لولاه لکانوا أول المؤمنین برساله النّبی الخاتم صلّی اللّه علیه و اله و سلّم.

المقطع الثالث من الآیه یقول: وَ لاٰ تَشْتَرُوا بِآیٰاتِی ثَمَناً قَلِیلاً .

آیات اللّه،لا ینبغی-دون شک-معاوضتها،بأی ثمن،قلیلا کان أم کثیرا.

و فی تعبیر هذه الآیه إشاره إلی دناءه هذه المجموعه من الیهود،التی تنسی کل التزاماتها من أجل مصالحها التافهه.هذه الفئه،التی کانت قبل البعثه من المبشرین بظهور نبی الإسلام صلّی اللّه علیه و اله و سلّم،و بکتابه السماوی،أنکرت بشارات التوراه و حرفتها، حین رأت مصالحها معرضه للخطر،و علمت أن مکانتها الاجتماعیه معرضه للإنهیار عند انکشاف الحقیقه للناس.

فی الواقع،لو أعطیت الدنیا بأجمعها لشخص ثمنا لإنکار آیه واحده من آیات اللّه،لکان ثمنا قلیلا،لأنّ هذه الحیاه فانیه،و الحیاه الاخری هی دار البقاء و الخلود.فما بالک بإنسان یفرّط بهذه الآیات الإلهیه فی سبیل مصالحه التافهه؟! فی المقطع الرابع تقول الآیه: وَ إِیّٰایَ فَاتَّقُونِ ،و الخطاب موجّه إلی زعماء الیهود الذین یخشون أن ینقطع رزقهم،و أن یثور المتعصبون الیهود ضدّهم،

و تطلب منهم أن يخشوا اللّه وحده،أى أن يخشوا عصيان أوامره سبحانه.

فى البند الخامس من هذه الأوامر ينهى اللّه سبحانه عن خلط الحق بالباطل وَ لاٰ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبٰاطِلِ .

و فى البند السادس ينهى عن كتمان الحق: ...وَ تَكْتُمُوا الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ .

كتمان الحق،مثل خلط الحق بالباطل ذنب و جريمه، و الآيه تقول لهم:قولوا الحق و لو على أنفسكم،و لا تشوهوا وجه الحقيقه بخلطها بالباطل و إن تعرضت مصالحكم الآنيه للخط.

البند السابع و الثامن و التاسع من هذه الأوامر يبينه قوله تعالى: وَ أَقِيمُوا الصَّلاٰةَ وَ آتُوا الزَّكٰاةَ وَ ارْكَعُوا مَعَ الرّٰاكِعِينَ .

البند الأخير يأمر بالصلاه جماعه،غير أن«الركوع»هو الذى ذكر دون غيره من أجزاء الصلاه،و لعل ذلك يعود إلى أنّ صلاه اليهود كانت خاليه من الركوع، تماما،بينما احتل الركوع مكان الرّكن الأساسى فى صلاه المسلمين.

و من الملفت للنظر أنّ الآيه لم تقل«أدّوا الصلاه»،بل قالت: أَقِيمُوا الصَّلاٰةَ ،و هذا الحث يحمّل الفرد مسئوليه خلق المجتمع المصلى،و مسئوليه جذب الآخرين نحو الصلاه.

بعض المفسرين قال إن تعبير«أقيموا»إشاره إلى إقامه الصلاه كامله،و عدم الاكتفاء بالاذكار و الأوراد،و أهم أركان كمال الصلاه حضور القلب و الفكر لدى اللّه سبحانه،و تأثير الصلاه على المحتوى الداخلى للإنسان (۱) .

هذه الأوامر الأخيره تتضمن فى الحقيقه:أولا بيان ارتباط الفرد بخالقه (الصلاه)،ثمّ ارتباطه بالمخلوق(الزكاه)،و بعد ذلك ارتباط المجموعه البشريه مع

۱- ۱) -المنار،ج ۲،ص ۲۹۳،و مفردات الراغب،ماده«قوم».

بعضها على طريق اللّه!

بحث

اشاره

هل يؤيّد القرآن ما جاء فى التّوراه و الإنجيل؟!

فى مواضع عديده يصرّح القرآن بتصديقه لما جاء فى الكتب الإلهيه السابقه، كما جاء فى الآيه المذكوره: مُصَدِّقاً لِمٰا مَعَكُمْ و كما جاء فى الآيتين ۸۹ و ۱۰۱ من سوره البقره: مُصَدِّقٌ لِمٰا مَعَهُمْ .و فى الآيه ۴۸ من سوره المائده: وَ أَنْزَلْنٰا إِلَيْكَ الْكِتٰابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمٰا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتٰابِ .

بعض دعاه اليهوديه و النصرانيه.استدلوا بهذه الآيات لإثبات عدم تحريف التوراه و الإنجيل.و قالوا:إن التوراه و الإنجيل فى عصر نبى الإسلام لا يختلفان حتما عمّا عليه الآن.و إن أصابهما تحريف فهذا التحريف يعود إلى فتره سابقه على ذلك العصر.و لما كان القرآن قد أيّد صحه التوراه و الإنجيل الموجودين فى عصر نبى الإسلام،فعلى المسلمين أن يعترفوا بصحه هذين الكتابين الموجودين بين ظهرانينا اليوم.

الجواب

يؤكد القرآن فى مواضع عديده وجود علائم نبى الإسلام و دينه فى تلك الكتب المحرفه التى كانت موجوده فى أيدى اليهود و النصارى آنذاك.و هذا يعنى وجود حقائق فى تلك الكتب لم تمتد إليها يد التحريف،ذلك لأنّ التحريف لا يعنى تغيير كل نصوص تلك الكتب السماويّه،بل إن تلك الكتب كانت تحمل بين طياتها حقائق،و من تلك الحقائق علامات النّبى الخاتم (و لا زالت بعض هذه البشائر

ص: ۱۸۷

مشهوده فی الکتب الموجوده الآن).

بعثه النّبی الخاتم صلّی اللّه علیه و اله و سلّم و کتابه السماوی تصدیق لما جاء فی تلک الکتب من علامات،أی تحقیق عملی لتلک العلامات.و کلمه التصدیق بمعنی(التحقیق العملی)وردت فی مواضع اخری من القرآن الکریم کقوله تعالی لنبیّه إبراهیم علیه السّلام:

قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْیٰا

(۱)

.

أی أنک قد حققت عملیا رؤیاک.

و تصرح الآیه ۱۵۷ من سوره الأعراف بأن الرّسول الأعظم صلّی اللّه علیه و اله و سلّم تحقیق عملی لما یجدونه مکتوبا فی التوراه و الإنجیل: اَلَّذِینَ یَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِیَّ الْأُمِّیَّ الَّذِی یَجِدُونَهُ مَکْتُوباً عِنْدَهُمْ فِی التَّوْرٰاهِ وَ الْإِنْجِیلِ... (۲) .

علی أی حال،لیس فی الآیات المذکوره دلاله علی تصدیق جمیع محتویات التوراه و الإنجیل،بل دلالتها تقتصر علی«التصدیق العملی»لما جاء فی الکتب الموجوده بید الیهود و النصاری بشأن النّبی الخاتم و کتابه.هذا،إلی جانب وجود آیات عدیده فی القرآن تتحدث عن تحریف الیهود و النصاری لآیات التوراه و الإنجیل،و هو شاهد حیّ صریح علی مسأله التحریف.

شاهد حیّ آخر:

«فخر الإسلام»-الذی کان من کبار قساوسه المسیحیین،و تتلمذ عند علمائهم حتی حاز مراتب کبیره فی الدراسات الکنیسیه-یتحدث فی مقدمه کتابه «أنیس الاعلام»عن انتقاله من المسیحیه إلی الإسلام فیقول:

«...بعد بحث طویل و عناء کبیر و تجوال فی المدن، عثرت علی قسیس کبیر متمیز فی زهده و تقواه،کان یرجع إلیه الکاتولیک بما فیهم سلاطینهم،تعلمت علیه

۱- ۱) -الصافات،۱۰۵.

۲- ۲) -الأعراف،۱۵۷.

زمنا مـذاهب النصارى،و كان له طلاب كثيرون،و لكنه كان ينظر إلىّ من بينهم نظره خاصه،و كانت كل مفاتيح البيت بيـدى،إلاّ مفتاحا واحدا لغرفه صغيره،احتفظ به عنده....

و فى يوم اعتلّت صـحه القسـيس،فقال لى:قل للطلاب إنى لا أسـتطيع التـدريس اليوم.حينما جئت الطلاب وجدتهم منهمكين فى نقاش حول معنى «فارقليطا»فى السريانيه،و«پريكلتوس»فى اليونانيه...و استمر بينهم النقاش، و كل كان يدلى برأيه....

بعد أن عدت إلى الأستاذ سألنى عما كان يدور بين الطلاب،فأخبرته،فقال لى:و ما رأيك؟ قلت:اخترت الرأى الفلانى.

قـال القسـيس:مـا قصّـرت فى عملـك،و لكن الحقّ غير ذلك.لأـن حقيقه هـذا الأـمر لاـ يعلمها إلاّ الراسـخون فى العلم،و قليل ما هم،أكثرت فى الإلحاح عليه أن يوضـح لى معنى الكلمه،فبكى بكاء مرّا و قال:لم أخف عليك شـيئا...إن لفهم معنى هذه الكلمه أثرا كبيرا،و لكنه إن انتشـر فسـنتعرض للقتل!فإن عاهـدتنى أن لا تفشـيه فسأخبرك...فأقسـمت بكل المقدسات أن لا أذكر ذلك لأحد،فقال:إنه اسم من أسماء نبى المسلمين،و يعنى«أحمد»و«محمّد».

ثم أعطانى مفتاح الغرفه و قال:افتـح الصـندوق الفلانى،و هات الكتابين اللذين فيه،جئت إليه بالكتابين و كانا مكتوبين باليونانيه و السريانيه على جلد، و يعودان إلى عصر ما قبل الإسلام.

الكتابـان ترجمـا«فارقليطـا»بمعنى أحمـــد و محمّـد،ثـم أضـاف الأســتاذ:علمـاء النصـارى كـانوا مجمعيــن قبـل ظهــوره أن«فارقليطـا»بمعنى«أحمـد و محمّـد»،و لكن بعـد ظهور محمّـد صـلّى اللّه عليه و اله و سـلّم،غيّروا هـذا المعنى حفظا لمكانتهم و رئاستهم و أوّلوه، و اخترعوا له معنى آخر لم يكن على الإطلاق هدف صاحب الإنجيل.

سألته عما يقوله بشأن دين النصاری؟قال:لقد نسخ بمجیء الإسلام،و کرر ذلک ثلاثا،ثم قلت:

ما هی طریقه النجاه و الصراط المستقیم فی زماننا هذا؟قال:إنما هی باتباع محمّد صلّی اللّه علیه و اله و سلّم.

قلت:و هل التابعون له ناجون؟ قال:إی و اللّه،و کرر ذلک ثلاثا.

ثم بکی الأستاذ و بکیت کثیرا ثم قال:إذا أردت الآخره و النجاه فعلیک بدین الحق...و أنا أدعو لک دائما،شرط أن تکون شاهدا لی یوم القیامه أنّی کنت فی الباطن مسلما،و من أتباع محمّد صلّی اللّه علیه و اله و سلّم...و ما من شک أن الإسلام هو دین اللّه الیوم علی ظهر الأرض» (۱) .

و کما یلاحظ فإن هـذه الوثیقه الهامه تصرّح بما فعله علماء أهل الکتاب بعد ظهور نبی الإسلام صلّی اللّه علیه و اله و سلّم من تحریف لتفسیر اسم النّبی و علاماته،تحقیقا لمصالحهم الشخصیه.

۱- ۱) -نقلا باختصار عن«الهدایه الثانیه»مقدمه کتاب«أنیس الأعلام».

الآیه [سوره البقره (۲): الآیات ۴۴ الی ۴۶]

اشاره

أَ تَـأْمُرُونَ اَلنّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَـکُمْ وَ أَنْتُمْ تَتْلُونَ اَلْکِتابَ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (۴۴) وَ اِسْـتَعِینُوا بِالصَّبْرِ وَ اَلصَّلاهِ وَ إِنَّها لَکَبِیرَهٌ إِلاّ عَلَی اَلْخاشِعِینَ (۴۵) اَلَّذِینَ یَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَ أَنَّهُمْ إِلَیْهِ راجِعُونَ (۴۶)

التّفسیر

أَ تَأْمُرُونَ النّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَکُمْ

؟! هذا السّؤال الاسـتنکاری-و إن کان موجها إلی بنی إسـرائیل کما یتبین من سیاق الآیات السابقه و التالیه-له حتما مفهوم واسع یشمل الآخرین أیضا.

قال«الطّبرسی رحمه اللّه»فی«مجمع البیان»:هذه الآیه خطاب لعلماء الیهود.

وبّخهم اللّه تعالی علی ما کانوا یفعلون من أمر النّاس بالإیمان بمحمّد صلّی اللّه علیه و اله و سلّم و ترک أنفسهم فی ذلک.

و قال أیضا:کان علماء الیهود یقولون لأقربائهم من المسلمین اثبتوا علی ما أنتم علیه و لا یؤمنون هم.

لـذلک کانت الآیه الأولی من الآیات التی یـدور حولها بحثنا تحمل توبیخا لهذا العمل: أَ تَأْمُرُونَ النّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَـکُمْ،وَ أَنْتُمْ تَتْلُونَ الْکِتابَ،أَ فَلا

ص: ۱۹۱

تَعْقِلُونَ

؟! منهج الدعاه إلى اللّه يقول على أساس العمل أوّلا ثم القول.فالدّاعيه إلى اللّه يبلّغ بعمله قبل قوله،كما

جاء فى الحديث عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام:

كونوا دعاه الناس بأعمالكم و لا تكونوا دعاه بألسنتكم (۱) .

التأثير العميق للـدعوه العمليه يأتى من قـدره مثل هـذه الـدعوه على فتح منافذ قلب السامع،فالسامع يثق بما يقوله الداعيه العامل،و يرى أن هذا الداعيه مؤمن بما يقول و أن ما يقوله صادر عن القلب.و الكلام الصادر عن القلب ينفذ إلى القلب.

و أفضل دليل على إيمان القائل بما يقوله،هو العمل بقوله قبل غيره،كما

يقول على عليه السّلام: «أيّها النّاس إنّى و اللّه ما أحثّكم على طاعه إلاّ و أسبقكم إليها،و لا أنهاكم عن معصيه إلاّ و أتناهى قبلكم عنها» (۲) .

و فى حـديث عن الإمام جعفر بن محمّـد الصادق عليه السّـلام: «من أشـدّ النّاس عـذابا يوم القيامه من وصف عدلا و عمل بغيره» (۳) .

علماء اليهود كانوا يخشون من انهيار مراكز قدرتهم و تفرّق عامه النّاس عنهم،إن اعترفوا برساله خاتم الأنبياء صـلّى اللّه عليه و اله و سلّم،و لذلك حرّفوا ما ورد بشأن صفات نبى الإسلام فى التوراه.

و القرآن يحث على الاسـتعانه بالصبر و الصّـلاه للتغلب على الأهواء الشخصـيه و الميول النفسـيه،فيقول فى الآيه التاليه: وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاٰهِ ثم يؤكد أن هذه الاستعانه ثقيله لا ينهض بعبئها إلا الخاشعون: وَ إِنَّهٰا لَكَبِيرَهٌ إِلاّٰ عَلَى الْخٰاشِعِينَ .

و فى الآيه الأخيره من هذه المجموعه وصف للخاشعين: اَلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاٰقُوا رَبِّهِمْ وَ أَنَّهُمْ إِلَيْهِ رٰاجِعُونَ .

ص: ۱۹۲

۱- ۱) -سفينه البحار،ماده«عمل».

۲- ۲) -نهج البلاغه،الخطبه ۱۷۵.

۳- ۳) -تفسير نور الثقلين،ج ۱،ص ۶۴.

کلمه«یظنّون»من ماده«ظنّ»و قد تأتی بمعنی الیقین (۱) .و فی هـذا الموضع تعنی الإیمان و الیقین القطعی.لأن الإیمان بلقاء اللّه و الرجوع إلیه،یحیی فی قلب الإنسـان حـاله الخشوع و الخشـیه و الإحساس بالمسؤولیه،و هـذا أحـد آثار تربیه الإنسان علی الإیمان بالمعـاد،حیث تجعـل هـذه التربیه الفرد مائلاـ دوما أمام مشـهد المحکمه الکبری،و تـدفعه إلی النهوض بالمسؤولیه و إلی الحق و العدل.

و یحتمـل أن یکون اسـتعمال«الظن»فی الآـیه للتأکیـد،أی أن الإنسان لو ظنّ بالآخره فقط،فظنه کاف لأن یصـده عن ارتکاب أی ذنب.و هو تقریع لعلماء الیهود و تأکید علی أنهم لا یمتلکون إیمانا بالیوم الآخر حتی علی مستوی الظن، فلو ظنوا بالآخره لأحسّوا بالمسؤولیه،و کفّوا عن هذه التحریفات! (۲)

بحثان

اشاره

۱-ما هو لقاء اللّه؟

عبـاره«لقـاء اللّه»وردت مرارا فی القرآن الکریم،و تعنی بأجمعهـا الحضور علی مسـرح القیامه.من البـدیهی أن المقصود بلقاء اللّه لیس هو اللقاء الحسّـِی،کلقاء أفراد البشـر مع بعضـهم،لأن اللّه لیس بجسم،و لا یحده مکان،و لا یری بالعین.بل المقصود مشاهده آثار قدره اللّه و جزاءه و عقابه و نعمه و عذابه علی ساحه القیامه، کما ذهب إلی ذلک جمع من المفسرین.

أو إن المقصود الشهود الباطنی و القلبی،لأن الإنسان یصل درجه کأنه یری

۱- ۱) -یقول الراغب فی المفردات:الظن اسم لما یحصل عن أماره متی قویت أدّت إلی العلم،و متی ضعفت جدا لم یتجاوز حدّ التوهم.

۲- ۲) -المنار،ج ۱،ص ۳۰۲،و المیزان،ج ۱،ص ۱۵۴.و تفسیر روح المعانی،ج ۱،ص ۲۲۸.و فی آیـات اخری إشاره إلی هـذا المعنی کقوله تعالی: فَمَنْ کٰانَ یَرْجُوا لِقٰاءَ رَبِّهِ فَلْیَعْمَلْ عَمَلاً صٰالِحاً (الکهف،۱۰).

اللّه ببصيرته أمامه،بحيث لا يبقى فى نفسه أى شك و ترديد.

هذه الحاله قد تحصل للأفراد نتيجه الطّهر و التقوى و العباده و تهذيب النفس فى هذه الدنيا.و

فى«نهج البلاغه»نقرأ: أن«ذعلب اليمانى»و هو من فضلاء أصحاب الإمام على بن أبى طالب عليه السّلام،سأل عليا هل رأيت ربّك؟ أجابه على:أ فأعبد ما لا أرى؟! و حين طلب ذعلب مزيدا من التوضيح قال الإمام:

«لا تدركه العيون بمشاهده العيان،و لكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان» (۱) .

هذا الشهود الباطنى ينجلى للجميع يوم القيامه،و لا يبقى أحد إلاّ و قد آمن إيمانا قاطعا،لوضوح آثار عظمه اللّه و قدرته فى ذلك اليوم.

۲-سبيل التغلب على الصعاب

ثمه منطلقان أساسيان للتغلب على الصعاب و المشاكل،أحد هما داخلى، و الآخر خارجى.

أشارت الآيه إلى هذين المنطلقين بعباره«الصبر»و«الصلاه».فالصبر هو حاله الصمود و الاستقامه و الثبات فى مواجهه المشاكل،و الصلاه هى وسيله الارتباط باللّه حيث السند القوىّ المكين.

كلمه«الصبر»فسرت فى روايات كثيره بالصوم،لكنها لا تنحصر حتما.بل الصوم أحد المصاديق الواضحه البارزه للصبر.لأن الإنسان يحصل فى ظل هذه العباده الكبرى على الإراده القويه و الإيمان الراسخ و القدره على التحكم فى الميول و الرغبات.

روى بعض المفسرين فى تفسير هذه الآيه: أن النّبى صلّى اللّه عليه و اله و سلّم كان إذا أحزنه أمر

۱- ۱) -نهج البلاغه،الكلام ۱۷۹.

استعان بالصلاه و الصوم (۱) .

و عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق علیه السّلام أنه قال: «ما یمنع أحدکم إذا دخل علیه غمّ من غموم الدّنیا أن یتوضّا ثمّ یدخل المسجد فیرکع رکعتین یدعو اللّه فیهما،أما سمعت اللّه تعالی یقول:و استعینوا بالصّبر و الصّلاه» (۲) .

التوجه إلی الصلاه و التضرّع إلی اللّه سبحانه یمنح الإنسان طاقه جدیده تجعله قادرا علی مواجهه المشاکل.

و فی کتاب«الکافی»عن الصادق علیه السّلام: «کان علیّ علیه السّلام إذا هاله أمر فزع إلی الصّلاه ثمّ تلا هذه الآیه:و استعینوا بالصّبر و الصّلاه».

نعم،الصلاه تربط الإنسان بالقدره اللامتناهیه التی لا یقهرها شیء.و هذا الإحساس یبعث فی الإنسان قوّه و شهامه علی تحدّی المشاکل و الصعاب.

۱- ۱) -الطبرسی،مجمع البیان،ذیل الآیه المذکوره.

۲- ۲) -نفس المصدر.

الآیتان [سوره البقره (٢): الآیات ۴٧ الی ۴٨]

اشاره

یا بَنِی إِسْرائِیلَ اُذْکُرُوا نِعْمَتِیَ اَلَّتِی أَنْعَمْتُ عَلَیْکُمْ وَ أَنِّی فَضَّلْتُکُمْ عَلَی اَلْعالَمِینَ (۴٧) وَ اِتَّقُوا یَوْماً لا تَجْزِی نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَیْئاً وَ لا یُقْبَلُ مِنْها شَفاعَهٌ وَ لا یُؤْخَذُ مِنْها عَدْلٌ وَ لا هُمْ یُنْصَرُونَ (۴٨)

التّفسیر

اشاره

أوهام الیهود

فی هذه الآیات خطاب آخر إلی بنی إسرائیل فیه تذکیر بنعم اللّه: یا بَنِی إِسْرائِیلَ اذْکُرُوا نِعْمَتِیَ الَّتِی أَنْعَمْتُ عَلَیْکُمْ .

هذه النعم سابغه واسعه النطاق،ابتداء من الهدایه و الإیمان،و انتهاء بالنجاه من فرعون و نیل العظمه و الاستقلال.

ثم تشیر الآیه من بین کل هذه النعم إلی نعمه التفضیل علی بقیه البشر،و هی نعمه مرکبه من نعم مختلفه،و تقول: وَ أَنِّی فَضَّلْتُکُمْ عَلَی الْعالَمِینَ .

لعل البعض تصور أن هذا التفضیل صفه أبدیه مستمره علی مرّ العصور. لکن دراسه سائر آیات القرآن تبین أن هذا التفضیل هو تفضیل بنی إسرائیل علی غیرهم من أفراد عصرهم و منطقتهم،لا تفضیلا مطلقا.فالقرآن الکریم یخاطب

المسلمين فی آیه اخری و یقول: کُنْتُمْ خَیْرَ أُمَّهٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ... (۱) .

کما یتحدث القرآن عن وراثه بنی إسرائیل للأرض فیقول: وَ أَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِینَ کانُوا یُسْتَضْعَفُونَ مَشارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغارِبَهَا (۲) .

و واضح أن هذه الوراثه لم تکن تشمل آنذاک جمیع العالم،و المقصود من الآیه مشارق المنطقه التی کانوا یعیشون فیها و مغاربها،من هنا فالتفضیل علی العالمین هو تفضیلهم علی أفراد منطقتهم.

الآیه التالیه ترفض أوهام الیهود،التی کانوا یتصورون بموجبها أن الأنبیاء من أسلافها سوف یشفعون لهم،أو أنّهم قادرون علی دفع فدیه و بدل عن ذنوبهم، کدفعهم الرشوه فی هذه الحیاه الدنیا.

القرآن یخاطبهم و یقول: وَ اتَّقُوا یَوْماً لا تَجْزِی نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَیْئاً.وَ لا یُقْبَلُ مِنْها شَفاعَهٌ.وَ لا یُؤْخَذُ مِنْها عَدْلٌ وَ لا هُمْ یُنْصَرُونَ .

الحاکم أو القاضی فی تلک المحکمه الإلهیه،لا یقبل سوی العمل الصالح، کما تقول الآیه الکریمه: یَوْمَ لا یَنْفَعُ مالٌ وَ لا بَنُونَ إِلاّ مَنْ أَتَی اللّهَ بِقَلْبٍ سَلِیمٍ (۳) .

إنّ الآیه المذکوره من سوره البقره،تشیر فی الواقع إلی ما یجری من محاولات فی هذه الحیاه الدنیا لانقاذ المذنب من العقاب.

ففی الحیاه الدنیا قد یتقدم إنسان لدفع غرامه عن إنسان مذنب لانقاذه من العقاب،أما فی الآخره فإنّه: لا تَجْزِی نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ .

و ربّما یلجأ المذنب فی هذه الحیاه إلی الشفعاء لینقذوه ممّا ینتظره من الجزاء،و یوم القیامه ...لا یُقْبَلُ مِنْها شَفاعَهٌ .

و إذا لم توجد الشفاعه،یتقدم الإنسان فی الحیاه الدنیا بدفع(العدل)و هو بدل

۱- ۱) -آل عمران،۱۱۰.

۲- ۲) -الأعراف،۱۳۷.

۳- ۳) -الشعراء،۸۸ و ۸۹.

الشیء من جنسه،أما فی الآخره ف لَا یُؤْخَذُ مِنْهٰا عَدْلٌ .

و إذا لم تنفع الوسائل المذکوره کلها،یستصرخ أصحابه لینصروه و یخلصوه من الجزاء،و فی الآخره لا یقوم بنجاتهم أحد وَ لاٰ هُمْ یُنْصَرُونَ .

القرآن الکریم یؤکد أن الأصول الحاکمه علی قوانین الجزاء یوم القیامه تختلف کلیّا عمّا هو السائد فی هذه الحیاه،فالسبیل الوحید للنجاه یوم القیامه، هو الإیمان و التقوی و الاستعانه بلطف الباریء تعالی.

تاریخ الشرک و تاریخ المنحرفین من أهل الکتاب،ملیء بأفکار خرافیه تدور حول محور التوسل و بمثل الأمور التی ذکرتها الآیه الکریمه للفرار من العقاب الاخروی.صاحب المنار یذکر مثلا،أن النّاس فی بعض مناطق مصر-کانوا یدفعون مبلغا من المال إلی الذی یتعهد غسل المیت،و یسمون هذا المبلغ أجره الانتقال إلی الجنّه (۱) .

و فی تاریخ الیهود نقرأ أنهم کانوا یقدمون القرابین للتکفیر عن ذنوبهم،و إن لم یجدوا قربانا کبیرا یکتفون بتقدیم زوج من الحمام. (۲)

و فی التاریخ القدیم کانت بعض الأقوام تدفن مع المیت حلیّه و أسلحته، لیستفید منها فی الحیاه الاخری (۳) .

القرآن و مسأله الشّفاعه

اشاره

العقاب الإلهی فی هذه الحیاه الدنیا و فی الآخره،لا ینزل بساحه الإنسان دون شک من أجل الانتقام.بل إن العقوبات الإلهیه تشکل عنصر الضمان فی تنفیذ القوانین،و تؤدی فی النتیجه إلی تقدم الإنسان و تکامله.من هنا یجب الاحتراز عن أی شیء یضعف من قوّه عنصر الضمان هذا،کی لا تنتشر بین النّاس الجرأه

۱- ۱) -المنار،ج ۱،ص ۳۰۶.

۲- ۲) -المنار،ج ۱،ص ۳۰۶.

۳- ۳) -المیزان،ج ۱،ص ۱۵۶.

على ارتكاب المعاصى و الذنوب.

من جهه اخرى،لا يجوز غلق باب العوده و الإصلاح بشكل كامل فى وجه المذنبين،بل يجب فسح المجال لإصلاح أنفسهم و للعوده إلى اللّه و إلى الطهر و التقوى.

«الشفاعه»بمعناها الصحيح تستهدف حفظ هذا التعادل،إنها وسيله لعوده المذنبين و الملوثين بالخطايا،و بمعناها الخاطئ تشجع على ارتكاب الذنوب.

أولئك الذين لم يفرقوا بين المعنى الصحيح و الخاطئ لمسأله الشفاعه، أنكروا هذه المسأله بشكل كامل،و اعتبروها شبيهه بالوساطات التى تقدم إلى السلاطين و الحكام الظالمين.

و ثمه مجموعه كالوهابيين استندوا إلى الآيه الكريمه: لاَ يُقْبَلُ مِنْهٰا شَفٰاعَهٌ فأنكروا الشفاعه تماما،دون الالتفات إلى سائر الآيات فى هذا المجال.

اعتراضات المنكرين لمسأله الشفاعه يمكن تلخيصها بما يلى:

۱-الاعتقاد بالشفاعه،يضعف روح السعى و المثابره فى نفس الإنسان.

۲-الاعتقاد بالشفاعه،انعكاس عن ظروف المجتمعات المتأخره و الإقطاعيه.

۳-الاعتقاد بالشفاعه،يؤدى إلى التشجيع على ارتكاب الذنوب و ترك المسؤوليات.

۴-الاعتقاد بالشفاعه،نوع من الشرك باللّه،و هو معارض للقرآن! ۵-الاعتقاد بالشفاعه،يعنى تغيير أحكام اللّه و تغيير إرادته و أوامره! و لكن كل هذه الاعتراضات ناتجه-كما سنرى-عن الخلط بين الشفاعه بمفهومها القرآنى،و الشفاعه بمعناها المنحرف الرائج بين الجهله من النّاس.

و لمّا كانت هذه المسأله فى جانبها الإيجابى و السلبى ذات أهميه بالغه،فعلينا أن ندرسها بالتفصيل من حيث مفهومها و فلسفتها،و ارتباطها بعالم التكوين،

و موقعها فی القرآن و الحدیث،وصلته بالتوحید و الشرک،کی یزول کل إبهام یرتبط بالآیه المذکوره و سائر الآیات فی حقل الشفاعه.

۱-المفهوم الحقیقی للشّفاعه:

کلمه«الشفاعه»من«الشفع»بمعنی«الزوج»و«ضم الشیء إلی مثله»، یقابلها«الوتر»بمعنی«الفرد».ثم أطلقت علی انضمام الفرد الأقوی و الأشرف إلی الفرد الأضعف لمساعده هذا الضعیف،و لها فی العرف و الشرع معنیان متباینان کل التباین:

أ:إن الشفاعه لدی السواد تعنی أن الشفیع یستفید من مکانته و شخصیته و نفوذه،لتغییر رأی صاحب قدره بشأن معاقبه من هم تحت سیطرته.

و الشفیع قد یرعب صاحب القدره هذا، أو قد یستعطفه،أو قد یغیر أفکاره بشأن ذنب المجرم و استحقاقه للعقاب...و أمثال هذه الأسالیب.

الشفاعه بهذا المعنی هی-بعباره موجزه-لا تعنی حدوث أی تغییر فی المحتوی النفسی و الفکری للمجرم أو المتهم.بل إن کل التغییرات و التحولات تتوجه نحو الشخص الذی تقدم إلیه الشفاعه(تأمل بدقه).

هذا اللون من الشفاعه لیست له مکانه فی المفهوم الدینی علی الإطلاق.لأن اللّه سبحانه و تعالی لا یخطأ حتی یتوسط الشفیع فی تغییر رأیه،و لا یحمل تلک العواطف الموجوده فی نفس الإنسان کی یمکن إثاره عواطفه،و لا یهاب نفوذ شخص کی ینصاع لأوامره،و لا یدور ثوابه و عقابه حول محور غیر محور العداله.

ب:المفهوم الآخر للشفاعه یقوم علی أساس تغییر موقف«المشفوع له».

أی أن الشخص المشفوع له یوفّر فی نفسه الظروف و الشروط التی تؤهّله للخروج من وضعه السیء الموجب للعقاب،و ینتقل-عن طریق الشفیع إلی وضع مطلوب حسن یستحق معه العفو و السماح.و الإیمان بهذا النوع من الشفاعه-کما

سنری-یربّی الإنسان،و یصلح الأفراد المذنبین،و یبعث فیهم الصحوه و الیقظه.

و الشفاعه فی الإسلام لها هذا المفهوم السامی.

و سنری أن کل الاعتراضات و الانتقادات و الحملات التی توجه إلی مسأله الشفاعه،إنما تنطلق من فهم الشفاعه بالمعنی الأوّلی المنحرف،و لا تلتفت إلی المعنی الثانی المنطقی المعقول البنّاء.

هذا تفسیر مقتضب للونین من ألوان الشفاعه:أحد هما«تخدیری»،و الآخر «بنّاء».

۲-الشّفاعه فی عالم التکوین

التّفسیر الصحیح و المنطقی للشفاعه-بالمفهوم الذی مرّ بنا-له مصادیق کثیره فی عالم التکوین و الخلقه،(إضافه إلی عالم التشریع).الطاقات الأقوی فی هذا العالم تنضم إلی الأضعف منها لتسیّرها نحو أهداف بنّاءه.

الشمس تشرق و الأمطار تتساقط،لتفجّر القوّه الکامنه فی البذره لتحرکها نحو الإنبات،و نحو شقّ جسم التربه و الخروج إلی الفضاء الذی استمدت البذره منه طاقات النموّ و التکامل.

هذه الظواهر هی فی الحقیقه شفاعه تکوینیه علی صعید قیامه الحیاه الدنیا.

و لو انطلقنا من هذه النماذج الکونیه فی الشفاعه لفهم الشفاعه علی صعید التشریع، لابتعدنا عن الانحراف،و سنوضح ذلک قریبا.

۳-مستندات الشفاعه:

القرآن الکریم تحدث فی ثلاثین موضعا عن مسأله«الشفاعه»(بهذا اللفظ)،

ص:۲۰۱

و هناک إشارات اخری إلی هذه المسأله دون ذکر لفظها.

یمکن تقسیم آیات الشفاعه فی القرآن إلی المجموعات التالیه.

المجموعه الاولی:ایات ترفض الشفاعه بشکل مطلق کقوله تعالی: أَنْفِقُوا مِمّا رَزَقْناکُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ یَأْتِیَ یَوْمٌ لا بَیْعٌ فِیهِ وَ لا خُلَّهٌ وَ لا شَفاعَهٌ (۱) ،و کقوله تعالی:

وَ لا یُقْبَلُ مِنْها شَفاعَهٌ

(۲)

.

هـذه الآیـات رفضت کل الطرق المتصوره لانقاذ المجرمین غیر الإیمان و العمل الصالـح،سواء کان طریق دفع العوض المادی،أو طریق الصداقه و الخله، أو طریق الشفاعه.

و یقول تعالی بشأن بعض المجرمین: فَما تَنْفَعُهُمْ شَفاعَهُ الشّافِعِینَ (۳) .

المجموعه الثانیه:آیات تحصر الشفاعه باللّه تعالی،کقوله سبحانه: ما لَکُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِیٍّ وَ لا شَفِیعٍ (۴) و قُلْ لِلّهِ الشَّفاعَهُ جَمِیعاً (۵) .

المجموعه الثالثه:آیات تجعل الشـفاعه متوقفه علی إذن اللّه تعالی کقوله: مَنْ ذَا الَّذِی یَشْـفَعُ عِنْدَهُ إِلاّ بِإِذْنِهِ (۶) ،و قوله وَ لا تَنْفَعُ الشَّفاعَهُ عِنْدَهُ إِلاّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ (۷) .

المجموعه الرابعه:آیـات تبین شـروطا خاصه للمشـفوع له.هـذه الشـروط تتمثل أحیانا فی رضا للّه سـبحانه: وَ لا یَشْـفَعُونَ إِلاّ لِمَنِ ارْتَضی (۸) .

و استنادا إلی هذه الآیه،شفاعه الشفعاء تشمل فقط أولئک الذین بلغوا مرتبه «الارتضاء»أی القبول لدی اللّه سبحانه و تعالی.

و یتمثل الشرط أحیانا بالعهد عند اللّه:

۱- ۱) -البقره،۲۵۴.

۲- ۲) -البقره،۴۸.

۳- ۳) -المدثر،۴۸.

۴- ۴) -السجده،۴.

۵- ۵) -الزمر،۴۴.

۶- ۶) -البقره،۲۵۵.

۷- ۷) -سبأ،۲۳.

۸- ۸) -الأنبياء،۲۸.

لاّ يَمْلِكُونَ الشَّفّاعَهَ إِلاّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً

(١)

،و المقصود من هذا العهد الإيمان باللّه و رسوله.

و يتحدث القرآن عن سلب صلاحيه الاستشفاع عن بعض الأفراد مثل المجرمين،كقوله تعالى: مّا لِلظّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَ لاٰ شَفِيعٍ يُطاعُ (٢) .

ممّا تقدم يتضح أن اتخاذ العهد الإلهی،و الوصول إلی منزله نيل رضا اللّه، و اجتناب بعض الذنوب مثل الظلم،شروط حتميه للشفاعه.

۴-الشّروط المختلفه للشفاعه:

آيات الشفاعه تصرح أن مسأله الشفاعه فی مفهوم الإسلام مقيده بشروط، هذه الشروط تحدد تاره الخطيئه التی يستشفع المذنب لها،و تحدّد تاره اخری الشخص المشفوع له،كما تقيد من جهه اخری الشفيع،و هذه الشروط بمجموعها تكشف عن المفهوم الحقيقی للشفاعه و عن فلسفتها.

ثمه ذنوب كالظلم مثلا خارجه عن دائره الشفاعه حيث يقول القرآن مّا لِلظّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَ لاٰ شَفِيعٍ يُطاعُ كما مرّ،و لو فهمنا«الظلم»بمعناه الواسع-كما سنری من خلال الأحاديث-فان الشفاعه تقتصر حينئذ علی المجرمين النادمين السائرين علی طريق إصلاح أنفهسم،و الشفاعه فی هذه الحاله ستكون دعامه للتوبه و للندم(سنجيب أولئك الذين يتصورون أن التائب النادم لا يحتاج إلی الشفاعه).

كما أن الشفاعه-و طبقا للآيه ٢٨ من سوره الأنبياء-لا تشمل إلاّ أولئك المرتقين إلی درجه«الارتضاء»و إلی درجه الالتزام بالعهد الإلهی كما مرّ أيضا فی الآيه ٨٧ من سوره مريم.

١- ١) -مريم،٨٧.

٢- ٢) -غافر،١٨.

الارتضاء،و اتخاذ العهد،يعنيان على المستوى اللغوى و كذلك ما ورد من الروايات فى تفسير هذه الآيات الإيمان باللّه و الحساب و الميزان و الثواب و العقاب،و الاعتراف بالحسنات و السيئات،و بما أنزل اللّه،إيمانا عميقا فى الفكر، ظاهرا فى العمل...إيمانا يبعد صاحبه عن صفات الظالمين الذين لا يؤمنون بأيه قيمه إنسانيه،و يدفعه إلى إعاده النظر فى منهج حياته.

يقول تعالى: وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جٰاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللّٰهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللّٰهَ تَوّٰاباً رَحِيماً (١) ،هذه الآيه تجعل الاستغفار مقدمه لشفاعه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم.

و يقول: قٰالُوا يٰا أَبٰانَا اسْتَغْفِرْ لَنٰا ذُنُوبَنٰا إِنّٰا كُنّٰا خٰاطِئِينَ، قٰالَ:سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٢) ،آثار الندم واضحه على إخوه يوسف فى طلبهم من أبيهم.

و يقول سبحانه: وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنٰا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَ عِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تٰابُوا وَ اتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَ قِهِمْ عَذٰابَ الْجَحِيمِ (٣) فاستغفار الملائكه و شفاعتهم تقتصر على الأفراد المؤمنين السالكين سبيل اللّه.

و هنا يطرح أيضا سؤال بشأن جدوى الشفاعه للأفراد المؤمنين السالكين سبيل اللّه،و سنجيب على ذلك فى دراسه حقيقه الشفاعه.

و بشأن الشفعاء ذكر القرآن لهم شرطا فى قوله تعالى: إِلاّٰ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ (۴) .من هنا فالمشفوع له أيضا ينبغى أن يسلك طريق الحق فى القول و العمل،كى يكون له ارتباط بالشفيع،و هذا الارتباط الضرورى بين الشفيع و المشفوع له يعتبر بدوره عاملا بنّاء فى تعبئه الطاقات على طريق الحق.

١- ١) -النساء،۶۴.

٢- ٢) -يوسف،٩٧ و ٩٨.

٣- ٣) -المؤمن،٧.

۴- ۴) -الزخرف،٨۶.

۵-الشّفاعه فی الحدیث:

فی الروایات الإسلامیه تعابیر کثیره تکمل محتوی الآیات المذکوره و توضّح ما خفی منها،من ذلک:

-۱

فی تفسیر«البرهان»عن الإمام موسی بن جعفر الکاظم علیه السّلام عن علی بن أبی طالب علیه السّلام قال:سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و سلّم یقول: «شفاعتی لأهل الکبائر من أمّتی...» راوی الحدیث ابن أبی عمیر یقول: فقلت له:یا بن رسول اللّه کیف تکون الشّفاعه لأهل الکبائر و اللّه یقول وَ لاٰ یَشْفَعُونَ إِلاّٰ لِمَنِ ارْتَضیٰ و من یرتکب الکبائر لا یکون مرتضی به؟فقال:یا أبا أحمد ما من مؤمن یرتکب ذنبا إلاّ ساءه ذلک و ندم علیه و قد قال النّبیّ صلّی اللّه علیه و اله و سلّم کفی بالندم توبه...و من لم یندم علی ذنب یرتکبه فلیس بمؤمن و لم تجب له الشّفاعه و کان ظالما و اللّه تعالی ذکره یقول مٰا لِلظّٰالِمِینَ مِنْ حَمِیمٍ وَ لاٰ شَفِیعٍ یُطٰاعُ (۱) صدر الحدیث یتضمن أن الشفاعه تشمل مرتکبی الکبائر.لکن ذیل الحدیث یوضح أن الشرط الأساسی فی قبول الشفاعه هو الإیمان الذی یدفع المجرم إلی مرحله الندم و جبران ما فات،و یبعده عن الظلم و الطغیان و العصیان.(تأمل بدقه).

-۲

فی کتاب«الکافی»عن الإمام جعفر بن محمّد الصّادق علیه السّلام فی رساله کتبها إلی أصحابه قال: «من سرّه أن ینفعه شفاعه الشّافعین عند اللّه فلیطلب إلی اللّه أن یرضی عنه»

(۲)

یتبین من سیاق الروایه،أن کلام الإمام یستهدف إصلاح الخطأ الذی وقع فیه بعض أصحاب الإمام فی فهم مسأله الشفاعه:و یرفض بصراحه مفهوم الشفاعه الخاطئ المشجع علی ارتکاب الذنوب.

-۳

و عن الصادق علیه السّلام أیضا: «إذا کان یوم القیامه بعث اللّه العالم و العابد،فإذا وقفا بین یدی اللّه عزّ و جلّ قیل للعابد:انطلق إلی الجنّه،و قیل للعالم:قف تشفع للنّاس بحسن

۱- ۱) -تفسیر البرهان،ج ۳،ص ۵۷.

۲- ۲) -عن بحار الأنوار،ج ۳،ص ۳۰۴ الطبعه القدیمه.

تأدیبک لهم» (۱) .

فی هـذا الحدیث نجد ارتباطا بین«تأدیب العالم»و«شـفاعته لمن أدّبهم» و هذا الارتباط یوضّح کثیرا من المسائل المبهمه فی بحثنا هذا.

أضف إلی ما سبق أن فی اختصاص الشفاعه بالعالم و سلبها من العابد،دلاله اخری علی أن الشفاعه فی المفهوم الإسلامی لیست معامله و عقدا و تلاعبا بالموازین،بل مدرسه للتربیه،و تجسید لما مرّ به الفرد من مراحل تربویه فی هذا العالم.

۶-التّأثیر المعنوی للشّفاعه:

مـا ذکرنـاه من روایـات بشأن الشـفاعه هو غیض من فیض،فالروایات فی هـذا المجال کثیره تبلغ حـدّ التواتر،و إنما اخترنا منها ما یتناسب مع بحثنا.

النووی الشـافعی (۲) فی شـرحه لصـحیح مسـلم،نقل عن القاضـی عیاض-و هو من کبار علماء أهل السـنه،-أنّ أحادیث الشـفاعه متواتره (۳) .

ابن تیمیه(المتوفی ۷۲۸ ه)و محمّـد بن عبد الوهّاب(المتوفی ۱۲۰۶ ه)،مع مـا لهما من تعصّب و لجاج فی مثل هـذه الأمور،یقرّان بتواتر هذه الروایات.

ثمه کتاب دراسی معروف و متداول بین«الوهّابیه»هو«فتح المجید»للشیخ عبد الرحمن بن حسن،ینقل عن«ابن القیم»ما یلی:

«الرابع:شفاعته فی العصاه من أهل التوحید الذین یدخلون النار بذنوبهم.

و الأحادیث بها متواتره عن النّبی صلّی اللّه علیه و اله و سلّم و قد أجمع علیها الصحابه و أهل السنه

۱- ۱) -الإختصاص،للمفید،نقلا عن البحار،ج ۳،ص ۳۰۵.
۲- ۲) -هو یحیی بن شرف،من علماء القرن السابع الهجری،و النووی نسبه إلی مدینه«النوی»قرب دمشق.
۳- ۳) -البحار،ج ۳،ص ۳۰۷.

قاطبه و بدعوا من أنكرها و صاحوا به من كل جانب و نادوا عليه بالضلال» (۱) .

و قبل أن ندرس الآثار الاجتماعيه و النفسيه لمسأله الشفاعه و الاشكاليات الأربع حول فلسفه الشفاعه،نلقى نظره على الآثار المعنويه لهذه المسأله فی إطار آراء الموحّدین المؤمنین بالشفاعه،فمثل هذه النظره تمهّد السبیل لدراستنا القادمه فی حقل الشفاعه و معطیاتها الاجتماعیه و النفسیه. (۲)

اختلف علماء العقائد المسلمون فی کیفیه التأثیر المعنوی للشفاعه.فقال جمع یسمون«الوعیدیه»،و هم المؤمنون بخلود مرتکبی الکبائر فی جهنم:إن الشفاعه لیس لها أثر علی إزاله آثار الذنوب،بل تأثیرها یقتصر علی زیاده الثواب و علی التکامل المعنوی.

و«التفضیلیه»و هم من یعتقد بعدم خلود مرتکبی الکبائر فی جهنم،فیذهبون إلی أن الشفاعه تشمل المذنبین،و تؤثر فی إسقاط العقاب عنهم.

أما«الخواجه نصیر الدین الطوسی رحمه اللّه»فیؤید کلا الأمرین فی کتابه«تجرید الاعتقاد»و یری وجود کلا الأثرین للشفاعه.

«العلاّمه الحلی رحمه اللّه»شرح عباره الطوسی فی کتابه«کشف المراد»و لم یردّ علیها بل أورد شواهد علیها.

لو أخذنا بنظر الاعتبار ما مرّ بنا بشأن معنی الشفاعه لغویا و مقارنتها بالشفاعه التکوینیّه،لما ترددنا فی صحه ما ذهب إلیه المحقق الطوسی.

فمن جهه،ثمه

روایه معروفه عن الإمام الصادق علیه السّلام هی: «ما من أحد من الأوّلین و الآخرین إلاّ و هو محتاج إلی شفاعه محمّد صلّی اللّه علیه و اله و سلّم یوم القیامه» (۳) .

و استنادا إلی هذه الروایه،یحتاج إلی الشفاعه کل النّاس،حتی التائبون

۱- ۱) -فتح المجید،ص ۲۱۱.

۲- ۲) -ینبغی الالتفات إلی أننا نعالج هذه المسأله من خلال المنطق الخاص لعلماء العقائد.

۳- ۳) -نقلا عن البحار و کتب اخری.

المغفور لهم،و فی مثل هذه الحاله لا بدّ أن تكون الشفاعه ذات تأثيرين،فی الحطّ من الذنوب،و فی علوّ المنزله.

أما الروايات التی تذهب إلی عدم حاجه الصالحين للشفاعه فهی تنفی ذلک النوع من الشفاعه الخاص بالمجرمين و المذنبين.

و من جهه اخری ذكرنا أن الشفاعه تعنی انضمام الفرد الأشرف و الأقوی إلی الفرد الأضعف لمساعده هذا الضعيف،و هذه المساعده قد تكون لزياده نقاط القوّه،و قد تكون لإزاله نقاط الضعف.

فی الشفاعه التكوينيه نشهد هذين اللونين من الشاعه فی مسيره حركه التكامل و النمو،فإنّ الكائنات الأضعف تحتاج إلی عوامل أقوی لإزاله عوامل التخريب تاره(كحاجه النباتات إلی نور الشمس لإباده الآفات)،و تاره اخری لزياده نقاط القوّه و سرعه التطور (كحاجه النباتات إلی نور الشمس من أجل النموّ)،و هكذا الطالب يحتاج إلی الأستاذ لإصلاح أخطائه من جهه،و لزياده معلوماته من جهه اخری.

كل ذلک يدلّ علی أن للشفاعه أثرين،و لا تقتصر علی دائره إزاله آثار الذنب و الإثم(تأمل بدقّه).

ممّا تقدم نفهم أن التائبين بحاجه أيضا إلی الشفاعه مع علمنا بأن التوبه وحدها كافيه لغفران الذنوب،و ذلک لسببين:

۱-التائبون بحاجه إلی الشفاعه لزياده مكانتهم المعنويه،و لتقدمهم فی مضمار التكامل و الارتقاء،و ان كان الغفران يتحقق بالتوبه.

۲-ثمه خطأ وقع فيه كثيرون فی فهم التوبه،إذ تصوروا أنّ التوبه من الذنب قادره علی إرجاع الإنسان إلی حاله ما قبل ارتكاب الذنب،بينما التوبه ليست-كما ذكرنا فی موضعه-سوی مرحله أولی،إنها كالدواء الذی يقطع عوارض المرض، و انقطاع العوارض لا يعنی عوده الإنسان إلی حالته الطبيعيه،بل يعنی انتقاله إلی

حاله نقاهه يحتاج خلالها إلى تقويه بنيته الجسميه،ليعود بعد مده إلى مرحله ما قبل المرض.

بعباره اخرى،للتوبه مراحل،و الندم على الذنب و العزم على التطهر فى المستقبل هو المرحله الاولى للتوبه. و المرحله النهائيه تتحق حين يعود التائب إلى حاله ما قبل الذنب من كل النواحى.و فى هذه المرحله تكون شفاعه الشافعين ذات أثر و عطاء.

أفضل شاهد على هذا ما ورد فى القرآن و ذكرناه من قبل بشأن استغفار الرّسول صلّى اللّه عليه و اله و سلّم للتائبين،و توبه إخوه يوسف و استغفار يعقوب لهم،و أوضح من كل ذلك استغفار الملائكه للصالحين و المصلحين الوارد فى الآيات المذكوره آنفا.

(تأمل بدقّه)!.

٧-فلسفه الشّفاعه

مرّ بنا فيما سبق«مفهوم»الشّفاعه و«أسانيدها»،و نستطيع من ذلك أن نفهم بسهوله فلسفه الشفاعه على الصعيد الاجتماعى و النفسى.

و بشكل عام و انطلاقا من مفهوم الشفاعه نستطيع أن نتلمس الآثار التاليه فى المؤمنين بالشفاعه.

«مكافحه روح اليأس»من أهم آثار الشفاعه فى نفس المعتقدين بها.مرتكبو الجرائم الكبيره يعانون من و خز الضمير،كما يشعرون بيأس من عفو اللّه،و لذلك لا يفكّرون بالعوده و لا بإعاده النظر فى طريقه حياتهم الآثمه.و قد يدفعهم المستقبل المظلم إلى التعنت و الطغيان،و إلى التحلل من كل قيد تماما،كالمريض اليائس من الشفاء الذى يتحلل من أى نظام غذائى،لاعتقاده بعدم جدوى التقيد بنظام.

قلق الضمير الناتج عن هذه الجرائم قد يؤدى إلى اختلالات نفسيه،و إلى تحفيز الشعور بالانتقام من المجتمع الباعث على تلوّثه.و بذلك يتبدل المذنب إلى

عنصر خطر،و إلى مصدر قلق اجتماعى.

الإيمان بالشفاعه يفتح أمام الإنسان نافذه نحو النور،و يبعث فيه الأمل بالعفو و الصفح،و هذا الأمل يجعله يسيطر على نفسه،يعيد النظر فى مسيره حياته،بل و يشجعه على تلافى سيئات الماضى.

و الإيمان بالشفاعه يحافظ على التعادل النفسى و الروحى للمذنب،و يفسح الطريق أمامه إلى أن يتبدل إلى عنصر سالم صالح.

من هنا يمكن القول أن الاهتمام بالشفاعه بمعناها الصحيح عامل رادع بنّاء، قادر أن يجعل من الفرد المجرم المذنب فردا صالحا.و انطلاقا من هذا الفهم نجد أن مختلف قوانين العالم وضعت فسحه أمل أمام المحكومين بالسجن المؤبّد باحتمال العفو بعد مده إن أصلحوا أنفسهم،كى لا يتسرب اليأس إلى نفوسهم بذلك و يتبدّلوا إلى عناصر خطره داخل السجن أو يصابون باختلالات نفسيه.

٨-شروط«توفّر الشّفاعه»

الشفاعه بمعناها الصّحيح لها قيود و شروط متعدده الجوانب،كما ذكرنا.من هنا فالمؤمنون بهذا المبدأ لا بدّ أن يسعوا لتوفير شروط الشّفاعه كى يشملهم عطاؤها،و أن يجتنبوا الذنوب التى تقضى على كل أمل فى الشفاعه كالظلم،و أن يستأنفوا حياه جديده قائمه على أساس تغيير عميق فى أنفسهم و أن يتوبوا من الذنب أو يهمّوا بالتوبه على الأقل من أجل بلوغ درجه«الارتضاء»و اتخاذ«العهد الإلهى»(بالتّفسير المذكور).

عليهم أن يكفوا عن مخالفه الأحكام و القوانين الإلهيه،أو يقللوا من هذه المخالفه ما أمكنهم،و يعمقوا فى أنفسهم الإيمان باللّه و اليوم الآخر.

من جهه اخرى لا بدّ لنيل شفاعه«الشفيع»،أن يسعى الفرد لإيجاد نوع من

التشابه و السنخيه و إن كان ضعيفا بينه و بين الشفيع.

و كما أن«الشّفاعه التّكوينيه»لا تتمّ إلّا بوجود نوع من السّنخيه و التسليم و الاستعداد في الموجود الأضعف،كذلك الشفاعه التشريعيه لا تتحقق إلّا بتوفر مثل هذه القابليّات،(تأمل بدقّه).

و بهذا يتضح بجلاء أن الشفاعه بمعناها الصحيح لها دور فعّال في تغيير وضع المجرمين و إصلاحهم.

۹-شبهات حول مسأله الشفاعه

ذكرنا أن بين«الشفاعه»في مفهومها المنحرف و«الشفاعه»في مفهومها الإسلامى الصحيح بونا شاسعا.المفهوم الأوّل يقوم على أساس تغيير وجهه نظر «المستشفع»،و الآخر يدور حول محور التغييرات المختلفه في وضع المستشفع له.

واضح أن الشفاعه بمفهومها الأول مرفوضه لأنها تقتل روح السعي و المثابره في النفوس...و تشجع على ارتكاب الذنوب...و تعتبر انعكاسا عن المجتمعات المتخلفه و الإقطاعيه...و تتضمن أكثر من ذلك نوعا من الشرك و الانحراف عن خط التوحيد.

لا شك أن الإنسان المسلم يبتعد عن خط التوحيد لو اعتقد بإمكان تقديم «وساطه»إلى اللّه كما تقدم«الوساطات»،إلى أصحاب النفوذ في هذه الدنيا.لأن مثل هذا الفرد قد اعتقد بشكل غير مباشر بإمكان تغيير علم اللّه!و بإمكان خفاء أمر من أمور«المستشفع»على اللّه!أو بوجود مصدر يمكن أن يطفئ الإنسان به غضب اللّه أو يكسب به ودّه و رضاه!،أو بحاجه اللّه إلى مكانه بعض عباده و بسبب احتياجه إليهم يقبل شفاعتهم.أو أنه تعالى يقبل شفاعتهم بسبب خوفه من

نفوذهم!!تعالی اللّه عن ذلک علوا کبیرا.

کل هـذه المعانی تبعـدنا من أصل التوحید و تؤدی بنا إلی السـقوط فی وادی الشـرک... إنها المفهوم السـلبی للشـفاعه و السائد لدی العرف العام.

أمـا الشـفاعه بمعناهـا الصـحیح الـذی ذکرناه،فلا تنطوی علی هـذه العیوب،بل إنها أکثر من ذلک تصـلح العیوب،و تعمّق النقاط الإیجابیه فی الکائن البشری.

هذا النوع من الشفاعه لا یشجع علی ارتکاب الذنب،بل یدفع إلی ترک الذنوب.

لا یدعو إلی التقاعس و التماهل،بل یبعث فی الإنسان روح الأمل التی یستتبعها عاده تصعید الإراده لتلافی أخطاء الماضی.

هذه الشفاعه لا ترتبط بالمجتمعات المتخلّفه،بل هی وسیله تربویه فعّاله لإصلاح المجرمین و المذنبین و المعتدین.

لیست هذه الشفاعه بشرک،بل هی عین التوحید و التأکید علی التوجه إلی اللّه و الاستمداد من صفاته و إذنه و أمره.

و لمزید من التوضیح نتحدث أکثر عن مسأله الشفاعه و التوحید.

۱۰-الشّفاعه و التّوحید

الفهم الخاطئ لمسأله الشّفاعه آثار اعتراض فئتین علی ما بینهما من تضاد.

الفئه الاولی:اعترضت علی الشـفاعه من منطلق مـادی و اعتبرتهـا عاملا للتخـدیر و لإماته روح السّعی و المثابره،و قـد أجبنا علی اعتراضات هذه الفئه فیما سبق.

الفئه الاخری:اعترضت علی الشـفاعه من منطلق السلفیه،و اعتبرتها شرکا و انحرافا عن خط التوحید،و یمثل هذه الفئه«الوهّابیون»و من لفّ لفّهم.و الإجابه علی اعتراضات الوهّابیین و إن کانت تحتاج إلی إطاله و خروج عن طریقه التّفسیر

إلّا أنها ضروريه لأسباب عديده.

لا بد من الالتفات أولا إلى أن الحركه الوهّابيّه،التى ظهرت خلال القرنين الأخيرين فى الجزيره العربيه على يد«محمّد بن عبد الوهّاب»لم تتجه فى أفكارها المتطرفه الجافه إلى معارضه مدرسه أهل البيت عليهم السّلام فقط،بل اصطدمت بمعظم المسلمين من أهل السنه أيضا.

محمّد بن عبد الوهاب(المتوفّى ۱۲۰۶ ه)استقى أفكاره من«ابن تيميه» (أحمد بن عبد الحليم الدمشقى المتوفى سنه ۷۲۸ ه)،أى قبل أربعه قرون تقريبا من ظهور الوهّابيه،و يعتبر المنظّر لهذه الحركه.

استطاع عبد الوهّاب خلال الأعوام(۱۱۶۰-۱۲۰۶ ه)بالتعاون مع الحكام المحليين أن ينشر دعوته بين القبائل البدويه المتنقّله فى الجزيره العربيه و يبثّ فيهم تعصبا أعمى باسم الدفاع عن التوحيد و مكافحه الشرك،و عبّد البدو و المتعصبين من أتباعه على طريق قمع معارضيه،و استطاع بذلك أن يكتسب قدره سياسيه و يسيطر بشكل مباشر و غير مباشر على الحكم،و أراق من أجل ذلك دماء كثيره من المسلمين فى أرض الجزيره العربيه و خارجها.

فى سنه ۱۲۱۶ ه(عشر سنوات بعد وفاه مؤسس الحركه الوهّابيه)هاجمت جماعه من الوهّابيين مدينه كربلاء قادمه من صحراء الجزيره العربيه،و استغلوا فرصه سفر أهالى المدينه إلى النجف الأشرف بمناسبه عيد الغدير،فدخلوا المدينه و قاموا بتخريب و هدم مرقد سيد الشهداء الحسين بن على عليه السّلام و سائر المراقد الشريفه فى هذه المدينه،و نهبوا ما فيها من أبواب ذهبيه و نفائس،و قتلوا ما يقرب من خمسين شخصا عند ضريح الحسين،و خمسمائه شخص فى صحن الروضه المشرفه،كما قتلوا أعدادا كبيره فى سائر أنحاء المدينه،حتى بلغ عدد المقتولين فى ذلك الهجوم الوهابى خمسه آلاف إنسان،و لم يسلم منهم حتى الشيوخ و العجائز و الأطفال،كما نهبوا كثيرا من البيوت.

ص:۲۱۳

فی عام ۱۳۴۴ أفتی فقهاء المدینه الخاضعون لجهاز الحکم الوهابی بهدم قبور أئمّه الإسلام و أولیاء اللّه الصالحین،و نفذت هذه الفتوی فی الیوم الثامن من شوّال من السنه المذکوره،و همّ المنفذون أن یهدموا قبر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و سلّم أیضا، لو لا تراجعهم أمام صیحات اعتراض المسلمین.

أتباع محمّد بن عبد الوهاب یتمیزون علی العموم بالخشونه و التصلّب و السطحیه و اللجاج و البعد عن المنطق و التعقّل و قد حصروا الإسلام-عمدا أو غفله-فی إطار مکافحه عدد من الظواهر کالشفاعه و زیاره القبور و التوسل، و بذلک أبعدوا أتباعهم و من خضع لسیطرتهم عن المسائل الإسلامیه الحیاتیه، و خاصه فیما یرتبط بالعداله الاجتماعیه،و مکافحه السیطره الاستعماریه، و التصدی للثقافه المادیّه و للمدارس الإلحادیه.

لذلک لا تجد فی أوساط الوهابیین حدیثا عن هذه المسائل،بل تسود أجواءهم حاله فظیعه من الغفله و الرکود.

نعود إلی رأی هذه الفئه بشأن الشفاعه،هؤلاء یقولون:لا یحق لأحد أن یستشفع برسول اللّه،و أن یقول:«یا محمّد اشفع لی عند اللّه»لأن اللّه سبحانه یقول:

وَ أَنَّ الْمَساجِدَ لِلّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللّهِ أَحَداً

(۱)

.

و فی رساله«کشف الشبهات»لمحمّد بن عبد الوهاب نقرأ ما یلی:

«فإن قال أن النّبی صلّی اللّه علیه و اله و سلّم أعطی الشفاعه و أطلبه ممّا أعطاه اللّه.فالجواب أن اللّه أعطاه الشفاعه و نهاک عن هذا و قال: فَلا تَدْعُوا مَعَ اللّهِ أَحَداً و أیضا فإن الشفاعه أعطاها غیر النّبی،فصح أن الملائکه یشفعون و الأولیاء یشفعون...

أتقول أن اللّه أعطاهم الشفاعه فاطلبها منهم؟فإن قلت هذا رجعت إلی عباده الصالحین» (۲) .

۱- ۱) -الجن،۱۸.

۲- ۲) -کشف الشبهات لمحمّد بن عبد الوهاب،نقلا عن رساله البراهین الجلیه،ص ۱۷.

و يقول محمّد بن عبد الوهاب فی رساله أربع قواعد ما حاصله:إن الخلاص من الشرک یکون بمعرفه أربع قواعد.

الأولی:انّ الکفار الذین قاتلهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و سلّم مقرّون بأن اللّه تعالی هو الخالق الرازق المدبر...لقوله تعالی: قُلْ مَنْ یَرْزُقُکُمْ... (۱) .

الثّانیه:إنّهم یقولون ما دعونا الأصنام و توجهنا إلیهم إلاّ لطلب القرب و الشفاعه... وَ یَقُولُونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللّهِ (۲) .

الثّالثه:إنّه صلّی اللّه علیه و اله و سلّم ظهر علی قوم متفرقین فی عبادتهم،فبعضهم یعبد الملائکه، و بعضهم الأنبیاء الصالحین،و بعضهم الأشجار و الأحجار،و بعضهم الشمس و القمر، فقاتلهم و لم یفرق بینهم.

الرّابعه:إن مشرکی زماننا أغلظ شرکا من الأولین،لأن أولئک یشرکون فی الرخاء و یخلصون فی الشده،هؤلاء شرکهم فی الحالتین لقوله تعالی: فَإِذا رَکِبُوا فِی الْفُلْکِ دَعَوُا اللّهَ مُخْلِصِینَ... (۳) (۴) .

و من العجیب أن الوهابیین تبلغ بهم الجرأه فی تکفیر المسلمین بحیث یبیحون نهب أموال المسلم و سفک دمه بسهوله،و قد فعلوا ذلک فی تاریخهم مرارا.

یقول الشیخ«سلیمان بن لحمان»فی کتابه«الهدیه السنیه»:

«إن الکتاب و السنّه دلاّ علی أن من جعل الملائکه و الأنبیاء أو ابن عباس أو أبا طالب أو...وسائط بینهم و بین اللّه لیشفعوا لهم عند اللّه لأجل قربهم إلی اللّه- کما یفعل عند الملوک-إنه کافر مشرک حلال الدم و المال!و ان قال أشهد أن لا إله إلاّ اللّه و أشهد أن محمّدا رسول اللّه و صلّی و صام»!! (۵) .

۱- ۱) -یونس،۳۱.

۲- ۲) -یونس،۱۸.

۳- ۳) -العنکبوت،۶۵.

۴- ۴) -رساله أربع قواعد،ص ۲۴-۲۷ طبع المنار بمصر(نقلا عن کتاب کشف الارتیاب،ص ۱۶۳).

۵- ۵) -الهدیه السنیه،ص ۶۶(نقلا عن البراهین الجلیّه،ص ۸۳).

و مع هذا الإفتاء يتضح حال المسلمين فى جميع أقطار العالم الإسلامى الذين يستشفعون بهم،اقتداء بكتاب اللّه و سنّه نبيّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم.

روح البطش و السفك و اللجاجه فى هؤلاء لا تخفى على أحد،و هكذا جهلهم بالمسائل الإسلاميه و القرآنيه.

نظره على منطق الوهّابيين فى حقل الشفاعه

و هكذا يظهر ممّا نقلنا عن مؤسس الحركه الوهّابيه«محمّد بن عبد الوهّاب» أنّ اتّهام الوهّابيين بالشرك للمؤمنين بالشفاعه يستند إلى مسألتين:

۱-التشابه بين المؤمنين بشفاعه الأنبياء و الصالحين،و بين المشركين فى عصر الجاهليه.

۲-نهى القرآن عن عباده غير اللّه و عن دعوه فرد مع اللّه: فَلاٰ تَدْعُوا مَعَ اللّٰهِ أَحَداً (۱) ،و الاستشفاع نوع من العباده.

بالنسبه للمسأله الاولى،ارتكب الوهّابيه خطأ فظيعا،و ذلك للأسباب التاليه:

أوّلا:القرآن أقرّ منزله الشفاعه بصراحه لجمع من الأنبياء و الصالحين و الملائكه كما مرّ،لكنه قيّدها بإذن اللّه.و ليس من المعقول إطلاقا أن يكون اللّه قد نهى عن الاستشفاع المشروط بإذن اللّه بمن قد منحهم هو سبحانه هذه المنزله.

و صرّح القرآن بطلب إخوه يوسف من أبيهم أن يستغفر لهم،و هكذا صرّح بطلب الصحابه إلى النّبى صلّى اللّه عليه و اله و سلّم أن يستغفر لهم أيضا.

أ ليست هذه من المصاديق الواضحه لطلب الشفاعه؟!إن الاستشفاع برسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم بعباره:«اشفع لنا عند اللّه»هى نفسها عباره إخوه يوسف إذ قالوا لأبيهم:

۱- ۱) -الجن،۱۸.

يا أَبانَا اسْتَغْفِرْ لَنا

(۱)

كيف يجرأ هؤلاء على إلقاء تهمه الشرک على من يؤمن بما يصرّح به القرآن،بل و يستبيحون دمه و ماله؟! لو كان هذا العمل شركا،فلم لم ينه يعقوب بنيه عن ذلک.

ثانيا:لا يوجد أدنى شبه بين«عبده الأصنام»و«الموحّدين المؤمنين بالشفاعه بإذن اللّه»،لأن الوثنيين كانوا يعبدون الأصنام و يتخذونها شفعاء،بينما المسلمون المؤمنون بالشفاعه لا تخطر فی ذهنهم عباده الشفعاء،بل يستشفعون بهم إلى اللّه،و طلب الشفاعه لا ارتباط له بمسأله العباده كما سنبيّن.

عبده الأصنام كانوا يتعجبون من عباده الإله الواحد الأحد: أَ جَعَلَ الْآلِهَهَ إِلٰهاً واحِداً إِنَّ هٰذا لَشَيْءٌ عُجابٌ (۲) .

الوثنيون كانوا يجعلون الوثن فی منزله اللّه: تَاللّهِ إِنْ كُنّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ (۳) .

الوثنيون كانوا يعتقدون بتأثير الأوثان على حياتهم و مصيرهم و وجودهم، كما تذكر كتب التاريخ،و المسلمون المؤمنون بالشفاعه يعتقدون بانفراد اللّه فی التأثير،و لا يرون لموجود آخر غير اللّه استقلالا فی التأثير.

و المقارنه بين الرؤيتين مقارنه جاهله مجافيه للمنطق.

أما بشأن المسأله الثانيه،علينا أوّلا أن نفهم معنى«العباده»لو فسّرنا العباده بأنها كل لون من ألوان الخضوع و الاحترام،لكان ذلک يعنی حرمه الاحترام و الخضوع لأحد غير اللّه،و هذا ما لا يقرّه مسلم.و لو فسّرنا العباده أنها كل ألوان الطلب،فهذا يعنی أن التقدم بالطلب من أيه جهه هو شرک،و هذا يخالف ضروريات العقل و الدين.كما أن العباده لا يمكن فهمها على أنها كل لون من ألوان اتباع فرد لفرد آخر،فاتباع الأفراد لمسؤوليهم و رؤسائهم فی المؤسسات

۱- ۱) -يوسف،۹۷.

۲- ۲) -ص،۵.

۳- ۳) -الشعراء،۹۷ و ۹۸.

و التنظيمات الاجتماعيه من أولى ضروريات الحياه البشريه،كما أن اتّباع الأنبياء و أئمّه الدين من الواجبات الحتميه للمتدينين.

من هنا فالعباده لا تعنى كل ذلك،بل هى الحدّ الأعلى للخضوع و التواضع المعبّرين عن الارتباط المطلق و التسليم بلا منازع للمعبود،و إيكال كل عواقب الأمور إليه.

و هل فى طلب الشفاعه من الشفعاء أثر من الآثار المذكوره للعباده.

أمّا بشأن النهى عن دعوه أحد سوى اللّه،فلا يعنى النهى عن نداء الأفراد،كأن نقول يا علىّ و يا حسن و يا أحمد،و لا يعنى النهى عن الاستعانه بالأفراد،لأن التعاون أحد الأركان الأساسيه للحياه الاجتماعيه و قد عمل به الأنبياء و الأولياء كافه،و لم يرفضه الوهابيون أنفسهم.

أمّا الأمر الذى يمكن الاعتراض عليه فهو ما أوضحه«ابن تيميه»فى رساله «زياره القبور»إذ قال ما حاصله:«مطلوب العبد إن كان ممّا لا يقدر عليه إلاّ اللّه فسائله من المخلوق مشرك من جنس عباد الملائكه و التماثيل و من اتّخذ المسيح و أمه إلهين،مثل أن يقول لمخلوق حى أو ميت:اغفر ذنبى أو انصرنى على عدوى أو اشف مريضى أو عافنى أو عاف أهلى أو دابتى،أو يطلب منه وفاء دينه من غير جهه معينه أو غير ذلك.

و إن كان ممّا يقدر عليه العبد فيجوز طلبه منه فى حال دون حال،فان مسأله المخلوق قد تكون جائزه و قد تكون منهيا عنها قال اللّه تعالى: فَإِذا فَرَغْتَ فَانْصَبْ وَ إِلى رَبِّکَ فَارْغَبْ و

أوصى النّبى صلّى اللّه عليه و اله و سلّم ابن عباس:إذا سألت فاسئل اللّه، و إذا استعنت فاستعن باللّه.و أوصى طائفه من أصحابه أن لا يسألوا النّاس شيئا، فكان سوط أحدهم يسقط من كفه فلا يقول لأحد ناولنى إياه.و قال:فهذه المنهى

عنها و الجائزه طلب دعاء المؤمن لأخيه» (۱) .

نحن أيضا نقول:من الشرک أن يطلب الإنسان من أحد شيئا يختص به الخالق،و من الشرک أن يتجه الإنسان فی ذلک الطلب إلی فرد يعتبره قادرا بشکل مستقل عن تلبيه ذلک الطلب.أما إذا طلب الإنسان من أحد شفاعه منحها له اللّه، فما ذلک بشرک،بل هو عين الإيمان و التوحيد،و يشهد علی ذلک کلمه«مع»فی قوله تعال: فَلاٰ تَدْعُوا مَعَ اللّٰهِ أَحَداً التی تفيد أن المنهی عنه هو دعوه شخص نعتبره فی منزله اللّه،و نعتبره مصدرا مستقلا فی التأثير.(تأمل بدقّه).

هدفنا من التأکيد علی هذا الموضوع،هو أن ما اعتراه من مسخ و تحريف و فّر الفرصه لأعداء الدين کی يطعنوا فی المقدسات الدينيه،کما أدّی إلی ظهور تفسيرات و استنتاجات خاطئه لدی بعض المجموعات الإسلاميه،ممّا جرّ بدوره إلی تفرقه صفوف المسلمين.

و الفهم الصحيح للشفاعه يؤدی کما رأينا إلی سموّ أخلاق المجتمع و تکاملها.

و إلی إصلاح الأفراد الفاسدين،کما يؤدی إليه قطع دابر الطعانين،و إلی إحلال الوحده بين المسلمين.

نأمل من العلماء و المفکرين الإسلاميين أن يتعمّقوا فی تحليل هذه المسأله قرآنيا و منطقيا،کی يسدّوا الطريق أمام طعن أعداء الإسلام و يساهموا فی رصّ الصفوف.

۱- ۱) -زياره أهل القبور،ص ۱۵۲،نقلا عن کشف الارتياب،ص ۲۶۸.

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۴۹]

اشاره

وَ إِذْ نَجَّیْناکُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ یَسُومُونَکُمْ سُوءَ اَلْعَذابِ یُذَبِّحُونَ أَبْناءَکُمْ وَ یَسْتَحْیُونَ نِساءَکُمْ وَ فِی ذٰلِکُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّکُمْ عَظِیمٌ (۴۹)

التّفسیر

اشاره

نعمه الحریه

فی هـذه الآیـه إشـاره إلی نعمه کبیره اخری،منّ بها اللّه سبحانه علی بنی إسـرائیل،و هی نعمه تحریرهم من براثن الظالمین: وَ إِذْ نَجَّیْناکُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، یَسُومُونَکُمْ سُوءَ الْعَذابِ یُذَبِّحُونَ أَبْناءَکُمْ وَ یَسْتَحْیُونَ نِساءَکُمْ وَ فِی ذٰلِکُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّکُمْ عَظِیمٌ .

القرآن یعبّر عن العـذاب الـذی أنزله فرعـون ببنی إسـرائیل بفعـل یَسُومُونَکُمْ من«سـام»الـتی تعنی فی الأصـل الـذهاب فی ابتغـاء الشـیء،و استعمال هذا الفعل بصیغه المضارع یشیر إلی استمرار العذاب،و إلی أن بنی إسرائیل کانوا دوما تحت التعذیب من قبل الفراعنه.

و القرآن عبّر بکلمه«البلاء»عمّا کان ینزل ببنی إسـرائیل من عـذاب یتمثل فی قتل الذکور و اسـتخدام الإناث لخدمه آل فرعون،و استثمار طاقات بنی إسرائیل

ص: ۲۲۰

لخدمه الاقباط و إشباع رغبات و نزوات المستكبرين.

و البلاء يعنى الامتحان،فالحوادث و المصائب التى نزلت ببنى إسرائيل كانت بمثابه الامتحان لهم.كما قد يأتى البلاء بمعنى العقاب،لأن بنى إسرائيل سبق لهم أن كفروا بنعمه ربّهم،فكان ما أصابهم من آل عمران عقابا على كفرانهم.

و ذكر بعض المفسرين معنى ثالثا للبلاء،و هو النعمه،و بذلك يكون البلاء العظيم يعنى النعمه العظيمه،و المقصود منها نعمه النجاه من آل فرعون (۱) .

على كل حال،يوم نجاه بنى إسرائيل من آل فرعون يوم تاريخى مهم،ركّز عليه القرآن فى مواضع عديده و لنا وقفات اخرى عند هذا الحدث الكبير.

من الملفت للنظر أن القرآن يسمّى ذبح الأبناء و استحياء النساء عذابا.و لو عرفنا أن استحياء النساء يعنى استبقاءهنّ،و تركهن أحياء،لاتّضح لنا أن القرآن يشير إلى أن مثل هذا الاستبقاء المذل هو عذاب أيضا مثل عذاب القتل.و هذا المعنى يشير إليه

الإمام أمير المؤمنين على عليه السّلام إذ يقول: «فالموت فى حياتكم مقهورين و الحياه فى موتكم قاهرين» (۲) .

عمليه الإماته كانت شامله للذكور و الإناث مع اختلاف فى ممارسه هذه العمليه،و فى عالمنا المعاصر يمارس طواغيت الأرض عمليه الإماته أيضا بأساليب اخرى،و ذلك عن طريق قتل روح الرجوله فى الذكور،و دفع الإناث إلى مستنقع إشباع الشهوات.

من المفسرين من ذهب إلى أن سبب قتل أبناء بنى إسرائيل و استحياء نسائهم،يعود إلى رؤيا عرضت لفرعون فى منامه.و لكن السبب ليس الرؤيا

۱- ۱) -يقال بلى الثوب أى خلق،و بلوته:اختبرته كأنى أخلقته من كثره اختبارى له،و سمّى الغمّ بلاء من حيث إنه يبلى الجسم،و سمّى التكليف بلاء لأن التكاليف مشاقّ على الأبدان و لأنها اختبارات،و لأن اختبار اللّه تعالى للعباد تاره بالمسارّ ليشكروا و تاره بالمضار ليصبروا،فصارت المنحه و المحنه جميعا بلاء.(المفردات،ماده: بلى).

۲- ۲) -نهج البلاغه،الخطبه ۵۱.

وحـدها-كما سـنبيّن ذلك في تفسـير الآيه الرابعه من سوره القصـص-بل أيضا خوف الفرعونيين من اشـتداد قوه بني إسـرائيل و تشكيلهم خطرا على سلطه آل فرعون.

ص :۲۲۲

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۵۰]

اشاره

وَ إِذْ فَرَقْنا بِکُمُ اَلْبَحْرَ فَأَنْجَیْناکُمْ وَ أَغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (۵۰)

التّفسیر

اشاره

النّجاه من آل فرعون:

الآیه السابقه أشارت إلی نجاه بنی إسرائیل من براثن الفرعونیین،و هذه الآیه توضح طریقه النجاه، وَ إِذْ فَرَقْنا بِکُمُ الْبَحْرَ،فَأَنْجَیْناکُمْ وَ أَغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ .

قضیه غرق آل فرعون فی البحر و نجاه بنی إسرائیل وردت فی سور عدیده مثل سوره الأعراف الآیه(۱۳۶).و سوره الأنفال،الآیه(۵۴).و سوره الإسراء الآیه(۱۰۳).و الشعراء الآیه(۶۳ و ۶۶).و الزخرف،(۵۵).و الدخان،الآیه(۱۷) و ما بعدها.

فی هذه السور ذکرت کل تفاصیل الحادث،أمّا هذه الآیه فاکتفت بالإشاره إلی هذه النعمه الإلهیه فی معرض دعوه بنی إسرائیل إلی قبور الرساله الخاتمه (۱) .

حادثه الانقاذ باختصار حدثت بعد عدم استجابه فرعون و قومه لدعوه

ص :۲۲۳

۱- ۱) -راجع التفاصیل فی المجلد العاشر تفسیر،الآیه(۷۷)و ما بعدها من سوره طه.

موسی علیه السّلام مع کل ما شاهدوه منه من معجزات.إذ ذاک امر أن یخرج مع بنی إسرائیل فی منتصف اللیل من مصر،و عند وصولهم النیل،علموا أن فرعون و جیشه یلاحقونهم،فاعتری،بنی إسرائیل خوف و اضطراب شدید.فالبحر أمامهم و العدوّ وراءهم.و فی هذه اللحظات الحساسه،امر موسی أن یضرب البحر بعصاه،فانشقت فیه طرق متعدّده عبر منها بنو إسرائیل،بینما التحم الماء حینما کان آل فرعون فی وسطه،فغرقوا جمیعا و نجا بنو إسرائیل،و هم ینظرون إلی هلاک أعدائهم.

الهدف من تذکیر بنی إسرائیل بهذا الحدث الذی بدأ بخوف شدید و انتهی بانتصار ساحق،هو دفعهم للشکر و للسیر علی طریق الرساله الإلهیه المتمثله فی دین النّبی الخاتم.

کما أنه تذکیر للبشریه بالامداد الإلهی الذی یشمل کل أمّه سائره بجد و إخلاص علی طریق اللّه.

الآيات [سوره البقره (۲): الآيات ۵۱ الی ۵۴]

اشاره

وَ إِذْ وٰاعَدْنٰا مُوسىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اِتَّخَذْتُمُ اَلْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظٰالِمُونَ (۵۱) ثُمَّ عَفَوْنٰا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۵۲) وَ إِذْ آتَيْنٰا مُوسَى اَلْكِتٰابَ وَ اَلْفُرْقٰانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (۵۳) وَ إِذْ قٰالَ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ يٰا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخٰاذِكُمُ اَلْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلىٰ بٰارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بٰارِئِكُمْ فَتٰابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ اَلتَّوّٰابُ اَلرَّحِيمُ (۵۴)

التّفسير

اشاره

أكبر انحرافات بنی إسرائيل

فی هذه الآيات الأربع،تأكيد علی مقطع آخر من تاريخ بنی إسرائيل،و علی أكبر انحراف أصيبوا به فی تاريخهم الطويل،و هو الانحراف عن مبدأ التوحيد، و الاتجاه إلی عباده العجل.و هذا التأكيد تذكير لهم بما لحقهم من زيغ نتيجه إغواء الغاوين،و تحذير لهم من تكرر هذه التجربه فی مواجهه الدين الخاتم: وَ إِذْ وٰاعَدْنٰا مُوسىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً و هی ليالی افتراق موسی عن قومه، ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظٰالِمُونَ .

شرح هذا المقطع من تاريخ بنی إسرائيل سيأتی فی سوره الأعراف الآيه

ص: ۲۲۵

(۱۴۲)و ما بعدها،و فی سوره طه الآیه(۳۶)و ما بعدها.

و خلاصته،إن موسی علیه السّلام بعد نجاه بنی إسرائیل من قبضه الفراعنه امر بالذهاب إلی جبل الطور مده ثلاثین لیله لتسلم ألواح التوراه،ثم مدّت هذه اللیالی إلی أربعین لیله من أجل اختبار قومه.و استغل السامریّ الدّجال هذه الفرصه،فجمع ما کان لدی بنی إسرائیل من ذهب الفراعنه و مجوهراتهم،و صنع منها عجلا له صوت خاص،و دعا بنی إسرائیل لعبادته. فأتبعه أکثر بنی إسرائیل، و بقی هارون-أخو موسی و خلیفته-مع أقلیه من القوم علی دین التوحید، و حاول هؤلاء الموحّدون الوقوف بوجه هذا الانحراف فلم یفلحوا،و أوشک المنحرفون أن یقضوا علی حیاه هارون أیضا.

بعد أن عاد موسی من جبل الطور تألم کثیرا لما رآه من قومه،و وبّخهم بشدّه فثاب بنو إسرائیل إلی رشدهم،و أدرکوا خطأهم و طلبوا التوبه،فجاءهم أمر السماء بتوبه لیس لها نظیر،سنذکرها فیما یلی.

فی الآیه التالیه یقول سبحانه: ثُمَّ عَفَوْنٰا عَنْکُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِکَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ و بعد إشاره إلی ما جاء بنی إسرائیل من هدایه تشریعیه: وَ إِذْ آتَیْنٰا مُوسَی الْکِتٰابَ وَ الْفُرْقٰانَ لَعَلَّکُمْ تَهْتَدُونَ .

کلمتا«الکتاب»و«الفرقان»قد تشیران کلاهما إلی التوراه،و قد یکون المقصود من«الکتاب»التوراه و«الفرقان»ما قدمه موسی من معاجز بإذن اللّه، لأنّ الفرقان یعنی فی الأصل ما یفرّق بین الحق و الباطل.

ثم یشیر القرآن إلی طریقه التوبه المطروحه علی بنی إسرائیل: وَ إِذْ قٰالَ مُوسیٰ لِقَوْمِهِ یٰا قَوْمِ إِنَّکُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَکُمْ بِاتِّخٰاذِکُمُ الْعِجْلَ،فَتُوبُوا إِلیٰ بٰارِئِکُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَکُمْ ذٰلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ عِنْدَ بٰارِئِکُمْ،فَتٰابَ عَلَیْکُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوّٰابُ الرَّحِیمُ .

و«الباری»هو الخالق،و فی الکلمه إشاره إلی أن هذا الأمر الإلهی بالتوبه الشدیده صادر عمّن خلقکم،و عمّن هو أعرف بما یضرّکم و ینفعکم.

ذنب عظیم و توبه فریده

لا شک أن عباده عجل السامری لم تکن مسأله هینه،لأن بنی إسرائیل شاهدوا ما شاهدوا من آیات اللّه و معجزات نبیّهم موسی علیه السّلام،ثم نسوا ذلک دفعه، و خلال فتره قصیره من غیاب النّبی انحرفوا تماما عن مبدأ التوحید و عن الدین الإلهی.

کان لا بدّ من اقتلاع جذور هذه الظاهره الخطره،کی لا تعود إلی الظهور ثانیه خاصه بعد وفاه صاحب الرساله.

و من هنا کانت الأوامر الإلهیه بالتوبه شدیده لم یسبق لها نظیر فی تاریخ الأنبیاء،و تقضی هذه الأوامر أن تقترن التوبه بإعدام جماعی لعدد کبیر من المذنبین، علی أیدیهم أنفسهم.

طریقه تنفیذ هذا الإعدام لا تقل شده عن الإعدام نفسه،فقد صدرت الأوامر الإلهیه أن یقتل المذنبون بعضهم بعضا،و فی ذلک عذابان للمذنب:عذاب قتل الأصدقاء و المعارف علی یدیه،و ما ینزل به-هو نفسه-من عذاب القتل.

و جاء فی الأخبار أن موسی أمر فی لیله ظلماء کل الجانحین إلی عباده العجل،أن یغتسلوا و یرتدوا الأکفان و یعملوا السیف بعضهم فی البعض الاخر.

و لعلک تسأل عن السبب فی قساوه هذه التوبه و لماذا لم یقبل اللّه تعالی منهم التوبه دون إراقه للدماء؟ الجواب:إن السبب فی شدّه هذا الحکم-کما ذکرنا-یعود إلی عظمه الذنب الذی ارتکبوه بعد کل ما شاهدوه من آیات و معاجز،و إلی أن هذا الذنب یهدّد وجود الدعوه و مستقبلها لإن اصول و مبادئ جمیع الأدیان السماویه یمکن

اختزالها فی التوحید،فلو تزلزل هذا الأصل فإن ذلک یعنی انهیار جمیع اللبنات الفوقیه و المبانی الحضاریه للدین،فلو تساهل موسی علیه السّلام مع ظاهره عباده العجل، لأمکن أن تبقی سنّه فی الأجیال القادمه،خاصه و أن بنی إسرائیل کانوا علی مرّ التاریخ قوما متعنتین لجوجین.

و لا بدّ إذن من عقاب صارم یبقی رادعا للأجیال التالیه عن السقوط فی هاویه الشرک.

و لعل فی عباره قوله تعالی: ذٰلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إشاره إلی هذا المعنی.

ص: ۲۲۸

الآيتان [سوره البقره (۲): الآيات ۵۵ الی ۵۶]

اشاره

وَ إِذْ قُلْتُمْ يا مُوسىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّٰى نَرَى اَللّٰهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ اَلصّٰاعِقَةُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (۵۵) ثُمَّ بَعَثْنٰاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۵۶)

التّفسير

اشاره

طلب عجيب!

هاتان الآيتان تذكّران بنی إسرائيل بنعمه إلهيه اخری،كما توضحان فی الوقت نفسه روح اللجاج و العناد فی هؤلاء القوم،و تبيان ما نزل بهم من عقاب إلهی،و ما شملهم اللّه به من رحمه بعد ذلك العقاب.

تقول الآيه الاولی: وَ إِذْ قُلْتُمْ يا مُوسىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّٰى نَرَى اللّٰهَ جَهْرَةً .

هذا الطلب قد ينم عن جهل بنی إسرائيل،لأن إدراك الإنسان الجاهل لا يتعدّی حواسه.و لذلك يرمی إلی أن يری اللّه بعينه.

أو قد يحكی هذا الطلب عن ظاهره لجاج القوم و عنادهم التی يتميزون بها دوما.

علی أی حال،طلب بنو إسرائيل من نبيهم بصراحه أن يروا اللّه جهره، و جعلوا ذلك شرطا لإيمانهم.

عندئذ شاء اللّه سبحانه أن يری هؤلاء ظاهره من خلقه لا يطيقون رؤيتها، ليفهموا أن عينهم الظاهره هذه لا تطيق رؤيه كثير من مخلوقات اللّه،فما بالك برؤيه اللّه سبحانه نزلت الصاعقه علی الجبل و صحبها برق شديد و رعد مهيب

ص: ۲۲۹

و زلزال مروع،فتركهم،على الأرض صرعى من شده الخوف فَأَخَذَتْكَمُ الصّاعِقَهُ وَ أَنْتُم تَنْظُرُونَ .

اغتم موسى لما حدث بشدّه،لأن هلاك سبعين نفرا من كبار بنى إسرائيل،قد يوفّر الفرصه للمغامرين من أبناء القوم أن يثيروا ضجّه بوجه نبيهم.لذلك تضرّع موسى إلى اللّه أن يعيدهم إلى الحياه،فقبل طلبه و عادوا إلى الحياه: ثُمَّ بَعَثْناكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ .

هذا باختصار شرح الواقعه،و سيأتى تفصيلها فى سوره الأعراف،الآيه ١٥٥، و سوره النساء الآيه ١٥٣ (١) .

هذه القصه تبين من جانب آخر ما عاناه الأنبياء من مشاكل كبرى على طريق دعوتهم.كان قومهم يطلبون منهم معاجز خاصه،و كان العناد يبلغ ببعض الأقوام حدا يطلبون فيه أن يروا اللّه جهره،شرطا لإيمانهم.و حينما يواجه هذا الطلب غير المنطقى بجواب إلهى مناسب حاسم تحدث للنبى مشكله اخرى.و لو لا لطف اللّه و تثبيته لما كان بالإمكان المقاومه تجاه كل هذا العناد.

هذه الآيه تشير ضمنا إلى إمكان«الرجعه»،أى الرجوع إلى هذه الحياه الدنيا بعد الموت.لأن وقوعها فى مورد يدل على إمكان الوقوع فى موارد اخرى.

و لكن عدد من مفسرى أهل السنه أوّلوا«الموت»فى هذه الآيه إلى غير المعنى الظاهر لعدم رغبتهم فى قبول«الرجعه» (٢) .

ص: ٢٣٠

١- ١) -راجع المجلدين الثالث و الخامس من هذا التّفسير.

٢- ٢) -ذهب صاحب المنار،إلى أن المقصود بالبعث بعد الموت،منح الذريه الكثيره لبنى إسرائيل كى لا ينقطع نسلهم،و قال الآلوسى فى«روح المعانى»إن الموت هنا يعنى الغيبوبه،و البعث يعنى صحوه بنى إسرائيل من غيبوبتهم،و راح بعض يفسّر الموت بالجهل،و البعث بالتعليم. و لكن هذه المعانى كلها بعيده عن هذه الآيه و الآيات المشابهه لها فى سوره الأعراف،و لا تليق بمفسر ينشد فهم الحقيقه.

الآیتان [سوره البقره (۲): آیه ۵۷]

اشاره

وَ ظَلَّلْنا عَلَيْكُمُ اَلْغَمامَ وَ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمُ اَلْمَنَّ وَ اَلسَّلْوى كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ وَ ما ظَلَمُونا وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (۵۷)

التّفسیر

اشاره

النّعم المتنوعه

بعد أن نجا بنو إسرائیل من الفرعونیین،تذکر الآیات ۲۳-۲۹ من سوره المائده،أن بنی إسرائیل أمروا لأن یتجهوا إلی أرض فلسطین المقدسه،لکن هؤلاء عصوا هذا الأمر،و أصروا علی عدم الذهاب ما دام فیها قوم جبارون(العمالقه)، و أکثر من ذلک ترکوا أمر مواجهه هؤلاء الظالمین لموسی وحده قائلین له:

فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقاتِلا إِنّا هاهُنا قاعِدُونَ

(۱)

.

تألم موسی لهذا الموقف و دعا ربه قالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاّ نَفْسِي وَ أَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنا وَ بَيْنَ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ (۲) فکتب علیهم التیه أربعین عاما فی صحراء سیناء.

ص: ۲۳۱

۱- ۱) -المائده،۲۴.

۲- ۲) -المائده،۲۵.

مجموعه من التائهین نـدمت علی ما فعلته أشـد النـدم،و تضـرعت إلی اللّه، فشـمل اللّه سـبحانه بنی إسـرائیل ثانیه برحمته،و أنزل علیهم نعمه التی تشیر الآیه إلی بعضها: وَ ظَلَّلْنا عَلَیْکُمُ الْغَمامَ .

و الظّل له أهمیه الکبری لمن یطوی الصحراء طیله النهار و تحت حراره الشمس اللاّفحه،خاصه أن مثل هذا الظّل لا یضیّق الفضاء علی الإنسان و لا یمنع عنه هبوب النسیم.

یبـدو أن الغمـام الـذی تشـیر إلیه الآـیه الکریمه،لیس من النوع العابر الـذی یظهر عاده فی سـماء الصـحراء،و لا یلبث أن یتفرق و یزول،بل هو من نوع خاص تفضل به اللّه علی بنی إسرائیل لیستظلوا به بالقدر الکافی.

و إضافه إلی الظل فانّ اللّه سـبحانه و فّر لبنی إسرائیل بعد تیههم الطعام الذی کانوا فی أمسّ الحاجه إلیه خلال أربعین عاما خلت من ضیاعهم: وَ أَنْزَلْنا عَلَیْکُمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوی،کُلُوا مِنْ طَیِّباتِ ما رَزَقْناکُمْ .

لکن هؤلاء عادوا إلی الکفران: وَ ما ظَلَمُونا وَ لکِنْ کانُوا أَنْفُسَهُمْ یَظْلِمُونَ .و سنشرح«المن»و«السلوی»فی البحوث الآتیه.

بحوث

اشاره

۱-الحیاه الجدیده بعد التحرر:

الامّه التی تتحرر بعد عصـر من الذّل و الاسـتضـعاف و الاسـتعباد،لا تستطیع أن تتخلی تماما عن حالتها النفسیه و الثقافیه الموروثه عن عصـر الطاغوت،و لا بـدّ من فتره برزخیه تمر بها کی تکون قادره علی إقامه حکم اللّه فی الأرض،وفق معاییر إلهیه بعیده عن مؤثرات عصر الطاغوت.

و سواء امتدت هذه الفتره البرزخیه أربعین عاما کما حدث لبنی إسرائیل،أو

أقل أو أكثر،فهى فتره عقاب إلهى هدفها التزكيه و الإصلاح و البناء لأنّ مجازاه اللّه ليست لها جنبه انتقاميه.

و لا بدّ أن يبقى بنو إسرائيل فتره أربعين عاما من«التيه»فى الصحراء ليتربّى جيل جديد حامل لصفات توحيديه ثوريه،و مؤهل لإقامه الحكم الإلهى فى الأرض المقدسه.

٢-المنّ و السّلوى:

تعددت أقوال المفسرين فى معنى هاتين الكلمتين،و لا حاجه إلى استعراضها جميعا،بل نكتفى بذكر معنا هما اللغوى،ثم نذكر تفسيرا واحدا لهما هو فى اعتقادنا أوضح التفاسير و أقربها إلى الفهم القرآنى.

«المنّ»شىء كالطلّ فيه حلاوه يسقط على الشجر (١) أو بعباره اخرى هو عصاره شجر ذات طعم حلو،و قيل طعم حلو ممزوج بالحموضه.

و«السّلوى»يعنى التسلّى،و قال بعض اللغويين و جمع من المفسرين إنه «طائر».

و روى عن النّبى صلّى اللّه عليه و اله و سلّم: «إن الكماه من المنّ».

و ذهب البعض إلى أن«المنّ»هو جميع ما أنعم اللّه تعالى على بنى إسرائيل و منّ عليهم.و«السّلوى»هى جميع المواهب و الملكات النفسانيه التى توجب لهم التسليه و الهدوء النفسى.

و هو مع مخالفته لرأى معظم المفسرين،يخالف ظاهر الآيه حيث تقول:

كُلُوا مِنْ طَيِّبٰاتِ مٰا رَزَقْنٰاكُمْ

و فى هذا التعبير دلاله واضحه على أن المنّ

١- ١) -المفردات،للراغب الأصفهانى.

و السلوى نوعان من الطعام.و هذه العباره وردت كذلك فى الآيه ۱۶۰ من سوره الأعراف.

و تذكر التوراه أن«المنّ»حبّ يشبه بذر الكزبره يتساقط على الأرض ليلا، و كان بنو إسرائيل يجمعونه و يصنعون منه خبزا ذا طعم خاص.

و ثمه احتمال آخر هو أن الأمطار الغزيره النافعه التى هطلت بفضل اللّه على تلك الصحراء أثرت على أشجار تلك المنطقه فأفرزت عصاره حلوه استفاد منها بنو إسرائيل.

و احتمل بعضهم أن يكون«المنّ»نوعا من العسل الطبيعى حصل عليه بنو إسرائيل فى الجبال و المرتفعات المحيطه بصحراء التيه.و هذا التّفسير يؤيد ما ورد من شروح على العهدين(التوراه و الإنجيل)حيث جاء:«الأراضى المقدسه معروفه بكثره أنواع الأوراد و الأزهار،و من هنا فإن مجاميع النحل تبنى خلاياها فى أخاديد الصخور و على أغصان الأشجار و ثنايا بيوت النّاس،بحيث يستطيع أفقر النّاس أن يتناول العسل» (۱) .

بشأن«السلوى»قال بعض المفسرين إنه العسل،و أجمع الباقون على أنه نوع من الطير،كان يأتى على شكل أسراب كبيره إلى تلك الأرض،و كان بنو إسرائيل يتغذون من لحومها.

فى النصوص المسيحيه تأييد لهذا الرأى حيث ورد فى تفسير على العهدين ما يلى:«اعلم أن السلوى تتحرك بمجموعات كبيره من افريقيا،فتتجه إلى الشمال،و فى جزيره كابرى وحدها يصطاد من هذا الطائر ۱۶ ألفا فى الفصل الواحد...هذا الطائر يجتاز طريق بحر القلزم،و خليج العقبه و السويس،و يدخل شبه جزيره سيناء و بعد دخوله لا يستطيع أن يطير فى ارتفاعات شاهقه لشدّه ما

۱- ۱) -قاموس الكتاب المقدس،ص ۶۱۲.

لاقاه من تعب و عناء فی الطریق،فیطیر علی ارتفاع منخفض و لذلک یمکن اصطیاده بسهوله...و ورد ذکر ذلک فی سفر الخروج و سفر الأعداء من التوراه» (۱) .

یستفاد من هذا النص أن المقصود بالسلوی طیر خاص سمین یشبه الحمام معروف فی تلک الأرض.

شاء اللّه بفضله و منّه أن یکثر هذا الطیر فی صحراء سیناء آنئذ لسدّ حاجه بنی إسرائیل من اللحوم،و لم تکن هذه الکثره من الطیر طبیعیه فی تلک المنطقه.

۳-لماذا قالت الآیه«أنزلنا»؟

عبرت الآیه الکریمه عن نعمه تقدیم المن و السلوی بالإنزال،و لیس الإنزال دائما إرسال الشیء من مکان عال،کقوله تعالی: وَ أَنْزَلَ لَکُمْ مِنَ الْأَنْعٰامِ ثَمٰانِیَهَ أَزْوٰاجٍ (۲) .

واضح أن الأنعام لم تهبط من السماء،من هنا فالإنزال فی مثل هذه المواضع:

إمّا أن یکون«نزولا مقامیا»أی نزولا من مقام أسمی إلی مقام أدنی.

أو أن یکون من«الإنزال»بمعنی الضیافه،یقال أنزلت فلانا:أی أضفته، و النزل(علی وزن رسل)ما یعدّ للنازل من الزاد،و منه قوله تعالی: فَنُزُلٌ مِنْ حَمِیمٍ (۳) و قوله سبحانه: خٰالِدِینَ فِیهٰا نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ (۴) .

و تعبیر«الإنزال»للمنّ و السلوی،قد یشیر إلی أن بنی إسرائیل کانوا ضیوف اللّه فی الأرض،فاستضافهم بالمن و السلوی.

و یحتمل أن یکون الإنزال بمعنی الهبوط من الأعلی لأن النعم المذکوره و خاصه(السلوی)تهبط إلی الأرض من الأعلی.

۱- ۱) -قاموس الکتاب المقدس،ص ۴۸۳.

۲- ۲) -الزمر،۶.

۳- ۳) -الواقعه،۹۳.

۴- ۴) -آل عمران،۱۹۸.

۴-ما هو الغمام؟

قیل:الغمام و السحاب بمعنی واحد،و قیل الغمام هو السحاب الأبیض، و ذکروا فی وصفه أنه ابرد و أرق من السحاب،و الغمام فی الأصل من الغمّ و هو تغطیه الشیء،و سمّی الغمام بهذا الاسم لأنه یغطی صفحه السماء،و سمّی الهمّ غما بهذا الاسم لأنه یحجب القلب (۱) .

علی أی حال،قد یشیر تعبیر«الغمام»إلی أن بنی إسرائیل،کانوا یستفیدون من ظل الغمام إضافه إلی تمتعهم بالنور الکافی لبیاض هذه السّحبه.

۱- ۱) -تفسیر«روح المعانی»فی تفسیر الآیه المذکوره،و المفردات ماده«غمّ».

الآيتان [سوره البقره (٢): الآيات ٥٨ الى ٥٩]

اشاره

وَ إِذْ قُلْنَا اُدْخُلُوا هٰذِهِ اَلْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهٰا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَ اُدْخُلُوا اَلْبٰابَ سُجَّداً وَ قُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطٰايٰاكُمْ وَ سَنَزِيدُ اَلْمُحْسِنِينَ (٥٨) فَبَدَّلَ اَلَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ اَلَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنٰا عَلَى اَلَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ اَلسَّمٰاءِ بِمٰا كٰانُوا يَفْسُقُونَ (٥٩)

التّفسير

اشاره

عناد بنی إسرائیل

و هنا نصل إلى مقطع جديد من حياه بنى إسرائيل،يرتبط بورودهم الأرض المقدسه.تقول الآيه الاولى: وَ إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هٰذِهِ الْقَرْيَةَ و القريه كل مكان يعيش فيه جمع من النّاس،و يشمل ذلك المدن الكبيره و الصغيره،خلافا لمعناها الرائج المعاصر،و المقصود بالقريه هنا بيت المقدس.

ثم تقول الآيه: فَكُلُوا مِنْهٰا حَيْثُ شِئْتُم رَغَداً وَ ادْخُلُوا الْبٰابَ سُجَّداً وَ قُولُوا حِطَّةٌ أى حطّ عنا خطايانا، نَغْفِرْ لَكُمْ خَطٰايٰاكُمْ وَ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ .

كلمه«حطّه»فى اللغه،تأتى بمعنى التناثر و المراد منها فى هذه الآيه الشريفه، آلهنا نطلب منك أن تحطّ ذنوبنا و أوزارنا.

أمرهم اللّه سبحانه أن يردّدوا من أعماق قلوبهم عباره الاستغفار المذكوره، و يدخلوا الباب،و يبدو أنه من أبواب بيت المقدس (۱) ،و قد يكون هذا سبب تسميه أحد أبواب بيت المقدس«باب الحطه».

و الآيه تنتهى بعباره وَ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ أى أن المحسنين سينالون المزيد من الأجر إضافه إلى غفران الخطايا.

و القرآن يحدثنا عن عناد مجموعه من بنى إسرائيل حتى فى ترتيل عباره الاستغفار،فهؤلاء لم يرددوا العباره بل بدلوها بعباره اخرى فيها معنى السخريه و الاستهزاء،و القرآن يقول عن هؤلاء المعاندين: فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِی قِيلَ لَهُمْ و كانت نتيجه هذا العناد ما يحدثنا عنه كتاب اللّه حيث يقول:

فَأَنْزَلْنا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ

.

و«الرجز»أصله الاضطراب-كما يقول الراغب فى مفرداته-و منه قيل رجز البعير إذا اضطرب مشيه لضعفه.

و يقول«الطبرسى»فى«مجمع البيان»:إنّ الرجز يعنى العذاب عند أهل الحجاز،

و يروى عن الرّسول صلّى اللّه عليه و اله و سلّم قوله بشأن مرض الطاعون: «إنّه رجز عذّب به بعض الأمم قبلكم» (۲) .

و من هنا يتضح سبب تفسير«الرجز»فى بعض الروايات أنه نوع من الطاعون فشا بسرعه بين بنى إسرائيل و أهلك جمعا منهم.

قد يقال إن الطاعون لا ينزل من السماء،لكن هذا التعبير قد يشير إلى حقيقه انتشار هذا المرض عن طريق الهواء الملوّث بميكروب الطاعون الذى هبّ بأمر اللّه آنذاك فى بيئه بنى إسرائيل.

يلفت النظر أن من عوارض الطاعون اضطرابا فى المشى و الكلام،و هذا

۱- ۱) -على روايه أبى حيان الأندلسى،نقلا عن تفسير«الكاشف».

۲- ۲) -راجع حول معنى«الجز»الجزء الخامس من هذا التّفسير.

يتناسب مع أصل معنى«الرجز»تماما.

و من الملفت للنظر أيضا أن القرآن يؤكد أن هذا العذاب نزل عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فقط،و لم يشمل جميع بنى إسرائيل.

ثم تذكر الآيه تأكيدا آخر على سبب نزول العذاب على هذه المجموعه من بنى إسرائيل بعباره: بِمٰا كٰانُوا يَفْسُقُونَ .

و الآيه الكريمه بعد ذلك تبين بشكل غير مباشر سنه من سنن اللّه تعالى،هى أن الذنب حينما يتعمق فى المجتمع و يصبح عاده اجتماعيه،عند ذاك يقترب احتمال نزول العذاب الإلهى.

ص :٢٣٩

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۶۰]

اشاره

وَ إِذِ اِسْتَسْقىٰ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اِضْرِبْ بِعَصٰاکَ اَلْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اِثْنَتٰا عَشْرَهَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنٰاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَ اِشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اَللّٰهِ وَ لاٰ تَعْثَوْا فِی اَلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (۶۰)

التّفسیر

انفجار العیون فی الصّحراء تذکیر آخر بنعمه اخری من نعم اللّه علی بنی إسرائیل:و هذا التذکیر تشیر إلیه کلمه«إذ»المقصود منها(و اذکروا إذ)،و هذه النعمه أغدقها اللّه علیهم،حین کان بنو إسرائیل فی أمسّ الحاجه إلی الماء و هم فی وسط صحراء قاحله،فطلب موسی علیه السّلام من اللّه عزّ و جلّ الماء: وَ إِذِ اسْتَسْقىٰ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ ،فتقبل اللّه طلبه، و أمر نبیّه أن یضرب الحجر بعصاه: فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصٰاکَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتٰا عَشْرَهَ عَيْناً بعدد قبائل بنی إسرائیل.

و کل عین جرت نحو قبیله بحیث أن کل قبیله کانت تعرف العین التی تخصّها قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنٰاسٍ مَشْرَبَهُمْ .

کثرت الأقوال فی طبیعه الحجر الذی انفجرت منه العیون،و کیفیه ضربه بالعصا،و القرآن لا یزید علی ذکر ما سبق.

ص: ۲۴۰

قـال بعض المفسـرين:إن هـذا الحجر كـان فى ثنايا الجبال المطله على الصـحراء و تـدل جمله«انبجست»الوارده فى الآيه ۱۶۰ من سوره الأعراف على أن المياه جرت قليله أولا،ثم كثرت حتى ارتوى منها كل قبائل بنى إسرائيل مع مواشيهم و دوابهم.

ظاهره انفجار المياه من الصخور طبيعيه،لكن الحادثه هنا مقرونه بالإعجاز كما هو واضح.

ثمه أقوال تـذكر أن ذلـك الحجر كـان من نوع خـاص حمله بنو إسـرائيل معهم، و متى احتـاجوا إلى الماء ضـربه موسـى بعصاه فيجرى من الماء.و ليس فى القرآن ما يثبت ذلك،و إن أشارت إليه بعض الروايات.

فى الفصل السابع عشر من«سفر الخروج»تذكر التوراه:

فقال الرب لموسـى سر قدام الشعب و خذ معك من شيوخ إسرائيل و عصاك التى ضربت بها النهر خذها فى يدك و اذهب-ها أنا أقف أمامك هناك على الصـخره فى حوريب فتضـرب الصـخر فيخرج منها ماء ليشرب الشعب ففعل موسى هكذا أمام عيون شيوخ إسرائيل» (۱) .

لقـد منّ اللّه على بنى إسـرائيل بإنزال المنّ و السـلوى،و فى هـذه المرّه يمنّ عليهم بالماء الذى يعزّ فى تلك الصـحراء القاحله،ثم يقول سبحانه لهم: كُلُوا وَ اشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللّهِ وَ لا تَعْثَوْا فِی الْأَرْضِ مُفْسِدِینَ .

و فى هذه العباره حث لهم على ترك العناد و إيذاء الأنبياء،و أن يكون هذا أقل شكرهم للّه على هذه النعم.

۱- ۱) -الفصل السابع عشر،العدد ۶ و ۵.

بحوث

اشاره

۱-الفرق بين العثّی و الإفساد

نهی اللّه سبحانه بنی إسرائيل عن الفساد بفعل لاٰ تَعْثَوْا ،من العثّی و هو شده الفساد،و تشبه فی معناها«العيث»،إلاّ أنّ العيث أكثر ما يقال فی الفساد الـذی يـدرک حسا،و العثیّ فيما يدرک حكما (۱) .و بهـذا يكون معنی لاٰ تَعْثَوْا هو معنی «المفسـدين»و لكنه مع تأكيد أشد.

و قد تشير عباره النهی بأجمعها إلی حقيقه بدء الفساد من نقطه صغيره، و اتساعها و اشتدادها بعد ذلک.أی تبدأ بالفساد و تنتهی بالعثیّ الأرض،و هو شده الفساد و اتساعه.

۲-المعاجز فی حياه بنی إسرائيل

قد تثير مسأله انفجار الماء من الحجر و ما شابهها من المعاجز فی حياه الأنبياء تساؤلات فی ذهن أولئک الذين لم يستوعبوا منطق الإعجـاز.و لا ـ نريـد هنـا أن نتعرض إلی مسأله الإعجـاز،لأنهـا تحتـاج إلی بحث مستقل.و نكتفی بالقول:إن المعجزه ليست أمرا محالا،و ليست استثناء فی قانون العليّه.بل إنها خرق لما ألفناه و اعتـدنا عليه،أو بعباره اخری،خرق لما ألفناه فی حياتنا اليوميّه من ارتباط بين العله و المعلول.

و طبيعی أن تغيير مسير العلل و المعلولات ليس بعسير علی اللّه سبحانه،و لو خلق اللّه هـذه العلل و المعلولات منذ البدء بشكل آخر غير ما هی عليه اليوم،لكان هذا الذی نألفه اليوم خارقا للعاده.

باختصار،خالق عالم الوجود و نظام العليّه حاكم علی ما خلق لا محكوم له.

۱- ۱) -المفردات،ماده عثی.

و فی حیاتنا الیومیه صور کثیره للاستثناءات فی النظام القائم للعلل و المعلولات.

و مسأله الإعجاز لا تشکل أیه مشکله عقلیه أو علمیه.

۳-الفرق بین الإنفجار و الانبجاس

فی الآیه المذکوره ورد الفعل«انفجر»لیعبّر عن تدفق الماء من الحجر،بینما ورد الفعل«انبجس»فی الآیه ۱۶۰ من سوره الأعراف لیشیر إلی نفس الحقیقه مع فارق هو أن الأول یفصح عن شده تدفّق الماء،و الثانی عن سیلانه بشکل هادئ.

لعل آیه سوره الأعراف تتحدث عن المرحله الأولی من ظهور الماء، و جریانه بشکل هادئ لا یثیر فزع القوم،و لا یمنعهم من السیطره علیه، بینما تشیر الآیه التی نحن فی صددها إلی المرحله النهائیه حیث اشتد جریان الماء.

و الراغب فی مفرداته یفسر الانبجاس و الإنفجار بشکل یتناسب مع ما أشرنا إلیه إذ یقول:بجس الماء و انبجس:انفجر،لکن الانبجاس أکثر ما یقال فیما یخرج من شیء ضیق.و الإنفجار یستعمل فیه و فیما یخرج من شیء واسع.

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۶۱]

اشاره

وَ إِذْ قُلْتُمْ یٰا مُوسیٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلیٰ طَعٰامٍ وٰاحِدٍ فَادْعُ لَنٰا رَبَّکَ یُخْرِجْ لَنٰا مِمّٰا تُنْبِتُ اَلْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهٰا وَ قِثّٰائِهٰا وَ فُومِهٰا وَ عَدَسِهٰا وَ بَصَلِهٰا قٰالَ أَ تَسْتَبْدِلُونَ اَلَّذِی هُوَ أَدْنیٰ بِالَّذِی هُوَ خَیْرٌ اِهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَکُمْ مٰا سَأَلْتُمْ وَ ضُرِبَتْ عَلَیْهِمُ اَلذِّلَّهُ وَ اَلْمَسْکَنَهُ وَ بٰاؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اَللّٰهِ ذٰلِکَ بِأَنَّهُمْ کٰانُوا یَکْفُرُونَ بِآیٰاتِ اَللّٰهِ وَ یَقْتُلُونَ اَلنَّبِیِّینَ بِغَیْرِ اَلْحَقِّ ذٰلِکَ بِمٰا عَصَوْا وَ کٰانُوا یَعْتَدُونَ (۶۱)

التّفسیر

اشاره

المطالبه بالأطعمه المتنوعه

بعد أن شرحت الآیات السابقه نعم اللّه علی بنی إسرائیل، ذکرت هذه الآیه صوره من عنادهم و کفرانهم بهذه النعم الکبری.

تتحدث الآیه أولا عن مطالبه بنی إسرائیل نبیّهم بأطعمه متنوعه بدل اطعام الواحد(المنّ و السّلوی): وَ إِذْ قُلْتُمْ یٰا مُوسیٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلیٰ طَعٰامٍ وٰاحِدٍ فَادْعُ لَنٰا رَبَّکَ یُخْرِجْ لَنٰا مِمّٰا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهٰا وَ قِثّٰائِهٰا وَ فُومِهٰا وَ عَدَسِهٰا وَ بَصَلِهٰا .

فخاطبهم موسی قٰالَ أَ تَسْتَبْدِلُونَ الَّذِی هُوَ أَدْنیٰ بِالَّذِی هُوَ خَیْرٌ اهْبِطُوا

ص: ۲۴۴

مِصْراً فَإِنَّ لَكَمْ ما سَأَلْتُمْ

.

و يضيف القرآن: وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَ الْمَسْكَنَهُ وَ باؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللّهِ، ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذٰلِكَ بِما عَصَوْا وَ كانُوا يَعْتَدُونَ .

بحوث

اشاره

١-آراء المفسرين فى كلمه«مصر»

من المفسرين من قال إن المقصود من كلمه«مصر»فى الآيه الكريمه هو المفهوم العام للمدينه.و قوله سبحانه: اِهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ ما سَأَلْتُمْ ،أى إنكم الآن تعيشون فى هذه الصحراء ضمن إطار منهج للاختبار و بناء الذات، و ليس هذا مكان الأطعمه المتنوعه،اذهبوا إلى المدن حيث التنوع فى المأكولات،و لكن لا يوجد فيها المنهج المذكور.

و يستدل أصحاب هذا الرأى بأن بنى إسرائيل لم يطلبوا العوده إلى«مصر» موطنهم السابق و لم يعودوا إليه إطلاقا (١) .

و منهم من اختار هذا التّفسير لمصر،و أضاف إليه أن المقصود من قوله تعالى:

اِهْبِطُوا...

هو أن بقاءكم فى الصحراء و اقتصاركم على الطعام الواحد يعودان إلى ضعفكم،فكونوا أقوياء،و حاربوا الأعداء،و حرروا من سيطرتهم مدن الشام و الأرض المقدسه،ليتوفر لكم ما شئتم (٢) .

و هناك رأى ثالث للمفسرين هو أن المقصود من«مصر»البلد المعروف.

و يكون المعنى عندئذ:إنكم فى هذه الصحراء الخاليه من الأطعمه المتنوعه

١- ١) -التنوين فى كلمه(مصر)دليل على تنكيرها،و على عدم اختصاصها بالأرض المعروفه.

٢- ٢) -تفسير المنار،ذيل الآيه المذكوره.

تملكون الإيمان و الحريه و الاستقلال،و إن أبيتم إلاّ أن تكون لكم أطعمه متنوعه، فارجعوا إلى مصر حيث الذل و الاستعباد،لتأكلوا من فتات موائد الفراعنه.إن مشتهيات بطونكم أنستكم ما كنتم تعانون منه من ذل و استعباد،و ما حصلتم اليوم عليه من حريه و رفعه و افتخار،و ما تتحملونه من حرمان يسير إنما هو ثمن لحريتكم (۱) .

و يبدو أن التّفسير الأول أنسب من التاليين.

۲-التنوع و طبيعه الإنسان

التنوع هو-دون شک-من متطلبات البشر،و حبّ التنويع خصله طبيعيه فی البشر.و الإنسان-إن استمرّ على تناول طعام معين لمدّه طويله-يمل ذلک الطعام.

فلم إذن توجّه اللوم و التقريع إلى بنی إسرائيل حين طلبوا الخضروات و الخيار و الثوم و العدس و البصل ليتخلصوا من الطعام الواحد؟! الجواب يتضح لو علمنا أنّ الحياه الإنسانيه تقوم على أساس حقائق هامّه لا يمكن التخلّی عنها،هی الإيمان و الطهر و التقوى و التحرّر.و قد تمرّ الجماعه البشريه بمرحله يتعارض فيها هذا الأساس الهام مع متطلبات الإنسان من الطعام و الشراب و اللذائذ الاخرى.و هنا تصبح الجماعه أمام خيارين،إمّا أن تنغمس فی اللذات و تترک قيمها و شرفها،أو تضحی بلذّاتها من أجل إنسانيتها و كرامتها.

بنو إسرائيل كانوا يعيشون أمام هذين الخيارين.

و لا بدّ من الإشاره إلى أن حقيقه حبّ التنويع استغلها الطامعون و المستعمرون دوما،ليدفعوا الشعوب إلى هاويه حياه استهلاكيه شهوانيه هابطه،يعيش الأفراد

۱- ۱) -فی ظلال القرآن.

فيها بين المعلف و المضجع،ناسين شخصيتهم الإنسانيه،و غافلين عن النير الذى يطوق أعناقهم.

۳-هل«المنّ»و«السلوى»خير الأطعمه؟

حين طلب بنو إسرائيل أطعمه متنوعه جاءهم التقريع بالقول: أَ تَسْتَبْدِلُونَ الَّذِى هُوَ أَدْنىٰ بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ ؟!أى أ تختارون الأدنى و تتركون الأفضل؟! و يبدو أن المقصود بالأفضل هنا هو ما لديهم من طعام متمثل بالمن و السلوى.غير أن التفضيل الذى يطرحه القرآن هنا يعود إلى الحياه بكل أبعادها،و التقريع يتجه إلى بنى إسرائيل لرغبتهم فى التنويع مع ما قد يكشف هذا التنويع من ذلّ و هوان.

و على صعيد القيمه الغذائيه،فإن الأطعمه النباتيه التى طلبها بنو إسرائيل لها قيمتها الغذائيه طبعا،غير أن مقدار الموارد الغذائيه النافعه الموجوده فى«المن»- و هو العسل أو ماده سكريه مقوّيه-و كذلك فى لحوم السلوى يفوق ما فى الأطعمه النباتيه المذكوره،كما أن المن و السلوى أسهل هضما من الحبوب المذكوره (۱) .

و لا بأس من الإشاره إلى أن«الفوم»الذى طلبه بنو إسرائيل فسّر بالحنطه مره و بالثوم مره اخرى،و لكلّ من المادتين قيمتها الغذائيه،و يرى بعض أن تفسير الفوم بالقمح أصحّ لاستبعاد أن يطلب القوم طعاما خاليا من القمح (۲) .

۱- ۱) -راجع:«قرآن بر فراز قرون و اعصار»،(فارسى)،ص ۱۱۲.

۲- ۲) -تفسير القرطبى.

۴-ذله بنی إسرائیل و مسکنتهم

تفید الآیه الکریمه أن بنی إسرائیل ضُرِبَتْ عَلَیْهِمُ الذِّلَّهُ وَ الْمَسْکَنَهُ وَ بٰاؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللّٰهِ لعاملین:

الأوّل-لکفرهم بآیات اللّه،و انحرافهم عن خط التوحید.

الثانی-لقتلهم الأنبیاء بغیر حق.

ظاهره الانحراف عن خط التوحید و ظاهره القسوه و الفظاظه، لا زالتا مشهودتین حتی الیوم عند جمع من هؤلاء القوم،و لا زالتا سببا لشقاوتهم و طیشهم و تعاستهم (۱) .

فی تفسیر الآیه ۱۱۲ من سوره آل عمران تحدثنا بالتفصیل عن مصیر الیهود و حیاتهم التعیسه،(المجلد الثانی من هذا التّفسیر).

ص: ۲۴۸

۱- ۱) -نحن إذ نکتب هذه السطور،تصلنا أنباء عما ارتکبه هؤلاء القوم فی لبنان،من أعمال قاسیه وحشیه ذهب ضحیتها الآلاف من المدنیین العزل،خلال مجازر وحشیه.قلّ أن شهد لها التاریخ نظیرا.و سیدفع هؤلاء المجرمون الثمن غالیا لفعلتهم الشنعاء هذه، وَ سَیَعْلَمُ الَّذِینَ ظَلَمُوا أَیَّ مُنْقَلَبٍ یَنْقَلِبُونَ .

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۶۲]

اشاره

إِنَّ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ اَلَّذِینَ هٰادُوا وَ اَلنَّصٰاریٰ وَ اَلصّٰابِئِینَ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَ اَلْیَوْمِ اَلْآخِرِ وَ عَمِلَ صٰالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لاٰ خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لاٰ هُمْ یَحْزَنُونَ (۶۲)

التّفسیر

اشاره

القانون العام للنّجاه

بعد عرض لمقاطع من تاریخ بنی إسرائیل،تطرح هذه الآیه الکریمه مبدأ عاما فی التقییم وفق المعاییر الإلهیه.و هذا المبدأ ینص علی أن الإیمان و العمل الصالح هما أساس تقییم الأفراد،و لیس للتظاهر و التصنّع قیمه فی میزان اللّه: إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ الَّذِینَ هٰادُوا وَ النَّصٰاریٰ وَ الصّٰابِئِینَ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ وَ عَمِلَ صٰالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لاٰ خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لاٰ هُمْ یَحْزَنُونَ.

هذه الآیه تکررت مع اختلاف یسیر فی سوره المائده،الآیه ۷۲ و فی سوره الحج الآیه ۱۷.

سیاق الآیه فی سوره المائده یشیر إلی أن الیهود و النصاری فخروا بدینهم، و اعتبروا أنفسهم أفضل من الآخرین،و ادّعوا بأن الجنّه خاصه بهم دون غیرهم.

و لعل مثل هذا التفاخر صدر عن بعض المسلمین أیضا،و لذلک نزلت هذه

ص :۲۴۹

الآـیه الکریمه لتؤکـد أن الإیمـان الظـاهری لاـ قیمه له فی المیزان الإـلهی،سواء فی ذلک المسـلمون و الیهود و النصاری و أتباع الأدیـان الاـخری.و لتقول الآـیه أیضـا:إن الأـجر عنـد اللّه یقوم علی أسـاس الإیمان الحقیقی باللّه و الیوم الآخر إضافه إلی العمل الصالح.و هذا الأساس هو الباعث الوحید للسعاده الحقیقه و الابتعاد عن کل خوف و حزن.

تساؤل هام

بعض المضـللین اتخـذوا من الآـیه الکریمه التی نحن بصـددها وسـیله لبثّ شـبهه مفادها أن العمل بأی دین من الأدیان الإلهیه له أجر عند اللّه،و لیس من اللازم أن یعتنق الیهودی أو النصرانی الإسلام،بل یکفی أن یؤمن باللّه و الیوم الآخر و یعمل صالحا.

الجواب:نعلم أن القرآن یفسّر بعضه بعضا،و الکتاب العزیز یقول: وَ مَنْ یَبْتَغِ غَیْرَ الْإِسْلاٰمِ دِیناً فَلَنْ یُقْبَلَ مِنْهُ (۱) .

کما أن القرآن ملیء بالآیات التی تـدعو أهل الکتاب إلی اعتناق الـدین الجدید،و تلک الشـبهه تتعارض مع هذه الآیات. من هنا یلزمنا أن نفهم المعنی الحقیقی للآیه الکریمه.

و نذکر تفسیرین لها من أوضح و أنسب ما ذکره المفسرون:

۱-لو عمـل الیهود و النصـاری و غیرهم من أتبـاع الأدیـان السـماویه بمـا جاء فی کتبهم،لآمنوا حتما بالنّبی صـلّی اللّه علیه و اله و سلّم،لأن بشارات الظهور و علائم النّبی و صـفاته مذکوره فی هذه الکتب السـماویه،و سیأتی شرح ذلک فی تفسیر الآیه ۱۴۶ من سوره البقره.

۱- ۱) -آل عمران،۸۵.

۲-هذه الآیه تجیب علی سؤال عرض لکثیر من المسلمین فی بدایه ظهور الإسلام،یدور حول مصیر آبائهم و أجدادهم الذین لم یدرکوا عصر الإسلام، تری،هل سیؤاخذون علی عدم إسلامهم و إیمانهم؟! الآیه المذکوره نزلت لتقول إن کل أمّه عملت فی عصرها بما جاء به نبیّها من تعالیم السماء و عملت صالحا؛فإنها ناجیه،و لا خوف علی أفراد تلک الامّه و لا هم یحزنون.

فالیهود المؤمنون العاملون ناجون قبل ظهور المسیح،و المسیحیون المؤمنون العاملون ناجون قبل ظهور نبی الإسلام.

و هذا المعنی مستفاد من سبب نزول هذه الآیه کما سیأتی.

بحوث

اشاره

۱-قصّه سلمان الفارسی رحمه اللّه

إکمالا للبحث،لا بأس أن نذکر هنا سبب نزول هذه الآیه کما جاء فی جامع البیان للطبری:

«کان سلمان من جندیسابور،و کان من أشرافهم،و کان ابن الملک صدیقا له مؤاخیا،لا یقضی واحد منهم أمرا دون صاحبه.و کانا یرکبان إلی الصید معا.فبینما هما فی الصید،إذ بدا لهما بیت من خباء،فأتیاه فإذا هما فیه برجل بین یدیه مصحف،یقرأ فیه،و هو یبکی.

سألاه:ما هذا؟ قال:إن کنتما تریدان أن تعلما ما فیه فانزلا،حتی أعلّمکما.فنزلا إلیه.

فقال لهما:هذا کتاب من عند اللّه،أمر فیه بطاعته،و نهی عن معصیته،فیه ان لا تزنی و لا تسرق و لا تأخذ أموال النّاس بالباطل،فقص علیهما ما فیه،و هو

الإنجيل الذى أنزله اللّه على عيسى.

فوقع فى قلوبهما،و تابعاه،فأسلما.

و قال لهما:إن ذبيحه قومكما عليكما حرام.فلم يزالا معه كذلك يتعلّمان منه.

ثم اتفق أن كان للملك عيد،فجعل طعاما،و دعى إليه الأشراف،فأبى ابن الملك أن يحضر الوليمه،فدعاه أبوه فقال له:ما أمرك هذا؟ قال:إنا لا نأكل من ذبائحكم،إنكم كفار لا تحل ذبائحكم.

قال:إنا لا نأكل من ذبائحكم،إنكم كفار لا تحل ذبائحكم.

قال له الملك:من أمرك بهذا؟فأخبره أن الراهب أمر بذلك.

فدعا الراهب فقال:ماذا يقول ابنى؟ قال:صدق ابنك.

قال له:لو لا أن الدم فينا عظيم لقتلتك، و لكن اخرج من أرضنا.فأجّله أجلا.

قال سلمان:فقمنا نبكى عليه،فقال لهما:إن كنتما صادقين فأنا فى بيعه فى الموصل،مع ستين رجلا نعبد اللّه فيها،فأتونا فيها،فخرج الراهب،و بقى سلمان و ابن الملك،فجعل يقول لابن الملك:انطلق بنا،و ابن الملك يقول:نعم.

و جعل ابن الملك يبيع متاعه يريد الجهاز.فلما أبطأ على سلمان،خرج سلمان حتى أتاهم،فنزل على صاحبه،و هو ربّ البيعه،و كان أهل تلك البيعه من أفضل الرهبان.فكان سلمان معهم يجتهد فى العباده و يتعب نفسه.

قال له الشيخ يوما:إنك غلام حدث،تتكلف من العباده ما لا تطيق،و أنا خائف أن تفتر و تعجز،فارفق بنفسك،و خفف عليها.

قال له سلمان:أ رأيت الذى تأمرنى به أهو أفضل أو الذى أصنع؟ قال:بل الذى تصنع.

قال:فخلّ عنى،ثم إن صاحب البيعه دعاه،فقال:إنى رجل أضعف عن عباده هؤلاء،و أنا أريد أن أتحول من هذه البيعه إلى بيعه اخرى هم أهون عباده من هؤلاء،فإن شئت أن تقيمها هنا فأقم،و إن شئت أن تنطلق معى فانطلق.

قال له سلمان:أی البیعتین أفضل حالا؟ قال:هذه.

قال سلمان:فأنا أکون فی هذه،و أوصی صاحب البیعه عالم البیعه بسلمان، فکان سلمان یتعبد معهم.

ثم إن الشیخ العالم عزم أن یأتی بیت المقدس،فقال لسلمان:إن أردت أن تنطلق معی فانطلق،و إن شئت أن تقیم فأقم.

فقال له سلمان:أیّهما أفضل أنطلق معک أم أقیم؟ قال:بل تنطلق معی،و انطلقا حتی أتیا بیت المقدس.

فقال الشیخ لسلمان:أخرج فاطلب العلم،فإنه یحضر هذا المسجد علماء أهل الأرض.فخرج سلمان یسمع منهم،فرجع یوما حزینا.فقال له الشیخ:ما لک یا سلمان؟قال:أری الخیر کله قد ذهب به من کان قبلنا من الأنبیاء و أتباعهم.

فقال له الشیخ:یا سلمان لا تحزن فإنه بقی نبی لیس من نبی بأفضل منه،و هذا زمانه الذی یخرج فیه،و لا أرانی أدرکه،و أما أنت فشاب لعلک تدرکه،و هو یخرج فی أرض العرب،فإن أدرکته فآمن به و اتبعه،فقال له سلمان:فأخبرنی عن علامته بشیء،قال:نعم،هو مختوم فی ظهره بخاتم النّبوه.و هو یأکل الهدیه و لا یأکل الصدقه.

ثم اتفق أن افترق سلمان عن الراهب لدی عودتهما من بیت المقدس،ففقده فی الطریق، و بینما هو یبحث عنه إذ رآه رجلان عربیان من بنی کلب،فأسراه، و أخذاه معهما إلی المدینه،قال سلمان:فأصابنی من الحزن شیء لم یصبنی مثله قط،فاشترته امرأه من جهینه،فکان یرعی علیها هو و غلام لها یتراوحان الغنم هذا یوما و هذا یوما.فکان سلمان یجمع الدراهم ینتظر خروج محمّد صلّی اللّه علیه و اله و سلّم فبینا هو یرعی یوما إذ أتاه صاحبه الذی یعقبه فقال:أعلمت أنه قد قدم الیوم المدینه رجل یزعم أنه نبی؟!فقال له سلمان:أقم فی الغنم حتی آتیک.

فذهب سلمان إلی

المدينه،فنظر إلى النّبى صلّى اللّه عليه و اله و سلّم و دار حوله،فلما رآه النّبى صلّى اللّه عليه و اله و سلّم عرف ما يريد.

فأرسل ثوبه حتى خرج خاتمه.فلما رآه أتاه و كلمه.ثم انطلق فاشترى طعاما و جاء به،فقال له النّبى صلّى اللّه عليه و اله و سلّم:ما هذا؟قال سلمان:هذه صدقه.قال:لا حاجه لى بها فأخرجها فليأكل المسلمون.ثمّ انطلق فاشترى طعاما،فأتى النّبى صلّى اللّه عليه و اله و سلّم فقال:ما هذا؟قال:هديه.قال:فاقعد،فقعد فأكلا جميعا منها.فبينا هو يحدثه،إذ ذكر أصحابه،فأخبره خبرهم،فقال:كانوا يصومون و يصلون و يؤمنون بك،و يشهدون أنك ستبعث نبيّا.فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم،قال له النّبى صلّى اللّه عليه و اله و سلّم:يا سلمان هم من أهل النار.فاشتدّ ذلك على سلمان، فأنزل اللّه سبحانه هذه الآيه.

۲-من هم الصّابئون؟

يقول الرّاغب الأصفهانى:الصّابئون قوم كانوا على دين نوح (۱) و ذكرهم إلى جانب المؤمنين و اليهود و النصارى يدل على أنهم كانوا يدينون بدين سماوى و يؤمنون باللّه و اليوم الآخر.

و اعتبر البعض أنهم مشركون،و قيل عنهم أنهم مجوس،و ليسوا كذلك،لأن القرآن ذكرهم إلى جانب المشركين و المجوس إذا قال: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هٰادُوا وَ الصّٰابِئِينَ وَ النَّصٰارىٰ وَ الْمَجُوسَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا... (۲) .

و اختلف المفسّرون و أصحاب الملل و النحل فى تشخيص هويه الصابئين، و وجه تسميتهم.

«الشّهرستانى»فى«الملل و النحل»يقول:الصابئه من صبأ أى انحرف عن طريق الأنبياء،و هؤلاء قوم انحرفوا عن طريق الحق و دين الأنبياء فهم«صابئه».

و يقول«الفيومى»فى«المصباح المنير»إن«صبأ»تعنى الخروج من الدين

۱- ۱) -المفردات،ماده صبا.

۲- ۲) -الحج،۱۷.

إلى دين آخر.

و فى معجم(دهخدا)الفارسى:الصابئون جمع صابئ و هى كلمه مشتقه من (ص-ب-ع)العبريه التى تعنى الغوص فى الماء(أو التعميد)،و سقطت العين فى التعريب،و تسمى هذه الطائفه التى تسكن خوزستان باسم(المغتسله)لذلك.

دائره المعارف الفرنسيه،فى المجلد الرابع،ص ٢٢،ذكرت أن هذه الكلمه عربيه و تعنى الانغماس فى الماء أو التعميد.

(جسينوس)الألمانى يذهب إلى أن هذه الكلمه عبريه،و لا يستبعد أن تكون مشتقه من كلمه تعنى«النّجم».

صاحب كتاب«كشاف اصطلاح الفنون»يقول:«الصابئون فرقه تعبد الملائكه و يقرءون(الزبور)و يتجهون نحو القبله».

و جاء فى كتاب«التنبيه و الإشراف»نقلا عن«الأمثال و الحكم»ص ۱۶۶:

«قبل أن يطرح(زراتشت)دعوه المجوسيه على(جشتاسب)،و كان أهل هذه الديار على مذهب(الحنفاء)،و هم الصابئون،و هو دين جاء به(بوذاسب)على عهد(طهمورس)».

سبب اختلاف الآراء حول هذه الطائفه يعود إلى قله أفرادها و إصرارهم على إخفاء تعاليمهم،و امتناعهم عن الدعوه إلى دينهم،و اعتقادهم أن دينهم خاص بهم لا-عام لكل النّاس،و أن نبيهم مبعوث إليهم لا-لغيرهم.و لذلك أحيطوا بكثير من الغموض و اكتنفتهم الأسرار،و هم يتجهون نحو الانقراض.

الالتزام بتعاليمهم على غايه الصعوبه،ففيها أنواع الأغسال و التعميدات فى الشتاء و الصيف،و يميلون إلى الانزواء و الابتعاد عن غير أبناء دينهم و يحرمون تزوّج النساء من غير الصابئين، و كثير منهم اعتنق الإسلام نتيجه اختلاطهم بالمسلمين.

ص :٢٥٥

۳-معتقدات الصّابئين

يعتقـد الصـائبه أن أول كتـاب مقـدّس سـماوى نزل على آدم،و بعـده على نـوح، ثـم على سـام،ثـم على«رام»،ثـم على إبراهيم الخليل،ثم على موسى،و أخيرا على يحيى بن زكريا.

كتبهم المقدسه:

۱-«كيزاربا»و يسمى أيضا«سدره»أو«صحف»آدم،و فيه آراء حول كيفيه بدء الخلق.

۲-كتاب«أدر أفشادهى»أو«سدرادهى»و يتحدث عن يحيى و تعاليمه و يعتقد الصابئه أنه موحى إلى يحيى عن طريق جبرائيل.

۳-كتاب«قلستا»و فيه تعاليم الزّواج و الزّوجيه،و هذا إلى جانب كتب كثيره اخرى يطول ذكرها.

يبدو ممّا سبق أنّ هؤلاء أتباع يحيى بن زكريا،الذى يسميه المسيحيون يحيى المعمّد،أو يوحنا المعمّد (۱) .

صاحب كتاب«بلوغ الإرب»له رأى آخر بشأن الصّابئه،يقول:

«هم من يعتقـد فى الأنـواء اعتقـاد المنجمين فى السـيارات حتى لا يتحرك و لا يسـكن و لا يسافر و لا يقيم إلّا بنوء من الأنواء و يقول مطرنا بنوء كذا... (۲) .

و هؤلاـء كـانوا قوم إبراهيم الخليـل عليه السّـلام و هو أهل دعوته و كانوا بحرّان،فهى دار الصابئه،و كانوا قسـمين:صابئه حنفاء،و صـابئه مشـركين،و المشـركون منهم يعظمون الكواكب السبعه و البروج الاـثنى عشـر،و يصورونهـا فى هياكلهم...و يتخـذون لها أصناما تخصها و يقربون لها القرابين.

و طوائف منهم يصومون شهر رمضان و يستقبلون فى صلواتهم الكعبه

۱- ۱) -راجع لمزيد من التوضيح كتاب«آراء و عقائد بشرى»(فارسى).

۲- ۲) -الأنواء جمع نوء و هو النّجم مال للغروب،بلوغ الإرب جزء،۲۶،ص ۲۲۲-۲۲۸.

و یعظمون مکه و یرون الحج إلیها و یحرمون المیته و الدم و لحم الخنزیر و یحرمون من القرابات فی النکاح ما یحرم المسلمون،و علی هذا المذهب کان جماعه من أعیان الدوله ببغداد منهم هلال بن المحسن الصّابی صاحب الدیوان الإنشائی و صاحب الرسائل المشهوره،و کان مع المسلمین و یعبد معهم و یزکی و یحرم المحرمات،و کان النّاس یعجبون من موافقته للمسلمین و لیس علی دینهم،و أصل دین هؤلاء فیما زعموا أنهم یأخذون محاسن دیانات العالم و مذاهبهم و یخرجون من قبیح ما هم علیه قولا و عملا،و لهذا سموا صابئه،أی خارجین،فقد خرجوا عن تقییدهم بجمله کل دین و تفصیله إلاّ ما رأوه فیه من الحق (۱) ».

من مجموع ما سبق یتبین أن الصابئین کانوا فی الأصل أتباع أحد الأنبیاء و إن اختلف المحققون فی تعیین نبیّهم.و تبین أیضا أن عدد هؤلاء قلیل و هم فی حاله انقراض.

۱- ۱) -بلوغ الإرب،ج ۲،ص ۲۲۳-۲۲۵.

الآيتان [سوره البقره (٢): الآيات ٦٣ الى ٦٤]

اشاره

وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ وَ رَفَعْنا فَوْقَكُمُ اَلطُّورَ خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اُذْكُرُوا ما فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣) ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَلَوْ لاٰ فَضْلُ اَللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ اَلْخاسِرِينَ (٦٤)

التّفسير

اشاره

الالتزام بالميثاق

هاتان الآيتان تطرحان مسأله أخذ ميثاق بنى إسرائيل بشأن العمل بالتوراه، ثمّ نقضهم للميثاق: وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ وَ رَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ و الطور جبل و سيأتى ذكره.و قلنا لكم: خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ ،و اجعلوا التوراه دوما نصب أعينكم: وَ اذْكُرُوا ما فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ .

لكنكم نقضتم الميثاق و جعلتموه وراء ظهوركم: ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَلَوْ لاٰ فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخاسِرِينَ .

ص :٢٥٨

اشاره

١-الميثاق

المقصود من الميثاق فى الآيه الكريمه هو نفس ما جاء فى الآيه ۴٠ من هذه السّوره و ما سيأتى فى الآيتين ٨٣ و ٨۴ أيضا.مواد هذا الميثاق عباره عن:

توحيد اللّه،و الإحسان إلى الوالدين و الأقربين و اليتامى و المساكين،و القول الصالح،و إقامه الصلاه،و أداء الزكاه،و اجتناب سفك الدماء.هذه المواد وردت فى التّوراه كذلك.

من الآيه ١٢ لسوره المائده يتضح أيضا أن اللّه أخذ ميثاق بنى إسرائيل أن يؤمنوا بجميع الأنبياء و يساندوهم،و أن ينفقوا فى سبيل اللّه.و فى هذه الآيه ضمان للقوم بدخول الجنّه إن عملوا بهذا الميثاق.

٢-رفع جبل الطّور

أمّا بشأن كيفيه رفع جبل الطور فى قوله تعالى: وَ رَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ يقول الطبرسى عن أبى زيد:حدث هذا حين رجع موسى من الطور،فأتى بالألواح،فقال لقومه:جئتكم بالألواح و فيها التوراه و الحلال و الحرام فاعملوا بها، قالوا:و من يقبل قولك؟!فأرسل اللّه عزّ و جلّ الملائكه حتى نتقوا(رفعوا) الجبل فوق رؤوسهم،فقال موسى عليه السّلام:إن قبلتم ما آتيتكم به و إلاّ أرسلوا الجبل عليكم،فأخذوا التوراه و سجد و اللّه تعالى ملاحظين الجبل(أى و هم ينظرون إلى الجبل من طرف خفى)،فمن ثمّ يسجد اليهود على أحد شقى وجوههم».

مضمون هذه الآيه ورد مع تفاوت بسيط فى الآيه ٩٣ من سوره البقره و ١۵۴ النساء،و ١١٧ الأعراف.

الطبرسى-كما ذكرنا-و جمع من المفسرين-يذهبون إلى أن جبل الطور رفع

فوق رؤوس بنی إسرائیل بأمر اللّه لا یجاد الظل علیهم (۱) ،و هناک من یقول إن زلزالا شدیدا ضرب الجبل،بحیث کان یری بنو إسرائیل ظل قمه الجبل علی رؤوسهم من شده الاهتزاز،و ترقبوا أن یسقط الجبل علیهم،لکن الزلزال هدأ بفضل اللّه و استقرّ الجبل (۲) .

و یحتمل أیضا أن تکون قد انفصلت من الجبل صخره عظیمه بأمر اللّه علی أثر زلزال شدید أو صاعقه،و مرّت فوق رؤوسهم فی لحظات،فرأوها و تصوروا أنها ستسقط علیهم.

۳-الالتزام و الإرهاب

مسأله رفع الجبل فوق بنی إسرائیل لتهدیدهم عند أخذ المیثاق تثیر سؤالا ـ بشأن إمکان تحقیق الالتزام عن طریق التخویف و الإرهاب.

هناک من قال:إن رفع الجبل فوقهم لا ینطوی علی إرهاب و تخویف أو إکراه، لأن أخذ المیثاق بالإکراه لا قیمه له.

و الأصح أن نقول:لا ـ مانع من إرغام الأفراد المعاندین المتمردین علی الرضوخ للحق بالقوّه.و هذا الإرغام مؤقت هدفه کسر أنفتهم و عنادهم و غرورهم، و من ثم دفعهم للفکر الصحیح،کی یؤدوا واجباتهم بعد ذلک عن إراده و إختیار.

علی أی حال،هذا المیثاق یرتبط بالمسائل العملیه،لا بالجانب الاعتقادی، فالمعتقدات لا یمکن تغییرها بالإکراه.

۴-جبل الطّور

اختلف المفسرون فی المقصود من جبل«الطّور»،منهم من قال:إنه نفس

۱- ۱) -مجمع البیان و تفاسیر اخری،ذیل الآیه ۱۷۱ من سوره الأعراف.

۲- ۲) -المنار،فی تفسیر الآیه المذکوره.

الجبل الـذى أوحى فيه إلى موسـى.و قال آخرون:إنه اسم جنس بمعنى مطلق «الجبل»لا جبل بعينه.و جاء تعبير(الجبل)بـدل كلمه الطور فى قوله تعالى: وَ إِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ (۱) .

۵-خذوا تعاليم السّماء بقوّه

خاطب اللّه سبحانه بنى إسرائيل فقال: خُذُوا مٰا آتَيْنٰاكُمْ بِقُوَّهٍ و عن هذه الآيه

سئل الإمام جعفر بن محمّد الصّادق عليه السّلام عن المقصود من القوّه فى هذه الآيه:

«أ بقوّه بالأبدان أم بقوّه فى القلوب»؟ قال:«بهما جميعا» (۲) .

و هـذا الأمر الإلـهى يتجه إلى كل أتباع الأديان الإلهيه فى كل زمان و مكان، و يطلب منهم أن يتجهزوا بالقوى الماديه و القوى المعنويه معا،لصيانه خط التوحيد و إقامه حاكميه اللّه فى الأرض.

۱- ۱) -تفسير أبى الرّازى و التّفسير الكبير للرّازى،ذيل الآيه التى نحن بصددها،و الآيه فى سوره الأعراف،۱۷۱.

۲- ۲) -رواه العياشى،نقلا عن مجمع البيان.

الآیتان [سوره البقره (۲): الآیات ۶۵ الی ۶۶]

اشاره

وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ اَلَّذِینَ اِعْتَدَوْا مِنْکُمْ فِی اَلسَّبْتِ فَقُلْنا لَهُمْ کُونُوا قِرَدَهً خاسِئِینَ (۶۵) فَجَعَلْناها نَکالاً لِما بَیْنَ یَدَیْها وَ ما خَلْفَها وَ مَوْعِظَهً لِلْمُتَّقِینَ (۶۶)

التّفسیر

اشاره

عصاه یوم السبت

هاتان الآیتان الکریمتان تتحدثان-کالآیات السابقه-عن روح العصیان و التمرد المتغلغله فی الیهود،و التصاقهم الشدید بالمسائل المادیه: وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِینَ اعْتَدَوْا مِنْکُمْ فِی السَّبْتِ فَقُلْنا لَهُمْ کُونُوا قِرَدَهً خاسِئِینَ (۱) .

فَجَعَلْناها نَکالاً لِما بَیْنَ یَدَیْها وَ ما خَلْفَها

أی جعلناها عبره لتلک الامّه و لأمم تلیها وَ مَوْعِظَهً لِلْمُتَّقِینَ .

ملخص الحادثه التی تشیر إلیها الآیه:«أن اللّه سبحانه أمر الیهود أن یسبتوا- أی أن یقطعوا أعمالهم-یوم السبت،و هذا الأمر شمل طبعا أولئک القاطنین قرب البحر الذین یعیشون علی صید الأسماک،و شاء اللّه أن یختبر هؤلاء،فکثرت

۱- ۱) -خسأ:طرد و زجر،و یستعمل لطرد الکلب،و للطرد المقرون بالاستهانه یقال:اخسأه.

الأسماک یوم السبت قرب الساحل بینما ندرت فی بقیه الأیّام.طفق هؤلاء یتحایلون لصید الأسماک یوم السبت.فعاقبهم اللّه علی عصیانهم و مسخهم علی هیئه حیوان».

و هل کان هذا المسخ جسمی أم نفسی و أخلاقی؟و أین کان یسکن هؤلاء القوم؟و بأیه حیله توسلوا للصید؟هذا ما سنجیب علیه و علی غیره من المسائل المرتبطه بهذا الموضوع فی المجلد الخامس من هذا التّفسیر،لدی توضیح الآیات ۱۶۳-۱۶۶ من سوره الأعراف.

و قوله تعالی: فَقُلْنٰا لَهُمْ کُونُوا قِرَدَهً خٰاسِئِینَ إشاره إلی فوریه المسخ الذی تمّ بأمر إلهی واحد.

و من المفید أن ننقل فی هذا المجال روایه عن الإمامین الباقر و الصادق علیهما السّلام فی تفسیر قوله تعالی فَجَعَلْنٰاهٰا نَکٰالاً... قالا: لِمٰا بَیْنَ یَدَیْهٰا إی لما معها ینظر إلیها من القری(فی زمان تلک الامّه)، وَ مٰا خَلْفَهٰا نحن(المسلمون)و لنا فیها موعظه (۱) .

۱- ۱) -مجمع البیان،فی تفسیر الآیه المذکوره.

الآیات [سوره البقره (۲): الآیات ۶۷ الی ۷۴]

اشاره

وَ إِذْ قالَ مُوسی لِقَوْمِهِ إِنَّ اَللّهَ یَأْمُرُکُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قالُوا أَ تَتَّخِذُنا هُزُواً قالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَکُونَ مِنَ اَلْجاهِلِینَ (۶۷) قالُوا اُدْعُ لَنا
رَبَّکَ یُبَیِّنْ لَنا ما هِیَ قالَ إِنَّهُ یَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لا فارِضٌ وَ لا بِکْرٌ عَوانٌ بَیْنَ ذلِکَ فَافْعَلُوا ما تُؤْمَرُونَ (۶۸) قالُوا اُدْعُ لَنا رَبَّکَ یُبَیِّنْ لَنا
ما لَوْنُها قالَ إِنَّهُ یَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ صَفْراءُ فاقِعٌ لَوْنُها تَسُرُّ اَلنّاظِرِینَ (۶۹) قالُوا اُدْعُ لَنا رَبَّکَ یُبَیِّنْ لَنا ما هِیَ إِنَّ اَلْبَقَرَ تَشابَهَ عَلَیْنا وَ إِنّا إِنْ
شاءَ اَللّهُ لَمُهْتَدُونَ (۷۰) قالَ إِنَّهُ یَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِیرُ اَلْأَرْضَ وَ لا تَسْقِی اَلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لا شِیَةَ فِیها قالُوا اَلْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ
فَذَبَحُوها وَ ما کادُوا یَفْعَلُونَ (۷۱) وَ إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادّارَأْتُمْ فِیها وَ اَللّهُ مُخْرِجٌ ما کُنْتُمْ تَکْتُمُونَ (۷۲) فَقُلْنا اِضْرِبُوهُ بِبَعْضِها کَذلِکَ
یُحْیِ اَللّهُ اَلْمَوْتی وَ یُرِیکُمْ آیاتِهِ لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ (۷۳) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُکُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِکَ فَهِیَ کَالْحِجارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَ إِنَّ مِنَ
اَلْحِجارَةِ لَما یَتَفَجَّرُ مِنْهُ اَلْأَنْهارُ وَ إِنَّ مِنْها لَما یَشَّقَّقُ فَیَخْرُجُ مِنْهُ اَلْماءُ وَ إِنَّ مِنْها لَما یَهْبِطُ مِنْ خَشْیَةِ اَللّهِ وَ مَا اَللّهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ
(۷۴)

التّفسير

اشاره

قصّه بقره بنى إسرائيل

هـذه الآيات تتحدث بالتفصـيل عن حادثه اخرى من حوادث تاريخ بنى إسـرائيل،هذا التفصـيل لم نألفه فى الآيات السابقه،و لعله يعـود إلى أن هـذه الحـادثه ذكرت فى هـذا الموضع-لا ـ غير-من القرآن الكريم،و إلى أنهـا تتضـمن عـبرا كـثيره تسـتوجب هـذا التفصـيل.من هذه الدروس:لجاج بنى إسـرائيل و عنادهم، و مستوى إيمانهم بكلام موسى عليه السّلام،و أهمّ من كل هذا البرهنه على إمكان المعاد.

الحادثه(كما يبينها القرآن و كتب التّفسير)على النحو التالى:قتل شخص من بنى إسرائيل بشكل غامض،و لم يعرف القاتل.

حـدث بين قبائل بنى إسـرائيل نزاع بشأن هذه الحادثه،كل قبيله تتهم الاخرى بالقتل.توجّهوا إلى موسـى ليقضـى بينهم.فما كانت الأساليب الاعتياديه ممكنه فى هذا القضاء.و ما كان بالإمكان إهمال هذه المسأله لما سيترتب عليها من فتنه بين بنى إسرائيل.لجأ موسى-بإذن اللّه-إلى طريقه إعجازيه لحل هذه المسأله كما ستوضحها الآيات الكريمه (١) .

ص: ٢۶۵

---

١ - ١) -فى الفصـل الحـادى و العشـرين من سـفر التثنيه فى العهـد القـديم وردت إشـاره عـابره لهـذه القصه.و ما ورد فى التوراه الحاليه ليس بسـرد للحادثه و إنما إعطاء حكم من الأحكام،و هـذا نص السـفر المـذكور من الجمله ١ إلى ٩: «إذا وجـد قتيل فى الأرض التى يعطيـك الرب إلهـك لتمتلكها واقعا فى الحقل لا يعلم من قتله-يخرج شـيوخك و قضاتك و يقيسون إلى المـدن التى حول القتيـل-فالمـدينه القربى من القتيل يأخـذ شـيوخ تلك المـدينه عجله من البقر لم يحرث عليها لم تجر بالنير-و ينحـدر شيوخ تلك المـدينه بالعجله إلى واد دائم السـيلان لم يحرث فيه و لم يزرع،و يكسـرون عنق العجله فى الوادى-ثم يتقدم الكهنه بنو لاوى لأنه إياهم اختار الرب إلهك ليخـدموه و يباركوا باسم الرب و حسب قولهم تكون كل خصومه و كل ضـربه-و يغسـل جميع شـيوخ تلك المـدينه القريبين من القتيل أيـديهم على العجله المكسوره العنق فى الوادى-و يصـرحون و يقولون أيـدينا لم تسفك هذا الدّم و أعيننا لم تبصر-اغفر لشعبك إسرائيل الذى فديت يا رب و لا تجعل دم برىء فى وسط شعبك إسرائيل فيغفر لهم الدم-فتنزع الدم البرىء من وسطك إذا عملت الصالح فى عينى الرب».

يقوله سبحانه فى هذه الآيات: وَ إِذْ قٰالَ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قٰالُوا أَ تَتَّخِذُنٰا هُزُواً ؟! قٰالَ أَعُوذُ بِاللّٰهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجٰاهِلِينَ .

أى إن الاستهزاء من عمل الجاهلين،و أنبياء اللّه مبرّأون من ذلك.

بعد أن أيقنوا جديّه المسأله، قٰالُوا ادْعُ لَنٰا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنٰا مٰا هِيَ .و عباره «ربك»تتكرر فى خطاب بنى إسرائيل لموسى،و تنطوى على نوع من إساءه الأدب و السخريه،و كأن ربّ موسى غير ربهم!! موسى عليه السّلام أجابهم: قٰالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهٰا بَقَرَةٌ لاٰ فٰارِضٌ وَ لاٰ بِكْرٌ عَوٰانٌ بَيْنَ ذٰلِكَ أى إنها لا كبيره هرمه و لا صغيره،بل متوسطه بين الحالتين: فَافْعَلُوا مٰا تُؤْمَرُونَ .

لكن بنى إسرائيل لم يكفوا عن لجاجتهم: قٰالُوا ادْعُ لَنٰا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنٰا مٰا لَوْنُهٰا ؟ أجابهم موسى: قٰالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهٰا بَقَرَةٌ صَفْرٰاءُ فٰاقِعٌ لَوْنُهٰا تَسُرُّ النّٰاظِرِينَ أى إنها حسنه الصفره لا يشوبها لون آخر.

و لم يكتف بنو إسرائيل بهذا،بل أصرّوا على لجاجهم،و ضيّقوا دائره انتخاب البقره على أنفسهم.

عادوا و قٰالُوا ادْعُ لَنٰا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنٰا مٰا هِيَ طالبين بذلك مزيدا من التوضيح،متذرعين بالقول: إِنَّ الْبَقَرَ تَشٰابَهَ عَلَيْنٰا وَ إِنّٰا إِنْ شٰاءَ اللّٰهُ لَمُهْتَدُونَ .

أجابهم موسى قٰالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهٰا بَقَرَةٌ لاٰ ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَ لاٰ تَسْقِي الْحَرْثَ أى ليست من النوع المذلل لحرث الأرض و سقيها.

مُسَلَّمَةٌ

من العيوب كلها.

لاٰ شِيَةَ فِيهٰا

أى لا لون فيها من غيرها.

حينئذ: قٰالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ .

فَذَبَحُوهٰا وَ مٰا كٰادُوا يَفْعَلُونَ

أی أنهم بعد أن وجدوا بقره بهذه السمات ذبحوها بالرغم من عدم رغبتهم بذلک.

بعد أن ذکر القرآن تفاصیل القصه،عاد فلخص الحادث بآیتین: وَ إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادّٰارَأْتُمْ فِیهٰا أی فاختلفتم فی القتل و تدافعتم فیه. وَ اللّٰهُ مُخْرِجٌ مٰا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ .

فَقُلْنٰا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهٰا

أی اضربوا المقتول ببعض أجزاء البقره،کی یحیی و یخبرکم بقاتله. كَذٰلِكَ يُحْيِ اللّٰهُ الْمَوْتىٰ وَ يُرِيكُمْ آيٰاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ .

و بعد هذه الآیات البینات،لم تلن قلوب بنی إسرائیل،بل بقیت علی قسوتها و غلظتها و جفافها. ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجٰارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً .

إنها أشد قسوه من الحجاره،لأن بعض الحجاره تتفجر منها الأنهار،أو تنبع منها المیاه أو تسقط من خوف اللّه: وَ إِنَّ مِنَ الْحِجٰارَةِ لَمٰا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهٰارُ وَ إِنَّ مِنْهٰا لَمٰا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمٰاءُ وَ إِنَّ مِنْهٰا لَمٰا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ .

لکن قلوب بنی إسرائیل أشدّ قسوه من الحجاره،فلا تنفجر منها عاطفه و لا علم،و لا تنبع منها قطره حبّ،و لا تخفق من خوف اللّه.

و اللّه عالم بما تنطوی علیه القلوب و ما تفعله الأیدی: وَ مَا اللّٰهُ بِغٰافِلٍ عَمّٰا تَعْمَلُونَ .

بحوث

اشاره

۱-أسئله کثیره تافهه

«السّؤال»دون شک مفتاح لحل المشاکل،و وسیله لإزاله الجهل و الإبهام، لکنه مثل بقیه الأمور،إن تجاوز حدّه و جاء فی غیر موضعه فإنّه یدلّ علی

الانحراف و یؤدی إلی أضرار،و من ذلک ما نراه فی هذه القصه.

بنو إسرائیل أمروا أن یذبحوا بقره.و کان بإمکانهم أن یذبحوا أیّه بقره شاؤوا، لأن الأمر الإلهی لم یحدّد شکل البقره و نوعها،و لو أراد اللّه بقره بعینها لحدّد مواصفاتها حین الأمر.لکن اللّه أمرهم أن یذبحوا«بقره»و صیغه التنکیر تدل علی عدم إراده التحدید.

هؤلاء المعاندون أبوا إلاّ أن یطرحوا أسئله متکرره،أملا فی تضییع الحقیقه و إخفاء القاتل،و بقوا یصرون علی ترددهم فی الذبح حتی النهایه،و هذا ما تشیر إلیه عباره: فَذَبَحُوهٰا وَ مٰا کٰادُوا یَفْعَلُونَ .

و فی الآیات ما یشیر إلی أن مجموعه من بنی إسرائیل-علی الأقل-کانت تعرف القاتل،و قد یکون القتل قد تمّ بمؤامره بین هؤلاء الأفراد،لکنهم کانوا یکتمون الأمر،و لهذا یقول سبحانه: وَ اللّٰهُ مُخْرِجٌ مٰا کُنْتُمْ تَکْتُمُونَ .

أضف إلی ما سبق أنّ أهل العناد و اللجاج یکثرون دائما من الجدل و الإحتجاج علی کل شیء.

و ثمه قرائن فی الآیات توضح أن هؤلاء القوم لم تکن لهم معرفه کامله باللّه و لا بالنبی المرسل إلیهم،لذلک قالوا له بعد کل أسئلتهم: اَلْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ، و کأنّ ما جاء به حتی ذلک الوقت کان باطلا!! و الملاحظ أن اللّه سبحانه ضیّق علیهم دائره الانتخاب،و اشتد بذلک علیهم التکلیف کلّما زادوا فی أسئلتهم،لأنهم مستحقون لمثل هذا العقاب.و لذلک نری فی الأثر حثّ علی السکوت عمّا سکتت عنه تعالیم السماء ففی ذلک حکمه.

عن النّبی صلّی اللّه علیه و اله و سلّم: «أنّهم أمروا بأدنی بقره و لکنّهم لمّا شدّدوا علی أنفسهم شدّد اللّه علیهم» (1) .

۱- ۱) -مجمع البیان،فی تفسیر الآیه المذکوره.

۲-مدلول هذه الأوصاف:

كان تكليف بنی إسرائيل-كما ذكرنا-مطلقا غير مقيّد بمواصفات معيّنه.لكن لجاج هؤلاء ضيّق عليهم الدائره و غيّر عليهم حكم التكليف (۱) .

إلی جانب هذه الحقيقه،ثمه حقيقه اجتماعيه قد يمكن استنتاجها من الأوصاف التی ذكرت للبقره.

يبدو أن القرآن يريد أن يبين أنّ البقره التی كتب لها أن تحيی فردا ميّتا ينبغی أن لا تكون«ذلولا»أی تأبی التسليم و الخضوع الأعمی.كما أنها ذات لون واحد خالص لا تشوبه ألوان اخری.

و هذا يعنی أن القائد الذی يستهدف إحياء المجتمع ينبغی أوّلا أن يكون متحررا من تأثيرات الضغوط الاجتماعيه التی يمارسها أصحاب الثروه و الجاه و القوّه،و أن يستسلم للّه وحده دون أن تأخذه فی ذلك لومه لائم،كما أن القائد يجب أن يكون مبرّءا من أی لون غير اللون التوحيدی،و مثل هؤلاء الأفراد فقط يستطيعون أن يعالجوا أمور النّاس باتزان و اعتدال و يبعثوا فی قلوب و أفكار أمّتهم الخصب و الحياه.

أما المنشدّ بنير الدنيا و الخاضع لها و المشوب بالألوان و الأهواء فلا يستطيع أن يحيی القلوب الميته،و لا يقدر أن ينهض بدور الإحياء.

۳-ما هو دافع القتل؟

تذكر كتب التأريخ و التّفسير أن دافع القتل فی هذه الحادثه إمّا المال،أو الزّواج.

۱- ۱) -هذه القصه تشير إلی جواز نسخ الحكم قبل العمل وفق ما تقتضيه المصلحه،و تشير أيضا إلی وجود النسخ فی دين موسی،كما تدل علی أن التكليف قد يكون له طابع العقاب.و هذه مباحث سنطرحها فی محلها.

من المفسرين من قال:إنّ ثريا من بنی إسرائيل لم يكن له وارث سوی ابن عمه،فطال عمر هذا الثری و لم يطق الوارث مزيدا من الانتظار،فقتله خفيه ليحصل علی أمواله،و ألقی جسده فی الطريق،ثم بدأ بالصراخ و العويل،و شكا الأمر إلی موسی.

و قال آخرون:إن القاتل أراد أن يتزوج من ابنه القتيل،فرفض ذلك،و زوّج ابنته إلی أحد أخيار بنی إسرائيل.فقعد له و قتله،ثم شكا القاتل الأمر إلی موسی.

و من الممكن أن تشير القصه إلی حقيقه هی:إن كل المفاسد و الجرائم مصدرها فی الغالب أمران:الطمع فی المال،و الطمع فی الجنس.

۴-العبر فی هذه القصّه

هذه القصه لها دلالات علی قدره اللّه اللامتناهيه،و كذلك علی مسأله المعاد، و لذلك وردت فی الآيه ۷۳ عباره كَذٰلِكَ يُحْيِ اللّٰهُ الْمَوْتىٰ إشاره إلی مسأله المعاد،و عباره وَ يُرِيكُمْ آيٰاتِهِ تأكيد علی قدره اللّه و عظمته.

إضافه إلی ما سبق،هذه القصه تتحدث عن سنّه من سنن اللّه تعالی،و هی أن الامّه تستوجب غضب اللّه حين تصرّ علی عنادها و لجاجها و استهتارها بكل شیء.

العبارات التی وردت علی لسان بنی إسرائيل فی هذه القصه توضّح أن هؤلاء القوم بلغوا الذروه فی إهانه النّبی،بل و بلغت بهم الجرأه إلی إساءه الأدب تجاه ربّ العالمين.

فی البدايه قالوا لنبيّهم: أَ تَتَّخِذُنٰا هُزُواً ؟و بذلك اتهموا نبيّهم بارتكاب ذنب الاستهزاء بالآخرين.

و فی مواضع عديده خاطبوه بعباره اُدْعُ لَنٰا رَبَّكَ ،و كأن ربّ موسی غير

ربّهم،مع أن موسى قد قال لهم: إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ .

و قالوا له أيضا: اُدْعُ لَنا رَبَّکَ يُبَيِّنْ لَنا ما هِیَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشابَهَ عَلَيْنا وَ إِنّا إِنْ شاءَ اللّهُ لَمُهْتَدُونَ و يعنون بذلک أنّ كلام موسى أدّى إلى ضلالهم فی تشخيص البقره،ثمّ يخاطبوه فی النهايه: اَلْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ .

هذه التعبيرات تدل على جهل هؤلاء القوم و تعنّتهم و غرورهم و لجاجهم.

و هذه القصه من جهه اخرى تعلّمنا أننا ينبغی أن لا نتزمّت و لا نتشدّد فی الأمور كی لا يتشدّد اللّه معنا.

و لعل انتخاب البقره للذبح يستهدف غسل أدمغه هؤلاء القوم من فكره عباده العجل.

۵-الإحسان إلى الأب

يذكر المفسرون أنّ البقره التی ذكرت الآيات مواصفاتها،كانت وحيده لا تشاركها بقره اخرى فی ذلک،و لذلک اضطر القوم إلى شرائها بثمن باهظ.

و يقولون:إن هذه البقره كانت ملكا لشاب صالح على غايه البّر بوالده.هذا الرجل واتته سابقا فرصه صفقه مربحه،كان عليه أن يدفع فيها الثمن نقدا.و كانت النقود فی صندوق مغلق مفتاحه تحت و ساده والده.حين جاء الرجل ليأخذ المفتاح وجد والده نائما،فأبى إيقاظه و إزعاجه،ففضّل أن يترک الصفقه على أن يوقظ والده.

و قال بعض المفسرين:«كان البائع على استعداد لأن يبيع بضاعته بسبعين ألفا نقدا،و لكن الرجل أبى أن يوقظ والده و اقترح شراء تلک البضاعه بثمانين ألفا على أن يدفع المبلغ بعد استيقاظ والده.و أخيرا لم تتم صفقه المعامله،و لذا أراد اللّه تعالى تعويضه على إيثاره هذا بمعامله اخرى و فيره الربح.

و قالوا أيضا:بعد أن استيقظ الوالد و علمه بالأمر،أهدى لولده البقره المذكوره،فدّرت عليه ربحا عظيما» (۱) .

و إلى هذه القصّه يشير

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم إذ يقول: «أنظروا إلى البّر ما بلغ بأهله» (۲)

ص :۲۷۲

۱- ۱) -تفسير ابن كثير،ج ۱.

۲- ۲) -تفسير نور الثقلين،ج ۱،ص ۸۸.

الآيات [سوره البقره (۲): الآيات ۷۵ الی ۷۷]

اشاره

أَ فَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَ قَدْ كٰانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاٰمَ اَللّٰهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مٰا عَقَلُوهُ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (۷۵) وَ إِذٰا لَقُوا اَلَّذِينَ آمَنُوا قٰالُوا آمَنّٰا وَ إِذٰا خَلاٰ بَعْضُهُمْ إِلىٰ بَعْضٍ قٰالُوا أَ تُحَدِّثُونَهُمْ بِمٰا فَتَحَ اَللّٰهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ (۷۶) أَ وَ لاٰ يَعْلَمُونَ أَنَّ اَللّٰهَ يَعْلَمُ مٰا يُسِرُّونَ وَ مٰا يُعْلِنُونَ (۷۷)

سبب النّزول

روی عن الإمام أبی جعفر محمّد بن علی الباقر علیه السّلام أنّه قال: «کان قوم من الیهود لیسوا من المعاندین المتوطئین،إذا لقوا المسلمین حدّثوهم بما فی التّوراه من صفه محمّد،فنهاهم کبراؤهم عن ذلک،و قالوا:لا تخبروهم بما فی التّوراه من صفه محمّد فیحاجّوکم به عند ربّکم فنزلت هذه الآیه» (۱) .

ص: ۲۷۳

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱،ص ۱۴۲.

التّفسير

اشاره

لا أمل فی هؤلاء

کـان سـیاق الآیـات السابقه یتجه نحو سـرد تاریـخ بنی إسـرائیل،و فی هاتین الآیتین یتجه الخطاب نحو المسـلمین و یقول لهم:لا تعقدوا الآمال علی هدایه هؤلاء الیهود،فهم مصـرون علی تحریف الحقائق و نکران ما عقلوه أَ فَتَطْمَعُونَ أَنْ یُؤْمِنُوا لَکُمْ وَ قَدْ کانَ فَرِیقٌ مِنْهُمْ یَسْمَعُونَ کَلامَ اللّهِ ثُمَّ یُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَ هُمْ یَعْلَمُونَ ! و هذه عظه للمسـلمین،و دفع لما قد یعتریهم من یأس نتیجه عدم استطاعتهم إقناع الیهود و جذبهم إلی الدین الجدید.

الآیتـان الکریمتان توضـحان أن السـبب فی عـدم استسـلام هؤلاء القوم أمام المعجزه القرآنیه و سائر المعاجز النبویه الاخری،إنما یعود لعناد متأصل فی هؤلاء ورثوه عن آبائهم الذین سمعوا کلام اللّه عند جبل الطور،ثم ما لبثوا أن حرّفوه بعد عودتهم.

من عباره وَ قَدْ کانَ فَرِیقٌ مِنْهُمْ... نفهم أن بنی إسـرائیل لم یکونوا بأجمعهم محرفین،بل إن فریقا منهم-و من المحتمل أن یشکل عددهم أکثریه بنی إسرائیل-کانوا هم المحرفین.

ورد فی أسـباب النّزول أن مجموعه من بنی إسـرائیل حین عادوا من جبل الطور قالوا:«سـمعنا أن اللّه قال لموسـی:اعملوا بأوامری قدر استطاعتکم، و اترکوها متی تعذر علیکم العمل بها»!و کان ذلک أول تحریف فی بنی إسرائیل.

علی أی حـال،کـان مـن المتوقـع أن یکـون الیهـود أول مـن یـؤمن بالرسـاله الإسـلامیه بعـد إعلانهـا لأنهم أهـل کتـاب(خلافا للمشـرکین)،و لأنهم قرءوا صفات النّبی صلّی اللّه علیه و اله و سلّم فی کتبهم.لکن القرآن یوجه أنظار المسلمین إلی سوء السابقه لدی هؤلاء القوم،و یوضح لهم أن الانحراف النفسی یدفع إلی الإعراض عن الحقیقه،

مهما كانت هذه الحقيقه واضحه بيّنه.

الآيه التّاليه تلقى الضوء على حقيقه مرّه اخرى بشأن هذه الزمره المنافقه و تقول: وَ إِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنّا وَ إِذا خَلا بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ قالُوا أَ تُحَدِّثُونَهُمْ بِما فَتَحَ اللّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَ فَلا تَعْقِلُونَ ؟! من المحتمل أيضا أن تتحدث هذه الآيه فى صدرها عن المنافقين من اليهود الذين يتظاهرون بالايمان لدى لقائهم بالمسلمين،و يبرزون إنكارهم عند لقائهم بأصحابهم،بل يلومون أولئك اليهود الذين يكشفون للمسلمين عمّا فى التوراه من أسرار.

هذه الآيه-على أى حال-تأييد للآيه السابقه،التى نهت المسلمين عن عقد الأمل على إيمان مثل هؤلاء القوم.

عباره بِما فَتَحَ اللّهُ عَلَيْكُمْ قد تعنى الميثاق الإلهى الذى كان محفوظا لدى بنى إسرائيل.و قد تشير إلى الأسرار الإلهيه المرتبطه بالشريعه الجديده.

و يتضح من الآيه أن إيمان هذه الفئه المنافقه من اليهود،كان ضعيفا إلى درجه أنهم تصوروا اللّه مثل إنسان عادىّ،و ظنوا أنهم إذا أخفوا شيئا عن المسلمين فسيخفى عن اللّه أيضا.

لذلك تقول الآيه التاليه بصراحه: أَ وَ لا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَ ما يُعْلِنُونَ ؟!

ص: ٢٧٥

الآيتان [سوره البقره (٢): الآيات ٧٨ الی ٧٩]

اشاره

وَ مِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاٰ يَعْلَمُونَ اَلْكِتٰابَ إِلاّٰ أَمٰانِيَّ وَ إِنْ هُمْ إِلاّٰ يَظُنُّونَ (٧٨) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ اَلْكِتٰابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هٰذٰا مِنْ عِنْدِ اَللّٰهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمّٰا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَ وَيْلٌ لَهُمْ مِمّٰا يَكْسِبُونَ (٧٩)

سبب النّزول

عمد جمع من علماء اليهود إلى تغيير صفات نبی الإسلام فی التوراه من أجل صيانه مصالحهم،و استمرار الأموال التی كانت تتدفق عليهم سنويا من جهله اليهود.فعند ظهور النّبی صلّی اللّه عليه و اله و سلّم غيّروا ما ذكر من صفاته فی التوراه و أبدلوها بصفات اخری علی العكس منها، كی يموّهوا الأمر علی الأميين الذين كانوا قد سمعوا من قبل بصفات النّبی فی التوراه،فمتی ما سألوا علماءهم عن هذا النّبی الجديد قرءوا لهم الآيات المحرّفه من التوراه لإقناعهم بهذه الطريقه.

التّفسير

اشاره

خطّه اليهود فی استغلال الجهله!

بعد الحديث عن انحرافات اليهود فی الآيات السابقه،قسّمت هاتان الآيتان

اليهود على مجموعتين:أميين و علماء ماكرين،(هناك طبعا أقليه من علمائهم آمنت و التحقت بصفوف المسلمين).

عن المجموعه الاولى يقول تعالى: وَ مِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاٰ يَعْلَمُونَ الْكِتٰابَ إِلاّٰ أَمٰانِيَّ وَ إِنْ هُمْ إِلاّٰ يَظُنُّونَ .

و الأميّون جمع أمّيّ،و الأمّيّ غير الدارس.و سمّوا بذلك لأنهم في معلوماتهم كما ولدتهم أمهاتهم،أو لشدّه تعلق امّهاتهم بهم،صعب عليهنّ فراقهم جهلا، و منعنهم من الذهاب إلى المدرسه (۱) .

و الأماني جمع امنيه،و لعل الآيه تشير هنا إلى الامتيازات الموهومه التي كان ينسبها اليهود لأنفسهم، كقولهم: نَحْنُ أَبْنٰاءُ اللّٰهِ وَ أَحِبّٰاؤُهُ (۲) ،و كقولهم: لَنْ تَمَسَّنَا النّٰارُ إِلاّٰ أَيّٰاماً مَعْدُودٰاتٍ (۳) .

و من المحتمل أيضا أن يكون المقصود من الأماني الآيات المحرفه التي كان علماء اليهود يشيعونها بين الأميين من الناس،و هذا المعنى ينسجم أكثر مع قوله تعالى: لاٰ يَعْلَمُونَ الْكِتٰابَ إِلاّٰ أَمٰانِيَّ .

و على أي حال عباره: إِنْ هُمْ إِلاّٰ يَظُنُّونَ دلاله واضحه على بطلان اتّباع الظن في فهم أصول الدين و معرفه مدرسه الوحي،و لا بدّ من التتبع و التحقيق في هذا الأمر.

ثمّه مجموعه اخرى من العلماء كانت تحرف الحقائق لتحقيق مصالحها، و إلى هؤلاء يشير القرآن: فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتٰابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هٰذٰا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ... .

فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمّٰا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ...

.

وَ وَيْلٌ لَهُمْ مِمّٰا يَكْسِبُونَ...

.

۱- ۱) -معنى«الأمّي»بحث بشكل أوفى في تفسير الآيه ۱۵۷ من سوره الأعراف،راجع المجلد الخامس.

۲- ۲) -المائده،۱۸.

۳- ۳) -آل عمران،۲۴.

و من العباره الأخيره نفهم الهدف الدنیء لهؤلاء،و کذلک عاقبتهم الوخیمه.

و قد أورد بعض المفسرین حدیثا عن الإمام الصادق علیه السّلام فی تفسیر هذه الآیه حدیث فیه ملاحظات هامه:

قال رجل للصادق علیه السّلام:إذا کان هؤلاء العوام من الیهود لا یعرفون الکتاب إلاّ بما یسمعونه من علمائهم،فکیف ذمّهم بتقلیدهم و القبول من علمائهم؟و هل عوام الیهود إلاّ کعوامنا،یقلّدون علماءهم-إلی أن قال-فقال علیه السّلام:«بین عوامنا و عوام الیهود فرق من جهه،و تسویه من جهه،أمّا من حیث الاستواء فإنّ اللّه ذمّ عوامنا بتقلیدهم علماءهم،کما ذمّ عوامهم،و أمّا من حیث افترقوا فإنّ عوام الیهود کانوا قد عرفوا علماءهم بالکذب الصراح،و أکل الحرام،و الرشاء و تغییر الأحکام،و اضطرّوا بقلوبهم إلی أنّ من فعل ذلک فهو فاسق،لا یجوز أن یصدّق علی اللّه،و لا علی الوسائط بین الخلق و بین اللّه،فلذلک ذمّهم،و کذلک عوامنا إذا عرفوا من علمائهم الفسق الظاهر،و العصبیّه الشدیده،و التکالب علی الدنیا و حرامها،فمن قلّد مثل هؤلاء فهو مثل الیهود الذین ذمّهم اللّه بالتقلید لفسقه علمائهم،فأمّا من کان من الفقهاء صائنا لنفسه،حافظا لدینه،مخالفا علی هواه،مطیعا لأمر مولاه،فللعوام أن یقلّدوه ،و ذلک لا یکون إلاّ بعض فقهاء الشیعه لا کلّهم، فإنّ من رکب من القبائح و الفواحش مراکب علماء العامه،فلا تقبلوا منهم عنّا شیئا، و لا کرامه،و إنّما کثر التخلیط فیما یتحمّل عنّا أهل البیت لذلک،لأنّ الفسقه یتحمّلون عنّا فیحرّفونه بأسره لجهلهم،و یضعون الأشیاء علی غیر وجهها لقلّه معرفتهم و آخرون یتعمّدون الکذب علینا» (۱) واضح أن هذا الحدیث لا یدور حول التقلید التعبدی فی الأحکام،بل یشیر إلی اتباع العلماء من أجل تعلم أصول الدین،لأن الحدیث یتناول معرفه النّبی، و هذه المعرفه من أصول الدین،و لا یجوز فیها التقلید التعبدی.

۱- ۱) -وسائل الشیعه،ج ۱۸،ص ۹۴،کتاب القضاء،باب ۱۰.

الآيات [سوره البقره (٢): الآيات ٨٠ الى ٨٢]

اشاره

وَ قٰالُوا لَنْ تَمَسَّنَا اَلنّٰارُ إِلاّٰ أَيّٰاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اَللّٰهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اَللّٰهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اَللّٰهِ مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ (٨٠) بَلىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَ أَحٰاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولٰئِكَ أَصْحٰابُ اَلنّٰارِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ (٨١) وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ أُولٰئِكَ أَصْحٰابُ اَلْجَنَّةِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ (٨٢)

التّفسير

غرور و ادعاء فارغ يشير القرآن الكريم هنا إلى واحده من ادعاءات اليهود الداله على غرورهم، هذا الغرور الذى يشكل الأساس لكثير من انحرافات هؤلاء القوم:

وَ قٰالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النّٰارُ إِلاّٰ أَيّٰاماً مَعْدُودَةً

،ثم تجيبهم الآيه بأسلوب مفحم:

قل أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللّٰهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللّٰهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّٰهِ مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ .

اعتقاد اليهود بأنّهم شعب اللّه المختار،و أن عنصرهم متفوق على سائر الأجناس البشريه،و أن مذنبيهم لن يدخلوا جهنم سوى أيّام قليله ليتنعموا بعدها بالجنّه،من مظاهر أنانيه هؤلاء و استفحال ذاتياتهم.

ادعاء اليهود المذكور فى الآيه الكريمه لا ينسجم مع أى منطق،إذ لا يمكن أن يكون بين أفراد البشر أى تفاوت فى نيل الثواب و العقاب أمام اللّه سبحانه و تعالى.

بم استحق اليهود أن يكونوا مستثنين من القانون العام للعقاب الإلهى؟! الآيه الكريمه تدحض مزاعمهم بدليل منطقى،و تفهمهم أن مزاعمهم هذه إمّا أن تكون قائمه على أساس عهد لهم اتخذوه عند اللّه،و لا يوجد مثل هذا العهد،أو أن تكون من افترائهم الكذب على اللّه.

ثمّ تبيّن الآيه الكريمه التّاليه قانونا عاما يقوم على أساس المنطق و تقول:

بَلىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَ أَحٰاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولٰئِكَ أَصْحٰابُ النّٰارِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ

.

و هذا القانون عام يشمل المذنبين من كل فئه و قوم.

و بشأن المؤمنين الأتقياء،فهناك قانون عام شامل تبيّنه الآيه التاليه:

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ أُولٰئِكَ أَصْحٰابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ

بحوث

اشاره

۱-كسب السيئه

الكسب و الاكتساب:الحصول على الشيء عن إراده و اختيار،من هنا عباره بَلىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً إشاره إلى أولئك الذين يرتكبون الذنوب عن علم و انتخاب.و تعبير الآيه بكلمه«كسب»قد يكون إشاره إلى المحاسبه الخاطئه العاجله التى يرتكب المذنب على أساسها ذنبه ظانا أنه يكسب بارتكاب الذنب نفعا،و يتحمل بتركه خساره!و إلى مثل هؤلاء المذنبين تشير آيه كريمه ستأتى بعد عدد من الآيات إذ يقول سبحانه: أُولٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيٰاةَ الدُّنْيٰا بِالْآخِرَةِ

فَلاٰ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذٰابُ وَ لاٰ هُمْ يُنْصَرُونَ .

٢-إحاطه الخطيئه

الخطيئه تستعمل غالبا فی الذنوب التی لا يرتكبها صاحبها عن عمد،لكنها وردت فی هذه الآيه بمعنی الذنوب الكبيره (١) ،أو بمعنی آثار الذنب فی قلب الإنسان و روحه (٢) .

مفهوم إحاطه الخطيئه يعنی انغماس الفرد فی الذنب إلی درجه يصبح ذلك الفرد سجين ذنبه.

بعباره أوضح،الذنوب الكبيره و الصغيره تبدأ علی شكل«فعل»ثم تتحول إلی«حاله»و مع الاستمرار و الإصرار تتحول إلی«ملكه».و عند اشتدادها تغمر وجود الإنسان و تصبح عين وجوده.عندئذ لا تجدی مع هذا الفرد موعظه و لا يؤثر فيه توجيه و لا نصح،إذ أنه عمل عن اختيار علی قلب ماهيته فمثلهم مثل دوده القز التی تلف حولها من نسيج الحرير حتی تمسی سجينه عملها.

الآيه الكريمه تتحدث عن خلود مثل هؤلاء الأفراد فی النار،و هذا يعنی أن هؤلاء يغادرون الدنيا و هم مشركون.لأن الشرك هو الذنب الوحيد الذی لا يغفره اللّه سبحانه: إِنَّ اللّٰهَ لاٰ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مٰا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشٰاءُ (٣) .

٣-عنصريه اليهود

نفهم من الآيات الكريمه أن روح التمييز العنصری لدی اليهود،التی هی

١- ١) -التّفسير الكبير،الفخر الرازی،الآيه المذكوره.

٢- ٢) -الميزان،الآيه المذكوره.

٣- ٣) -النساء،٤٨.

مبعث کثیر من مشاکل الساحه العالمیه الیوم،کانت راسخه لدی الیهود منذ تلک الأیّام.و کانوا یعتقدون بوجود تفوّق و امتیاز لعنصر بنی إسرائیل علی سائر الأجناس البشریه الاخری.و لا زالت هذه الذهنیه سائده لدی هؤلاء القوم بعد مرور آلاف السنین علی أسلافهم الذین یتحدث عنهم القرآن الکریم.و هذا التعصب العنصری هو الأساس الذی تقوم علیه الدوله الصهیونیه الغاصبه الیوم.

هؤلاء یعتقدون بأن عنصرهم متمیز عن سائر البشر لا فی هذه الدنیا فحسب، بل فی الاخره أیضا،حیث لا ینال المجرم منهم-علی رأیهم-سوی عقوبه خفیفه قصیره.و هذه التصورات المغلوطه هی التی دفعتهم إلی أن یرتکبوا ألوان الجرائم و الموبقات (1) .

ص: ۲۸۲

۱- ۱) -فی تفسیر الآیه ۱۲۳ من سوره النساء بحثنا أیضا فی هذه الامتیازات الکاذبه(المجلد الثالث من هذا التّفسیر).

الآیات [سوره البقره (۲): الآیات ۸۳ الی ۸۶]

اشاره

وَ إِذْ أَخَذْنٰا مِيثٰاقَ بَنِي إِسْرٰائِيلَ لاٰ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اَللّٰهَ وَ بِالْوٰالِدَيْنِ إِحْسٰاناً وَ ذِي اَلْقُرْبىٰ وَ اَلْيَتٰامىٰ وَ اَلْمَسٰاكِينِ وَ قُولُوا لِلنّٰاسِ حُسْناً وَ أَقِيمُوا اَلصَّلاٰةَ وَ آتُوا اَلزَّكٰاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاّٰ قَلِيلاً مِنْكُمْ وَ أَنْتُمْ مُعْرِضُونَ (۸۳) وَ إِذْ أَخَذْنٰا مِيثٰاقَكُمْ لاٰ تَسْفِكُونَ دِمٰاءَكُمْ وَ لاٰ تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيٰارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (۸۴) ثُمَّ أَنْتُمْ هٰؤُلاٰءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَ تُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيٰارِهِمْ تَظٰاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَ اَلْعُدْوٰانِ وَ إِنْ يَأْتُوكُمْ أُسٰارىٰ تُفٰادُوهُمْ وَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرٰاجُهُمْ أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ اَلْكِتٰابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمٰا جَزٰاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذٰلِكَ مِنْكُمْ إِلاّٰ خِزْيٌ فِي اَلْحَيٰاةِ اَلدُّنْيٰا وَ يَوْمَ اَلْقِيٰامَةِ يُرَدُّونَ إِلىٰ أَشَدِّ اَلْعَذٰابِ وَ مَا اَللّٰهُ بِغٰافِلٍ عَمّٰا تَعْمَلُونَ (۸۵) أُولٰئِكَ اَلَّذِينَ اِشْتَرَوُا اَلْحَيٰاةَ اَلدُّنْيٰا بِالْآخِرَةِ فَلاٰ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ اَلْعَذٰابُ وَ لاٰ هُمْ يُنْصَرُونَ (۸۶)

ص: ۲۸۳

التّفسير

اشاره

النّاكثون

تقـدم ذكر ميثـاق بنى إسـرائيل،و لكـن الآيـات السـابقه لـم تتعرض إلى تفاصـيل هـذا الميثـاق على النحـو المـذكور فى هـذه الآيات.يشير سبحانه فى هـذه الآيـات إلى مواد هـذا الميثـاق،و هى بأجمعها-أو معظمها-من المبادئ الثابته فى الأديان الإلهيه.و موجوده بشكل من الأشكال فى كل الأديان السماويه.

القرآن ينـدّد فى هـذه الآيات بشدّه باليهود لنقضـهم هذه العهود،و يتوعدهم نتيجه لهذا النقض بالخزى فى الحياه الدنيا و العذاب فى الآخره.

بنود هذا العهد الذى أقرّ به بنو إسرائيل:

١-التوحيد و إخلاص العبوديه للّه وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَ بَنِى إِسْرائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللّهَ .

٢-الإحسان إلى الوالدين: وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً .

٣-الإحسان إلى الأقارب و اليتامى و الفقراء: وَ ذِى الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ .

۴-التعامل الصحيح مع الآخرين: وَ قُولُوا لِلنّاسِ حُسْناً .

۵-إقامه الصلاه: وَ أَقِيمُوا الصَّلاهَ .

۶-إيتاء الزكاه: وَ آتُوا الزَّكاهَ .

ثم تذكر الآيه الكريمه نقض القوم للميثاق و عدم وفائهم بالعهد: ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلّا قَلِيلاً مِنْكُمْ وَ أَنْتُمْ مُعْرِضُونَ .

٧-عدم سفك الدماء: وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِماءَكُمْ .

٨-عدم إخراج بنى جلدتكم من ديارهم: وَ لا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ .

٩-إفداء الأسرى،أى بذل المال لتحريرهم من الأسر(و هذا البند نفهمه من

عباره أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ،و سيأتی ذكرها).

ثم تذكر الآيه إقرار القوم بالميثاق: ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ .

ثم يتعرض القرآن إلى نقض بنی إسرائيل للميثاق،بقتل بعضهم و تشريد بعضهم الآخر: ثُمَّ أَنْتُمْ هؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَ تُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيارِهِمْ .و يشير القرآن إلى تعاون بعضهم ضد البعض الآخر: تَظاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ .

ثم يشير إلى تناقض هؤلاء فی مواقفهم،إذ يحاربون بنی جلدتهم و يخرجونهم من ديارهم،ثم يفدونهم إن وقعوا فی الأسر: وَ إِنْ يَأْتُوكُمْ أُسارى تُفادُوهُمْ وَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْراجُهُمْ .

فهم يفادونهم استنادا إلى أوامر التوراه،بينما يشردونهم و يقتلونهم خلافا لما أخذ اللّه عليهم من ميثاق: أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ؟! و من الطبيعی أن يكون هذا الانحراف سببا لانحطاط الإنسان فی الدنيا و الآخره:

فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ مِنْكُمْ إِلاّ خِزْيٌ فِی الْحَياهِ الدُّنْيا وَ يَوْمَ الْقِيامَهِ يُرَدُّونَ إِلى أَشَدِّ الْعَذابِ

.

و انحرافات أيّه أمه من الأمم لا بدّ أن تعود عليها بالنتائج الوخيمه،ذلك لأن اللّه سبحانه و تعالى أحصاها عليهم بدقّه: وَ مَا اللّهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ .

الآيه الأخيره تشير إلى تخبط بنی إسرائيل و تناقضهم فی مواقفهم،و المصير الطبيعی الذی ينتظرهم نتيجه لذلك: أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَياهَ الدُّنْيا بِالْآخِرَهِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ .

ص :۲۸۵

بحوث

اشاره

۱-إشاره تأریخیه:

فی الآیات إشاره لتناقض بنی إسرائیل فی مواقف بعضهم من البعض الآخر.

قیل فی ذلک:«کان بنو إسرائیل إذا استضعف قوم قوما أخرجوهم من دیارهم، و قد أخذ علیهم المیثاق إن لا یسفکوا دماءهم و لا یخرجوا أنفسهم من دیارهم، و أخذ علیهم المیثاق إن أسر بعضهم بعضا أن یفادوهم.فأخرجوهم من دیارهم ثم فادوهم،فآمنوا بالفداء ففدوا و کفروا بالإخراج من الدیار فأخرجوهم».

و

روی فی المعنیّ بهذه الآیه:«أن قریظه و النضیر کانا أخوین کالأوس و الخزرج فافترقوا فکانت النضیر مع الخزرج و کانت قریظه مع الأوس،فإذا اقتتلوا عاونت کل فرقه حلفاءها،فإذا وضعت الحرب أوزارها فدوا أسراها تصدیقا لما فی التوراه،و الأوس و الخزرج أهل شرک یعبدون الأوثان لا یعرفون جنّه و لا نارا و لا قیامه و لا کتابا،فأنبأ اللّه تعالی الیهود بما فعلوه» (۱) .

و هکذا سقط الیهود و غیرهم من أهل العناد فی مثل هذه التناقضات فی حیاتهم لانحرافهم عن خط العبودیه التّامه للّه تعالی.

۲-الازدواجیه فی الالتزام:

مرّ بنا أن القرآن الکریم یوبّخ الیهود بشدّه علی التزامهم ببعض الأحکام الإلهیه و ترکهم لبعضها الآخر،و ینذرهم بخزی الدنیا و بعذاب الآخره و خاصه فی عملهم بالاحکام الجزئیه،و مخالفتهم لأهم الأحکام الشرعیه.أی قانون حرمه إراقه الدماء،و تهجیر من یشارکهم فی العقیده من دیارهم و أوطانهم.

۱- ۱) -مجمع البیان،فی تفسیر الآیه المذکوره.

هؤلاء فی الواقع التزموا بالاحکام التی تنسجم مع مصالحهم الدنیویه من الأحکام،أما حین تقتضی مصلحتهم أن یریقوا دم الآخرین و یستضعفوهم،فلا یألون جهدا فی ارتکاب کل ذلک مخالفین بذلک أهم أحکام ربّ العالمین.

التزامهم بفداء الأسری لا ینطلق من روح تعبّدیه،بل من روح مصلحیه تری أنّ من مصلحتها أن تفدی الأسری الیوم،کی تفدی هی حین تقع بالأسر فی المستقبل.

العمل بالأحکام المنسجمه مع مصالح الإنسان الدنیویه،لیس دلاله علی طاعه اللّه و عبادته،لأن الدافع لم یکن الاستجابه إلی دعوه اللّه بقدر ما کان استجابه لنداء الذات و المصالح الذاتیه.روح الطاعه تبرز لدی التزام الإنسان بما لا ینسجم مع مصالحه الآنیه الذاتیه.و هذا هو المعیار الذی یمیّز به المؤمن عن العاصی،فالازدواجیه فی الالتزام بأحکام اللّه تعالی،تدلّ علی روح العصیان،بل أحیانا علی عدم الإیمان و بعباره اخری،إن الایمان یظهر أثره فیما لو کان القانون علی خلاف مصالح الفرد و مع ذلک یلتزم به الفرد،و إلاّ فان العمل بالاحکام الشرعیه،إذا اتفقت مع المصالح الشخصیّه لا یعتبر افتخارا و لا علامه علی الایمان و لهذا یمکن تمییز المؤمنین عن المنافقین من هذا الطریق فالمؤمنون یلتزمون بجمیع الأحکام،و المنافقون یذهبون إلی التبعیض.

و مصیر هذه الامّه-بالتعبیر القرآنی-الخزی فی الدنیا و أشدّ العذاب فی الآخره...و لا خزی أکبر من سقوط هذه الأمّه السائره علی خط الازدواجیه بید الغزاه الأجانب،و هبوطها فی مستنقع الذله علی الساحه العالمیه.

هذه السنّه الکونیه لا تقتصر علی بنی إسرائیل،بل هی ساریه فی کل زمان و مکان،و تشملنا نحن المسلمین أیضا.و ما أکثر الذین یؤمنون ببعض الکتاب و یکفرون ببعض فی مجتمعاتنا الیوم!و ما أشقی هؤلاء فی الدنیا و الآخره!

۳–منهج البقاء و عوامل السقوط

الآيات الكريمه فى معرض حديثها عن بنى إسرائيل تطرح سننا كونيه فى بقاء الشعوب و انحطاطها.

أهم عامل لبقاء الامّه و رفعتها و عزتها فى المنظار القرآنى،اعتماد الامّه على قوّه اللّه و قدرته الأبديه و خضوعها له وحده دون سواه و خشيته وحده دون غيره:

لاٰ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّٰهَ

.

و من عوامل البقاء أيضا التلاحم الاجتماعى بين أفراد الامّه،و هذا ما يعبّر عنه القرآن بالإحسان إلى الوالدين باعتبار هما أقرب أفراد المجتمع إلى الإنسان، ثم الإحسان إلى ذى القربى،ثم بعد ذلك إلى عامه أفراد المجتمع من الفقراء و المساكين و غيرهم من النّاس.

إزاله التمييز الطبقى و رفع الهوه السحيقه الفاصله بين الأغنياء و الفقراء فى المجتمع،عن طريق إيتاء الزكاه،و من عوامل بقاء المجتمع أيضا و رفعته.

أما عوامل السقوط فهى عباره عن تفكّك البنيه الاجتماعيه،و نشوب النزاعات و الحروب الداخليه بين أفراد المجتمع،و استضعاف بعضهم بعضا. لاٰ تَسْفِكُونَ دِمٰاءَكُمْ وَ لاٰ تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيٰارِكُمْ... .

ثم الازدواجيه فى الالتزام بأحكام اللّه تعالى عامل هام من عوامل السقوط، يدفع بالأفراد لأن يتحركوا حول محور مصالحهم الآنيه الذاتيه الضيقه،فيلتزموا بالقوانين التى تحفظ لهم منافعهم الشخصيه،و يتركوا القوانين النافعه للمجتمع أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتٰابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ .

هذه هى الأسباب و العلل فى تكامل و انحطاط الأمم و الحضارات فى منظور القرآن.

ص :۲۸۸

الآیتان [سوره البقره (۲): الآیات ۸۷ الی ۸۸]

اشاره

وَ لَقَدْ آتَیْنا مُوسَی اَلْکِتابَ وَ قَفَّیْنا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَ آتَیْنا عِیسَی اِبْنَ مَرْیَمَ اَلْبَیِّناتِ وَ أَیَّدْناهُ بِرُوحِ اَلْقُدُسِ أَ فَکُلَّما جاءَکُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوی أَنْفُسُکُمُ اِسْتَکْبَرْتُمْ فَفَرِیقاً کَذَّبْتُمْ وَ فَرِیقاً تَقْتُلُونَ (۸۷) وَ قالُوا قُلُوبُنا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اَللّهُ بِکُفْرِهِمْ فَقَلِیلاً ما یُؤْمِنُونَ (۸۸)

التّفسیر

اشاره

القلوب المغلّفه

الحدیث فی هاتین الآیتین عن بنی إسرائیل،و إن کانت المفاهیم و المعاییر التی تطرحها الآیتان عامّه و شامله.

تقول الآیه الاولی: وَ لَقَدْ آتَیْنا مُوسَی الْکِتابَ ثم تذکر بعثه الأنبیاء بعد موسی مثل داود و سلیمان و یوشع و زکریا و یحیی... وَ قَفَّیْنا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ، و تشیر إلی بعثه عیسی وَ آتَیْنا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ الْبَیِّناتِ وَ أَیَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ، لکن تعامل بنی إسرائیل کان مع کل هؤلاء الأنبیاء قائما علی أساس نزعات هوی النفس أَ فَکُلَّما جاءَکُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوی أَنْفُسُکُمُ اسْتَکْبَرْتُمْ ؟!و کان موقفهم إمّا اغتیال شخصیه النّبی أو شخص النّبی: فَفَرِیقاً کَذَّبْتُمْ وَ فَرِیقاً

تَقْتُلُونَ

،لو كان اغتيال الشخصيه كافيا لتحقيق أهـدافهم الـدنيئه اكتفوا بذلك،و إن لم يكن كافيا سـفكوا دمه!! ذكرنا في تفسير الآيات السابقه عند حديثنا عن الازدواجيه في الالتزام بالاحكام الإلهيه أن معيار الإيمان و التسليم هو الالتزام بما لا تهوى النفس،لأن كل أصحاب الأهواء مستسلمون لما ينسجم مع ميولهم و أهوائهم.

و من جـانب آخر يسـتفاد من الآـيه أن القاده الإلهيين لم يكونوا يأبهون بمعارضه أصـحاب الأهواء،و هـذا هو شأن القائـد لمنهج الحق.و لو انساقوا وراء أهواء الآخرين لما كانوا قاده لطلّاب صراط الحق.بل أتباع لطلاب الدنيا.

الآيه التاليه تذكر ما كانوا يقولونه باستهزاء مقابل دعوه الأنبياء لهم أو دعوه النّبى الخاتم صلّى اللّه عليه و اله و سلّم: وَ قالُوا:قُلُوبُنا غُلْفٌ و الغلف جمع أغلف أى مغلّف.

نعم،إنها كذلك مغلّفه و بعيده عن نفوذ النور الإلهى إليها،لأن أصـحابها لعنوا بعد التمادى فى الكفر بَلْ لَعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً ما يُؤْمِنُونَ .

قد تشـير الآيه إلى اليهود الذين كذبوا الأنبياء و قتلوهم،و قد تشـير إلى اليهود المعاصرين للنبى الخاتم صلّى اللّه عليه و اله و سلّم ممّن وقف بوجه الرساله.لكنهـا على أى حال تبين حقيقه هامّه هى:إن الانغماس فى الأهواء يبعـد الفرد عن اللّه،و يسـدل الحجب على قلبه،فلا تكاد الحقيقه تجد لها طريقا إلى نفسه.

بحوث

اشاره

١-رساله الأنبياء فى مسيره التاريخ

ذكرنـا أن أصـحاب الأهواء المنحرفين كانوا يقفون دوما بوجه دعوه الأنبياء، لأنها كانت تهـدد مصالحهم الآنيّه التافهه،و تحريف الرسالات الإلهيه أحد السبل التى انتهجها هؤلاء المنحرفون لمحاربه الدعوه،لذلك كان لا بدّ من توالى الرسل-

على مرّ التاريخ-لمواصله بقاء خط النّبوه على الأرض،و لإتمام الحجه على البشريه، قال سبحانه: ثُمَّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرا كُلَّ ما جاءَ أُمَّةً رَسُولُها كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنا بَعْضَهُمْ بَعْضاً (۱) هذا المفهوم عبّر عنه

أمير المؤمنين على عليه السّلام بقوله: «فبعث فيهم رسله و واتر إليهم أنبياءه،ليستأدوهم ميثاق فطرته،و يذكّروهم منسىّ نعمته،و يحتجّوا عليهم بالتّبليغ، و يثيروا لهم دفائن العقول» (۲) .

هدف بعثه الأنبياء على مرّ العصور التاريخيه إذن هو تذكير البشر بنعم اللّه سبحانه،و دعوتهم إلى الالتزام بميثاق الفطره،و إحياء دعوات الأنبياء السابقين.

هنا يثار سؤال حول سبب ختم النّبوه بنبىّ الإسلام صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و سنجيب عليه إن شاء اللّه فى تفسير الآيه ۴۰ من سوره الأحزاب.

۲-ما هو روح القدس؟

للمفسرين آراء مختلفه فى معنى روح القدس:

۱-قالوا إنه جبرائيل،فيكون معنى الآيه على هذا إن اللّه أيّد عيسى بجبرائيل.و شاهدهم على ذلك قوله تعالى: قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ (۳) و وجه تسميه جبرائيل بروح القدس،هو أن جبرائيل ملك،و الجانب الروحى فى الملائكه أمر واضح،و إطلاق كلمه«الروح»عليهم متناسب مع طبيعتهم، و إضافه الروح إلى«القدس»إشاره إلى طهر هذا الملك و قداسته الفائقه.

۲-و قيل إن«روح القدس»هو القوّه الغيبيه التى أيّدت عيسى عليه السّلام،و بهذه القوه الخفيه الإلهيه كان عيسى يحيى الموتى.

۱- ۱) -المؤمنون،۴۴.

۲- ۲) -نهج البلاغه،الخطبه الاولى.

۳- ۳) -النحل،۱۰۲.

هـذه القوّه الغيبيه موجوده طبعا بشـكل أضـعف فى جميع المؤمنين على اختلاف درجه إيمانهم.و هـذا الإمـداد الإلهى هو الـذى يعين الإنسان فى أداء الطاعات و تحمل الصعاب،و يقيه من السقوط فى الذنوب و الزلات.من هنا

ورد عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قوله لحسان: «لن يزال معك روح القدس ما ذببت عنّا»

و قول بعض أئمه أهل البيت لشاعر قرأ أبياتا ملتزمه: «إنّما نفث روح القدس على لسانك».

۳-و من المفسرين من قال إن روح القدس هو«الإنجيل» (۱) و يبدو أن التّفسيرين السابقين أقرب إلى المعنى.

۳-مفهوم«روح القدس»لدى المسيحيين

ورد فى قـاموس الكتـاب المقـدس:«إن روح القـدس هو الأـقنوم الثـالث من الأقـانيم الثلاـثه الإـلهيه.و يقال له(الروح)،لأنه مبـدع الحياه،و يسـمى مقـدسا لأن من أعماله تقديس قلوب المؤمنين،و لما له من علاقه باللّه و المسـيح يسـمى أيضا (روح اللّه)و(روح المسيح)».

و ورد أيضا فى هـذه القاموس تفسـير آخر هو:«أما روح القـدس الـذى يؤنسـنا فهو الذى يحثنا دوما إلى قبول و فهم الاسـتقامه و الإيمـان و الطـاعه،و يحيى الأشـخاص الـذين مـاتوا فى الـذنوب و الخطايا،و يطهرهم و ينزههم و يجعلهم لائقين لتمجيـد حضـره واجب الوجود».

و كمـا يلاحـظ،إن عبـارات قـاموس الكتـاب المقـدس أشـارات إلى معنيين لروح القـدس:الأول،إن روح القـدس أحـد الأرباب الثلاثه،و هذه هى عقيده التثليث، و هى عقيده شرك باللّه و مرفوضه،و الثانى يشبه التّفسير الثانى المذكور أعلاه.

ص: ۲۹۲

۱- ۱) -تفسير المنار،ذيل الآيه المذكوره.

۴-قلوب غافله محجوبه

كان اليهود فى المـدينه يقفون بوجه الـدعوه،و يمتنعون عن قبولها،و يتذرعون لذلك بمختلف الحجج،و الآيه التى نحن بصددها تشير إلى واحده من ذرائعهم.

وَ قالُوا:قُلُوبُنا غُلْفٌ

و لا ينفذ إليها قول!! كانوا يقولون ذلك عن استهزاء،غير أن القرآن أيّد مقالتهم،فبكفرهم و نفاقهم أسدل على قلوبهم حجب من الظلمات و الذنوب،و ابتعدوا عن رحمه اللّه، فَقَلِيلاً ما يُؤْمِنُونَ .

و هذه مسأله تطرحها آيه اخرى من قوله تعالى: وَ قَوْلِهِمْ قُلُوبُنا غُلْفٌ،بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاّ قَلِيلاً (۱) .

ص :۲۹۳

۱- ۱) -النساء،۱۵۵.

الآیتان [سوره البقره (۲): الآیات ۸۹ الی ۹۰]

اشاره

وَ لَمّٰا جٰاءَهُمْ کِتٰابٌ مِنْ عِنْدِ اَللّٰهِ مُصَدِّقٌ لِمٰا مَعَهُمْ وَ کٰانُوا مِنْ قَبْلُ یَسْتَفْتِحُونَ عَلَی اَلَّذِینَ کَفَرُوا فَلَمّٰا جٰاءَهُمْ مٰا عَرَفُوا کَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اَللّٰهِ عَلَی اَلْکٰافِرِینَ (۸۹) بِئْسَمَا اِشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ یَکْفُرُوا بِمٰا أَنْزَلَ اَللّٰهُ بَغْیاً أَنْ یُنَزِّلَ اَللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلیٰ مَنْ یَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ فَبٰاؤُ بِغَضَبٍ عَلیٰ غَضَبٍ وَ لِلْکٰافِرِینَ عَذٰابٌ مُهِینٌ (۹۰)

سبب النّزول

روی عن الإمام الصادق علیه السّلام قال: «کانت الیهود تجد فی کتبها أنّ مهاجر(مکان هجره)محمّد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ما بین(جبلی)غیر واحد، فخرجوا یطلبون الموضع،فمرّوا بجبل یقال له حداد،فقالوا:حداد و أحد سواء،فتفرّقوا عنده،فنزل بعضهم بتیماء و بعضهم بفدک و بعضهم بخیبر،فاشتاق الذین بتیماء إلی بعض إخوانهم،فمرّ بهم أعرابی من قیس فتکاروا منه(أی استأجروا إبله)و قال لهم:أمرّ بکم ما بین عیر و أحد،(فعلموا أنهم أصابوا ضالّتهم)فقالوا له:إذا مررت بهما فآذنّا(أخبرنا)بهما،فلما توسط بهم أرض المدینه،قال:

ذلک عیر،و هذا أحد،فنزلوا عن ظهر إبله،و قالوا:قد أصبنا بغیتنا فلا حاجه بنا إلی إبلک، فاذهب حیث شئت،و کتبوا إلی إخوانهم الذین بفدک و خیبر أنا قد أصبنا الموضع فهلمّوا

إلينا،فكتبوا إليهم أنّا قد استقرت بنا الدار و اتخذنا بها الأموال،و ما أقربنا منكم،فإن كان ذلك فما أسرعنا إليكم،و اتخذوا بأرض المدينه أموالا فلما كثرت أموالهم بلغ ذلک تبّعا فغزاهم،فتحصنوا منه،فحاصرهم ثمّ أمّنهم،فنزلوا عليه،فقال لهم:إنّی قد استطبت بلادكم،و لا أرانی إلاّ مقيما فيكم.فقالوا له:ليس لک ذلک،إنها مهاجر نبی،و ليس ذلک لأحد حتی يكون ذلک، فقال لهم:فإنی مخلف فيكم من أسرتی من إذا كان ذلک ساعده و نصره،فخلف حين تراهم الأوس و الخزرج،فلما كثروا بها كانوا يتناولون أموال اليهود، فكانت اليهود تقول لهم:أما لو بعث محمّد لنخرجنكم من ديارنا و أموالنا،فلما بعث اللّه محمّدا عليه السّلام آمنت به الأنصار و كفرت به اليهود، و هو قوله تعالی: وَ كَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا... إلی آخر الآيه.»
نعم،هذه الفئه التی كانت تبحث بولع شديد عن منطلق البعثه المحمّديه، لتكون أول من تؤمن برسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم،و كانت تفتخر أمام الأوس و الخزرج بأنها ستكون من خاصه صحابه النّبی المبعوث،إذا هی تقف-بسبب لجاجها و عنادها -إلی جانب أعداء النّبی،بينما التف حول الرّسول من كان بعيدا عن هذه الأجواء.

التّفسير

اشاره

كفروا بما دعوا الناس اليه

هذه الآيات تتحدث أيضا عن اليهود و مواقفهم،هؤلاء-كما ورد فی أسباب النّزول-هاجروا ليتخذوا من يثرب سكنا بعد أن وجدوا فيها ما يشير إلی أنها أرض الرّسول المرتقب،و بقوا فيها ينتظرون بفارغ الصبر النّبی الذی بشرت به التوراه،كما كانوا ينتظرون الفتح و النصر علی الذين كفروا تحت لواء هذا النّبی، لكنهم مع كل ذلک أعرضوا عن الرّسول و عن الرساله وَ لَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَ كَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ...فَلَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ .

و هكذا تستطيع الأهواء و المصالح الشخصيه أن تقف بوجه طالب الحقيقه، مهما كان الفرد عاشقا لهذه الحقيقه و توّاقا للوصول إليها فيتركها و يعرض عنها،بل تستطيع الأهواء أيضا أن تحوّل هذا الفرد إلى عدوّ لدود لهذه الحقيقه.

ما أشدّ خساره هؤلاء اليهود،تركوا أوطانهم و هاموا فى الأرض بحثا عن علامات أرض الرساله،ثم ها هم خسروا كل شىء،و باعوا أنفسهم بأسوأ ثمن:

بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ

.

لقد ضيعوا كل شىء و كأنهم أرادوا أن يكون النّبى الموعود من بنى إسرائيل، و لهذا تألموا من نزول القرآن على غيرهم،بل ممن شاء اللّه: أَنْ يَكْفُرُوا بِمٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلىٰ مَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ .

و لذلك شملهم غضب اللّه المتوالى: فَبٰاؤُ بِغَضَبٍ عَلىٰ غَضَبٍ وَ لِلْكٰافِرِينَ عَذٰابٌ مُهِينٌ .

بحثان

اشاره

١-صفقه خاسره

إنه لخسران عظيم أن تتهيّا للإنسان كل سبل الهدايه ثم يعرض عنها لأمور تافهه،و اليهود المعاصرون للنبى الخاتم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هم من أولئك،توفّرت لهم كل هذه السبل،بل تحركوا زمنا يبتغون مصدر هذه الهدايه،و عثروا بعد جهد على مبتغاهم حين حطوا رحالهم بين«العير»و«أحد»انتظارا للنبى الموعود،ثم إذا هم يخسرون كل شىء،حين علموا أن هذا النّبى المبعوث ليس من بنى إسرائيل،أو أنه لا يحقق مصالحهم الشخصيه.

ما أكبر الخساره حين يبيع الإنسان نفسه بهذا الشكل و يشترى بها غضب اللّه عزّ و جلّ!بينما ليس لوجود الإنسان ثمن إلاّ الجنّه كما

يقول أمير المؤمنين

على عليه السّلام: «إنّه ليس لأنفسكم ثمن إلّا الجنّه فلا تبيعوها إلّا بها» (۱) .

عباره«اشتراء النفس»أى بيعها توحى أن الاتجاه نحو طريق الضلال بيع للنفس،و كأن الكافر يبيع شخصيته الإنسانيه،لأن الكفر يهدم قيمه الإنسان من الأساس،و بعباره اخرى إنه يكون كالعبيد الذين باعوا أنفسهم فأمسوا اسرى بيد الآخرين...أجل إنّهم أسرى الأهواء و عبيد الشيطان.

۲-غضب على غضب

القرآن الكريم قال عن بنى إسرائيل حين تاهوا فى صحراء سيناء بأنّهم وَ بٰاؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللّٰهِ بسبب كفرهم بآيات اللّه و قتلهم الأنبياء و فى سوره آل عمران الآيه ۱۲،ورد هذا المعنى أيضا و أن اليهود بسبب كفرهم بآيات اللّه و قتلهم الأنبياء باءوا بغضب من اللّه تعالى.و هذا هو الغضب الاول.

و هؤلاء أحفادهم من اليهود المعاصرين للبعثه المحمّديه ساروا على طريق أسلافهم فى الكفر بالرساله،و زادوا على ذلك بوقوفهم بوجه الرّسول و تآمرهم على الدعوه و لذلك قال عنهم«فباء و بغضب على غضب».

و«باءو»بمعنى رجعوا-و أقاموا فى المكان-و هنا تعنى استحقاقهم لعذاب اللّه.فكأنهم عادوا و هم محملون بهذا الغضب الإلهى،أو كأنهم اتخذوا موقفا يغضب اللّه.

هؤلاء القوم كانوا يعيشون أمل ظهور النّبى المنقذ،قبل دعوه موسى و قبل دعوه النّبى الخاتم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و كان موقفهم من الرّسولين الكريمين واحدا،هو النكول و الإعراض،و استحقوا غضب اللّه و سخطه مرّه بعد اخرى.

۱- ۱) -نهج البلاغه،الكلمات القصار،الكلمه رقم ۴۵۶.

الآيات [سوره البقره (٢): الآيات ٩١ الى ٩٣]

اشاره

وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِما أَنْزَلَ اَللّهُ قالُوا نُؤْمِنُ بِما أُنْزِلَ عَلَيْنا وَ يَكْفُرُونَ بِما وَراءَهُ وَ هُوَ اَلْحَقُّ مُصَدِّقاً لِما مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِياءَ اَللّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩١) وَ لَقَدْ جاءَكُمْ مُوسى بِالْبَيِّناتِ ثُمَّ اِتَّخَذْتُمُ اَلْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظالِمُونَ (٩٢) وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ وَ رَفَعْنا فَوْقَكُمُ اَلطُّورَ خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اِسْمَعُوا قالُوا سَمِعْنا وَ عَصَيْنا وَ أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ اَلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَما يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩٣)

التّفسير

اشاره

العصبيه القوميه لدى اليهود

يشير القرآن مرّه اخرى إلى عصبيه اليهود القوميه و يقول:

وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِما أَنْزَلَ اَللّهُ قالُوا نُؤْمِنُ بِما أُنْزِلَ عَلَيْنا وَ يَكْفُرُونَ بِما وَراءَهُ

.

فهم لم يؤمنوا بالإنجيل و لا بالقرآن،بل إنهم يدورون حول محور العنصريه و المصلحيه،فيجرأون على رفض الدعوه التى جاءت تصديقا لما معهم فى التوراه

ص:٢٩٨

وَ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِما مَعَهُمْ

.

و يكشف القرآن زيف ادعائهم مره اخرى حين يقول لهم: قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِياءَ اللّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ هؤلاء يدّعون أنهم يؤمنون بما أنزل عليهم، فهل التوراه تبيح لهم قتل الأنبياء؟! و هذا الذى يقوله بنو إسرائيل: نُؤْمِنُ بِما أُنْزِلَ عَلَيْنا ينطلق من روح ذاتيه فرديه أو فئويه،و هى تخالف روح التوحيد.فالتوحيد يستهدف القضاء على كل المحاور الذاتيه فى حركه الإنسان و مواقفه،و تكريس نشاطات الفرد حول محور العبوديه للّه لا غير.

بعباره اخرى،لو كان الانصياع للأوامر الإلهيه متوقفا على نزولها عليهم، فهو الشرك لا الإيمان،و هو الكفر لا الإسلام،و مثل هذا الانصياع ليس بدليل على الإيمان قط.

و عباره بِما أَنْزَلَ اللّهُ تحمل مفهوم نفى كل ذاتيه بشريه فى الرساله،بما فى ذلك ذات النّبى المرسل،فلم تتضمن العباره اسم محمّد و عيسى و موسى عليهم أفضل الصلاه و السلام،بل التأكيد على الإيمان بما أنزل اللّه تعالى.

و يعرض القرآن وثيقه اخرى لإدانه اليهود و لكشف زيف ادعائهم فيقول:

وَ لَقَدْ جاءَكُمْ مُوسى بِالْبَيِّناتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظالِمُونَ

.

ما هذا الانحراف نحو عباده العجل بعد أن جاءتكم البينات إن كنتم فى إيمانكم صادقين؟! لو كنتم آمنتم به حقّا،فلم تبدّل إيمانكم إلى كفر عند غياب موسى و ذهابه إلى جبل الطور،و بذلك ظلمتم أنفسكم و مجتمعكم و الأجيال المتعاقبه بعدكم؟! فى الآيه الثالثه يطرح القرآن وثيقه إدانه اخرى،فيشير إلى مسأله ميثاق جبل الطور و يقول: وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ وَ رَفَعْنا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّهٍ

وَ اسْمَعُوا،قٰالُوا:سَمِعْنٰا وَ عَصَيْنٰا

.

و ما كان عصيانهم إلاّ عن انغماس فى حبّ الدنيا الذى تمثّل فى حبّ عجل السّامرى الذّهبى: وَ أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ و لذا نسوا اللّه عزّ و جلّ؟! كيف يجتمع الايمان باللّه مع قتل أنبيائه و عباده العجل و نقض العهود و المواثيق الالهيه المؤكده؟!أجل قُلْ بِئْسَمٰا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمٰانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۱) .

بحثان

۱-عباره قٰالُوا:سَمِعْنٰا وَ عَصَيْنٰا ليست حكايه عمّا قالوه بألسنتهم،بل حسب الظاهر هى تعبير عن واقع عملى لهؤلاء القوم،و كنايه رائعه عن انحرافهم.

۲-عباره وَ أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ هى أيضا كنايه رائعه تعبّر عن وضع هذه الجماعه.

و الاشراب له معنيان كما ورد فى المفردات:الإحكام كقولك«أشربت البعير» إذا شددت رقبته بالحبل.و كذلك الإرواء،و يكون المعنى على الوجهين أن حبّ العجل قد غمر قلوب بنى إسرائيل و استحكم فى أنفسهم.

و العباره توحى أيضا ما يصدر عن هؤلاء القوم من انحراف،إنما هو ظاهره طبيعيه ناتجه عن تغلغل روح الشرك فى قلوبهم.و القلوب التى أشربت الشرك لا يصدر عنها إلا القتل و الإنكار و الخيانه.

و تتبين أهميه الموضوع أكثر لو طالعنا مقدار ما أكدت عليه الديانه اليهوديه

۱- ۱) -مرّ بنا فى الآيتين(۵۱ و ۶۳)من هذه السّوره المباركه موضوع ميثاق بنى إسرائيل و خصائصه.

من تقبيح لعمليه القتل و نهى عنها فقد جاء فى قاموس الكتاب المقدس،ص ۶۷۸:«القتل العمدى و تقبيحه كان على درجه من الأهميه لدى بنى إسرائيل، بحيث لا تبرأ ذمّه القاتل له لولجا إلى الأماكن المقدسه،بل لا بدّ إنزال عقوبه القصاص به بأىّ حال من الأحوال».

هذا هو معنى قتل الإنسان فى نظر التوراه،فما بالك بقتل الأنبياء؟

ص :۳۰۱

الآيات [سوره البقره (٢): الآيات ٩۴ الی ٩۶]

اشاره

قُلْ إِنْ كانَتْ لَكُمُ اَلـدّارُ اَلْآخِرَهُ عِنْـدَ اَللّهِ خالِصَهً مِنْ دُونِ اَلنّاسِ فَتَمَنَّوُا اَلْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (٩۴) وَ لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَ اَللّهُ عَلِيمٌ بِالظّالِمِينَ (٩۵) وَ لَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ اَلنّاسِ عَلى حَياهٍ وَ مِنَ اَلَّذِينَ أَشْـرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَـنَهٍ وَ ما هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ اَلْعَذابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَ اَللّهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ (٩۶)

التّفسير

اشاره

فئه مغروره:

يبـدو من تاريـخ اليهود-مضافا لما أخبر القرآن عنه- أن هؤلاء القوم كانوا يعتبرون أنفسـهم فئه متميزه فى العنصـر،و متفوقه على سائر الأجناس البشـريه، و كانوا يعتقـدون أن الجنّه خلقت لهم لا لسواهم،و أن نار جهنم لن تمسّـهم،و أنّهم أبناء اللّه و خاصـته،و أنّهم يحملون جميع الفضائل و المحاسن.

هذا الغرور الأرعن تعكسه كثير من آيات الذكر الحكيم الآيه(١٨)من سوره المائده تقول عن لسانهم: نَحْنُ أَبْناءُ اللّهِ وَ أَحِبّاؤُهُ .و فى الآيه ١١١ من سوره

ص:٣٠٢

البقره نرى ادعاء آخر لهم: وَ قَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّهَ إِلاّ مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارىٰ ، و هكذا فى الآيه ۸۰ من سوره البقره: وَ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النّارُ إِلاّ أَيّاماً مَعْدُودَةً .

هذه التصورات الموهومه كانت تدفعهم من جهه إلى الظلم و الجريمه و الطغيان،و تبعث فيهم-من جهه اخرى-الغرور و التكبّر و الاستعلاء.

و القرآن الكريم يجيب هؤلاء القوم جوابا دامغا إذ يقول: قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ .

ألا تحبّون رحمه اللّه و جواره و نيل النعيم الخالد فى الجنان؟ألا يحب الحبيب لقاء حبيبه؟! لقد كان اليهود يهدفون من كلامهم هذا و أن الجنّه خالصه لنا دون سائر النّاس:

أو أن النار لا تمسّنا إلاّ أيّاما معدودات-إلى توهين إيمان المسلمين و تخدير عقائدهم.

لماذا تفرون من الموت،و كل ما فى الآخره من نعيم هو لكم كما تدّعون؟! لماذا هذا الالتصاق بالأرض و بالمصالح الذاتيه الفرديه،إن كنتم مؤمنين بالآخره و بنعيمها حقّا؟! بهذا الشكل فضح القرآن أكذوبه هؤلاء و بيّن زيف ادعائهم.

فى الآيه التّاليه تأكيد على ما سبق بشأن ابتعاد القوم عن الموت: وَ لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ،وَ اللّهُ عَلِيمٌ بِالظّالِمِينَ .

هؤلاء يعلمون ما فى ملفّ أعمالهم من وثاق سوداء و من صحائف إدانه،و اللّه عليم بكل ذلك،و لذلك فهم لا يتمنون الموت،لأنه بدايه حياه يحاسبون فيها على كل أعمالهم.

الآيه الأخيره تذكر انشداد هؤلاء بالأرض و حرصهم الشديد على المال و المتاع: وَ لَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النّاسِ عَلىٰ حَيَاةٍ و تذكر الآيه أن حرصهم هذا يفوق حرص الذين أشركوا: وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا .

ص :۳۰۳

المشـركون ينبغى أن يكونوا أحرص من غيرهم على جمع المـال و المتـاع، لكن هؤلاء من أصـحاب الادعاءات الفارغه،بلغوا من الحرص ما لم يبلغه المشركون.

و بلغ شـغفهم بالدنيا أنّه يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ لجمع مزيد من متاع الدنيا،أو خوفا من عقاب الآخره!لكن هذا العمر الذى يتمناه كل واحد منهم لا يبعده عن العذاب،و لا يغيّر من مصـيره شيئا وَ مٰا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذٰابِ أَنْ يُعَمَّرَ إذ كل شىء محصى لدى اللّه،و لا يعزب عن عمله شىء وَ اللّٰهُ بَصِيرٌ بِمٰا يَعْمَلُونَ .

بحوث

اشاره

۱-المقصود من الأعوام الألف

فى قوله تعـالى: يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ليس هـذا العـدد المعروف،بـل يعنى العمر الطويـل المديـد،فهو ليس للتعـدد،بل للتكثير.

و ذهب بعض المفسـرين إلى أن العرب لم تكن تعرف آنـذاك عـددا أكبر من الألـف،و لم يكن لما يزيـد على الألف اسم عند العرب،و لذلک كان أبلغ تعبير عن الكثره! (۱) .

۲-تنكير الحياه فى تعبير الآيه وَ لَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النّٰاسِ عَلىٰ حَيٰاةٍ تفيـد- كما ذهب إلى ذلک جمع من المفسـرين-الاسـتهانه و التحقير،أى إن هؤلاء حريصون حتى على أتفه حياه و أرخصها و أشقاها،و يفضلونها على الآخره (۲) .

۱- ۱) -المنار،ج ۱،ص ۳۳۱.

۲- ۲) -الميزان،ج ۱،ص ۲۳۰-المنار،ج ۱،ص ۳۹۰.

۳-إفرازات العنصريه:

كـان التعصّب العنصرى وراء كثير من الحروب و المآسى التى حـدثت على السـاحه البشـريه خلال جميع عصور التأريـخ،و فى عصرنا الحديث كان التعصب العرقى الألمانى عاملا فعالا فى إشعال لظى الحربين العالميتين الاولى و الثانيه.

و اليهود يحتلون دون شك مكان الصداره بين العنصـريين المتعصبين على مرّ التأريخ،و ها هى دويلتهم المسماه بإسرائيل أقيمت على أساس هذه العنصريه المقيته،و ما يرتكبه هذا الكيان العنصرى الصهيونى من جرائم فظيعه إنما هو استمرار لجرائمه التأريخيه الناشئه عن عنصريته البغيضه.

لقد دفعتهم عنصريتهم لأن يحتكروا حتّى تعاليم موسى،و يزيلوا عنصر الدعوه من دينهم،كى لا يعتنق تعاليمهم أحد غيرهم.

و هذه النزعه الأنانيه هى التى جعلت هؤلاء القوم منبوذين ممقوتين من قبل كل شعوب العالم.

التعصب العنصرى شعبه من الشرك،و لذلك حاربه الإسلام بشدّه،مؤكدا أن كل أبناء البشر من أب واحد و أمّ واحده،و لا تمايز إلّا بالتقوى و العمل الصالح.

۴-عوامل الخوف من الموت:

أكثر النّاس يخافون من الموت،و خوفهم هذا يعود إلى عاملين:

۱-الخوف من الفناء و العدم،فالذين لا يؤمنون بالآخره لا يرون بعد هذه الحياه استمرار لحياتهم،و من الطبيعى أن يخاف الإنسان من الفناء،و هذا الخوف يلاحق هؤلاء حتى فى أسعد لحظات حياتهم فيحوّلها إلى علقم فى أفواههم.

۲-الخوف من العقـاب،و مثـل هـذا الخوف يلاحق المـذنبين المؤمنين بالآخره،فيخـافون أن يحين حينهم و هم مثقلون بالآثام و الأوزار،فينالوا جزاءهم،و لذلك يؤدّون أن تتأخّر ساعه انتقالهم إلى العالم الآخر.

الأنبياء العظام أحيوا فى القلوب الإيمان باليوم الآخر،و بـذلك أبعـدوا شـبح الفناء و الانعدام من الأذهان،و بينوا أن الموت انتقال إلى حياه أبديه خالده منعّمه.

من جهه اخرى دعا الأنبياء إلى العمل الصالـح،كى يبتعد الإنسان عن الخوف من العقاب،و لكى يزول عن القلوب و الأذهان كل خوف من الموت.

ص :٣٠۶

الآیتان [سوره البقره (۲): الآیات ۹۷ الی ۹۸]

اشاره

قُلْ مَنْ کٰانَ عَدُوًّا لِجِبْرِیلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلیٰ قَلْبِکَ بِإِذْنِ اَللّٰهِ مُصَدِّقاً لِمٰا بَیْنَ یَدَیْهِ وَ هُدیً وَ بُشْریٰ لِلْمُؤْمِنِینَ (۹۷) مَنْ کٰانَ عَدُوًّا لِلّٰهِ وَ مَلاٰئِکَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِیلَ وَ مِیکٰالَ فَإِنَّ اَللّٰهَ عَدُوٌّ لِلْکٰافِرِینَ (۹۸)

اسباب النّزول

روی عن ابن عباس أن سبب نزول هذه الآیه،ما

روی أن ابن صوریا و جماعه من یهود أهل فدک،لما قدم النّبی صلّی اللّه علیه و اله و سلّم المدینه،سألوه أسئله،و کان رسول اللّه یجیبهم و هم یصدّقون جوابه،من ذلک أنهم قالوا له:یا محمّد کیف نومک؟فقد أخبرنا عن نوم النّبی الذی یأتی فی أواخر الزمان،فقال:تنام عیناى و قلبی یقظان.

قالوا:صدقت یا محمّد...ثم قال له ابن صوریا:خصله واحده إن قلتها آمنت بک و اتبعتک:أیّ ملک یأتیک بما ینزل اللّه علیک؟قال:جبریل.قال ابن صوریا:ذاک عدونا ینزل بالقتال و الشده و الحرب،و میکائیل ینزل بالیسر و الرخاء،فلو کان میکائیل هو الذی یأتیک لآمنّا بک!! (۱) .

ص: ۳۰۷

۱- ۱) -مجمع البیان،فی تفسیر الآیه،مع شیء من الاختصار.

التّفسیر

اشاره

قوم جادلون:

سبب نزول الآیه الکریمه یبیّن طبیعه العناد و اللجاج و الجدل فی الیهود، ابتداء من زمان موسی علیه السّلام و مرورا بعصر خاتم الأنبیاء و حتی یومنا هذا یعرضون عن الحقّ بألوان الحجج الواهیه.

حجّتهم فی هذا الموضع المذکور فی الآیه ثقل التکالیف التی یأتی بها جبرائیل،و عداؤهم لهذا الملک،و رغبتهم فی أن یکون میکائیل أمینا للوحی!! و کأن الملائکه هم مصدر الأحکام الإلهیه!و القرآن الکریم یصرّح بأن الملائکه ینفّذون أوامر اللّه و لا ینحرفون عن طاعته: لاٰ یَعْصُونَ اللّٰهَ مٰا أَمَرَهُمْ (۱) .

القرآن یجیب عن ذریعه هؤلاء: قُلْ مَنْ کٰانَ عَدُوًّا لِجِبْرِیلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلیٰ قَلْبِکَ بِإِذْنِ اللّٰهِ و ما جاء به جبرائیل یصدّق ما نزل فی الکتب السماویه السابقه:

مُصَدِّقاً لِمٰا بَیْنَ یَدَیْهِ

و هو إضافه إلی کل هذا: وَ هُدیً وَ بُشْریٰ لِلْمُؤْمِنِینَ .

فالجواب فی هذه الآیه ینطوی علی ثلاث شعب:

أوّلا:إن جبریل لا یأتی بشیء من عنده،بل ما یأتی به هو بِإِذْنِ اللّٰهِ .

ثانیا:ما جاء به جبریل تصدّقه الکتب السماویه السابقه،لانطباقه علی العلامات و الدلالات المذکوره فی تلک الکتب.

ثالثا:محتوی ما جاء به جبرائیل یدلّ علی أصالته و حقّانیته.

الآیه التالیه تؤکد نفس هذا الموضوع تأکیدا مقرونا بالتهدید و تقول: مَنْ کٰانَ عَدُوًّا لِلّٰهِ وَ مَلاٰئِکَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِیلَ وَ مِیکٰالَ فَإِنَّ اللّٰهَ عَدُوٌّ لِلْکٰافِرِینَ (۲) مشیره بذلک إلی أن موقف الإنسان من اللّه و ملائکته و رسله و من جبرئیل و میکائیل،لا یقبل التفکیک،و أن الموقف المعادی من أحدهم هو معاداه للآخرین (۳) .

ص:۳۰۸

۱- ۱) -التحریم،۶.

۲- ۲) -البقره،۹۸.

۳- ۳) -المیزان،فی تفسیر الآیه المذکوره.

و بعباره اخری:الأوامر الإلهیه الباعثه علی تکامل الإنسان، تنزل عن طریق الملائکه علی الرسل،و إن کان بین مهمات الملائکه اختلاف،فذلک یعود إلی تقسیم المسؤولیات لا إلی التناقض بین المهمات،و اتخاذ موقف معاد من أحدهم هو عداء اللّه سبحانه.

جبریل و میکال

ورد اسم جبریل ثلاث مرات،و اسم میکال مره واحده فی القرآن الکریم (۱) .

و یستفاد من الآیات أنّهما ملکان مقرّبان من ملائکه اللّه تعالی.قیل إن اسم جبرئیل عبری یعنی«رجل اللّه»أو«قوه اللّه»(جبر:تعنی الرجل أو القوّه،و ئیل:

بمعنی اللّه).

هذه الآیات الکریمه تعرّف جبریل أنه رسول الوحی الإلهی إلی النّبی،و منزّل القرآن علی قلبه،و لواسطه الوحی اسم آخر فی الآیه ۱۰۲ من سوره النحل هو:

رُوحُ الْقُدُسِ أمّا الآیه ۱۹۱ من سوره الشعراء فتسمیه اَلرُّوحُ الْأَمِینُ ، و یصرّح المفسرون أن المقصود من روح المقدس و الروح الأمین،هو جبرئیل.

و هناک أحادیث تدور حول تشکل جبرائیل بصور متعدده لدی نزوله علی النّبی،و کان فی المدینه ینزل علی صوره(دحیه الکلبی)و هو رجل جمیل الطلعه.

یستفاد من سوره النجم أن النّبی صلّی اللّه علیه و اله و سلّم شاهد جبرائیل مرّتین علی هیئته الأصلیه (۲) .

ذکرت المصادر الإسلامیه أسماء أربعه من الملائکه المقربین هم:جبرائیل و میکائیل و إسرافیل و عزرائیل،و أعظمهم مرتبه جبرائیل.

و فی کتب الیهود ورد ذکر جبریل و میکال،و من ذلک ما ورد فی کتاب دانیال

۱- ۱) -اسم«جبریل»ورد مرّتین فی هذه الآیات و مرّه فی سوره التحریم الآیه(۴)و اسم میکال لم یرد إلاّ فی هذا الموضوع من القرآن.

۲- ۲) -أعلام القرآن،ص ۲۷۷ و ۶۲۹.

حیث وصف جبرائیل بأنه الغالب لرئیس الشیاطین،و وصف میکائیل بأنه حامی قوم بنی إسرائیل (۱) .

ذکر بعض المحققین أن المصادر الیهودیه خالیه من الدلاله علی خصومه جبرائیل لهؤلاء القوم،و هذا یؤید أن ادعاءات الیهود بشأن موقفهم من جبرائیل، لم یکن إلاّ ذریعه للتنصل من الإسلام إذ لا یوجد فی مصادرهم الدینیه ما یشیر إلی وجود مثل هذه العداوه بینهم و بین جبرئیل.

ص:۳۱۰

۱- ۱) -أعلام القرآن،ص ۲۷۷ و ۶۲۹.

الآیات [سوره البقره (۲): الآیات ۹۹ الی ۱۰۱]

اشاره

وَ لَقَدْ أَنْزَلْنٰا إِلَیْکَ آیٰاتٍ بَیِّنٰاتٍ وَ مٰا یَکْفُرُ بِهٰا إِلاَّ اَلْفٰاسِقُونَ (۹۹) أَ وَ کُلَّمٰا عٰاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِیقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَکْثَرُهُمْ لاٰ یُؤْمِنُونَ (۱۰۰) وَ لَمّٰا جٰاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اَللّٰهِ مُصَدِّقٌ لِمٰا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِیقٌ مِنَ اَلَّذِینَ أُوتُوا اَلْکِتٰابَ کِتٰابَ اَللّٰهِ وَرٰاءَ ظُهُورِهِمْ کَأَنَّهُمْ لاٰ یَعْلَمُونَ (۱۰۱)

سبب النّزول

قال ابن عباس:إن ابن صوریا-و هو من أحبار الیهود-قال لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و سلّم:

یا محمّد ما جئتنا بشیء نعرفه،و ما أنزل اللّه علیک من آیه بینه فنتبعک لها،فأنزل اللّه هذه الآیه (۱)

التّفسیر

اشاره

الناکثون من الیهود

الآیه الاولی تشیر إلی الآیات و العلامات و الدلائل الکافیه الواضحه التی

۱- ۱) -مجمع البیان،و تفسیر القرطبی.

توفرت لدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم،و تؤكد أن المعرضين عن هذه الآيات البينات أدركوا فى الواقع حقّانيه الدعوه،لكنهم هبّوا للمعارضه مدفوعين بأغراضهم الشخصيه: وَ لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ آياتٍ بَيِّناتٍ وَ ما يَكْفُرُ بِها إِلاَّ الْفاسِقُونَ .

التفكير فى آيات القرآن ينير الطريق لكل طالب حق منصف،و بمطالعه هذه الآيات يمكن فهم صدق دعوه نبى الإسلام صلّى اللّه عليه و اله و سلّم،و عظمه القرآن.

لكن هذه الحقيقه الواضحه لا يفهمها الذين انطفأ نور قلوبهم بسبب الذنوب، من هنا نرى الفاسقين الملوثين بالخطايا يعرضون عن الإيمان بالرساله.

ثم يتطرق القرآن إلى صفه مجموعه من اليهود،و هى صفه النكول و نقض العهود و المواثيق،و كأنها صفه تأريخيه تلازمهم على مرّ العصور أَ وَ كُلَّما عاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ،بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ .

لقد أخذ اللّه ميثاقهم فى جانب الطور أن يعملوا بالتوراه لكنهم نقضوا الميثاق، و أخذ منهم الميثاق أن يؤمنوا بالنّبى الخاتم المذكور عندهم فى التوراه فلم يؤمنوا به.

يهود«بنى النضير»و«بنى قريضه»عقدوا الميثاق مع النّبى لدى هجرته إلى المدينه أن لا يتواطؤوا مع أعدائه،لكنهم نقضوا العهد،و تعاونوا مع مشركى مكه فى حرب الأحزاب ضد المسلمين.

و هذه الخصله فى هذا الفريق من اليهود نجدها اليوم متجسده فى الصهيونيه العالميه التى تضع كل المواثيق و القرارات و المعاهدات الدوليه تحت قدميها،متى ما تعرّضت مصالحها للخطر.

الآيه الأخيره تؤكد بصراحه أكثر على هذا الموضوع: وَ لَمّا جاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ كِتابَ اللّهِ وَراءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ .

كان أحبار اليهود يبشرون النّاس قبل البعثه النبويه بالرّسول الموعود

و یـذکرون لهم علامـاته و صـفاته،فلمّـا بعث نبی الإسـلام،أعرضوا عمّـا جاء فی کتـابهم،و کـأنهم لم یروا و لم یقرءوا ما ذکرته التوراه فی هذا المجال.

هــذه هی النـتیجه الطـبیعیه للأفراد الغارقین فی ذاتیـاتهم،هؤلاء-حتی فی دعـوتهم إلی حقیقـه مـن الحقـائق-لا یتجردون عن ذاتیاتهم،فإن وصلوا إلی تلک الحقیقه و وجدوها تنسجم مع أهوائهم،أعرضوا عنها و نبذوها وراء ظهروهم.

بحوث

۱-واضـح أن تعبیر«النّزول»أو«الإنزال»بشأن القرآن الکریم لا یعنی الانتقال المکانی من الأعلی إلی الأسفل و أن اللّه مثلا فی السماء و أنزل القرآن إلی الأرض،بل التعبیر یشیر إلی علو مکانه ربّ العالمین.

۲-کلمه«فاسق»من ماده«فسق»و تعنی خروج النّواه من الرطب،فقد تسقط الرطبه من النخله،و تنفصل عنها النّواه.و یقال عن هـذا الانفصال فی العربیه «فسقت النواه»،ثم أطلقت الکلمه علی کل انفصال عن خط طاعه اللّه،و عن طریق العبودیه.

فکما أن النّواه تفسق إذا نزعت لباسها الحلو المفید المغذی،کذلک الفاسق ینزع عنه بفسقه کل قیمه و شخصیّته الإنسانیه.

۳-القرآن فی حدیثه عن الیهود لا یوبّخ الجمیع بسبب ذنوب الأکثریه،بل یستعمل کلمات مثل«فریق»«أکثر»لیصون حق الأقلیه المؤمنه المتقیه،و طریقه القرآن هذه فی حدیثه عن الأمم درس لنا کی لا نحید فی أحادیثنا و مواقفنا عن الحقّ و الحقیقه.

الآيتان [سوره البقره (٢): الآيات ١٠٢ الى ١٠٣]

اشاره

وَ اِتَّبَعُوا مٰا تَتْلُوا اَلشَّيٰاطِينُ عَلىٰ مُلْكِ سُلَيْمٰانَ وَ مٰا كَفَرَ سُلَيْمٰانُ وَ لٰكِنَّ اَلشَّيٰاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ اَلنّٰاسَ اَلسِّحْرَ وَ مٰا أُنْزِلَ عَلَى اَلْمَلَكَيْنِ بِبٰابِلَ هٰارُوتَ وَ مٰارُوتَ وَ مٰا يُعَلِّمٰانِ مِنْ أَحَدٍ حَتّٰى يَقُولاٰ إِنَّمٰا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاٰ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمٰا مٰا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ اَلْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ وَ مٰا هُمْ بِضٰارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاّٰ بِإِذْنِ اَللّٰهِ وَ يَتَعَلَّمُونَ مٰا يَضُرُّهُمْ وَ لاٰ يَنْفَعُهُمْ وَ لَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اِشْتَرٰاهُ مٰا لَهُ فِي اَلْآخِرَةِ مِنْ خَلاٰقٍ وَ لَبِئْسَ مٰا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كٰانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢) وَ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ اِتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اَللّٰهِ خَيْرٌ لَوْ كٰانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٣)

التّفسير

اشاره

سليمان و سحره بابل

يفهم من الأحاديث أن مجموعه من النّاس مارست السحر فى عصر النّبى سليمان عليه السّلام،فأمر سليمان بجمع كل أوراقهم و كتاباتهم،و احتفظ بها فى مكان خاص.(لعل الاحتفاظ بها يعود إلى إمكان الاستفاده منها فى إبطال سحر

ص: ٣١۴

السحره).

بعد وفاه سليمان عمدت جماعه إلى إخراج هذه الكتابات،و بدأوا بنشر السحر و تعليمه.و استغلت فئه هذه الفرصه فأشاعت أن سليمان لم يكن نبيّا أصلا، بل كان يسيطر على ملكه و يأتى بالأمور الخارقه للعاده عن طريق السحر! مجموعه من بنى إسرائيل سارت مع هذه الموجه و لجأت إلى السحر،و تركت التوراه.

عند ما ظهر النّبى الخاتم صلّى اللّه عليه و اله و سلّم،و جاءت آيات القرآن مؤيده لنبوه سليمان، قال بعض أحبار اليهود:ألا تعجبون من محمّد يقول:سليمان نبى و هو ساحر! و جاءت الآيه ترد على مزاعم هؤلاء و تنفى هذه التّهمه الكبرى عن سليمان عليه السّلام (1) .

الآيه الاولى إذن تكشف فضيحه اخرى من فضائح اليهود و هى اتهامهم لنبى اللّه بالسحر و الشعوذه،تقول الآيه عن هؤلاء القوم: وَ اتَّبَعُوا مٰا تَتْلُوا الشَّيٰاطِينُ عَلىٰ مُلْكِ سُلَيْمٰانَ .

و الضمير فى«و اتّبعوا»قد يعود إلى المعاصرين للنبى،أو إلى أولئك اليهود المعاصرين لسليمان،أو لكلا الفريقين.

و المقصود بكلمه«الشّياطين»قد يكون الطغاه من البشر أو من الجن أو من كليهما.

ثم تؤكد الآيه على نفى الكفر عن سليمان: وَ مٰا كَفَرَ سُلَيْمٰانُ .

فسليمان عليه السّلام لم يلجأ إلى السحر،و لم يحقق أهدافه عن طريق الشعوذه:

وَ لٰكِنَّ الشَّيٰاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النّٰاسَ السِّحْرَ

.

هؤلاء اليهود لم يستغلوا ما تعلموه من سحر الشياطين فحسب،بل أساؤوا

١- ١) -سيره ابن هشام،ج ٢،ص ١٩٢.و مجمع البيان فى تفسير الآيه،مع قليل من الاختلاف.

الاستفاده أيضا من تعليمات هاروت و ماروت: وَ مٰا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبٰابِلَ هٰارُوتَ وَ مٰارُوتَ (۱) .

هاروت و ماروت ملكان إلهيّان جاءا إلى النّاس فى وقت راج السحر بينهم و ابتلوا بالسحره و المشعوذين،و كان هدفهما تعليم النّاس سبل إبطال السحر،و كما إن إحباط مفعول القنبله يحتاج إلى فهم لطريقه فعل القنبله،كذلك كانت عمليه إحباط السحر تتطلب تعليم النّاس اصول السحر،و لكنهما كانا يقرنان هذا التعليم بالتحذير من السقوط فى الفتنه بعد تعلم السحر وَ مٰا يُعَلِّمٰانِ مِنْ أَحَدٍ حَتّٰى يَقُولاٰ إِنَّمٰا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاٰ تَكْفُرْ .

و سقط أولئك اليهود فى الفتنه،و توغلوا فى انحرافهم،فزعموا أن قدره سليمان لم تكن من النّبوه،بل من السحر و السحره.و هذا هو دأب المنحرفين دائما،يحاولون تبرير انحرافاتهم باتهام العظماء بالانحراف.

هؤلاء القوم لم ينجحوا فى هذا الاختبار الإلهى،فأخذوا العلم من الملكين و استغلّوه على طريق الإفساد لا الإصلاح،لكن قدره اللّٰه فوق قدرتهم و فوق قدره ما تعلموه: فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمٰا مٰا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ،وَ مٰا هُمْ بِضٰارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاّٰ بِإِذْنِ اللّٰهِ وَ يَتَعَلَّمُونَ مٰا يَضُرُّهُمْ وَ لاٰ يَنْفَعُهُمْ .

لقد تهافتوا على اقتناء هذا المتاع الدّنيوى و هم عالمون بأنه يصادر آخرتهم وَ لَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرٰاهُ مٰا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاٰقٍ (۲) .لقد باعوا شخصيتهم الإنسانيه بهذا المتاع الرخيص وَ لَبِئْسَ مٰا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كٰانُوا يَعْلَمُونَ .

لقد أضاعوا سعادتهم و سعاده مجتمعهم عن علم و وعى،و غرقوا فى مستنقع الكفر و الانحراف وَ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ خَيْرٌ لَوْ كٰانُوا يَعْلَمُونَ .

۱- ۱) -بعض المفسرين عطفوا جمله«ما أنزل»على«ما تتلوا»و على هذا الأساس فسرنا الآيه أعلاه،و بعضهم عطفوها على(السحر).

۲- ۲) -الخلاق يعنى الخلق،و قد يعنى الحظّ و النصيب و هذا هو معنى الكلمه فى الآيه.

بحوث

اشاره

۱-قصّه هاروت و ماروت

كثر الحـديث بين أصـحاب القصـص و الأسـاطير عن هـذين الملكين،و اختلطت الخرافه بـالحقيقه بشأنهما،حتى ما عاد بالإمكان استخلاص الحقـائق ممـا كتب بشـأن هـذه الحـادثه التاريخيه،و يظهر أن أصـح ما قيل بهـذا الشأن و أقربه إلى الموازين العقليه و التاريخيه و الأحاديث الشريفه هو ما يلى:

شـاع السـحر فى أرض بابـل و أدّى إلى إحراج النّاس و ازعاجهم،فبعث اللّه ملكين بصوره البشـر،و أمرهما أن يعلما النّاس طريقه إحباط مفعول السحر، ليتخلصوا من شرّ السحره.

كـان الملكـان مضـطرين لتعليـم النّـاس اصـول السـحر،باعتبارهـا مقـدمه لتعليـم طريقه إحبـاط السـحر.و اسـتغلت مجمـوعه هـذه الأصول،فانخرطت فى زمره الساحرين،و أصبحت مصدر أذى للناس.

الملكان حـذرا النّاس-حين التعليم-من الوقوع فى الفتنه،و من السـقوط فى حضـيض الكفر بعـد التعلم،لكن هذا التحذير لم يؤثّر فى مجموعه منهم (۱) .

و هذا الذى ذكرناه ينسـجم مع العقل و المنطق،و تؤيده أحاديث أئمّه آل البيت عليهم السّـلام منها ما ورد فى كتاب عيون أخبار الرضا(و قد أورده فى أحد طرقه عن الإمام الرضا عليه السّلام فى طريق آخر عن الامام الحسن العسكرى عليه السّلام) (۲) .

أمّا ما تتحـدث عنه بعض كتب التاريـخ و دوائر المعارف بهـذا الشأن فمشوب بالخرافات و الأساطير،و بعيـد كل البعـد عمّا ذكره القرآن،من ذاك مثلا أن الملكين أرسـلا إلى الأرض ليثبت لهما سـهوله سـقوطهما فى الذنب إن كانا مكان البشر،فنزلا و ارتكبا أنواع الآثام و الذنوب و الكبائر!!و النص القرآنى بعيد عن هذه الأساطير

۱- ۱) -مجمع البيان،فى تفسير الآيه المذكوره.الوسائل،ج ۱۲،ص ۱۰۶-۱۰۷.

۲- ۲) -نفس المصدر.

و منزّه منها.

۲-لفظ هاروت و ماروت

زعم بعض المحققين أن«هاروت»و«ماروت»لفظان فارسيان قديمان.

و قال:إن كلمه«هوروت»تعنى«الخصب»،و«موروت»تعنى«عديم الموت»و اسما هاروت و ماروت مأخوذان،من هذين اللفظين (۱) .و هذا الاتجاه فى فهم معنى الاسمين لا يقوم على دليل.

و فى كتاب«أوستا»وردت ألفاظ مثل:«هرودات»و يعنى«شهر خرداد»، و كذلك«أمردات» بمعنى عديم الموت،و هو نفسه اسم«شهر مرداد» (۲) .

و فى معجم(دهخدا)تفسير للفظين شبيه بما سبق.

و العجيب أن البعض ذهب إلى أن هاروت و ماروت من البشر و من سكنه بابل!و قيل أيضا أنّهما من الشياطين!!و الآيات المذكوره ترفض ذلك طبعا.

۳-كيف يكون الملك معلما للإنسان؟

يبقى السّؤال عن الرابطه بين الملك و الإنسان،و هل يمكن أن تكون بينهما رابطه تعليميه؟الآيات المذكوره تصرح بأن هاروت و ماروت علّما النّاس السحر،و هذا تمّ طبعا من أجل إحباط سحر السحره فى ذلك المجتمع.فهل يمكن للملك أن يكون معلما للإنسان؟ الأحاديث الوارده بشأن الملكين تجيب على هذا السّؤال،و تقول:إن اللّه بعثهما على شكل البشر،و هذه الحقيقه يمكن فهمها من الآيه التاسعه لسوره الأنعام أيضا،حيث يقول تعالى: وَ لَوْ جَعَلْنٰاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنٰاهُ رَجُلاً .

۱- ۱) -أعلام القرآن،ص ۶۵۵.

۲- ۲) -نفس المصدر.

۴-لا قدره لأحد على عمل دون إذن اللّه

نفهم من قول اللّه فی هذه الآیات أن السحره ما کانوا قادرین علی إنزال الضّر بأحد دون إذن اللّه سبحانه،و لیس فی الأمر«جبر»و لا إرغام،بل إن هذا المعنی یشیر إلی مبدأ أساس فی التوحید،و هو إن کلّ القوی فی هذا الکون تنطلق من قدره اللّه تعالی،النار إذ تحرق إنما تحرق بإذن اللّه،و السکین إذ تقطع إنما تقطع بأمر اللّه.لا یمکن للساحر أن یتدخل فی عالم الخلیفه خلافا لإراده اللّه.

کلّ ما نراه من آثار و خواص إنما هی آثار و خواص جعلها اللّه سبحانه للموجودات المختلفه،و من هذه الموجودات من یحسن الاستفاده من هذه الهبه الإلهیه و منهم من یسیء الاستفاده منها.و«الإختیار»الذی منحه اللّه للإنسان إنما هو وسیله لاختباره و تکامله.

۵-السحر و تأریخه:

اشاره

الحدیث عن السحر و تاریخه طویل،و نکتفی هنا بالقول إن جذوره ضاربه فی أعماق التاریخ،و لکن بدایاته و تطوراته التاریخیه یلفّها الغموض و لا یمکن تشخیص أول من استعمل السحر.

و بشأن معناه یمکن القول:إنه نوع من الأعمال الخارقه للعاده،تؤثر فی وجود الإنسان،و هو أحیانا نوع من المهاره و الخفه فی الحرکه و إیهام للأنظار، کما إنه أحیانا ذو طابع نفسی خیالی.

و السحر فی اللغه له معنیان:

۱-الخداع و الشّعوذه و الحرکه الماهره.

۲-کل ما لطف و دقّ.

و الراغب ذکر للفظ السحر ثلاثه معان قرآنیه:

الأوّل:الخداع و تخییلات لا حقیقه لها،نحو ما یفعله المشعبذ بصرف الأبصار

عما یفعله لخفه یده،و ما یفعله النمام بقول مزخرف عائق للأسماع.

الثّانی:استجلاب معاونه الشیطان بضرب من التقرب إلیه.

الثّالث:هو اسم لفعل یزعمون أنه من قوّته یغیّر الصور و الطبائع فیجعل الإنسان حمارا،و لا حقیقه لذلک (۱) .

نستنتج من دراسه ۵۱ موضعا من مواضع ذکر کلمه«سحر»فی القرآن الکریم أن السحر ینقسم فی رأی القرآن الکریم علی قسمین:

۱-الخداع و الشعبذه و خفه الید و لیس له حقیقه کما جاء فی قوله تعالی:

فَإِذٰا حِبٰالُهُمْ وَ عِصِیُّهُمْ یُخَیَّلُ إِلَیْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهٰا تَسْعیٰ

(۲)

و قوله: فَلَمّٰا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْیُنَ النّٰاسِ وَ اسْتَرْهَبُوهُمْ (۳) و یستفاد من هذه الآیات أن السحر لیس له حقیقه موضوعیه حتی یمکنه التأثیر فی الأشیاء،بل هو خفه حرکه الید و نوع من خداع البصر فیظهر ما هو خلاف الواقع.

۲-یستفاد من آیات اخری أن للسحر أثرا واقعیا،کقوله سبحانه:

فَیَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمٰا مٰا یُفَرِّقُونَ بِهِ بَیْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ

،و قوله: وَ یَتَعَلَّمُونَ مٰا یَضُرُّهُمْ وَ لاٰ یَنْفَعُهُمْ کما مرّ فی الآیات التی نحن بصددها.

و هل إن للسحر تأثیرا نفسیا فقط،أم یتعدی ذلک إلی الجسم أیضا؟ لم تشر الآیات أعلاه إلی ذلک،و یعتقد بعض النّاس أن هذا التأثیر نفسی لا غیر.

جدیر بالذکر أن بعض ألوان السحر کانت تمارس عن طریق الاستفاده من خواص المواد الکیمیاویه و الفیزیاویه لخداع النّاس.فیحدثنا التاریخ أن سحره فرعون وضعوا داخل حبالهم و عصیّهم ماده کیمیاویه خاصّه(و لعلها الزئبق)، کانت تتحرک بتأثیر حراره الشمس أو أیه حراره اخری،و توحی للمشاهد أنها حیّه.و هذا اللون من السحر لیس بقلیل فی عصرنا الرّاهن.

۱- ۱) -مفردات الراغب،ماده سحر.

۲- ۲) -طه،۶۶.

۳- ۳) -الأعراف،۱۱۶.

السّحر فی رأی الإسلام

أجمعت الفقهاء علی حرمه تعلم السحر و ممارسته،و

جاء عن أمیر المؤمنین علی علیه السّلام: «من تعلّم من السّحر قلیلا أو کثیرا فقد کفر و کان آخر عهده بربّه» (۱) .

و لکن-کما ذکرناه یجوز تعلم السحر لإبطال سحر السحره،بل یرتفع الجواز أحیانا إلی حد الوجوب الکفائی، لإحباط کید الکائدین و الحیلوله دون نزول الأذی بالنّاس من قبل المحتالین.دلیلنا علی ذلک حدیث

روی عن الإمام أبی عبد اللّه جعفر محمّد الصادق علیه السّلام:

«کان عیسی بن شقفی ساحرا یأتیه النّاس و یأخذ علی ذلک الأجر فقال له جعلت فداک أنا رجل کانت صناعتی السّحر و کنت آخذ علیه الأجر و کان معاشی و قد حججت منه و منّ اللّه علیّ بلقائک و قد تبت إلی اللّه عزّ و جلّ فهل لی فی شیء من ذلک مخرج فقال له أبو عبد اللّه حلّ و لا تعقد» (۲) .

و یستفاد من هذا الحدیث أن تعلّم السحر و العمل به من أجل فتح و حلّ عقد السحر لا إشکال فیه.

السحر فی رأی التوراه

أعمال السحر و الشّعبذه فی کتب العهد القدیم(التوراه و ملحقاتها)هی أیضا ذمیمه غیر جائزه.فالتوراه تقول:«لا تلتفتوا إلی الجان و لا تطلبوا التوابع فتتنجسوا بهم و أنا الربّ إلهکم» (۳) .

و جاء فی موضع آخر من التوراه:«و النفس التی تلتفت إلی الجان و إلی

۱- ۱) -وسائل الشیعه،الباب ۲۵،من أبواب ما یکتسب به،حدیث ۷.

۲- ۲) -وسائل الشیعه،ج ۱۲،ص ۱۰۵،ح ۵.

۳- ۳) -الکتاب المقدس سفر لاویین الإصحاح،۱۹ الرقم ۳۱.

التوابع لتزنی ورائهم اجعل وجهی ضد تلک النفس و اقطعها من شعبها» (۱) .

و یقول قاموس الکتاب المقدس:«واضح أن السحر لم یکن له وجود فی شریعه موسی،بل إن الشریعه شددت کثیرا علی أولئک الذین کانوا یستمدون من السحر».

و من الطریف أن قاموس الکتاب المقدس الذی یؤکد علی أن السحر مذموم فی شریعه موسی،یصرح بأن الیهود تعلّموا السحر و عملوا به خلافا لتعالیم التوراه فیقول:«...و لکن مع ذلک تسرّبت هذه الماده الفاسده بین الیهود،فآمن بها قوم، و لجأوا إلیه فی وقت الحاجه» (۲) .

و لذلک ذمهم القرآن،و أدانهم لجشعهم و طمعهم و تهافتهم علی متاع الحیاه الدنیا.

السحر فی عصرنا

توجد فی عصرنا مجموعه من العلوم کان السحره فی العصور السالفه یستغلونها للوصول إلی مآربهم.

۱-الاستفاده من الخواص الفیزیاویه و الکیمیاویه للأجسام،کما ورد فی قصّه سحره فرعون و استفادتهم من خواص الزئبق أو أمثاله لتحریک الحبال و العصیّ.

واضح أن الاستفاده من الخصائص الکیمیاویه و الفیزیاویه للأجسام لیس بالعمل الحرام،بل لا بدّ من الاطلاع علی هذه الخصائص لاستثمار مواهب الطبیعه،لکن المحرم هو استغلام هذه الخواص المجهوله عند عامه النّاس لإیهام الآخرین و خداعهم و تضلیلهم،مثل هذا العمل من مصادیق السحر،(تأمل بدقه).

۱- ۱) -الکتاب المقدس سفر لاویین الإصحاح ۲۰ الرقم ۶.

۲- ۲) -قاموس الکتاب المقدس،تألیف المستر هاکس الإمریکی،ص ۴۷۱.

۲-الاستفاده من التنويم المغناطيسى،و الهيبنوتيزم،و المانيهتيزم،و التله باتى(انتقال الأفكار من المسافات البعيده).

هذه العلوم هى أيضا إيجابيه يمكن الاستفاده منها بشكل صحيح فى كثير من شؤون الحياه.لكن السحره كانوا يستغلونها للخداع و التضليل.

و لو استخدمت هذه العلوم اليوم أيضا على هذا الطريق المنحرف فهى من «السحر»المحرّم.

بعباره موجزه:إن السحر له معنى واسع يشمل كل ما ذكرناه هنا و ما أشرنا إليه سابقا.

و من الثابت كذلك أن قوه الإراده فى الإنسان تنطوى على طاقات عظيمه.

و تزداد هذه الطاقات بالرياضات النفسيه،و يصل بها الأمر أنها نستطيع أن تؤثر على الموجودات المحيطه بها،و هذا مشهود فى قدره المرتاضين على القيام بأعمال خارقه للعاده نتيجه رياضاتهم النفسيه.

جدير بالذكر أن هذه الرياضات تكون مشروعه تاره،و غير مشروعه تاره اخرى.الرياضات المشروعه تخلق فى النفوس الطاهره قوه إيجابيه بناءه، و الرياضات غير المشروعه تخلق قوه شيطانيه،و قد تكون كلا القوتين قادرتين على القيام بأعمال خارقه للعاده،لكن الاولى إيجابيه بناءه،و الاخرى مخربه هدامه.

الآیتان [سوره البقره (۲): الآیات ۱۰۴ الی ۱۰۵]

اشاره

یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا لاٰ تَقُولُوا رٰاعِنٰا وَ قُولُوا اُنْظُرْنٰا وَ اِسْمَعُوا وَ لِلْکٰافِرِینَ عَذٰابٌ أَلِیمٌ (۱۰۴) مٰا یَوَدُّ اَلَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ أَهْلِ اَلْکِتٰابِ وَ لاَ اَلْمُشْرِکِینَ أَنْ یُنَزَّلَ عَلَیْکُمْ مِنْ خَیْرٍ مِنْ رَبِّکُمْ وَ اَللّٰهُ یَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ یَشٰاءُ وَ اَللّٰهُ ذُو اَلْفَضْلِ اَلْعَظِیمِ (۱۰۵)

سبب النّزول

روی عن ابن عباس أنه قال:إن الصحابه کانوا یطلبون من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و سلّم لدی تلاوته الآیات و بیانه الأحکام الإلهیه أن یتمهّل فی حدیثه حتی یستوعبوا ما یقوله،و حتی یعرضوا علیه أسئلتهم،و کانوا یستعملون لذلک عباره:«راعنا»أی أمهلنا.و الیهود حوّروا معنی هذه الکلمه لتکون من«الرعونه»فتکون راعنا بمعنی اجعلنا رعناء،و اتخذوا ذلک وسیله للسخریه من النّبی و المسلمین.

الآیه تطلب من المسلمین أن یقولوا«انظرنا»بدلا من«راعنا»لسد الطریق أمام طعن الأعداء.

و قال بعض المفسرین:إنّ عباره«راعنا»فی کلام الیهود سبّه تعنی«اسمع و لمّا تسمع»،و کانوا یرددون هذه العباره مستهزئین!.

و قیل إن الیهود کانوا یقولون بدلا من راعنا«راعینا»(راعی+نا)

ص:۳۲۴

و يخاطبون بذلك النّبى ساخرين (۱) .و ليس بين هذه العلل المذكوره لنزول الآيه الكريمه تناقض،فقد تكون بأجمعها صحيحه.

التّفسير

اشاره

لا توفّروا للأعداء فرصه الطعن:

الآيه الكريمه تخاطب المسلمين قائله: يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تَقُولُوا رٰاعِنٰا وَ قُولُوا انْظُرْنٰا وَ اسْمَعُوا وَ لِلْكٰافِرِينَ عَذٰابٌ أَلِيمٌ .

ممّا سبق من سبب نزول هذه الآيه الكريمه نستنتج أنّ على المسلمين أن لا يوفروا للأعداء فرصه الطعن بهم،و أن لا يتيحوا لهم بفعل أو قول ذريعه يسيئون بها إلى الجماعه المسلمه.عليهم أن يتجنبوا حتى ترديد عباره يستغلها العدوّ لصالحه.

الآيه تصرّح بالنهى عن قول عباره تمكن الأعداء أن يستثمروا أحد معانيها لتضعيف معنويات المسلمين،و تأمرهم باستعمال كلمه اخرى غير تلك الكلمه القابله للتحريف و لطعن الأعداء.

حين يشدّد الإسلام إلى هذا الحد فى هذه المسأله البسيطه،فإن تكليف المسلمين فى المسائل الكبرى واضح،عليهم فى مواقفهم من المسائل العالميه أن يسدوا الطريق أمام طعن الأعداء،و أن لا يفتحوا ثغره ينفذ منها المفسدون الداخليون و الأجانب للإساءه إلى سمعه الإسلام و المسلمين.

جدير بالذكر أن عباره راعنا-إضافه إلى ما فيها من معنى آخر استغله اليهود-فيها نوع من سوء الأدب،لأنّها من باب المفاعله،و باب المفاعله يفيد المبادله و الاشتراك،و هى لذلك تعنى:راعنا لنراعيك، و قد نهى القرآن عن ترديدها (۲) .

۱- ۱) -تفسير القرطبى،و تفسير المنار و تفسير الفخر الرازى،ذيل الآيه المذكوره.

۲- ۲) -تفسير الفخر الرازى،و المنار،ذيل الآيه المذكوره.

الآیه التالیه تکشف عن حقیقه ما یکنّه مجموعه من أهل الکتاب و المشرکین من حقد و عداء للجماعه المؤمنه: مٰا یَوَدُّ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْکِتٰابِ وَ لاَ الْمُشْرِکِینَ أَنْ یُنَزَّلَ عَلَیْکُمْ مِنْ خَیْرٍ مِنْ رَبِّکُمْ ،و سواء ودّ هؤلاء أم لم یودّوا فرحمه اللّه لها سنّه إلهیه و لا تخضع للمیول و الأهواء: وَ اللّٰهُ یَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ یَشٰاءُ وَ اللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِیمِ .

الحاقدون لم یطیقوا أن یروا ما شمل اللّه المسلمین من فضل و نعمه،و ما منّ علیهم من رساله عظیمه،و لکن فضل اللّه عظیم.

بحث

مغزی قوله تعالی: یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أکثر من ثمانین موضعا خاطب اللّه المسلمین فی کتابه الکریم بهذه العباره، و کل هذه المواضع من القرآن الکریم نزلت فی المدینه،و لا وجود لهذه العباره فی الآیات المکیه،و لعل ذلک یعود إلی تشکل الجماعه المسلمه فی المدینه،و إلی ظهور المجتمع الإسلامی بعد الهجره.و لذلک خاطب اللّه الجماعه المؤمنه بعباره یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا .

و هذا الخطاب یتضمن إشاره إلی میثاق التسلیم الذی عقدته الجماعه المسلمه مع ربّها بعد الإیمان به،و هذا المیثاق یفرض علی الجماعه الطاعه و الانصیاع لأوامر ربّ العالمین،و الاستجابه لما یأتی بعد هذه العباره من أحکام.

جدیر بالذکر أن کثیرا من المصادر الإسلامیه بما فی ذلک مصادر أهل السنه،

روت عن الرّسول صلّی اللّه علیه و اله و سلّم قوله: «ما أنزل اللّه آیه فیها یا أیّها الّذین آمنوا إلاّ و علیّ رأسها و أمیرها» (۱) .

۱- ۱) -الدر المنثور،نقلا عن أبی نعیم فی«حلیه الأولیاء»عن ابن عباس.

الآیتان [سوره البقره (۲): الآیات ۱۰۶ الی ۱۰۷]

اشاره

مٰا نَنْسَخْ مِنْ آيَهٍ أَوْ نُنْسِهٰا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهٰا أَوْ مِثْلِهٰا أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اَللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۱۰۶) أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اَللّٰهَ لَهُ مُلْكُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ مٰا لَكُمْ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لاٰ نَصِيرٍ (۱۰۷)

التّفسیر

اشاره

الغرض من النّسخ

الآیه الاولی تشیر أیضا إلی بعد آخر من أبعاد حمله التشکیک الیهودیه ضد المسلمین.

کان هؤلاء القوم یخاطبون المسلمین أحیانا قائلین لهم إن الدین دین الیهود و أن القبله قبله الیهود،و لذلک فإن نبیّکم یصلی تجاه قبلتنا(بیت المقدس)،و حینما نزلت الآیه ۱۴۴ من هذه السّوره و تغیّرت بذلک جهه القبله،من بیت المقدس إلی مکه،غیّر الیهود طریقه تشکیکهم،و قالوا:لو کانت القبله الاولی هی الصحیحه، فلم هذا التغییر؟و إذا کانت القبله الثانیه هی الصحیحه،فکل أعمالکم السابقه-إذن -باطله.

القرآن الكريم فی هذه الآیه یردّ علی هذه المزاعم و ینیر قلوب المؤمنین (۱) .

و یقول: مٰا نَنْسَخْ مِنْ آیَهٍ أَوْ نُنْسِهٰا نَأْتِ بِخَیْرٍ مِنْهٰا أَوْ مِثْلِهٰا ...و لیس مثل هـذا التغییر علی اللّه بعسیر أ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّٰهَ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ ؟! الآیه التالیه تؤکد مفهوم قدره اللّه سبحانه و تعالی و حاکمیته فی السماوات و الأرض و فی الأحکام،فهو البصیر بمصالح عباده: أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّٰهَ لَهُ مُلْکُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ ،و فی هـذه العباره من الآیه أیضا تثبیت لقلوب المؤمنین،کی لا تتزلزل أمام حملات التشکیک هذه،و تستمر الآیه فی تعمیق هذا التثبیت،مؤکده أن المجموعه المؤمنه ینبغی أن تعتمد علی اللّه وحده،و تستند إلی قوته و قدرته دون سواه،فلیس فی هذا الکون سند حقیقی سوی اللّه سبحانه: وَ مٰا لَکُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مِنْ وَلِیٍّ وَ لاٰ نَصِیرٍ .

بحوث

اشاره

۱-هل یجوز النّسخ فی الأحکام؟

النسخ فی اللغه الإزاله،و فی الاصطلاح تغییر حکم شرعی و إحلال حکم آخر محله،من ذلک:

۱-المسلمون کانوا یصلون بعد الهجره تجاه بیت المقدس،و استمروا علی ذلک سته عشر شهرا،ثم نزل الأمر بتغییر القبله،فوجب علی المسلمین أن یصلوا تجاه الکعبه.

۲-الآیه ۱۵ من سوره النساء قررت معاقبه الزانیه بعد شهاده أربعه شهود بإمساکها فی البیت حتی الوفاه،أو یجعل اللّه لها سبیلا،و الآیه الثانیه من سوره

۱- ۱) -یحتمل أیضا أن تشیر الآیه إلی نسخ أحکام إسلامیه اخری،کما ذکر الفخر الرازی فی تفسیره،و سید قطب فی ظلاله.

النور نسخت الآيه المذكوره و بدّلت الحكم بمائه جلده.

و هنا يطرح سؤال معروف بشأن سبب النسخ يقول:لو كان فی الحكم مصلحه فلما ذا نسخ؟و إن لم يكن كذلك فلما ذا شرع؟لماذا لم تطرح الشريعه منذ البدايه حكما غير قابل للنسخ؟ علماء الإسلام أجابوا منذ القديم على هذا السؤال،و تقرير هذا الجواب باختصار كما يلی:

نعلم أن بعض احتياجات الإنسان ثابته لا تقبل التغيير،لأنها ترتبط بفطره الإنسان و طبيعته،و بعضها الآخر تتغير بتغير الزمان و ظروف البيئه،و هذه المتغيرات قد تضمن سعاده الإنسان فی زمن معين،لكنها تصبح عقبه أمام تقدم الفرد فی زمان آخر.

قد يكون نوع من الدواء نافعا للمريض فی ظرف زمنی معين، و قد لا يكون نافعا-بل ضارا-فی مرحله نقاهه المريض،لذلك يأمر الطبيب بدواء فی وقت،ثم يأمر بقطعه و الامتناع عن تناوله فی وقت آخر.

قد يكون درس معين مفيدا للطالب فی مرحله دراسيه معينه،لكن هذا الدرس يصبح عديم الفائده فی المراحل الدراسه التاليه.المنهج التعليمی الصحيح ينبغی أن ينظم الدروس بشكل يتناسب مع حاجه الطالب فی كل مرحله من مراحله الدراسيه.

هذه المسأله تتضح أكثر فی إطار القانون اللازم لتكامل الإنسان و المجتمع الإنسانی،هذا القانون لا بدّ أن يتضمن متغيرات كی يكون المنهج التكاملی مفيدا لكل مراحل مسيره المجتمع.و تزداد أهميه هذه التغييرات عند اندلاع الثورات الاجتماعيه و العقائديه،و تزداد ضروره مواكبه متطلبات التغيير فی كل مرحله من مراحل الثوره.

لا بدّ من التأكيد أنّ اصول الأحكام الإلهيه ثابته لا يعتريها التغيير،فالتوحيد

و العداله الاجتماعيه و سائر الأصول و المبادئ المشابهه ثابته لا تتغير،و إنما يطرأ التغيير على المسائل الفرعيه و الثانويه.

و من الضروری أن نؤكد أيضا أن تكامل الدين قد يبلغ مرحله يصبح فيها (الدين الخاتم)،و تصبح جميع أحكامه ثابته لا تقبل التغيير(سنشرح مسأله خاتميه الرساله فی تفسير الآيه ۴۰ من سوره الأحزاب).

اليهود،مع اعتراضهم على المسلمين بشأن نسخ حكم القبله الاولى،أقرّوا النسخ فی الأحكام الإلهيّه،و استنادا إلى ما جاء فی مصادرهم الدينيه.

تذكر التوراه أن كل الحيوانات كانت حلا لنوح عليه السّلام حين نزل من سفينته،لكن هذا الحكم نسخ فی شريعه موسى،و حرّم قسم من الحيوانات (۱) .

۲-المقصود من الآيه

الآيه فی اللغه العلامه،و فی القرآن لها معان متعدده:

۱-مقاطع من القرآن،مفصوله عن بعضها بعلائم خاصه،و هذا المعنى للآيه نجده فی قوله تعالى: تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ (۲) .

۲-المعجزه سميت فی القرآن آيه كقوله سبحانه: وَ اضْمُمْ يَدَكَ إِلىٰ جَنٰاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضٰاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرىٰ (۳) .

۳-الدليل على وجود اللّه أو المعاد كقوله: وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهٰارَ آيَتَيْنِ (۴) و قوله: وَ مِنْ آيٰاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خٰاشِعَةً فَإِذٰا أَنْزَلْنٰا عَلَيْهَا الْمٰاءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ إِنَّ الَّذِی أَحْيٰاهٰا لَمُحْيِ الْمَوْتىٰ إِنَّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۵) .

۴-الأشياء البارزه الملفته للأنظار كالأبنيه الشاهقه،كما فی قوله تعالى:

۱- ۱) -سفر التكوين،الفصل ۹،الفقره ۳.

۲- ۲) -البقره،۲۵۲.

۳- ۳) -طه،۲۲.

۴- ۴) -الإسراء،۱۲.

۵- ۵) -فصلت،۳۹.

أَ تَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ

(۱)

.

و المعنى المشترک بين کل هذه المعانى هو«العلامه».

و قوله سبحانه: مٰا نَنْسَخْ مِنْ آيَهٍ... يشير إلى نسخ الأحکام،فالحکم النّاسخ خير من المنسوخ أو مثله،أو إنه يشير إلى نسخ معجزه الأنبياء،فيکون المعنى أن معجزه النّبى التالى أفصح و أوضح من معجزه النّبى السابق.

ثمّه روايات فى تفسير هذه الآيه ذکرت أن المقصود من نسخ الآيه هو وفاه الإمام و مجىء الإمام التالى بعده،و هذا طبعا بيان مصداق من مصاديق الآيه،لا تحديدا لمفهومها.

۳-تفسير عباره«ننسها»

جمله«ننسها»فى الآيه معطوفه على جمله«ننسخ»و هى من ماده«أنساء» بمعنى التأخير أو الحذف من الأذهان (۲) .

فما هو معنى هذه العباره فى الآيه الکريمه؟ المقصود من العباره هو:ما ننسخ من آيه أو نؤخر نسخها استنادا إلى مصالح معينه...نأت بخير منها أو مثلها....

فعباره«ننسخ»تشير إلى النسخ على المدى القصير،و عباره«ننسها»النسخ على المدى البعيد،(لا حظ بدقّه).

ثمّه احتمالات اخرى ذکرت فى هذا المجال لا تبلغ أهميتها ما ذکرناه.

۴-تفسير أَوْ مِثْلِهٰا .

سؤال آخر يطرح فى هذا المجال بشأن عباره«أو مثلها»فلو کان الحکم

۱- ۱) -الشعراء،۱۲۸.

۲- ۲) -إن کانت بمعنى التأخير فهى من ماده(نسأ)و إن کانت بمعنى الحذف من الأذهان فهى من ماده(نسى).

النّاسخ مثل الحكم المنسوخ فلا فائده من هذا التغيير،النسخ تظهر فائدته حين يكون النّاسخ خيرا من المنسوخ.

و الجواب على ذلك هو أن الآيه النّاسخه لها آثار فى زمانها كتلك الآثار التى كانت الآيه المنسوخه فى زمانها.

بعباره أوضح:قد يكون لحكم اليوم فوائد معينه،لكن هذه الفوائد لا تظهر لهذا الحكم غدا،و لا بدّ أن ينسخ هذا الحكم بحكم آخر تكون له فى زمن لا حق- على الأقل-نفس الفوائد التى كانت للمنسوخ فى زمن سابق.

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۱۰۸]

اشاره

أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْئَلُوا رَسُولَكُمْ كَمٰا سُئِلَ مُوسىٰ مِنْ قَبْلُ وَ مَنْ يَتَبَدَّلِ اَلْكُفْرَ بِالْإِيمٰانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوٰاءَ اَلسَّبِيلِ (۱۰۸)

سبب النّزول

تعددت الآراء فی کتب التّفسیر حول سبب نزول هذه الآیه الشریفه،إلّا أنها متقاربه فی المضمون و النتیجه.

فقد نقل عن ابن عباس أنه:جاء وهب بن زید،و رافع بن حرمله إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و سلّم و قالا:إئت لنا بکتاب من اللّه مرسل إلینا نقرأه لکی نؤمن بک،أو أجر الأنهار لنا حتی نتبعک! و قال بعض آخر إن جماعه من الاعراب جاءوا إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و سلّم و طلبوا منه ما طلب بنو إسرائیل من موسی،فقالوا:أرنا اللّه جهره.

و قال آخرون:إنهم طلبوا من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و سلّم أن یجعل لهم صنما من شجره خاصه(ذات أنواط)لیعبدوه کما قال بنو إسرائیل لموسی: اِجْعَلْ لَنٰا إِلٰهاً كَمٰا لَهُمْ آلِهَةٌ .و الآیه أعلاه نزلت جوابا لهؤلاء.

التّفسير

اشاره

حجج واهيه

هذا الآيه الكريمه،و إن كانت تخاطب مجموعه من المسلمين ضعاف الإيمان أو المشركين إلاّ أنّها ترتبط أيضا بمواقف اليهود.

لعل هذا السؤال وجه إلى الرّسول بعد تغيير القبله،و بعد حملات التشكيك التى شنها اليهود بين المسلمين و غير المسلمين،و اللّه سبحانه فى هذه الآيه الكريمه نهى عن توجيه مثل هذه الأسئله السخيفه أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْئَلُوا رَسُولَكُمْ كَمٰا سُئِلَ مُوسىٰ مِنْ قَبْلُ ؟! مثل هذا العمل إعراض عن الإيمان و اتجاه نحو الكفر،و لذلك قالت الآيه:

وَ مَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمٰانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوٰاءَ السَّبِيلِ

.

الإسلام طبعا لا يمنع طرح الأسئله العلميه و المنطقيه،و لا يحول دون طلب المعجزه من أجل اثبات صحه الدعوه،لأن مثل هذه الأسئله و الطلبات هى طريق الإدراك و الفهم و الإيمان.و هذه الآيه الكريمه تشير إلى أولئك الذين يتذرعون بمختلف الحجج الواهيه كى يتخلصوا من حمل أعباء الرساله.

هؤلاء كانوا قد شاهدوا من الرّسول معاجز كافيه لإيمانهم بالدعوه و صاحبها، لكنهم يتقدمون إلى النّبى بطلب معاجز اقتراحيه اخرى! المعجزه ليست العوبه بيد هذا و ذاك كى تحدث وفق الميول و الاقتراحات و المشتهيات،بل إنها ضروره لازمه للاطمئنان من صدق أقوال النّبى صلّى اللّه عليه و اله و سلّم، و ليست مهمّه النّبى صنع المعاجز لكل من تهوى نفسه معجزه.

ثم هناك من الأسئله ما هو بعيد عن العقل و المنطق،كرؤيه اللّه جهره،و كطلب اتخاذ الصنم.

القرآن الكريم ينبه فى هذه الآيه بأن المجموعه البشريه التى لا تسلك طريق العقل و المنطق فى اسئلتها و مطالبتها،سينزل بها ما نزل بقوم موسى.

ص:۳۳۴

الآيتان [سوره البقره (٢): الآيات ١٠٩ الى ١١٠]

اشاره

وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ اَلْكِتٰابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمٰانِكُمْ كُفّٰاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مٰا تَبَيَّنَ لَهُمُ اَلْحَقُّ فَاعْفُوا وَ اِصْفَحُوا حَتّٰى يَأْتِيَ اَللّٰهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اَللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩) وَ أَقِيمُوا اَلصَّلاٰةَ وَ آتُوا اَلزَّكٰاةَ وَ مٰا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اَللّٰهِ إِنَّ اَللّٰهَ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٠)

التّفسير

اشاره

حسد و عناد

كثير من أهل الكتاب و خاصه اليهود لم يكتفوا بإعراضهم عن الدين المبين، بل كانوا يودّون أن يرتد المسلمون عن دينهم،و لم يكن ذلك إلّا عن حسد يستعر فى أنفسهم،تقول الآيه: وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتٰابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمٰانِكُمْ كُفّٰاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مٰا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ .

و أمام هذه المواقف الدنيئه و النظرات الضيقه و الآمال التافهه و النوايا الخبيثه التى تحملها الفئه الكافره،يحدد الإسلام موقف الجماعه المسلمه،على أساس من رحابه الصدر وسعه الأفق و بعد النظره

ص: ٣٣٥

فَاعْفُوا وَ اصْفَحُوا حَتّٰى يَأْتِيَ اللّٰهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

.

هذا الإمر الإلهى نزل حيث كان المسلمون بحاجه إلى بناء المجتمع الإسلامى.و فى تلك الظروف يوجب على المسلمين أن يلجأوا إلى سلاح العفو و الصفح حتى يأتى اللّه بأمره.

كثير من المفسرين قالوا إن«أمر اللّه»فى هذه الآيه يعنى«أمر الجهاد»،و لعل الجماعه المسلمه لم تكن على استعداد شامل لخوض معركه داميه حين نزلت هذه الآيه،و لذلك قيل إن آيات الجهاد نسخت هذه الآيه.

و لعل التعبير بالنسخ فى هذا الموضع ليس بصحيح،لأن الآيه تحمل فى عبارتها الإطار الذى يحدّها بفتره زمنيه محدوده.

الآيه التاليه تأمر المسلمين بحكمين هامّين:إقامه الصلاه باعتبارها رمز ارتباط الإنسان باللّه،و إيتاء الزكاه و هى أيضا رمز التكافل بين أبناء الامّه المسلمه،و كلاهما ضروريان لتحقيق الإنتصار على العدو: وَ أَقِيمُوا الصَّلاٰةَ وَ آتُوا الزَّكٰاةَ .

ثم تؤكّد الآيه على خلود العمل الصالح و بقائه: وَ مٰا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللّٰهِ .و اللّه سبحانه عالم بالسرائر،و يعلم دوافع الأعمال،و لا يضيع عنده أجر العاملين إِنَّ اللّٰهَ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ .

بحوث

۱-«اصفحوا»من«صفح»،و صفح الشىء عرضه و جانبه كصفحه الوجه و صفحه السيف و صفحه الحجر،و الأمر بالصفح هو الأمر بالإعراض،لكنّ عطفها على«فاعفوا»يفهم أنه أمر بالإعراض لا عن جفاء،بل عن عفو و سماح.

و هذا التعبير يوحى أيضا أن المسلمين كانت لهم قدره المقابله و عدم الصفح،

لکن الأمر بالعفو و الصفح یستهدف إتمام الحجّه علی العدوّ،کی یهتدی من هو قابل للإصلاح.بعباره اخری:ممارسه القوّه لیست المرحله الاولی فی مواجهه العدوّ، بل العفو و الصفح،فإن لم یجد نفعا فالسیف.

۲-عباره إِنَّ اللّٰهَ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ قد تشیر إلی أن اللّه قادر علی أن ینصر المسلمین علی أعدائهم بطرق غیبیه،و لکن طبیعه حیاه البشر و الکون قائمه علی أن الأعمال لا تتم إلا بالتدریج و بعد توفّر المقدمات.

۳-عباره حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ قد تکون إشاره إلی توغل هؤلاء الحسده فی ذاتیاتهم،فالحسد قد یتخذ أحیانا طابع الدین و الرساله،لکن حسد هؤلاء لم یکن له حتی هذا الظاهر،بل کان ضیقا شخصیا (۱) .

و یحتمل أیضا أن تکون إشاره إلی أن الحسد متجذّر فی نفوسهم.

۱- ۱) -تفسیر المنار،الآیه المذکوره.

الایتان [سوره البقره (۲): الآیات ۱۱۱ الی ۱۱۲]

اشاره

وَ قٰالُوا لَنْ یَدْخُلَ اَلْجَنَّهَ إِلاّٰ مَنْ کٰانَ هُوداً أَوْ نَصٰاریٰ تِلْکَ أَمٰانِیُّهُمْ قُلْ هٰاتُوا بُرْهٰانَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ صٰادِقِینَ (۱۱۱) بَلیٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّٰهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَ لاٰ خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لاٰ هُمْ یَحْزَنُونَ (۱۱۲)

التّفسیر

احتکـار الجنّه! القرآن فی هـاتین الآیتین یشیر إلی ادعاء آخر من الادعاءات الفارغه لمجموعه من الیهود و النصاری، وَ قٰالُوا لَنْ یَدْخُلَ الْجَنَّهَ إِلاّٰ مَنْ کٰانَ هُوداً أَوْ نَصٰاریٰ (۱) ، ثم یجیبهم جوابا رادعا قائلا تِلْکَ أَمٰانِیُّهُمْ ثم تخاطب الآیه رسول اللّه و تقول: قُلْ هٰاتُوا بُرْهٰانَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ صٰادِقِینَ .

بعد التأکید علی أن ادعاء هؤلاء فارغ لا قیمه له،و أنه مجرد أمنیه تخامر

۱- ۱) -واضح أن المقصود من«قالوا»ادعاء الیهود من جهه بأن الجنّه خاصه بهم،و ادعاء النصاری من جهه اخری بأن الجنه حکر علیهم.

أذهانهم،يطرح القرآن المعيار الأساس لدخول الجنّه على شكل قانون عام بَلىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَ لاٰ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لاٰ هُمْ يَحْزَنُونَ . و من هنا فالمشمولون بهذا القانون هم فى ظلال رحمه اللّه.

بعباره موجزه:الجنّه و مرضاه اللّه و السعاده الخالده ليست حكرا على طائفه معينه،بل هى نصيب كل من يتوفر فيه شرطان:

الأوّل:التسليم التام للّه تعالى،أو الانصياع لأوامره سبحانه،و عدم التفريق بين هذه الأوامر،أى عدم ترك ذلك القسم من الأوامر الذى لا ينسجم مع المصالح الفرديه الذاتيه.

الثّانى:و هو ما يترتب على التسليم فى المرحله الاولى،من القيام بالأعمال الصالحه و الإحسان فى جميع المجالات.

و القرآن،بطرحه هذه الحقيقه،يرفض بشكل تام مسأله التعصب العنصرى و يكسر طوق احتكار فئه معينه للسعاده، و يضع ضمنيا معيار الفوز متمثلا بالإيمان،و العمل الصالح.

بحوث

١-«الأمانى»جمع«أمنيه»و هى الرجاء الذى لا يتحقق للإنسان.

و الآيه تطرح أمنيه واحده من أمنيات أهل الكتاب،و لكن هذه الأمنيه-أى أمنيه احتكار الجنّه-هى مصدر أمان اخرى،و بعباره اخرى:أمنيتهم لها فروع و امتدادات،و لذلك عبر عنها القرآن بلفظ(أمانى).

٢-نسبت الآيه الكريمه التسليم إلى(الوجه): بَلىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ... ، و ذلك يعود إلى أن الإنسان حين يستسلم لشىء،فأوضح مظهر لهذا الاستسلام هو أن يولى وجهه تجاه ذلك الشىء.و من المتحمل أيضا أن«الوجه»يعنى فى الآيه

الذات،و يكون المعنى أن هؤلاء أسلموا بكل وجودهم لأوامر اللّه.

۳-الآيتان المذكورتان تعلّمان المسلمين عدم الانجراف وراء الادعاءات الباطله غير القائمه على دليل،و تعلّمهم أن يطلبوا الدليل و البرهان من صاحب الادعاء،و بذلك يسدّ القرآن الطريق أمام الانجراف الأعمى وراء التقليد،و يجعل التفكير المنطقى سائدا فى المجتمع.

۴-ذكر عباره وَ هُوَ مُحْسِنٌ بعد طرح مسأله التسليم،إشاره إلى أن الإحسان بالمعنى الواسع للكلمه لا يتحقق إلّا برسوخ الإيمان فى النفوس. كما تفهم العباره أن صفه الإحسان ليست طارئه فى نفوس المؤمنين،بل هى خصله نافذه فى أعماق هؤلاء.

و نفى الخوف و الحزن عن أتباع خط التوحيد سببه واضح،لأن هؤلاء يخافون اللّه دون سواه،بينما المشركون يخشون من كل ما يهدد مصالحهم الدنيويه التافهه،بل يخشون أمورا خرافيه موهومه تقلقهم و تقضّ مضاجعهم.

ص: ۳۴۰

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۱۱۳]

اشاره

وَ قٰالَتِ اَلْيَهُودُ لَيْسَتِ اَلنَّصٰارىٰ عَلىٰ شَيْءٍ وَ قٰالَتِ اَلنَّصٰارىٰ لَيْسَتِ اَلْيَهُودُ عَلىٰ شَيْءٍ وَ هُمْ يَتْلُونَ اَلْكِتٰابَ كَذٰلِكَ قٰالَ اَلَّذِينَ لاٰ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّٰهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ اَلْقِيٰامَهِ فِيمٰا كٰانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (۱۱۳)

سبب النّزول

قال ابن عباس أنه لما قدم و فد نجران من النصاری علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و سلّم آتتهم أحبار الیهود فتنازعوا عند رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و سلّم، فقال رافع بن حرمله:ما أنتم علی شیء،و جحد بنبوّه عیسی و کفر بالإنجیل.فقال رجل من أهل نجران:لیست الیهود علی شیء،و جحد بنبوّه موسی و کفر بالتوراه،فأنزل اللّه هذه الآیه. (۱)

التّفسیر

اشاره

تعصّب و تناقض

فیما مرّ بنا من آیات رأینا جانبا من الادعاءات الفارغه التی أطلقها جمع من

ص: ۳۴۱

۱- ۱) -تفسیر مجمع البیان،و تفسیر القرطبی،و تفسیر المنار فی تفسیر الآیه المذکوره.

اليهود و النصارى،و رأينا أن هذه الادعاءات الفارغه تستتبعها روح احتكاريه ضيقه،ثم وقوع فى التناقضات.

تقول الآيه: وَ قالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصارى عَلى شَيْءٍ وَ قالَتِ النَّصارى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلى شَيْءٍ .

عباره«ليست على شىء»تعنى أن أفراد هذا الدين لا مكانه لهم و لا منزله لدى اللّه سبحانه،أو تعنى أن هذا الدين لا وزن له و لا قيمه.

ثم تضيف الآيه: وَ هُمْ يَتْلُونَ الْكِتابَ .

أى إنّ هؤلاء لديهم الكتاب الذى يستطيع أن ينير لهم الطريق فى هذه المسائل،و مع ذلك ينطلقون فى أحكامهم من التعصب و اللجاج و العناد!! ثم تقول الآيه: كَذلِكَ قالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ .

و هذه الآيه الكريمه تجعل أقوال هذه المجموعه من أهل الكتاب المتعصبين شبيهه بأقوال الجهله من الوثنيين.بعباره اخرى:هذه الآيه تقرر أن المصدر الأساس للتعصب هو الجهل و البعد عن العلم،لأن الجاهل مطوّق بمحيطه المحدود،لا يقبل غيره،بل هو ملتصق بما ملأ ذهنه منذ صغره و إن كان خرافيا، و يرفض ما سواه.

ثم اختتمت الآيه بالتأكيد على أن الحقائق إن خفيت فى هذه الدنيا،فهى لا تخفى فى الآخره حيث تنكشف كل الأوراق: فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَهِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ .

و هذه الآيه فيها أيضا تثبيت للقلوب و طمأنه للنفوس،فهى تؤكد للمسلمين أن الطوائف التى تجهزت لمحاربتهم لا- تتميز بالانسجام و الوحده،بل إن مجاميعها يكفّر بعضهم بعضا،و الذى يجمع بينهم على الظاهر هو الجهل،و بالتالى التعصب الناشئ عن هذا الجهل.

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۱۱۴]

اشاره

وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسٰاجِدَ اَللّٰهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اِسْمُهُ وَ سَعىٰ فِى خَرٰابِهٰا أُولٰئِكَ مٰا كٰانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهٰا إِلاّٰ خٰائِفِينَ لَهُمْ فِى اَلدُّنْيٰا خِزْىٌ وَ لَهُمْ فِى اَلْآخِرَهِ عَذٰابٌ عَظِيمٌ (۱۱۴)

سبب النّزول

روی عن ابن عباس أن الآیه نزلت فی«فطلوس»الرومی و جنده النصاری الذین حاربوا بنی إسرائیل،و أحرقوا التوراه،و أسروا الأبناء و هدموا بیت المقدس.

و عن ابن عباس أیضا أنها نزلت فی الروم،غزوا بیت المقدس وسعوا فی خرابه حتی أظهر اللّه المسلمین علیهم.

و

عن الإمام الصادق علیه السّلام أنها نزلت فی قریش حین حالوا دون دخول الرّسول صلّی اللّه علیه و اله و سلّم مدینه مکه و المسجد الحرام.

و قیل إنها نزلت فی مشرکی مکه ممن هدموا الأماکن التی اتخذها المسلمون

للصلاه فی مکّه،بعد هجره النّبی صلّی اللّه علیه و اله و سلّم منها (۱) .

و لا یمنع أن یکون نزول الآیه بسبب کل هذه الأحداث،و بذلک یکون کل واحد من أسباب النّزول المذکوره قد تناول بعدا واحدا من أبعاد المسأله.

التّفسیر

اشاره

أظلم النّاس

أسباب النّزول توضّح أن الآیه تتحدث عن الیهود و النصاری و المشرکین،مع أن الآیات السابقه تتحدث أکثر ما تتحدث عن الیهود و أحیانا عن النصاری.

علی أی حال«الیهود»بوسوستهم بشأن مسأله تغییر القبله،سعوا إلی أن یتجه المسلمون فی صلاتهم نحو بیت المقدس،لیتفوقوا بذلک علی المسلمین،و لیحطوا من مکانه الکعبه (۲) .

و«مشرکو مکه»بمنعهم النّبی صلّی اللّه علیه و اله و سلّم و المسلمین زیاره الکعبه سعوا عملیا فی هدم هذا البناء الإلهی.

و«النصاری»باستیلائهم علی بیت المقدس و العبث فیه علی ما ذکر ابن عباس سعوا فی تخریبه.

القرآن یقول لهؤلاء جمیعا و لکل من یسلک طریقا مشابها لهؤلاء: وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسٰاجِدَ اللّٰهِ أَنْ یُذْکَرَ فِیهَا اسْمُهُ وَ سَعیٰ فِی خَرٰابِهٰا .

القرآن الکریم أطلق علی مثل هذا العمل اسم«الظلم الکبیر»،و علی العاملین اسم«أظلم النّاس»و أی ظلم أکبر من تخریب قاعده التوحید،و صدّ النّاس عن ذکر اللّه؟! ثم تقول الآیه: أُولٰئِکَ مٰا کٰانَ لَهُمْ أَنْ یَدْخُلُوهٰا إِلاّٰ خٰائِفِینَ .

۱- ۱) -مجمع البیان،و المیزان فی تفسیر الآیه المذکوره.

۲- ۲) -تفسیر الفخر الرازی،الآیه المذکوره.

أی إن المسلمین و الموحدین ینبغی أن یکونوا علی درجه من القوّه و المقاومه بحیث لا یستطیع الظلمه أن یمدوا أیدیهم إلی هذه الأماکن المقدسه، و لا یستطیعون أن یدخلوها جهره بدون خوف أو خشیه.

و من المحتمل أیضا أن الآیه تقول:إن الظلمه لن یستطیعوا أبدا أن ینجحوا فی الاستیلاء علی هذه المراکز العبادیه،بل إنهم سوف لا یستطیعون فی المستقبل أن یدخلوا هذه المساجد إلّا و هم خائفون مذعورون،تماما کالمصیر الذی لاقاه مشرکو مکه بشأن المسجد الحرام.

و الآیه تبین بعد ذلک العقاب الذی ینتظر هؤلاء الظلمه ممن یرید أن یفصل بین اللّه و عباده: لَهُمْ فِی الدُّنْیا خِزْیٌ وَ لَهُمْ فِی الْآخِرَهِ عَذابٌ عَظِیمٌ .

بحثان

اشاره

۱-تخریب المساجد

مفهوم الآیه المذکوره واسع-دون شک-غیر محدود بزمان أو مکان معینین.

إنها مثل سائر الآیات التی نزلت فی ظروف خاصه لکن حکمها ثابت علی مرّ العصور و الدهور.فکل الذین یسعون بنوع من الأنواع فی تخریب المساجد مشمولون بهذا الخزی و العذاب العظیم.

من الضروری أن نؤکد أن منع الذکر فی مساجد اللّه و السعی فی خرابها،لا یقتصر علی هدم بنائها،بل إن کل عمل یؤدی إلی القضاء علی دور المسجد فی المجتمع مشمول بهذه الآیه.

و سوف نری فی الآیه إِنَّما یَعْمُرُ مَساجِدَ اللّهِ... (۱) أن المقصود من العمران- استنادا إلی الأحادیث و الروایات الصریحه-لیس هو تشیید البناء فحسب،بل

۱- ۱) -التوبه،۱۸.

الحضور فيها و احياؤها بالذكر،هو نوع من العمران،بل أهم أنواع العمران.

و فى النقطه المقابله-إذن-يكون كل عمل يبعد النّاس عن المساجد،و يبعد المساجد عن دورها ظلما كبيرا.

و من المؤسف أن عصرنا يشهد ظهور مجموعه جاهله متعصبه متعنته بعيده عن المنطق،تطلق على نفسها اسم الوهابيّه تسعى فى تخريب المساجد بحجه إحياء التوحيد!! هؤلاء عمدوا إلى تخريب المساجد المبنيّه على قبور الأئمه و الصالحين، و التى كانت مركزا للذكر و الدعاء و الارتباط باللّه و بخط الصالحين من آل اللّه.

و من الغريب أنهم يمارسون هذه الأعمال تحت عنوان مكافحه الشرك مرتكبين بذلك أفظع الكبائر.

و لو افترضنا حدوث ما يخالف الشرع فى بعض هذه الأماكن الدينيه من قبل الجهله،فيجب الوقوف بوجه مثل هذه الأعمال،لا أن تتجه الجهود إلى تخريب هذه القواعد التوحيديه،فهذا عمل يشبه عمل المشركين الجاهليين.

٢-أكبر الظّلم

و مسأله اخرى تلفت النظر فى هذه الآيه،هى وصفها مثل هؤلاء الأفراد بأنهم أظلم النّاس.و هم كذلك،لأن تعطيل المساجد و تخريبها و منع ذكر اللّه فيها،يؤدى إلى ابتعاد النّاس عن الدين،و بالتالى إلى عواقب سيئه و مأساه اجتماعيه عظيمه.

و صفه«الأظلم»ذكرها القرآن الكريم فى مواضع اخرى للحكايه عن كبائر اخرى،لكن كل هذه الذنوب تعود إلى أصل واحد هو صدّ النّاس عن طريق التوحيد.

و سيأتى شرح ذلك أكثر فى المجلد الرابع من هذا التّفسير عند الحديث عن الآيه ٢١ من سوره الأنعام.

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۱۱۵]

اشاره

وَ لِلّهِ اَلْمَشْرِقُ وَ اَلْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اَللّهِ إِنَّ اَللّهَ واسِعٌ عَلِيمٌ (۱۱۵)

سبب النّزول

اختلفت الروایات فی سبب نزول هذه الآیه:

روی عن ابن عباس أن الآیه ترتبط بتغییر القبله،فعند ما تغیرت قبله المسلمین من بیت المقدس إلی الکعبه بدأ الیهود یشککون قائلین:و هل من الممکن أن تتغیر الکعبه؟فنزلت الآیه ترد علیهم و تقول إن المشرق و المغرب للّه.

و

روی أیضا: أنّ الایه نزلت فی الصّلاه المستحبّه یستطیع الإنسان أن یؤدّیها علی راحلته أینما اتّجهت الرّاحله،دون اشتراط الاتّجاه نحو القبله.

و

روی عن جابر أنّ الرّسول صلّی اللّه علیه و اله و سلّم بعث جماعه فی غزوه،فجنّ علیهم اللّیل و لم یستطیعوا أن یعرفوا اتّجاه القبله،فصلّت کلّ مجموعه صوب جهه،و بعد طلوع الشّمس تبیّن أنّهم لم یستقبلوا القبله سألوا النّبیّ عن ذلک فنزلت الآیه الکریمه (هذا الحکم له شروط طبعا تذکره الکتب الفقهیه).

و من الممکن أن تکون أسباب النّزول المذکوره کلها ثابته للآیه، أضف الی

ص: ۳۴۷

ذلک أن کل آیه فی القرآن لا تنحصر بأسباب نزولها،بل ینبغی أن یؤخذ مفهومها بشکل حکم عام،و ربما استخرج منها أحکام متعدده.

التّفسیر

اشاره

أینما تولّوا فثمّ وجه اللّه:

الآیه السابقه تحدثت عن الظالمین الذین یمنعون مساجد اللّه أن یذکر فیها اسمه و یسعون فی خرابها،و هذه الآیه تواصل موضوع الآیه السابقه فتقول: وَ لِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَیْنَمٰا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّٰهِ .

تؤکد هذه الآیه أن منع النّاس عن إحیاء المساجد لا یقطع الطریق أمام عبودیه اللّه،فشرق هذا العالم و غربه للّه سبحانه،و أینما تولوا وجوهکم فاللّه موجود.و تغییر القبله تمّ لظروف خاصه،و لیس له علاقه بمکان وجود اللّه،فاللّه سبحانه و تعالی لا یحده مکان،و لذلک تقول الآیه بعد ذلک: إِنَّ اللّٰهَ وٰاسِعٌ عَلِیمٌ .

واضح أن المقصود بالمشرق و المغرب فی الآیه لیس هو الجهتین الخاصتین، بل هو کنایه عن کل الجهات.کأن یقول أحد مثلا:أعداء علی علیه السّلام سعوا للتغطیه علی فضائله،لکن فضائله انتشرت فی شرق العالم و غربه،(أی فی کل العالم).

و لعل سبب شیوع استعمال الشرق و الغرب فی الکلام أن الإنسان یتعرف أولا علی هاتین الجهتین،ثم یعرف بقیه الجهات عن طریق هاتین الجهتین.

و فی آیه اخری یقول القرآن الکریم: وَ أَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِینَ کٰانُوا یُسْتَضْعَفُونَ مَشٰارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغٰارِبَهَا (1)

١- ١) -الأعراف،١٣٧.

بحوث

اشاره

۱-فلسفه القبله

اللّه موجود فی کل جهه و مکان،فلما ذا وجب الاتجاه نحو القبله فی الصلاه؟ واضح أن الاتجاه نحو القبله لا یعنی تحدید ذات الباری تعالی فی مکان و فی جهه،بل إن الإنسان موجود مادی،و لا بدّ أن یصلی باتجاه معین،ثم إن ضروره الوحده و التنسیق فی صفوف المسلمین تفرض اتجاههم فی الصلاه نحو قبله واحده،و إلاّ ساد الهرج و الفوضی،و تفرّقت الصفوف و تشتتت.

أضف إلی ذلک أن الکعبه التی جعلت قبله للمسلمین بقعه مقدسه و من أقدم قواعد التوحید،و الاتجاه نحوها یوقظ فی النفوس ذکریات المسیره التوحیده.

۲-عباره وَجْهُ اللّهِ لا تعنی هذا الوجه المتعارف،بل تعنی ذات اللّه تعالی.

۳-استدلت الروایات بهذه الآیه علی صحه الصلاه إلی غیر القبله لسهو أو اضطرار،و علی صحه الصلاه علی ظهر الراحله.

(لمزید من التوضیح راجع وسائل الشیعه،کتاب الصلاه،باب القبله).

ص:۳۴۹

الآیتان [سوره البقره (۲): الآیات ۱۱۶ الی ۱۱۷]

اشاره

وَ قٰالُوا اتَّخَذَ اَللّٰهُ وَلَداً سُبْحٰانَهُ بَلْ لَهُ مٰا فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قٰانِتُونَ (۱۱۶) بَدِیعُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ إِذٰا قَضیٰ أَمْراً فَإِنَّمٰا یَقُولُ لَهُ كُنْ فَیَكُونُ (۱۱۷)

التّفسیر

اشاره

خرافات الیهود و النصاری و المشرکین

المسیحیون و جمع من الیهود و المشرکون تبنّوا عقیده تافهه بشأن اتخاذ اللّه ابنا.

قال سبحانه: وَ قٰالَتِ الْیَهُودُ عُزَیْرٌ ابْنُ اللّٰهِ وَ قٰالَتِ النَّصٰاریٰ الْمَسِیحُ ابْنُ اللّٰهِ ذٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوٰاهِهِمْ یُضٰاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِینَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قٰاتَلَهُمُ اللّٰهُ أَنّٰی یُؤْفَكُونَ (۱) .

و قال عزّ شأنه: قٰالُوا اتَّخَذَ اللّٰهُ وَلَداً سُبْحٰانَهُ هُوَ الْغَنِیُّ (۲) .

و هناک آیات اخری ذکرت هذا المعتقد المنحرف.

و هذه الآیه الکریمه التی نحن بصددها تقول: وَ قٰالُوا اتَّخَذَ اللّٰهُ وَلَداً ثم

۱- ۱) -التوبه، ۳۰.

۲- ۲) -یونس، ۶۸.

تجیب علیهم أوّلا- بتنزیه اللّه عن هذه النسبه: سُبْحٰانَهُ ،فما حاجه اللّه إلی الولد؟ هل هو محتاج إلی المساعده أو إلی بقاء النسل؟!نعم،لا یمکن نسبه أی احتیاج إلی اللّه بَلْ لَهُ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ و جمیع الکون خاضع له کُلٌّ لَهُ قٰانِتُونَ .

و لیس هو مالک جمیع موجودات الکون فحسب،بل هو خالقها...بل مبدعها أی موجدها دون احتیاج إلی ماده أولیه فی هذا الإیجاد بَدِیعُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ .

ما حاجه اللّه إلی الولد و هو النافذ الإراده فی جمیع الموجودات؟! وَ إِذٰا قَضیٰ أَمْراً فَإِنَّمٰا یَقُولُ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ (۱)

بحوث

اشاره

۱-دلائل نفی الولد

نسبه الولد إلی اللّه سبحانه،هی دون شک ولیده سذاجه فکریه،قائمه علی أساس مقارنه کل شیء بالوجود البشری المحدود.

الإنسان یحتاج إلی الولد لأسباب عدیده:فهو من جانب ذو عمر محدود یحتاج إلی تولید المثل لاستمرار نسله.

و من جهه اخری هو ذو قوّه محدوده تضعف بالتدریج،و یحتاج لذلک- و خاصه فی فتره الشیخوخه-إلی من یساعده فی أعماله.

و هو أیضا ینطوی علی عواطف و حبّ للأنیس،و ذلک یتطلب وجود فرد أنیس فی حیاه الإنسان،و الولد یلبی هذه الحاجه.

۱- ۱) -غافر،۶۸.

واضـح أن كل هذه الأمور لا يمكن أن تجد لها مفهوما بشأن اللّه سـبحانه،و هو خالق عالم الوجود و القادر على كلّ شـىء،و هو الأزلى الأبدى.

أضف إلى ذلك،الولد يستلزم أن يكون الوالد جسما و اللّه منزّه عن ذلك (۱) .

۲-تفسير كُنْ فَيَكُونُ

هذا التعبير ورد فى آيات عديده منها الآيه ۴۷ و ۵۹ من سوره آل عمران، و الآيه ۷۳ من سوره الأنعام،و الآيه ۴۰ من سوره النحل و الآيه ۳۵ من سوره مريم،و الآيه ۸۲ من سوره يس،و غيرها،و المراد منها الإراده التكوينيه للّه تعالى و حاكميته فى الخليقه.

بعبـاره أوضـح:المقصود من جمله كُنْ فَيَكُونُ ليس هو صـدور الأمر اللفظى «كن»من قبل اللّه تعالى،بل المقصود تحقق إراده اللّه سبحـانه حينمـا تقتضـى إيجـاد شـىء من الأشـياء،صـغيرا بحجم الـذّره كـان،أم كبيرا بحجم السـماوات و الأرض، بسـيطا كان أم معقدا،دون أن يحتاج فى ذلك الإيجاد إلى أيه علّه اخرى،و دون أن تكون هناك أيه فتره زمنيه بين الإراده و الإيجاد.

لا يمكن للزمان أن يفصل بين الأمر و الكينونه،و لـذلك فإن الفاء فى جمله «فيكون»،لا تـدل على تأخير زمنى كما هو الحال فى الجمـل الاـخرى،بـل إنها تـدل فقط على التأخير فى الرتبه(الفلسـفه أثبتت تأخر المعلول عن العله،و هـذا التأخر ليس زمنيا،بل فى الرتبه-تأمل بدقه-).

ليس المقصود أن الشىء يصبح موجودا متى ما أراد اللّه ذلك،بل المقصود أن الشىء يصبح موجودا بالشكل الذى أراده اللّه.

على سبيل المثال،لو أراد اللّه أن يخلق السماوات و الأرض فى سته أيّام،

۱- ۱) -هذه المسأله بحثناها فى سوره الأنبياء،الآيه ۲۶،المجلد العاشر من هذا التّفسير.

لکان ذلک،دون زیاده أو نقص،و لو أراد أن توجد فی لحظه واحده لوجدت بأجمعها فی لحظه واحده،فذلک تابع لکیفیه إرادته و لما یراه من مصلحه.

و لو شاء اللّه-مثلا-أن یبقی الجنین فی رحم أمه تسعه أشهر و تسعه أیّام لیطوی مراحل تکامله،لما زادت هذه المده و ما نقصت. أمّا لو شاء أن یطوی هذا الجنین مراحل تکامله خلال لحظه واحده لحدث ذلک قطعا،لأن إرادته علّه تامّه للخلیقه،و لا یمکن أن توجد فاصله بین العله التامه و وجود المعلول.

۳-کیف یوجد الشیء من العدم؟

اشاره

کلمه«بدیع»من«بدع»،و الإبداع إنشاء صنعه بلا احتذاء و اقتداء منه،و فی الآیه بمعنی إیجاد الشیء من غیر ماده سابقه (۱) .

و السّؤال الذی یطرح فی هذا المجال یدور حول إمکان إیجاد الشیء من العدم،فکیف یمکن للعدم-و هو نقیض الوجود-أن یکون منشأ للوجود؟و هذه هی الشبهه التی یوردها المادیون فی مسأله«الإبداع»لیستنتجوا منها أن الماده الأصلیه للعالم أزلیه أبدیه،و لا یطرأ علیها وجود و عدم إطلاقا.

الجواب

فی المرحله الاولی،یوجّه نفس هذا الاعتراض إلی المادیین فهؤلاء یعتقدون أن ماده هذا العالم قدیمه أزلیه،و لم ینقص منها شیء حتی الآن،و الذی نراه یتغیر هو«الصوره»وحدها،لا أصل الماده.و نحن بدورنا نسأل:کیف وجدت الصوره الحالیه للماده و لم تکن موجوده من قبل؟هل وجدت من العدم؟إذا کان کذلک،فکیف یمکن للعدم أن یکون منشأ للوجود؟(تأمل بدقّه).

۱- ۱) -المفردات،ماده بدع.

على سبيل المثال،يقول الماديون فى لوحه زيتيه مرسومه على ورقه أنّ زيوت التلوين كانت موجوده،و نحن نسأل: كيف وجدت هذه«الصوره»التى لم تكن موجوده من قبل؟ كل جواب يقدمونه بشأن إيجاد«الصوره»من«العدم»نقدمه نحن أيضا بشأن إيجاده«الماده».

و فى المرحله الثانيه،ينبغى التأكيد على أن خطأ الماديين ناتج عن كلمه «من».هؤلاء تصوروا قولنا:(أن العالم وجد من العدم)شبيه بقولنا(أن المنضده وجدت من الخشب)حيث لا-بدّ من وجود الخشب أوّلا-لكى توجد المنضده.بينما جمله«وجود العالم من العدم»لا تعنى ذلك.بل تعنى«أن العالم لم يكن موجودا ثم وجد».و هل فى هذه العباره تضاد أو تناقض؟! و بالتعبير الفلسفى:كل موجود ممكن(الذى لا-يملك الوجود ذاتيا)له جانبان:ماهيه و وجود،«الماهيه»هى«المعنى الاعتبارى»الذى يتساوى فى نسبته للعدم و الوجود.بعباره اخرى،الماهيه هى المقدار المشترك الذى نفهمه من ملاحظه وجود شىء و عدمه.فهذه الشجره لم تكن موجوده سابقا و هى موجوده الآن،و الشخص الفلانى لم يكن موجودا سابقا و هو الآن موجود،و ما أسندنا إليه الحالتين(الوجود و العدم)هى«الماهيه».

من هنا يكون معنى قولنا(إن اللّه أوجد العالم من العدم)هو أنه سبحان نقل الماهيه من حاله العدم إلى حاله الوجود،و بعباره اخرى وضع لباس«الوجود» على جسد«الماهيه» (1) .

1- 1) -راجع لمزيد من التوضيح كتاب:خالق العالم.

الآيتان [سوره البقره (۲): الآيات ۱۱۸ الی ۱۱۹]

اشاره

وَ قٰالَ اَلَّذِينَ لاٰ يَعْلَمُونَ لَوْ لاٰ يُكَلِّمُنَا اَللّٰهُ أَوْ تَأْتِينٰا آيَةٌ كَذٰلِكَ قٰالَ اَلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشٰابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا اَلْآيٰاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (۱۱۸) إِنّٰا أَرْسَلْنٰاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَ نَذِيراً وَ لاٰ تُسْئَلُ عَنْ أَصْحٰابِ اَلْجَحِيمِ (۱۱۹)

التّفسير

اشاره

حجج اخرى

بمناسبه ذكر حجج اليهود فى الآيات السابقه،تتحدث الآيه عن حجج مجموعه اخرى من المعاندين و يبدو أنهم المشركون العرب فتقول: وَ قٰالَ الَّذِينَ لاٰ يَعْلَمُونَ لَوْ لاٰ يُكَلِّمُنَا اللّٰهُ أَوْ تَأْتِينٰا آيَةٌ .

هؤلاء الجاهلون-أو الذين لا يعملون-بتعبير الآيه،طرحوا طلبين بعيدين عن المنطق،طلبوا:

۱-أن يكلّمهم اللّه: لَوْ لاٰ يُكَلِّمُنَا اللّٰهُ .

۲-أن تنزل عليهم آيه: أَوْ تَأْتِينٰا آيَةٌ .

و القرآن يجيب على هذه الطلبات التافهه قائلا: كَذٰلِكَ قٰالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشٰابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيٰاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ .

لو أن هؤلاء يستهدفون حقا إدراک الحقیقه،ففی هذه الآیات النازله علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و سلّم دلاله واضحه بینه علی صدق أقواله،فما الداعی إلی نزول آیه مستقله علی کل واحد من الأفراد؟!و ما معنی الإصرار علی أن یکلمهم اللّه مباشره؟! مثل هذا الطلب تذکره الآیه ۵۲ من سوره المدثر: بَلْ یُرِیدُ کُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ یُؤْتیٰ صُحُفاً مُنَشَّرَهً .

مثل هذا الطلب لا یمکن أن یتحقق،لأن تحققه-إضافه إلی عدم ضرورته- مخالف لحکمه الباری سبحانه،لما یلی:

أوّلا:إثبات صدق الأنبیاء للناس کافه أمر ممکن عن طریق الآیات التی تنزل علیهم.

ثانیا:لا یمکن للآیات و المعاجز أن تنزل علی أی فرد من الأفراد،فذلک یتطلب نوعا من اللیاقه و الاستعداد و الطّهاره الرّوحیه.فالأسلاک الکهربائیه تتحمل من التیّار ما یتناسب مع ضخامتها.الأسلاک الرقیقه لا تتحمل التّیار العالی، و لا یمکن أن تتساوی بالأسلاک الضخمه القادره علی توصیل التّیارات العالیه.

و المهندس یفرّق بین الأسلاک التی تستقبل التّیارات العالیه من المولدات مباشره، و الأسلاک التی تنقل التیّار الواطئ داخل البیوت.

الآیه التالیه تخاطب النّبی صلّی اللّه علیه و اله و سلّم،و تبین موقفه من الطلبات المذکوره و تقول:

إِنّٰا أَرْسَلْنٰاکَ بِالْحَقِّ بَشِیراً وَ نَذِیراً

.

فمسؤولیه الرّسول بیان الأحکام الإلهیه،و تقدیم المعاجز،و توضیح الحقائق، و هذه الدعوه ینبغی أن تقترن بتبشیر المهتدین و إنذار العاصین و هذه مسئولیتک أیّها الرّسول،و أما الفئه التی لا تذعن للحق بعد کل هذه الآیات فأنت غیر مسئول عنها: وَ لاٰ تُسْئَلُ عَنْ أَصْحٰابِ الْجَحِیمِ .

بحثان

اشاره

١- تَشابَهَتْ قُلُوبُهُمْ

مرّ علينا فى الآيه أن القرآن يصف الحجج الواهيه التى يطرحها المعاصرون لصاحب الرساله الخاتمه،بأنها شبيهه بتلك التى كان يتذرع بها المنحرفون من الأمم السابقه،فقلوبهم متشابهه.

القرآن يشير بهذا التقريع و اللوم إلى أنّ مرور الزمن ينبغى أن يكون عاملا على زياده وعى الأجيال البشريه،و على تفهّم هذه الأجيال اللاحقه أكثر من السابقه لتعاليم الأنبياء،لكن مرور الزمن لا يرفع مستوى المنحرفين، بل يبقى خط الانحراف واحدا متشابها على مرّ الأجيال و كأنها متعلقه بآلاف الأعوام السالفه.

٢-أصلان تربويان

«البشاره»و«الإنذار»أو«التشجيع»و«التهديد»من أهم الأصول اللازمه للتربيه و للحركه الاجتماعيه.ينبغى أن يلقى الفرد تشجيعا على أعماله الصالحه، و توبيخا على أعماله الطالحه،كى يواصل مسيره الأول،و يرتدع عن ارتياد المسير الثانى.

«التشجيع»وحده لا يكفى لدفع الفرد و المجتمع على طريق التكامل،لأن الإنسان سوف يكون مطمئنا من عدم الخطر فى حاله ارتكاب المعاصى.

على سبيل المثال،نرى ارتكاب المعاصى بين النصارى الحاليين أمرا عاديا، لأنهم يعتقدون بالفداء،أى بأن السيد المسيح عليه السّلام قد ضحى بنفسه لغفران ذنوب أتباعه،أو لاعتقادهم بأن أحبارهم قادرون أن يغفروا لهم ذنوبهم بسبل شتى،منها منحم صكوك الغفران.أو يبيعون لهم الجنّه مثل هؤلاء القوم يسمحون لأنفسهم ارتكاب الذنوب بسهوله.

جاء فى قاموس الكتاب المقدس:«...الفداء أيضا إشاره إلى كفاره دم

المسیح،الذی أخذ علی عاتقه کل ذنوبنا و تحمل ذنوبنا فی جسده علی الصلیب».

هذا المنطق یجعل الأفراد دون شک جریئین علی ارتکاب المعاصی.

بعباره اخری،من یری أن التشجیع وحده کاف لتربیه الإنسان(طفلا کان أم کبیرا)،و ضروره ترک التهدید و التقریع،فهو مجانب للصواب و مخطئ تماما.

و هکذا أولئک الذین یعتقدون أن التربیه ینبغی أن تقوم علی أساس التخویف و التأنیب لا غیر.

الفریقان المذکوران خاطئان فی فهم الإنسان،حیث إن الإنسان یتجاذبه کلّ الخوف و الرجاء،حبّ الذات و کره الفناء، تحصیل المنفعه و دفع الضرر.و هل یمکن لموجود یحمل فی ذاته هذین البعدین أن یربّی وفق بعد واحد؟! و التعادل ضروری بین هذین الجانبین،فلو تجاوز التشجیع حدّه لأدّی إلی التجرؤ و الغفله،و لو تعدّی التخویف حدّه لبعث علی الیأس و القنوط و انطفاء شعله الشوق و التحرک فی النفوس.

ممّا سبق نفهم سبب اقتران البشاره بالإنذار أو«البشیر»ب«النذیر»فی القرآن الکریم،فتاره تقدم کلمه البشیر علی النذیر کالآیه التی نحن بصددها: بَشِیراً وَ نَذِیراً و تاره تقدم کلمه النذیر کقوله تعالی فی الآیه ۱۸۸ من سوره الأعراف:

إِنْ أَنَا إِلاّٰ نَذِیرٌ وَ بَشِیرٌ لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ .

و أکثر الآیات القرآنیه فی هذا المورد تتقدم فیها صفه البشیر،و لعل ذلک یعود إلی أن رحمه اللّه من حیث المجموع سابقه علی غضبه:یا من سبقت رحمته غضبه.

ص :۳۵۸

الآيتان [سوره البقره (۲): الآيات ۱۲۰ الی ۱۲۱]

اشاره

وَ لَنْ تَرْضىٰ عَنْکَ اَلْیَهُودُ وَ لاَ اَلنَّصاریٰ حَتّٰی تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَی اَللّٰهِ هُوَ اَلْهُدیٰ وَ لَئِنِ اِتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ بَعْدَ اَلَّذِی جاءَکَ مِنَ اَلْعِلْمِ ما لَکَ مِنَ اَللّٰهِ مِنْ وَلِیٍّ وَ لاٰ نَصِیرٍ (۱۲۰) اَلَّذِینَ آتَیْناهُمُ اَلْکِتابَ یَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاٰوَتِهِ أُولٰئِکَ یُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مَنْ یَکْفُرْ بِهِ فَأُولٰئِکَ هُمُ اَلْخاسِرُونَ (۱۲۱)

أسباب النّزول

روی عن ابن عباس بشأن نزول الآیه الاولی أن یهود المدینه و نصاری نجران،کانوا یأملون أن تکون قبله المسلمین موافقه دائما لقبلتهم،فلمّا تغیّرت قبله المسلمین من بیت المقدس إلی الکعبه یئسوا من نبی الإسلام.

و لعل بعض المسلمین لم یرق له هذا التغییر،لرغبته أن لا یحدث عملا یؤدی إلی إزعاج الیهود و النصاری (۱) .

الآیه الاولی نزلت لتعلن للنبی أن هذه الفئه من الیهود و النصاری لا ترضی

۱- ۱) -تفسیر أبی الفتوح الرازی،و تفسیر الفخر الرازی(مع اختلاف بسیط).

عنک بالاشتراک فی قبلتهم و لا بأی شیء آخر،إلّا أن تقبل کلّ ما یتبعونه.

و قیل:إن الآیه نزلت إثر إصرار النّبی علی إرضاء أهل الکتاب طمعا فی قبولهم الإسلام،فنزلت الآیه لتؤکد أن رضی هؤلاء غایه لا تدرک إلا باعتناق دینهم (۱) .

و بشأن نزول الآیه الثانیه وردت روایات مختلفه،قیل إنها نزلت فیمن التحق بجعفر بن أبی طالب لدی عودته من الحبشه و هم أربعون نفرا،اثنان و ثلاثون من أهل الحبشه و ثمانیه رهبان فیهم«بحیرا»الراهب المعروف.و قیل إنّها نزلت فی یهود أسلموا و حسن إسلامهم من أمثال:عبد اللّه بن سلام و سعید بن عمرو،و تمام بن یهودا (۲) .

التّفسیر

اشاره

إرضاء هذه المجموعه محال

الآیه السابقه رفعت المسؤولیه عن النّبی صلّی اللّه علیه و اله و سلّم إزاء الضالین المعاندین.و الآیه أعلاه تواصل الموضوع السابق و تخاطب الرّسول بأن لا یحاول عبثا فی کسب رضا الیهود و النصاری لأنه: وَ لَنْ تَرْضیٰ عَنْکَ الْیَهُودُ وَ لاَ النَّصاریٰ حَتّٰی تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ .

واجبک أن تقول لهم: إِنَّ هُدَی اللّٰهِ هُوَ الْهُدیٰ ،هدی اللّه هو الهدی البعید عن الخرافات و عن الأفکار التافهه التی تفرزها عقول الجهّال،و یجب إتباع مثل هذا الهدی الخالص.

ثم تقول الآیه: وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوٰاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِی جٰاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ مٰا لَکَ مِنَ اللّٰهِ مِنْ وَلِیٍّ وَ لاٰ نَصِیرٍ .

ص: ۳۶۰

۱- ۱) -مجمع البیان،الآیه المذکوره.

۲- ۲) -تفسیر أبی الفتوح الرازی،و مجمع البیان.

و بعد أن ذمّ القرآن الفئه المذكوره من اليهود و النصارى،أشاد بأولئك الذين آمنوا من أهل الكتاب و انضموا تحت رايه الرساله الخاتمه اَلَّذِينَ آتَيْنا هُمُ الْكِتا بَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلا وَتِهِ -اى بالتفكر و التدبر ثم العمل به- أُولئِ كَ يُؤْمِنُونَ بِهِ أى يؤمنون بالرّسول الكريم صلّى اللّه عليه و اله و سلّم وَ مَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ .

هؤلاء كانوا قد تلوا كتابهم السماوى حقّا،و كان ذلك سبب هدايتهم،فهم قرءوا فيه بشارات ظهور النّبىّ الموعود،و قرءوا صفاته المنطبقه مع صفات نبىّ الإسلام صلّى اللّه عليه و اله و سلّم فآمنوا به،و اللّه مدحهم و أشاد بهم.

بحوث

اشاره

١-سؤال عن عصمه الأنبياء

العباره القرآنيه: وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوٰاءَهُمْ قد تثير سؤالا بشأن عصمه الأنبياء، فهل يمكن للنبىّ صلّى اللّه عليه و اله و سلّم-و هو معصوم-أن يتبع أهواء المنحرفين من اليهود و النصارى؟ فى الجواب نقول:مثل هذه التعبيرات تكررت فى القرآن الكريم،و لا تتعارض مع مقام عصمه الأنبياء،لأنها-من جهه-جمله شرطيه،و الجمله الشرطيّه لا تدل على تحقق الشرط.

و من جهه اخرى،عصمه الأنبياء لا تجعل الذنب على الأنبياء محالا،بل المعصوم له قدره على ارتكاب الذنب،و لم يسلب منه الإختيار،و مع ذلك لم يتلوث بالذنوب.بعباره اخرى:إن المعصوم قادر على الذنب،و لكن إيمانه و علمه و تقواه بدرجه لا تجعله يتجه معها إلى ذنب.من هنا فالتحذيرات المذكوره بشأنهم مناسبه تماما.

من جهه ثالثه،هذا الخطاب و إن اتجه إلى النّبى صلّى اللّه عليه و اله و سلّم و لكن قد يكون موجها

إلى النّاس جميعا.

٢-للاسترضاء حدود

صحيح أن الإنسان الرّسالى يجب أن يسعى بأخلاقه إلى جذب الأعداء إلى صفوف الدعوه،لكن مثل هذا الموقف يجب أن يكون تجاه المخالفين المرنين الليّنين،أما الموقف تجاه المعاندين المتصلبين فينبغى أن يكون غير ذلك.لا يجوز إهدار الوقت مع هؤلاء،بل لا بدّ من الإعراض عنهم و تركهم.

٣-إنّ هدى اللّه هو الهدى

نفهم من الآيه المذكوره أن القانون الوحيد القادر على إنقاذ البشريه هو قانون الهدايه الإلهيه،لأن علم البشر-مهما قدر له من التكامل-يبقى مخلوطا بالجهل و الشك و القصور فى جهات مختلفه.و الهدايه فى ضوء مثل هذا العلم الناقص لا يمكن أن تكون هدايه مطلقه،و لا يستطيع أن يضع للإنسان برنامج«الهدايه المطلقه»إلاّ من له«علم مطلق»،و من هو خال من الجهل و النقص،و هو اللّه وحده.

۴-حق التلاوه

عبر القرآن عن الفئه المهتديه من أهل الكتاب بأنهم يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاٰوَتِهِ ، و هو تعبير عميق يرسم لنا سبيلا واضحا تجاه القرآن الكريم و الكتب السماويه، فالنّاس أمام الآيات الإلهيه على أقسام:

قسم يكرسون اهتمامهم على أداء الألفاظ بشكل صحيح و على قواعد التجويد،و يشغل ذهنهم دوما الوقف و الوصل و الإدغام و الغنّه فى التلاوه،و لا يهتمون إطلاقا بمحتوى القرآن فما بالك بالعمل به!و هؤلاء بالتعبير القرآنى كَمَثَلِ

الْحِمٰارِ يَحْمِلُ أَسْفٰاراً

(۱)

.

و قسم يتجاوز إطار الألفاظ،و يتعمق فی المعانی،و يدقّق فی الموضوعات القرآنيه،و لكن لا يعمل بما يفهم! و قسم ثالث،و هو المؤمنون حقّا يقرءون القرآن باعتباره كتاب عمل،و منهجا كاملا للحياه،و يعتبرون قراءه الألفاظ و التفكير فی المعانی و إدراك مفاهيم الآيات الكريمه مقدمه للعمل،و لذلک تصحو فی نفوسهم روح جديده كلما قرءوا القرآن، و تتصاعد فی داخلهم عزيمه و إراده و استعداد جديد للأعمال الصالحه،و هذه هی التلاوه الحقه.

ورد عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام فی تفسير هذه الآيه: «يرتّلون آياته،و يتفقّهون به،و يعملون بأحكامه،و يرجون وعده،و يخافون وعيده،و يعتبرون بقصصه،و يأتمرون بأوامره،و ينتهون بنواهيه،ما هو و اللّه حفظ آياته و درس حروفه، و تلاوه سوره و درس أعشاره و أخماسه (۲) ،حفظوا حروفه و أضاعوا حدوده،و إنّما هو تدبّر آياته و العمل بأركانه،قال اللّه تعالی: كِتٰابٌ أَنْزَلْنٰاهُ إِلَيْکَ مُبٰارَکٌ لِيَدَّبَّرُوا آيٰاتِهِ (۳) .

۱- ۱) -الجمعه،۵.

۲- ۲) -المقصود من الأعشار و الأخماس تقسيمات القرآن.

۳- ۳) -الميزان،نقلا عن إرشاد الديلمی.

الآیتان [سوره البقره (٢): الآیات ١٢٢ الی ١٢٣]

اشاره

یا بَنِی إِسْرائِیلَ اُذْکُرُوا نِعْمَتِیَ اَلَّتِی أَنْعَمْتُ عَلَیْکُمْ وَ أَنِّی فَضَّلْتُکُمْ عَلَی اَلْعالَمِینَ (١٢٢) وَ اِتَّقُوا یَوْماً لا تَجزِی نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَیْئاً وَ لا یُقْبَلُ مِنْها عَدْلٌ وَ لا تَنْفَعُها شَفاعَهٌ وَ لا هُمْ یُنْصَرُونَ (١٢٣)

التّفسیر

مرّه اخری یتجه الخطاب الإلهی إلی بنی إسرائیل لیذکرهم بالنعم التی أحیطوا بها،و خاصه نعمه تفضیلهم علی أمم زمانهم،فتقول الآیه: یا بَنِی إِسْرائِیلَ اذْکُرُوا نِعْمَتِیَ الَّتِی أَنْعَمْتُ عَلَیْکُمْ وَ أَنِّی فَضَّلْتُکُمْ عَلَی الْعالَمِینَ أی علی کل من کان یعیش فی ذلک الزمان.

کل نعمه تقترن بمسؤولیه، و تقترن بالتزام و تکلیف إلهی جدید،و لذلک قال سبحانه فی الآیه التالیه: وَ اتَّقُوا یَوْماً لا تَجْزِی نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَیْئاً ... وَ لا یُقْبَلُ مِنْها عَدْلٌ أی غرامه أو فدیه، وَ لا تَنْفَعُها شَفاعَهٌ إلاّ بإذن اللّه،و لا یستطیع أحد غیر اللّه أن یساعد أحدا وَ لا هُمْ یُنْصَرُونَ .

فکل سبل النجاه التی تتوسلون بها فی هذه الدنیا موصده یوم القیامه،

ص :٣۶۴

و الطريق الوحيد المفتوح أمامكم هو طريق الإيمان و العمل الصالح،و طريق التوبه من الذنوب.

هذه المفاهيم مطروحه فى الآيتين ۴۷ و ۴۸ من هذه السوره حيث تعرضنا لها بالتفصيل،و نكتفى هنا بهذا القدر.

ص: ۳۶۵

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۱۲۴]

اشاره

وَ إِذِ ابْتَلىٰ إِبْرٰاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمٰاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قٰالَ إِنِّي جٰاعِلُكَ لِلنّٰاسِ إِمٰاماً قٰالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قٰالَ لاٰ يَنٰالُ عَهْدِي اَلظّٰالِمِينَ (۱۲۴)

التّفسير

اشاره

الإمامه قمه مفاخر إبراهيم عليه السّلام

هذه الآيه و ما بعدها تتحدث عن بطل التوحيد نبى اللّه الكبير إبراهيم على نبيّنا و عليه الصلاه و السلام،و عن بناء الكعبه و أهميه هذه القاعده التوحيديه العباديه.

و الهدف من هذه الآيات-و عددها ثماني عشره آيه-ثلاثه أمور:

أوّلا:أن تكون مقدمه لمسأله تغيير القبله التى ستطرح بعد ذلك،كى يعلم المسلمون أن هذه الكعبه من ذكريات إبراهيم محطم الأصنام،و لكى يفهموا أن التلويث الذى طرأ على الكعبه إذ حولها المشركون إلى بيت للأصنام،إنما هو تلويث سطحى لا يحط من قيمه الكعبه و مكانتها.

ثانيا:لفضح ادعاءات اليهود و النصارى بشأن انتسابهم لإبراهيم،و أنهم ورثه

دينه و طريقته،و لتوضيح مدى ابتعاد هؤلاء عن مله إبراهيم.

ثالثا: لتفهيم مشركى العرب أيضا ببعدهم عن منهج النّبى الكبير محطم الأصنام،و الرّد على ما كانوا يتصورونه من ارتباط بينهم و بين إبراهيم.

الآيه الكريمه تقول أوّلا: وَ إِذِ ابْتَلىٰ إِبْرٰاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمٰاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ .

هذه الفقره من الآيه تشير إلى الاختبارات المتتاليه التى اجتازها إبراهيم عليه السّلام بنجاح،و تبين من خلالها مكانه إبراهيم و عظمته و شخصيته.

و بعد أن اجتاز هذه الاختبارات بنجاح استحق أن يمنحه اللّه الوسام الكبير قٰالَ إِنِّى جٰاعِلُكَ لِلنّٰاسِ إِمٰاماً .

و هنا تمنى إبراهيم عليه السّلام أن يستمر خط الإمامه من بعده،و أن لا يبقى محصورا بشخصه قٰالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِى .

لكن اللّه أجابه: قٰالَ لاٰ يَنٰالُ عَهْدِى الظّٰالِمِينَ .

و قد استجيب طلب إبراهيم عليه السّلام فى استمرار خط الإمامه فى ذرّيّته،لكن هذا المقام لا يناله إلاّ الطاهرون المعصومون من ذرّيّته لا غيرهم.

بحوث

اشاره

١-المقصود من«الكلمات»

من دراسه آيات القرآن الكريم بشأن إبراهيم عليه السّلام،و ما أدّاه هذا النّبى العظيم من أعمال جسيمه استحق ثناء اللّه،نفهم أن المقصود من الكلمات هو مجموعه المسؤوليات و المهام الثقيله الصعبه التى وضعها اللّه على عاتق إبراهيم عليه السّلام،فحملها و أحسن حملها،و أدّى ما عليه خير أداء،و هى عباره عن:

أخذ ولده إلى المذبح و الاستعداد التام لذبحه،إطاعه لأمر اللّه سبحانه.

إسكان الزوج و الولد فى واد غير ذى زرع بمكه،حيث لم يسكن فيه إنسان.

النهوض بوجه عبده الأصنام و تحطيم الأصنام،و الوقوف ببطوله فى تلك المحاكمه التاريخيه،ثم إلقاؤه فى وسط النيران.و ثباته و رباطه جأشه فى كل هذه المراحل.

الهجره من أرض عبده الأصنام و الابتعاد عن الوطن،و الاتجاه نحو أصقاع نائيه لأداء رسالته...و أمثالها (۱) .

كان كل واحد من هذه الاختبارات ثقيلا و صعبا حقّا،لكنه بقوه إيمانه نجح فيها جميعا،و أثبت لياقته لمقام«الإمامه».

۲-من هو الإمام؟

يتبين من الآيه الكريمه التى نحن بصددها،أن منزله الإمامه الممنوحه لإبراهيم عليه السّلام بعد كل هذه الاختبارات،تفوق منزله النّبوه و الرساله.

و لتوضيح ذلك نقول:إن للإمامه معانى مختلفه:

۱-الإمامه بمعنى الرئاسه و الزعامه فى أمور الدنيا، (قال بذلك فريق من علماء أهل السنه).

۲-الإمامه بمعنى الرئاسه فى أمور الدين و الدنيا،(قال بذلك فريق آخر من علماء أهل السنه).

۳-الإمامه بمعنى تحقيق المناهج الدينيه بما فى ذلك منهج الحكم بالمعنى الواسع للحكومه،و إجراء الحدود و أحكام اللّه،و تطبيق العداله الاجتماعيه،و تربيه الأفراد فى محتواهم الداخلى و فى سلوكهم الخارجى.و هذه المنزله أسمى من منزله النّبوه و الرساله،لأن منزله النّبوه و الرساله تقتصر على إبلاغ أوامر اللّه، و البشاره و الإنذار،أمّا الإمامه فتشمل مسئوليات النّبوه و الرساله إضافه إلى

---

۱ - ۱) -روى عن ابن عباس أنه استخرج اختبارات إبراهيم من أربع سور قرآنيه فكانت ثلاثين موضعا(تفسير المنار،تفسير الآيه المذكوره)،و خلاصتها ما ذكرناه.

«إجراء الأحكام»و«تربيه النفوس ظاهريا و باطنيا»(من الواضح أن كثيرا من الأنبياء كانوا يتمتعون بمنزله الإمامه).

منزلـه الإمـامه هى فى الحقيقـه منزلـه تحقيـق أهـداف الـدين و الهـدايه،أى «الإيصـال إلى المطلـوب»،و ليست هى«إراءه الطريق»فحسب.

و مضافا لما سبق فانّ الإمامه تتضمن أيضا على«الهـدايه التكوينيه»،أى النفوذ الروحى للإمام،و تأثيره على القلوب المستعده للهدايه المعنويه(تأمل بدقّه).

الإمام فى ذلك يشبه الشمس التى تبعث الحياه فى النباتات،فكذلك دور الامام فى بعث الحياه الروحيه و المعنويه فى الكائنات الحيّه؟.

يقول سبحانه: هُوَ الَّذِی یُصَلِّی عَلَیْکُمْ وَ مَلاٰئِکَتُهُ لِیُخْرِجَکُمْ مِنَ الظُّلُمٰاتِ إِلَی النُّورِ وَ کٰانَ بِالْمُؤْمِنِینَ رَحِیماً (1) .

و من هـذه الآيه نفهم بوضوح أن رحمه اللّه الخاصه و المعونه الغيبيه للملائكه بإمكانها أن تخرج المؤمنين من الظلمات إلى النور.

هـذا الموضوع يصدق على الإمام أيضا،فالقوّه الروحيه للإمام و للأنبياء الحائزين على منزله الإمامه و خلفائهم،لها التأثير العميق على تربيه الأفراد المؤهلين،و إخراجهم من ظلمات الجهل و الضلاله إلى نور الهدايه.

لا شك أن المراد من الإمامه فى الآيه التى نحن بصدد تفسيرها هو المعنى الثالث للإمامه،لأنّه يستفاد من آيات متعدده أن مفهوم«الإمامه»ينطوى على مفهوم«الهدايه»،كقوله تعالى: وَ جَعَلْنٰا مِنْهُمْ أَئِمَّهً یَهْدُونَ بِأَمْرِنٰا لَمّٰا صَبَرُوا وَ کٰانُوا بِآیٰاتِنٰا یُوقِنُونَ (2) .

هذه الهدايه لا تعنى إراءه الطريق،لأن إبراهيم عليه السّلام كانت له قبل ذلك مكانه

١- ١) -الأحزاب،٤٣.

٢- ٢) -السجده،٢٤.

النّبوه و الرساله،أی مکانه إراءه الطریق.

القرائن الواضحه تشیر إلی أن منزله الإمامه الممنوحه لإبراهیم علیه السّلام بعد الامتحانات العسیره،و اجتیاز مراحل الیقین و الشجاعه و الاستقامه،هی غیر منزله البشاره و الإبلاغ و الإنذار.

إذن،الهدایه التی یتضمنها مفهوم الإمامه ما هی إلاّ«الإیصال إلی المطلوب» و«تحقیق روح الدین»،و تطبیق المناهج التربویه فی النفوس المستعده.

هذا الحقیقه یوضحها بإجمال حدیث عمیق المعنی

روی عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق علیه السّلام یقول:

«إنّ اللّه تبارک و تعالی اتّخذ إبراهیم عبدا قبل أن یتخذه نبیّا،و إنّ اللّه اتّخذه نبیّا قبل أن یتّخذه رسولا،و إنّ اللّه اتّخذه رسولا قبل أن یتّخذه خلیلا،و إنّ اللّه اتّخذه خلیلا قبل أن یجعله إماما،فلمّا جمع له الأشیاء،قال: إِنِّی جٰاعِلُکَ لِلنّٰاسِ إِمٰاماً قال:فمن عظمها فی عین إبراهیم قال: وَ مِنْ ذُرِّیَّتِی قٰالَ لاٰ یَنٰالُ عَهْدِی الظّٰالِمِینَ قال:لا یکون السّفیه إمام التّقیّ» (۱) .

۳-الفرق بین النّبوه و الإمامه و الرساله

یفهم من الآیات الکریمه و المأثور عن المعصومین،أن حمله المهمات من قبل اللّه تعالی لهم منازل مختلفه:

۱-منزله النّبوه:أی استلام الوحی من اللّه،فالنبی هو الذی ینزل علیه الوحی، و ما یستلمه من الوحی یعطیه للنّاس إن طلبوا منه ذلک.

۲-منزله الرساله:و هی منزله إبلاغ الوحی،و نشر أحکام اللّه،و تربیه الأفراد عن طریق التعلیم و التوعیه.فالرّسول إذن هو المکلف بالسعی فی دائره مهمته

۱- ۱) -أصول الکافی،ج ۱،باب طبقات الأنبیاء و الرسل و الأئمه،ص ۱۳۳.

لدعوه النّاس إلى اللّه و تبليغ رسالته،و بذل الجهد لتغيير فكرى عقائدى فى مجتمعه.

۳-منزله الإمامه:و هى منزله قياده البشريه،فالإمام يسعى إلى تطبيق أحكام اللّه عمليا عن طريق إقامه حكومه إلهيه و استلام مقاليد الأمور اللازمه.و إن لم يستطع إقامه الدوله يسعى قدر طاقته فى تنفيذ الأحكام.

بعباره اخرى،مهمه الإمام تنفيذ الأوامر الإلهيه،بينما تقتصر مهمه الرّسول على تبليغ هذه الأوامر.و بتعبير آخر أيضا،مهمه الرّسول،إراءه الطريق،و مهمه الإمام«الإيصال إلى المطلوب»(إضافه إلى المهام الثقيله الاخرى المذكوره).

من نافله القول أن كثيرا من الأنبياء كنبىّ الإسلام عليه أفضل الصلاه و السلام حازوا على المنازل الثلاث،كانوا يستلمون الوحى،و يبلغون أوامر اللّه،و يسعون إلى إقامه الحكومه و تنفيذ الأحكام،و ينهضون-بما لهم من تأثير روحى-بمهمه تربيه النفوس.

الإمامه-بعباره موجزه-هى منزله القياده الشامله لجميع المجالات الماديه و المعنويه و الجسميه و الروحيه و الظاهريه و الباطنيه.الإمام رئيس الدوله و زعيم المجتمع و معلم الأخلاق و قائد المحتوى الداخلى للأفراد المؤهلين.

فهو بقوّته المعنويه يقود النفوس المؤهله على طريق التكامل.

و بقدرته العلميه يعلم الجهله.

و بقوّه حكومته أو أيه قوّه تنفيذيه اخرى يطبق مبادى العداله.

۴-الإمامه آخر مراحل مسيره إبراهيم التكامليه

بما تقدم فى بيان حقيقه الإمامه يتضح أنه من الممكن أن تكون لشخص منزله النّبوه و تبليغ الرساله،بينما لا تكون له منزله الإمامه.و هذه المنزله تحتاج إلى مؤهلات كثيره فى جميع المجالات.و هى المنزله التى نالها إبراهيم عليه السّلام بعد كل

هذه الامتحانات و المواقف العظيمه،و كانت آخر مرحله من مراحل مسيرته التكامليه.

من ذهب إلى أن الإمامه هى«أن يكون الفرد لائقا و نموذجيا»فقط،ما فهم أن هذه الصفه كانت موجوده فى إبراهيم عليه السّلام منذ بدايه النّبوه.

و من قال إنّ المقصود من الإمامه«أن يكون الفرد قدوه»،فاته أن هذه صفه جميع الأنبياء منذ ابتدائهم بدعوه النّبوه،و لذلك وجب أن يكون النّبى معصوما لأن أعماله قدوه للآخرين.

من هنا،فمنزله الإمامه أسمى ممّا ذكر،بل أسمى من النّبوه و الرساله،و هى المنزله التى نالها إبراهيم من قبل اللّه بعد أن اجتاز الامتحان تلو الامتحان.

۵-من الظّالم؟

المقصود من«الظلم»فى التعبير القرآنى: لاٰ يَنٰالُ عَهْدِي الظّٰالِمِينَ لا يقتصر على ظلم الآخرين،بل الظلم(مقابل العدل)،و قد استعمل هنا بالمعنى الواسع للكلمه،و يقع فى النقطه المقابله للعدل:و هو وضع الشيء فى محله.

فالظلم إذن وضع الشخص أو العمل أو الشيء فى غير مكانه المناسب.

و لما كانت منزله الإمامه و القياده الظاهريه و الباطنيه للبشريه منزله ذات مسئوليات جسيمه هائله عظيمه،فإن لحظه من الذنب و المعصيه خلال العمر تسبب سلب لياقه هذه المنزله عن الشخص.

لذلك نرى أئمه آل البيت عليهم السّلام يثبتون بهذه الآيه تعيّن الخلافه بعد النّبى مباشره لعلى عليه السّلام و انحصارها به،مشيرين إلى أن الآخرين عبدوا الأصنام فى الجاهليه، و علىّ عليه السّلام وحده لم يسجد لصنم.و أىّ ظلم أكبر من عباده الأصنام؟!ألم يقل لقمان

لابنه: يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (۱) ؟! من هذه الاستدلالات ما

رواه هشام بن سالم عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام قال: «قد كان إبراهيم نبيّا و ليس بإمام،حتّى قال اللّه: إِنِّی جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً،قالَ:وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي ،فقال الله لا يَنالُ عَهْدِی الظّالِمِينَ ،من عبد صنما أو وثنا لا يكون إماما» (۲) .

و فى حديث آخر عن عبد اللّه بن مسعود عن النّبى صلّى اللّه عليه و اله و سلّم: «إنّ اللّه قال لإبراهيم «لا أعطيك عهدا للظّالم من ذرّيّتك،قال:يا ربّ و من الظّالم من ولدى الّذى لا ينال عهدك؟قال:من سجد لصنم من دونى لا أجعله إماما أبدا،و لا يصلح أن يكون إماما» (۳) .

۶-تعيين الامام من قبل اللّه

من الآيه مورد البحث نفهم ضمنيا أن الإمام(القائد المعصوم لكل جوانب المجتمع)يجب أن يكون معينا من قبل اللّه سبحانه،لما يلى:

أوّلا:الإمامه ميثاق إلهى،و طبيعى أن يكون التعيين من قبل اللّه،لأنه طرف هذا الميثاق.

ثانيا:الأفراد الذين تلبّسوا بعنوان الظلم،و ما رسوا فى حياتهم لحظه ظلم بحقّ أنفسهم أو بحقّ الآخرين،كأن تكون لحظه شرك مثلا،لا يليقون للإمامه،فالإمام يجب أن يكون طيله عمره معصوما.

و هل يعلم ذلك فى نفوس الأفراد إلاّ اللّه؟! و لو أردنا بهذا المعيار أن نعيّن خليفه لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم،فلا يمكن أن يكون غير على عليه السّلام.

۱- ۱) -لقمان،۱۳.

۲- ۲) -أصول الكافى،ج ۱،باب«طبقات الأنبياء و الرسل»حديث ۱.

۳- ۳) -أمالى الشيخ المفيد،و مناقب ابن المغازلى،نقلا عن الميزان،تفسير الآيه المذكوره.

جدير بالذكر أن صاحب«المنار»نقل عن أبى حنيفه قوله:أن الخلافه لا تليق إلّا بالعلويين،و من هنا أجاز الخروج على حكومه العباسيين،و من هنا أيضا رفض منصب القضاء فى حكومه خلفاء بنى العباس.

و يقول صاحب المنار أيضا:إن أئمه المذاهب الأربعه كانوا معارضين لحكام زمانهم،و كانوا يعتبرون أولئك الحكام غير لائقين لزعامه المسلمين،لأنهم ظالمون (۱) .

و من العجيب أن كثيرا من علماء أهل السنه فى عصرنا هذا،يؤيدون و يدعمون الحكومات الظالمه المتجبّره المرتبطه ارتباطا واضحا جليّا بجبهه الكفر العالميه،و المفسده فى الأرض إفسادا لا يخفى على أحد،بل أكثر من ذلك يعتبرون هؤلاء الحكام «أولى الأمر»و يركزون على وجوب طاعتهم!!

۷-جواب عن سؤالين

۱-قلنا فى تفسير معنى الإمامه أن عمل الإمامه هو«الإيصال إلى المطلوب» و«تنفيذ المناهج الإلهيه»،و هنا قد يقول قائل:إن هذا المعنى لم يتحقق فى كثير من الأنبياء،بل لم يتحقق حتى بالنسبه للنبى الخاتم صلّى اللّه عليه و اله و سلّم و الأئمه الأطهار فى المقياس العام،فقد كان يقف فى مقابلهم دوما أفراد ضالون مضلون.

جوابا على ذلك نقول:تعريفنا لعمل الإمام لا يعنى أن الإمام يجرّ الامّه قسرا نحو الحق،بل إن الأفراد يستطيعون-و هم مختارون- أن يهتدوا بما يمتلكه الإمام من قوّه ظاهريه و باطنيه،على شرط امتلاك هؤلاء الأفراد للّياقه و الاستعداد.

و هذا كقولنا الشمس خلقت لاستمرار حياه الموجودات الحيّه،أو أن المطر يعمل على إحياء الأرض الميته،تأثير الشمس و المطر له طابع عام،لكنه لا يصدق

۱- ۱) -المنار،ج ۱،ص ۴۵۷-۴۵۸.

إلّا فی الموجودات المستعده لقبول هذا التأثیر.

۲-التّفسیر المذکور للإمام یستدعی أن یکون کل إمام نبیّا و رسولا أوّلا، و بعد ذلک یبلغ درجه الإمامه.بینما لم یکن الخلفاء المعصومون لنبیّ الإسلام صلّی اللّه علیه و اله و سلّم کذلک.

نقول فی الجواب:لا یلزم أن یکون الإمام قد بلغ حتما منزله النّبوه و الرساله، فالذی اجتمعت فیه منزله النّبوه و الرساله و الإمامه(مثل النّبی الخاتم)یمکن لخلیفته أن یواصل طریق الإمامه،و ذلک حین تنتفی الحاجه إلی رساله جدیده کما هو الحال بعد خاتم الأنبیاء.

بعباره اخری،حین تکون مرحله استلام الوحی الإلهی و تبلیغ جمیع الأحکام قد انتهت و بقیت المرحله التنفیذیه،فإن خلیفه النّبی یستطیع أن یواصل الخط التنفیذی،و لا حاجه لأن یکون هذا الخلیفه نبیا أو رسولا.

۸-شخصیه إبراهیم المثالیه

ورد اسم إبراهیم علیه السّلام فی ۶۹ موضعا من القرآن الکریم،تحدثت عنه آیات تتوزع بین خمس و عشرین سوره.و القرآن یثنی کثیرا علی هذا النّبی الکریم و یذکره بصفات جلیله عظیمه.

إنه قدوه و أسوه فی کل المجالات،و نموذج للإنسان الکامل.

مکانته فی سلّم معرفه اللّه...و منطقه الصریح أمام عبده الأوثان...و نضاله المریر ضد الجبابره...و تضحیاته علی طریق اللّه،و صموده الغریب أمام عواصف الحوادث و الاختبارات الصعبه...کل واحده من هذه الصفات تشکل النموذج الأعلی للسائرین علی طریق التوحید.

ص:۳۷۵

إبراهيم كما يصفه القرآن من اَلْمُحْسِنِينَ (۱) ،و من الصالحين (۲) ،و من القانتين (۳) ،و من الصديقين (۴) ،و إِنَّ إِبْراهِيمَ لَأَوّاهٌ حَلِيمٌ (۵) ،و وَ إِبْراهِيمَ الَّذِی وَفّی (۶) ،ذو سخاء عظيم و شجاعه منقطعه النظير.

فی تفسير سوره إبراهيم(خاصه فی القسم الأخير من السّوره)سنفصل الحديث فی هذا المجال.(راجع المجلد السابع من هذا التّفسير).

۱- ۱) -الصافات،۱۰۵.

۲- ۲) -النحل،۱۲۲.

۳- ۳) -النحل،۱۲۰.

۴- ۴) -مريم،۴۱.

۵- ۵) -التوبه،۱۱۴.

۶- ۶) -النجم،۳۷.

الآيه [سوره البقره (۲): آيه ۱۲۵]

اشاره

وَ إِذْ جَعَلْنَا اَلْبَيْتَ مَثٰابَةً لِلنّٰاسِ وَ أَمْناً وَ اِتَّخِذُوا مِنْ مَقٰامِ إِبْرٰاهِيمَ مُصَلًّى وَ عَهِدْنٰا إِلىٰ إِبْرٰاهِيمَ وَ إِسْمٰاعِيلَ أَنْ طَهِّرٰا بَيْتِيَ لِلطّٰائِفِينَ وَ اَلْعٰاكِفِينَ وَ اَلرُّكَّعِ اَلسُّجُودِ (۱۲۵)

التّفسير

اشاره

عظمه بيت اللّه

بعد الإشاره إلى مكانه إبراهيم عليه السّلام فى الآيه السابقه،تناولت هذه الآيه موضوع عظمه الكعبه التى وضع قواعدها إبراهيم عليه السّلام،فهى تبدأ بالتذكير بعباره «و إذ»أى اذكروا: وَ إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثٰابَةً لِلنّٰاسِ وَ أَمْناً .

المثابه من الثوب،أى عوده الشىء إلى حالته الاولى.و لما كانت الكعبه مركزا يتجه إليه الموحدون كلّ عام،فهى محل لعوده جسميه و روحيه إلى التوحيد و الفطره الاولى،و من هنا كانت مثابه.و كلمه«مثابه»تتضمن معنى الراحه و الاستقرار،لأن بيت الإنسان-و هو محل عودته الدائم-مكان للراحه و الاستقرار، و هذا المعنى تؤكده كلمه«أمنا»التى تلى كلمه«مثابه»فى الآيه.

و كلمه«للنّاس»توضح أنه ملجأ عام لكل العالمين،و لكل الشعوب المحرومه.

و هذه الصفه للبيت هى فى الحقيقه استجابه لأحد مطاليب إبراهيم عليه السّلام من ربّه

ما سيأتى.

ثمّ تضيف الآيه: وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقٰامِ إِبْرٰاهِيمَ مُصَلًّى .

اختلف المفسرون فى معنى«مقام إبراهيم»،قيل:إنّ كل الحج هو مقام إبراهيم.و قيل:إنه«عرفه»و«المشعر الحرام»و«الجمار الثلاث»،و قيل:كل حرم مكه مقام.

و لكن يبدو من ظاهر الآيه أن المقام هو مقام إبراهيم المعروف الكائن قرب الكعبه،و ذهبت إلى ذلك الرّوايات و كثير من المفسّرين.و على الحجاج أن يصلّوا خلفه بعد الطواف،و من هنا كان هذا المقام«مصلّى».

ثم تشير الآيه إلى المسؤوليه المعهوده إلى إبراهيم و ابنه إسماعيل عليهما السّلام بشأن تطهير البيت للطائفين و المجاورين و المصلين: وَ عَهِدْنٰا إِلىٰ إِبْرٰاهِيمَ وَ إِسْمٰاعِيلَ أَنْ طَهِّرٰا بَيْتِيَ لِلطّٰائِفِينَ وَ الْعٰاكِفِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ .

و فى التطهير قيل:إنه التطهير من لوثه وجود الأصنام.و قيل:إنه التطهير من الدنس الظاهر،كالدم و أحشاء الذبائح التى كان يلقى بها الجهله فى البيت.

و قيل:إنه يعنى إخلاص النيه عند بناء البيت.

و لا دليل على تحديد مفهوم الطهاره،فهى تعنى تطهير هذا البيت ظاهريا و معنويا من كل تلويث.

لذلك نجد بعض الروايات فسرت التطهير فى الآيه بأنه تطهير الكعبه من المشركين،و بعضها بأنه تطهير البدن و إزاله الأدران.

بحثان

اشاره

١-الآثار الاجتماعيه و التّربويه للبيت الآمن:

الكعبه-طبعا للآيه أعلاه-ملاذ و بيت آمن،و الإسلام وضع الأحكام المشدده بشأن إبعاد هذه الأرض المقدسه عن كل نزاع و اشتباك و حرب و إراقه

دماء.و ليس أفراد البشر آمنين هناك فحسب،بل الحيوانات و الطيور آمنه أيضا فى هذه البقعه،و لا يحق لأحد أن يمسها بسوء.

و فى عـالم يعجّ دوما بـالنزاع و الصـراع،يسـتطيع مثـل هـذا المركز الآـمن أن يكـون لـه الأـثر العميـق فى حـل المشاكـل و فضّ النزاعات،إذ يستطيع الفرقاء المتنازعون أن يجلسوا حول طاوله واحده عند هذا البيت الآمن،و يفتحوا بينهم حورا قد يكون مقدمه لإزاله الخصومات و النزاعات.

و قـد يتفـق أن ترغب الأـطراف المتنـازعه فى إجراء مباحثـات،لكنهم لاـ يتفقون على مكـان مقبول و محـترم و آمن لـدى جميع الأطراف،و الإسلام أقرّ مكه لتكون مركزا كهذا.

و اليوم،إذ المسلمون-مع الأسف الشديد-يعانون من ألوان النزاعات و الاختلافات حرىّ بهم أن يستفيدوا من قداسه هذا البيت و أمنه لفتح باب المحادثات بينهم،و لرفع ما بينهم من اختلافات بفضل معنويه هذا المكان المقدس. (۱)

۲-بيت اللّه

و صـفت الكعبه بأنهـا بيت اللّه،و عبرت الآـيه عن الكعبه ب«بيتى».و واضـح أن اللّه ليس بجسم،و لاـ يحـده بيت،و لا يحتاج إلى ذلك،و هذه الإضافه هى«إضافه تشريفيه»تبيّن قدسيه الشـىء الذى ينسب إلى اللّه،و لذلك كان شـهر رمضان«شهر اللّه»و كانت الكعبه«بيت اللّه».

۱- ۱) -بشأن أمن أرض مكه لنا بحث آخر فى تفسير الآيه ۳۵ من سوره إبراهيم.(راجع المجلد السابع من هذا التّفسير).

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۱۲۶]

اشاره

وَ إِذْ قٰالَ إِبْرٰاهِیمُ رَبِّ اِجْعَلْ هٰذٰا بَلَداً آمِناً وَ اُرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ اَلثَّمَرٰاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللّٰهِ وَ اَلْیَوْمِ اَلْآخِرِ قٰالَ وَ مَنْ کَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِیلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلیٰ عَذٰابِ اَلنّٰارِ وَ بِئْسَ اَلْمَصِیرُ (۱۲۶)

التّفسیر

اشاره

إبراهیم یدعو ربّه

فی هذه الآیه توجّه إبراهیم إلی ربّه بطلبین هامین لسکنه هذه الأرض المقدسه،أشرنا إلی أحد هما فی الآیه السّابقه.القرآن یذکّر بما قاله إبراهیم: وَ إِذْ قٰالَ إِبْرٰاهِیمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذٰا بَلَداً آمِناً .

و کما ذکرنا فی الآیه السابقه،استجاب اللّه لدعاء إبراهیم،و جعل هذه الأرض المقدسه مرکزا آمنا بالمعنی الواسع لکلمه لأمن.

و الطلب الآخر هو: وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرٰاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللّٰهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ .

و هکذا یطلب إبراهیم«الأمن»أوّلا،ثم«المواهب الاقتصادیه»،إشاره إلی أنّ الإقتصاد السالم لا یتحقق إلاّ بعد الأمن الکامل.

ص: ۳۸۰

و للمفسرين آراء عديده فی معنی«الثّمرات»،و يبدو أن معناها واسع يشمل النعم الماديه و النعم المعنويه.و

عن الإمام الصادق عليه السّلام: «هی ثمرات القلوب» إشاره إلی جعل قلوب النّاس تهوی إلی هذه الأرض.

إبراهيم فی دعائه اقتصر علی المؤمنين باللّه و اليوم الآخر،و لعل ذلک كان بعد أن قال له اللّه سبحانه: لاٰ يَنٰالُ عَهْدِي الظّٰالِمِينَ ففهم أن مجموعه من ذريّته سيسلكون طريق الشرک و الظلم،فاستثناهم فی دعائه.

و اللّه سبحانه استجاب لإبراهيم طلبه الثانی أيضا،و لكنه قٰالَ وَ مَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً فی الدّنيا، ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلىٰ عَذٰابِ النّٰارِ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ فی الحياه الآخره.

هذه فی الواقع صفه«الرحمانيه»و هی الرحمه العامه للباری تعالی التی تشمل كل المخلوقات،صالحهم و طالحهم فی الدنيا.أما الآخره فهی عالم رحمته الخاصه التی لا ينالها إلاّ من آمن و عمل صالحا.

ص :٣٨١

الآيات [سوره البقره (٢): الآيات ١٢٧ الى ١٢٩]

اشاره

وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرٰاهِيمُ اَلْقَوٰاعِدَ مِنَ اَلْبَيْتِ وَ إِسْمٰاعِيلُ رَبَّنٰا تَقَبَّلْ مِنّٰا إِنَّكَ أَنْتَ اَلسَّمِيعُ اَلْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنٰا وَ اِجْعَلْنٰا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنٰا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَ أَرِنٰا مَنٰاسِكَنٰا وَ تُبْ عَلَيْنٰا إِنَّكَ أَنْتَ اَلتَّوّٰابُ اَلرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنٰا وَ اِبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيٰاتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ اَلْكِتٰابَ وَ اَلْحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ اَلْعَزِيزُ اَلْحَكِيمُ (١٢٩)

التّفسير

اشاره

إبراهيم يبنى الكعبه

نفهم بوضوح من خلال آيات الذكر الحكيم أن بيت الكعبه كان موجودا قبل إبراهيم،و كان قائما منذ زمن آدم.تتحدث الآيه ٣٧ من سوره إبراهيم عن لسان إبراهيم تقول: رَبَّنٰا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِى بِوٰادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ .

و هذه الآيه تدل على أن بيت الكعبه كان له نوع من الوجود حين جاء إبراهيم مع زوجه و ابنه الرضيع إلى مكه.

و تقول الآيه ۹۶ من سوره آل عمران: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّٰاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبٰارَكاً .و من المؤكد أن عباده اللّه و إقامه أماكن العباده لم تبدأ فی زمن إبراهيم، بل كانتا منذ أن خلق الإنسان على ظهر هذه الأرض.

عباره الآيه الاولى من الآيات محل البحث يؤكد هذا المعنى،إذ تقول: وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرٰاهِيمُ الْقَوٰاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْمٰاعِيلُ رَبَّنٰا تَقَبَّلْ مِنّٰا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ .

فإبراهيم و إسماعيل قد رفعا قواعد البيت التی كانت موجوده.

و فی خطبه للإمام أمير المؤمنين على عليه السّلام فی نهج البلاغه،و هی المسماه بالقاصعه،يقول:

«ألا ترون أنّ اللّه سبحانه اختبر الأوّلين من لدن آدم صلوات اللّه عليه إلى الآخرين من هذا العالم بأحجار...فجعلها بيته الحرام...ثمّ أمر آدم عليه السّلام و ولده أن يثنوا أعطافهم نحوه (۱) ...» (۲) .

القرائن القرآنيه و الروائيه تؤيد أن الكعبه بنيت أوّلا بيد آدم،ثم انهدمت فی طوفان نوح،ثم أعيد بناؤها على يد إبراهيم و إسماعيل (۳) .

فی الآيتين التاليتين يتضرع إبراهيم و إسماعيل إلى ربّ العالمين بخمسه طلبات هامّه.و هذه الطلبات المقدّسه حين الإشتغال بإعاده بناء الكعبه جامعه و دقيقه بحيث تشمل كل احتياجات الإنسان الماديه و المعنويه،و تفصح عن عظمه هذين النبيين الكبيرين.

قالا أوّلا: رَبَّنٰا وَ اجْعَلْنٰا مُسْلِمَيْنِ .

ثم أضافا: وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنٰا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ .

۱- ۱) -أی أن يطوفوا حوله.

۲- ۲) -نهج البلاغه،صبحی صالح،ص ۲۹۲-(الخطبه القاصعه).

۳- ۳) -صاحب المنار،ينكر هذا الموضوع بالمره،و يرى أن إبراهيم و إسماعيل أول من بنى الكعبه،و هذا ما لا تؤيّده الروايات و لا عبارات القرآن الكريم.

و طلبا تفهم طريق العباده: وَ أَرِنا مَناسِکَنا ،لیعبد اللّه حقّ عبادته.

ثم طلبا التوبه: وَ تُبْ عَلَیْنا إِنَّکَ أَنْتَ التَّوّابُ الرَّحِیمُ .

الآیه الأخیره تضمنت الطلب الخامس،و هو هدایه الذریه رَبَّنا وَ ابْعَثْ فِیهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِکَ وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَهَ وَ یُزَکِّیهِمْ إِنَّکَ أَنْتَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ .

بحثان

اشاره

۱-هدف بعثه الأنبیاء

فی الآیات أعلاه،بعد أن یطلب إبراهیم و إسماعیل من اللّه ظهور نبی الإسلام،یذکران ثلاثه أهداف لبعثته:

الأوّل:تلاوه آیات اللّه علی النّاس،أی إیقاظ الأفکار و الأرواح فی ظل الآیات الإلهیه المبشره و المنذره.

«یتلو»من تلا،أی اتبع الشیء بالشیء،و سمیت«التلاوه»کذلک لأنها قراءه وفق تتبع و نظم.هی مقدمه للیقظه و الإعداد و التعلیم و التربیه.

الثّانی:«تعلیم الکتاب و الحکمه»و لا تتحقق التربیه إلاّ بالتعلیم.

و لعل التفاوت بین«الکتاب»و«الحکمه»فی أن الکتاب یعنی الکتب السماویه،و الحکمه تعنی العلوم و الأسرار و العلل و النتائج الموجوده فی الأحکام، و هی التی یعلمها النّبی أیضا.

الثّالث:«التزکیه»و هو الهدف الأخیر.

و«التزکیه»فی اللغه هی الإنماء،و هی التطهیر أیضا.

و بذلک یتلخص الهدف النهائی من بعثه الأنبیاء فی دفع الإنسان علی مسیره التکامل«العلمی»و«العملی».

ص:۳۸۴

ينبغى التأكيد هنا على أنّ علوم البشر محدوده،مقرونه بآلاف الفجوات المبهمه و الأخطاء الكبيره،و الإنسان أيضا لا يطمئن بدقه إلى معلوماته،لأنه شاهد أخطائه و أخطاء الآخرين.

من هنا كان من الضرورى مجىء الأنبياء بعلومهم الحقّه الخاليه من الأخطاء المستمده من مبدأ الوحى إلى النّاس،ليزيلوا أخطاءهم،و يملأوا فراغات جهلهم، و يبعثوا فيهم اطمئنانا بعلمهم.

و يلزم التأكيد أيضا على أن الشخصيه البشريه تتكون من«عقل»و«غرائز»، و لذلك كان الإنسان بحاجه إلى«التربيه»بقدر حاجته إلى«العلم»،و ينبغى أن يتكامل عقله،و أن تتجه غرائزه نحو هدف صحيح.

لذلك فإن الأنبياء معلمون،و مربون،يزودون النّاس بالعلم،و بالتربيه.

٢-«التعليم»مقدم أو«التربيه»؟

-فى أربعه مواضع ذكر القرآن مسأله التربيه و التعليم باعتبار هما هدف الأنبياء،و فى ثلاثه مواضع منها قدمت«التربيه»على «التعليم»(البقره،١٥١-آل عمران،١۶۴-الجمعه،٢).

و فى موضع واحد تقدم التعليم على التربيه(آيه بحثنا).و نعلم أن التربيه لا تتم إلّا بالتعليم.

لذلك حين يتقدم التعليم على التربيه فى الآيه فإنما ذلك بيان للتسلسل المنطقى الطبيعى لهما.و فى المواضع التى تقدمت فيها التربيه،فقد يكون ذلك إشاره إلى أنها الهدف،لأن الهدف الاصلى هو التربيه،و ما عداها مقدمه لها.

٣-النّبى من النّاس-تعبير«منهم»فى الآيه وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يشير إلى أن قاده البشريه ينبغى أن يكونوا بشرا بنفس صفات البشر الغريزيه،كى يكونوا القدوه اللائقه فى الجوانب العمليه.و من الطبيعى أنهم-لو كانوا من غير البشر-ما استطاعوا إدراك حاجات النّاس و المشكلات العويصه الكامنه لهم فى حياتهم،و لا أمكنهم أن يكونوا قدوه و أسوه لهم.

الآیات [سوره البقره (۲): الآیات ۱۳۰ الی ۱۳۲]

اشاره

وَ مَنْ یَرْغَبُ عَنْ مِلَّهِ إِبْرٰاهِیمَ إِلاّٰ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَ لَقَدِ اِصْطَفَیْنٰاهُ فِی اَلدُّنْیٰا وَ إِنَّهُ فِی اَلْآخِرَهِ لَمِنَ اَلصّٰالِحِینَ (۱۳۰) إِذْ قٰالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قٰالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ اَلْعٰالَمِینَ (۱۳۱) وَ وَصّٰی بِهٰا إِبْرٰاهِیمُ بَنِیهِ وَ یَعْقُوبُ یٰا بَنِیَّ إِنَّ اَللّٰهَ اِصْطَفیٰ لَکُمُ اَلدِّینَ فَلاٰ تَمُوتُنَّ إِلاّٰ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (۱۳۲)

التّفسیر

اشاره

إبراهیم الإنسان النّموذج

الآیات السابقه ألقت الضوء علی جوانب من شخصیه إبراهیم علیه السّلام،فتحدثت عن بعض خدماته و طلباته الشامله للجوانب المادیه و المعنویه.

من مجموع ما مرّ نفهم أن اللّه سبحانه شاء أن یکون هذا النّبی،شیخ الموحدین و قدوه الرسالیین،علی مرّ العصور.

لذلک تقول الآیه الاولی من آیات بحثنا هذا: وَ مَنْ یَرْغَبُ عَنْ مِلَّهِ إِبْرٰاهِیمَ إِلاّٰ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ؟! ألیس من السفاهه أن یعرض الإنسان عن مدرسه الطهر و النقاء و الفطره و العقل و سعاده الدنیا و الآخره،و یتجه إلی طریق الشرک و الکفر و الفساد و ضیاع

العقل و الانحراف عن الفطره و فقدان الدين و الدنيا؟! ثم تضيف الآيه: وَ لَقَدِ اصْطَفَيْنٰاهُ فِی الدُّنْيٰا وَ إِنَّهُ فِی الْآخِرَهِ لَمِنَ الصّٰالِحِينَ .

نعم،إبراهيم عليه السّلام اصطفاه اللّه فى الدنيا ليكون«الأسوه»و«القدوه»للصالحين.

الآيه التاليه تؤكد على صفه اخرى من صفات إبراهيم التى هى الواقع أساس بقيه صفاته العظيمه و تقول: إِذْ قٰالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قٰالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعٰالَمِينَ .

هذا الإنسان المتحرر من الانشدادات الوضيعه يسارع إلى التسليم التام حال سماعه نداء ربّه:«أسلم»،و لا يتوانى فى رفض كل أوهام زمانه القائمه على عباده النجوم و الشمس و القمر،فيتركها بعد أن رآها محكومه بالقوانين التى تسود الخليفه و يقول: إِنِّی وَجَّهْتُ وَجْهِیَ لِلَّذِی فَطَرَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ حَنِيفاً وَ مٰا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١) .

مرّ بنا فى الآيات السابقه أن إبراهيم و إسماعيل عليهما السّلام بعد بناء الكعبه طلبا من اللّه سبحانه أن يتقبل أعمالهما،ثم بعد ذلك طلبا أن يمنّ عليهما اللّه بنعمه التسليم لوجهه الكريم: رَبَّنٰا وَ اجْعَلْنٰا مُسْلِمَيْنِ لَكَ و مثل هذا طلباه لذريّتهما: وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنٰا أُمَّهً مُسْلِمَهً لَكَ .

ذلك لأن الخطوه الاولى فى سموّ الشخصيه الإنسانيه الطهر و الإخلاص،و من هنا أسلم إبراهيم عليه السّلام وجهه لربّه دون سواه،و لذلك عرف هو و دينه بهذا العنوان.

حياه إبراهيم عليه السّلام بأجمعها كانت مفعمه بأعمال جسيمه نادره،نضاله المرير ضد المشركين،صموده الكبير فى قلب النيران،هذا الصمود الذى أثار إعجاب نمرود الطاغيه نفسه حيث راح يردد دون وعى:من اتخذ إلها فليتخذ إلها مثل إله إبراهيم (٢) .

و كذلك إسكان الزوج و الطفل الرضيع فى تلك الأرض الجافه القاحله...

١- ١) -الأنعام،٧٩.

٢- ٢) -نور الثقلين،ج ٣،ص ٤٣٩.

و المقـدسه،و بناء الكعبه،و تقـديم الولد على مذبح التضـحيه و الفداء اسـتجابه لأمر اللّه تعالى...كل واحده من هذه الأعمال قمه من سلسله قمم حياه إبراهيم عليه السّلام.

و وصيه إبراهيم بنيه فى أواخر أيّام حياته تجسيد آخر لهذه الحياه الشامخه:

وَ وَصّى بِها إِبْراهِيمُ بَنِيهِ وَ يَعْقُوبُ

...فكل من إبراهيم و يعقوب وصّيا أبناء هما بالقول: يا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاّ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ .

لعلّ القرآن الكريم،بنقله وصيه إبراهيم،يريد أن يقول للإنسان إنه مسئول عن مستقبل أبنائه،عليه أن يهتم بمستقبلهم المعنوى قبل أن يهتم بمستقبلهم المادى.

يعقوب كإبراهيم وصّى أيضا أبناءه،بنفس هذه الوصايا،و أكد لأبنائه أن رمز نجاحهم يتلخص فى جمله واحده،هى التسليم لربّ العالمين.

ربّما يعود ذكر اسم يعقوب هنا من بين سائر الأنبياء،إلى أن اليهود و النصارى كانوا يعتقدون بانتسابهم إلى يعقوب بشكل من الأشكال،فأرادت الآيه أن توضح لهم أن خط الشرك الذى يسلكونه لا يتناسب مع منهج يعقوب،و هو منهج التسليم المحض لربّ العالمين.

الآیتان [سوره البقره (۲): الآیات ۱۳۳ الی ۱۳۴]

اشاره

أَمْ کُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ حَضَرَ یَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قالَ لِبَنِیهِ ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِی قالُوا نَعْبُدُ إِلٰهَکَ وَ إِلٰهَ آبائِکَ إِبْراهِیمَ وَ إِسْماعِیلَ وَ إِسْحاقَ إِلٰهاً واحِداً وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (۱۳۳) تِلْکَ أُمَّهٌ قَدْ خَلَتْ لَها ما کَسَبَتْ وَ لَکُمْ ما کَسَبْتُمْ وَ لا تُسْئَلُونَ عَمّا کانُوا یَعْمَلُونَ (۱۳۴)

سبب النّزول

کان جمع من الیهود یعتقدون أن یعقوب عند ما حضرته الوفاه أوصی بنیه أن یعتنقوا الیهودیه(بتحریفاتها السائده خلال عصر البعثه المبارکه)،و اللّه سبحانه أنزل هذه الآیه (۱) .

التّفسیر

کما رأینا فی سبب النّزول،و ظاهر الآیه یدل علی ذلک أیضا،کان جمع من

ص: ۳۸۹

۱- ۱) -تفسیر أبی الفتوح الرازی،آیه البحث.

منکری الإسلام ینسبون ما لا ینبغی نسبته إلی النّبی یعقوب،و القرآن یرد علیهم بالقول: أَمْ کُنْتُمْ شُهَدٰاءَ إِذْ حَضَرَ یَعْقُوبَ الْمَوْتُ ؟! هذا الذی نسبوه إلیه لیس بصحیح،بل الذی حدث آنذاک إِذْ قٰالَ لِبَنِیهِ مٰا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِی ؟ فی الجواب قٰالُوا نَعْبُدُ إِلٰهَکَ وَ إِلٰهَ آبٰائِکَ إِبْرٰاهِیمَ وَ إِسْمٰاعِیلَ وَ إِسْحٰاقَ إِلٰهاً وٰاحِداً وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ .

أجل فإنّ یعقوب لم یوص أبناءه بشیء غیر التوحید و التسلیم لربّ العالمین و الذی هو الأساس لبرنامج الأنبیاء.

من الآیه یبدو أن قلقا ساور یعقوب لدن أن حضرته الوفاه بشأن مستقبل أبنائه،و عبّر عن قلقه هذه متسائلا: مٰا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِی ؟و إنما قال: مٰا تَعْبُدُونَ... و لم یقل«من تعبدون...»لتلوث البیئه الاجتماعیه آنذاک بالشرک و الوثنیه،أی بعباده الأشیاء من دون اللّه.فأراد یعقوب أن یفهم ما فی قراره نفوس أبنائه من میول و اتجاهات،و بعد أن استمع الجواب اطمأنت نفسه.

و یلفت النظر هنا أن إسماعیل لم یکن أبا لیعقوب و لا جدّه،بل عمّه،بینما الآیه استعملت کلمه«آباء»،و یتضح من ذلک أن کلمه«الأب»تطلق أیضا علی«العم» توسعا،و من هنا نقول بالنسبه لآزر،الذی ذکره القرآن باعتباره والد إبراهیم،أنه لا یمنع أن یکون عمّ إبراهیم لا والده.(تأمل بدقّه).

آخر آیه فی بحثنا،تجیب علی توهّم آخر من توهمات الیهود،فکثیر من هؤلاء کانوا یستندون إلی مفاخر الآباء و الأجداد و قرب منزله أسلافهم من اللّه تعالی،فلا یرون بأسا فی انحرافهم هم ظانین أنهم ناجون بوسیله أولئک الأسلاف.

یقول القرآن: تِلْکَ أُمَّهٌ قَدْ خَلَتْ لَهٰا مٰا کَسَبَتْ وَ لَکُمْ مٰا کَسَبْتُمْ وَ لاٰ تُسْئَلُونَ عَمّٰا کٰانُوا یَعْمَلُونَ .

و بذلك أرادت الآيه أن توجّه أنظار هؤلاء إلى أعمالهم و سلوكهم و أفكارهم، و تصرفهم عن الانغماس فى الافتخار بالماضين.

هـذه الآـيه-و إن اتجهت فى الخطـاب إلى فئه اليهود،أهـل الكتـاب فى عصـر البعثه-تخاطبنا نحن المسـلمين أيضا،و تطرح أمامنا مبدأ:

إن الفتى من يقول ها أنا ذا

ليس الفتى من يقول كان أبى

الآیات [سوره البقره (٢): الآیات ١٣۵ الی ١٣٧]

اشاره

وَ قالُوا کُونُوا هُوداً أَوْ نَصاریٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّهَ إِبْراهِیمَ حَنِیفاً وَ ما کانَ مِنَ اَلْمُشْرِکِینَ (١٣۵) قُولُوا آمَنّا بِاللّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَیْنا وَ ما
أُنْزِلَ إِلیٰ إِبْراهِیمَ وَ إِسْماعِیلَ وَ إِسْحاقَ وَ یَعْقُوبَ وَ اَلْأَسْباطِ وَ ما أُوتِیَ مُوسیٰ وَ عِیسیٰ وَ ما أُوتِیَ اَلنَّبِیُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاٰ نُفَرِّقُ بَیْنَ
أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣۶) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ ما آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اِهْتَدَوْا وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما هُمْ فِی شِقاقٍ فَسَیَکْفِیکَهُمُ اَللّهُ وَ هُوَ
اَلسَّمِیعُ اَلْعَلِیمُ (١٣٧)

سبب النّزول

عن ابن عباس أن جماعه من علماء الیهود و نصاری أهل نجران خاصموا أهل الإسلام،کل فرقه تقول إنها أحق بدین اللّه من غیرها،فقالت الیهود:نبینا موسی أفضل الأنبیاء،و کتابنا التوراه أفضل الکتب،و قالت النصاری:عیسی أفضل الأنبیاء،و کتابنا الإنجیل أفضل الکتب،و کل فریق منهما قال للمؤمنین:

کونوا علی دیننا،فأنزل اللّه تعالی هذه الآیه.

ص:٣٩٢

اشاره

نحن على حقّ لا غيرنا!

التمحور و الانغماس فى الذاتيه يؤدى إلى أن يحتكر الإنسان الحقّ لنفسه، و يعتبر الآخرين على باطل،و يسعى إلى أن يجرهم الى معتقداته الآيه الاولى تتحدث عن مجموعه من أهل الكتاب يحملون مثل هذه النظره الضيقه،و نقلت عنهم القول: وَ قالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصارىٰ تَهْتَدُوا .

فيردّ عليهم القرآن مؤكدا أن الأديان المحرّفه لا تستطيع إطلاقا أن تهدى الإنسان قُلْ بَلْ مِلَّهَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ .

التدين الخالص هو اتباع الخط التوحيدى الخالص غير المشوب بالشرك.

و رعايه هذا الأساس أهم معيار للتمييز بين الأديان الصحيحه و الأديان المنحرفه.

يعلمنا الإسلام أن لا نفرق بين الرسل،و أن نحترم رسالاتهم،لأن المبادئ الأساسيه للأديان الحقّه واحده،موسى و عيسى كانا أيضا من أتباع مله إبراهيم...

أى من أتباع الدين التوحيدى الخالص من الشرك،و إن حرّف المغرضون من أتباعهما ما جاءا به،و جعلوه مشوبا بالشرك.و(كلامنا هذا لا يتنافى طبعا مع إيماننا بأن البشريه يجب أن تتبع آخر الأديان السماويه أى الإسلام).

الآيه التاليه تأمر المسلمين أن قُولُوا آمَنّا بِاللّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا وَ ما أُنْزِلَ إِلىٰ إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطِ وَ ما أُوتِيَ مُوسىٰ وَ عِيسىٰ وَ ما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ،لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ .

لا يجوز أن ننطلق من محور الذاتيه فى الحكم على هذا النّبى أو ذاك،بل يجب أن ننظر إلى الأنبياء بمنظار رسالى،و نعتبرهم جميعا رسل ربّ العالمين و معلّمى البشريه،قد أدّى كل منهم دوره فى مرحله تاريخيه معينه،و كان هدفهم واحدا، و هو هدايه النّاس فى ظل التوحيد الخالص و الحق و العداله.

ثم يضيف القرآن قائلا: فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ ما آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما

هُمْ فِی شِقٰاقٍ

.

و لو تخلی هؤلاء عن عنصریتهم و ذاتیاتهم،و آمنوا بجمیع أنبیاء اللّه فقد اهتدوا أیضا،و إلاّ فقد ضلوا سواء السبیل.

و«الشّقاق»النزاع و الحرب،و فسرت فی الآیه بالکفر و بالضلال،و بالابتعاد عن الحق و الاتجاه نحو الباطل،و کل هذه المعانی تعود إلی حقیقه واحده.

ذکر بعض المفسرین أن الآیه السابقه التی ساوت بین عیسی و سائر الأنبیاء.

أثارت اعتراض جمع من النصاری و قالوا:إن عیسی لیس کسائر الأنبیاء،بل هو ابن اللّه،فنزلت هذه الآیه لتؤکد علی انحراف هؤلاء و أنهم فی شقاق.

ثم تثبت الآیه علی قلوب المؤمنین و تبعث فیهم الثقه و الطمأنینه بالقول:

فَسَیَکْفِیکَهُمُ اللّٰهُ وَ هُوَ السَّمِیعُ

لأقوالهم اَلْعَلِیمُ بمؤامراتهم.

بحوث

اشاره

١-وحده دعوه الأنبیاء

فی مواضع عدیده أکد القرآن علی أن هدف الأنبیاء واحد،و لا انفصال فی خط النبوات،فکل الأنبیاء علیهم السّلام یصدرون عن منبع الوحی الإلهی،و لذلک یوصی القرآن باحترام جمیع الأنبیاء،لکن هذا لا یمنع-کما قلنا-أن تنسخ کلّ رساله جدیده تنزل من اللّه سبحانه الرسالات السابقه،و الإسلام خاتم الرسالات السماویه.

أنبیاء اللّه کالمعلمین،ربّی کل منهم البشریه فی فصل دراسی،و بعد انتهاء المرحله الدراسیه الخاصه به یسلم المجتمع البشری إلی معلم آخر لیجتاز الأفراد مرحله دراسیه أعلی.و من هنا فالمجتمع البشری مکلّف بتحمل مسئولیات ما یأتی به آخر نبی،و هذا لا یتعارض مع کون سائر الأنبیاء علی حق.

۲-من هم الأسباط؟

الأسباط جمع سبط،و الأسباط أحفاد يعقوب،و هم اثنا عشر سبطا من اثنى عشر ابنا،أو أنهم قبائل من بنى إسرائيل،و السّبط فى اللغه:الجماعه يرجعون إلى أب واحد،و السبط(على وزن درج)قد يأتى بمعنى:الشجر،و الأسباط الذين هم من شجره واحده،و يقال:سبط عليه العطاء،إذا تابع عليه حتى يصل بعضه ببعض.

المقصود من الأسباط-إذن-ليس أبناء يعقوب،فهؤلاء ارتكبوا جميعا ذنبا بحق أخيهم و لا يصلحون للنبوّه،بل المقصود قبائل بنى إسرائيل،أو أحفاد يعقوب ممن كان لهم أنبياء.و لما كان بين هؤلاء الأسباط أنبياء،فالآيه عدتهم بين أولئك الذين نزلت عليهم آيات اللّه.

۳-الحنيف

الحنيف،من ماده حنف:أى مال عن الأديان الباطله إلى الدين الحق،و به سميت الحنيفيه،لأنها مالت عن اليهوديه و النصرانيه.و عكس ذلك«جنف»أى مال عن الطريق المستقيم إلى الانحراف.و لهذا السبب كان أحد معانى الحنيف هو المستقيم و الذى لا عوج فيه.

و للمفسرين آراء فى الحنيفيه،منها حج بيت اللّه،و أتباع الحق،و أتباع إبراهيم،و الإخلاص فى العمل،و كلها ترجع إلى معنى عام و شامل،ما ذكره المفسرون مصاديق لذلك.

ص:۳۹۵

الآیات [سوره البقره (۲): الآیات ۱۳۸ الی ۱۴۱]

اشاره

صِبْغَهَ اَللّٰهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اَللّٰهِ صِبْغَهً وَ نَحْنُ لَهُ عٰابِدُونَ (۱۳۸) قُلْ أَ تُحَاجُّونَنٰا فِی اَللّٰهِ وَ هُوَ رَبُّنٰا وَ رَبُّکُمْ وَ لَنٰا أَعْمٰالُنٰا وَ لَکُمْ أَعْمٰالُکُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (۱۳۹) أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرٰاهِیمَ وَ إِسْمٰاعِیلَ وَ إِسْحٰاقَ وَ یَعْقُوبَ وَ اَلْأَسْبٰاطَ کٰانُوا هُوداً أَوْ نَصٰاریٰ قُلْ أَ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اَللّٰهُ وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ کَتَمَ شَهٰادَهً عِنْدَهُ مِنَ اَللّٰهِ وَ مَا اَللّٰهُ بِغٰافِلٍ عَمّٰا تَعْمَلُونَ (۱۴۰) تِلْکَ أُمَّهٌ قَدْ خَلَتْ لَهٰا مٰا کَسَبَتْ وَ لَکُمْ مٰا کَسَبْتُمْ وَ لاٰ تُسْئَلُونَ عَمّٰا کٰانُوا یَعْمَلُونَ (۱۴۱)

التّفسیر

اشاره

التّخلّی عن غیر صبغه اللّه:

بعد الدّعوه التی وجهتها الآیات السابقه لإتّباع الأدیان بشأن انتهاج طریق جمیع الأنبیاء،أول آیه فی بحثنا تأمرهم جمیعا بترک کل صبغه،أی دین،غیر «صبغه اللّه» (۱) .

ص: ۳۹۶

۱- ۱) -«صبغه»منصوبه علی أنّها مفعول مطلق لفعل محذوف أی(اصطبغوا)صبغه اللّه،أو أنّها بدل من«مله إبراهیم»

ثم تضيف الآيه: وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً ؟!أى لا أحسن من اللّه صبغه، وَ نَحْنُ لَهُ عٰابِدُونَ فى اتباع ملّه إبراهيم التى هى صبغه اللّه،و قيل المعنى:من نحن له عابدون يجب أن تتبع صبغته،لا ما صبغنا عليه الآباء و الأجداد (۱) .

و بهذا أمر القرآن بالتخلى عن الصبغات العنصريه و الطائفيه و الذاتيه و عن كل الصّبغات المفرّقه،و الاتّجاه نحو صبغه اللّه.

ذكر المفسرون أن النصارى دأبوا على غسل أبنائهم بعد ولادتهم فى ماء أصفر اللون،و يسمونه غسل التعميد،و يجعلون ذلك تطهيرا للمولود من الذنب الذاتى الموروث من آدم! القرآن يرفض هذا المنطق الخاوى،و يقول:من الأفضل أن تتركوا هذه الصبغات الظاهريه الخرافيه المفرقه،و تصطبغوا بصبغه اللّه،لتطهر روحكم.

ما أجمل تعبير«الصبغه»فى هذه الآيه!و ما أروع هذه الدعوه إلى الاصطباغ بصبغه اللّه! لو حدث ذلك...لو اختارت البشريه صبغه اللّه...أى صبغه الطهر و التقوى و العداله و المساواه و الأخوّه...صبغه التوحيد و الإخلاص...لاستطاعت أن تستأصل جذور الشرك و النفاق و التفرقه...إنّها فى الحقيقه الصبغه التى لا لون بها و تطهر الإنسان من جميع الألوان.

و

عن الإمام الصادق عليه السّلام: أن«صبغه اللّه»هى الإسلام (۲) ، و هذا إشاره إلى ما ذكرناه.

كان اليهود و غيرهم يحاجّون المسلمين بصور شتّى،كانوا يقولون:إنّ جميع الأنبياء مبعوثون منا،و إن ديننا أقدم الأديان،و كتابنا أعرق الكتب السماويه.

(۱)

فى الآيات المتقدمه،أو مفعول به لفعل محذوف و التقدير(اتبعوا صبغه اللّه)و اللّه أعلم!

۱- ۱) -مجمع البيان،الآيه.

۲- ۲) -نور الثقلين،ج ۱،ص ۱۳۲.

و كانوا يقولون:إن عنصرنا أسمى من عنصر العرب،و نحن المؤهلون لحمل الرساله لا غيرنا،لأن العرب أهل أوثان.

و كانوا يدّعون أحيانا أنهم أبناء اللّه و أن الجنّه لهم لا لغيرهم.

القرآن يردّ على كلّ هذه الأقاويل و يقول: أَ تُحَاجُّونَنا فِي اللّهِ وَ هُوَ رَبُّنا وَ رَبُّكُمْ .

فاللّه سبحانه ليس ربّ شعب أو قبيله معينه،إنه ربّ العالمين.

و اعلموا أيضا أن لا امتياز لأحد على غيره إلاّ بالأعمال،و كل شخص رهن أعماله وَ لَنا أَعْمالُنا وَ لَكُمْ أَعْمالُكُمْ .

مع فارق،هو إن كثيرا منكم يشركون فى توحيدهم: وَ نَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ .

الآيه التاليه تجيب على واحد آخر من هذه الادعاءات الفارغه و تقول: أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطَ كانُوا هُوداً أَوْ نَصارى ؟! ثم تجيب الآيه عن هذا الادعاء بشكل رائع فتقول: قُلْ أَ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ ؟! فاللّه أعلم أنهم ما كانوا يهودا و لا نصارى.

و قد تعلمون أنتم أيضا أن هؤلاء الأنبياء أدّوا رسالتهم قبل موسى و عيسى.

و إن كنتم لا تعلمون فإطلاق مثل هذه الأقوال بدون علم و تثبيت تهمه و ذنب، و كتمان للحقيقه وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللّهِ .

اعلموا أنه وَ مَا اللّهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ .

حين ينتهج الإنسان خط العناد و اللجاج فإن إعراضه عن الحقيقه لا حدّ له، ينكر أبسط المسلّمات،و يرفض أوضح الواضحات.و الآيه تذكر نموذجا لذلك فى هذه المجموعه التى بلغ بها العناد و اللجاج أن تعتبر أنبياء اللّه-الذين سبقوا موسى و عيسى من أمثال إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب-من اليهود أو النصارى.

و بذلك يكتمون حقيقه واضحه لها ارتباط بإيمان النّاس و معتقداتهم،و لذلك يصف

القرآن هؤلاء الـذين يكتمون الحقائق بأنهم أظلم النّاس،لأنه لا ظلم أكبر من كتمان الحقائق عن النّاس عمـدا،و جرّ الآخرين إلى طريق الضلال.

فى آخر آيه من الآيات التى نحن بصددها يقول سبحانه لهؤلاء القوم العنودين الجدليين:افترضوا أن ادعاءاتكم صحيحه،فهذا لا يعود عليكم بالنفع لأنه تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَها ما كَسَبَتْ وَ لَكُمْ ما كَسَبْتُمْ وَ لا تُسْئَلُونَ عَمّا كانُوا يَعْمَلُونَ .

الامّه الحيه ينبغى أن تعتمد على أعمالها لا على ذكريات تاريخها،و الإنسان يجب أن يستند إلى فضائله،لا أن يجترّ مفاخر الآباء و الأجداد.

الجزء الثانی من القرآن الکریم من الآیه مائه و اثنتین و أربعین إلی الآیه مائه و سبع و ثمانین من سوره البقره

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۱۴۲]

اشاره

سَیَقُولُ اَلسُّفَهٰاءُ مِنَ اَلنّٰاسِ مٰا وَلاّٰهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ اَلَّتِی کٰانُوا عَلَیْهٰا قُلْ لِلّٰهِ اَلْمَشْرِقُ وَ اَلْمَغْرِبُ یَهْدِی مَنْ یَشٰاءُ إِلیٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِیمٍ (۱۴۲)

التّفسیر

اشاره

تغییر القبله

هذه الآیه و آیات تالیه تتحدث عن حادث مهم من حوادث التاریخ الإسلامی،کان له آثاره الکبیره فی المجتمع آنذاک.

رسول الإسلام صلّی اللّه علیه و اله و سلّم صلّی صوب(بیت المقدس)بأمر ربّه مدّه ثلاثه عشر عاما بعد البعثه فی مکه،و بضعه أشهر فی المدینه بعد الهجره.ثم تغیّرت القبله،و أمر اللّه المسلمین أن یصلّوا تجاه(الکعبه).

و اختلف المفسرون فی المدّه التی صلّی خلالها المسلمون بعد الهجره تجاه بیت المقدس،فذکروا مددا مختلفه تتراوح بین سبعه أشهر و سبعه عشر شهرا.

کانت الجماعه المسلمه تتعرض خلال کل هذه المدّه(مده صلاه المسلمین تجاه بیت المقدس)إلی لوم الیهود و تقریعهم،و کان الیهود یقولون عن المسلمین:

ص:۴۰۳

إن هؤلاء غير مستقلين لأنّهم يصلون تجاه قبلتنا،و هذا دليل أننا على حقّ.

كانت هذه الأقوال تؤلم الرّسول و صحبه،فالأمر الإلهى يوجب أن يصلوا تجاه بيت المقدس،و اليهود لا ينفكّون يرشقون المسلمين بوابل تهمهم و تقريعهم.

و بلغ الأمر أن الرّسول صلّى اللّه عليه و اله و سلّم بدأ يقلب وجهه فى السماء انتظارا للوحى.

و استمر الانتظار مدّه،حتى نزل الوحى يأمر بتغيير القبله،كان الرّسول صلّى اللّه عليه و اله و سلّم فى مسجد«بنى سالم»يصلى الظهر،فما إن أتمّ ركعتين حتى أمر جبرائيل أن يأخذ بعضد الرّسول و يدير وجهه تجاه الكعبه (١) .

لم يكفّ اليهود بعد هذا التغيير عن اعتراضاتهم،بل واصلوا حربهم الإعلاميه بشكل آخر،بدأوا يلقون التشكيكات بشأن هذا التغيير،و القرآن الكريم يتحدث عن هذه الاعتراضات: سَيَقُولُ السُّفَهٰاءُ مِنَ النّٰاسِ مٰا وَلاّٰهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِى كٰانُوا عَلَيْهٰا .

بدأوا يرددون:لو كانت القبله الاولى هى الصحيحه فلم هذا التغيير؟و إن كانت الثانيه صحيحه فلما ذا صلى المسلمون أكثر من ثلاثه عشر عاما تجاه بيت المقدس؟! و اللّه سبحانه يجيب على هذا الاعتراض،فأمر رسوله أن قُلْ لِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ يَهْدِى مَنْ يَشٰاءُ إِلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ .

فليس لمكان قداسه ذاتيه،إنما يكتسب قداسته بإذن اللّه،و كل مكان ملك للّه، و المهم هو الطاعه و الاستسلام لربّ العالمين.

تغيير القبله فى الواقع مرحله من مراحل الاختبار الإلهى،و كل مرحله خطوه على الصراط المستقيم نحو الهدايه الإلهيه.

ص: ۴۰۴

١- ١) -مجمع البيان،ج ١،ص ٢٢٣.

۱-«السفهاء»جمع«سفيه»أطلقت فى الأصل على من خفّت حركه جسمه، و قيل:زمام سفيه،أى كثير الاضطراب خفيف الوزن.ثم استعملت الكلمه فى خفه النفس لنقصان العقل فى الأمور الدينيه و الدنيويه.

۲-ذكرنا أن مسأله«النسخ»فى الأحكام و تغيير المنهج التربوى بتغير المراحل الزمانيه ليست مسأله غريبه جديده فى تاريخ الرسالات.لكن هؤلاء القوم العنودين الجدليين من اليهود اتخذوا من هذا التغيير ذريعه لإعلامهم المضاد،و القرآن يجيبهم بشكل يفحمهم.

۳-جمله يَهْدِى مَنْ يَشاءُ لا تعنى كما ذكرنا أن هدايه اللّه ليس لها حساب، لأن المشيئه الإلهيه تنطلق من«حكمه»اللّه،و من محاسبات المصالح و المفاسد.

ص :۴۰۵

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۱۴۳]

اشاره

وَ كَذٰلِكَ جَعَلْنٰاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدٰاءَ عَلَى اَلنّٰاسِ وَ يَكُونَ اَلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَ مٰا جَعَلْنَا اَلْقِبْلَةَ اَلَّتِي كُنْتَ عَلَيْهٰا إِلاّٰ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ اَلرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلىٰ عَقِبَيْهِ وَ إِنْ كٰانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاّٰ عَلَى اَلَّذِينَ هَدَى اَللّٰهُ وَ مٰا كٰانَ اَللّٰهُ لِيُضِيعَ إِيمٰانَكُمْ إِنَّ اَللّٰهَ بِالنّٰاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ (۱۴۳)

التّفسیر

اشاره

الأمّه الوسط

هـذه الآیه تشیر إلی جانب من أسباب تغییر القبله،تقول أوّلا: وَ كَذٰلِكَ جَعَلْنٰاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً أی کما جعلنا القبله وسطا،کذلک جعلناکم أمّه فی حاله اعتدال،لا یشوبها إفراط و لا تفریط فی کل جوانب حیاتها.

أما سبب کون قبله المسلمین قبله وسطا،فلأن النصاری-الذین یعیش معظمهم فی غرب الکره الأرضیه-یولون وجوههم صوب الشرق تقریبا حین یتجهون إلی قبلتهم فی بیت المقدس حیث مسقط رأس السید المسیح.و الیهود- الذین یتواجدون غالبا فی الشامات و بابل-یتجهون نحو الغرب تقریبا حین یقفون تجاه بیت المقدس.

ص :۴۰۶

أما«الكعبه»فكانت بالنسبه للمسلمين فى المدينه تجاه الجنوب،و بين المشرق و المغرب،و فى خط وسط.

و هذا ما يفهم من عباره«و كذلك»،و إن كان للمفسرين آراء اخرى فى هذه العباره لا تخلو من مناقشه.

القرآن يؤكد أن المنهج الإسلامى فى كل أبعاده-لا فى بعد القبله فقط-يقوم على أساس التوازن و الاعتدال.

و الهدف من ذلك لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً .

و«شهاده»الأمّه المسلمه على النّاس،و«شهاده»النّبى على المسلمين،قد تكون إشاره إلى الأسوه و القدوه،لأن الشاهد ينتخب من بين أزكى النّاس و أمثلهم.

فيكون معنى هذا التعبير القرآنى أن الأمّه المسلمه نموذجيّه بما عندها من عقيده و منهج،كما أن النّبى صلّى اللّه عليه و اله و سلّم فرد نموذجىّ بين أبناء الامّه.

الامّه المسلمه بعملها و بتطبيقها المنهج الإسلامى تشهد أن الإنسان بمقدوره أن يكون رجل دين و رجل دنيا...أن يكون إنسانا يعيش فى خضم الأحداث الاجتماعيه وفق معايير روحيه و معنويه.الامّه المسلمه بمعتقداتها و مناهجها تشهد بعدم وجود أى تناقض بين الدين و العلم،بل إن كلا منهما يخدم الآخر.

ثم تشير الآيه إلى واحد آخر من أسرار تغيير القبله فتقول: وَ ما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها إِلاّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْهِ .

الآيه لم تقل:يتبعك،بل قالت: يَتَّبِعُ الرَّسُولَ إشاره إلى أن هذا الإتباع إنما هو تسليم لأمر اللّه،و كل اعتراض إنما هو عصيان و تمرد على اللّه،و لا يصدر ذلك إلاّ عن مشرك جاهلى.

و عباره مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْهِ تعنى فى الأصل الرجوع على مؤخر

ص:۴۰۷

الرجل،و تعنى هنا الانتكاس و التراجع.

ثم تضيف الآيه: وَ إِنْ كانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ .

لو لا الهدايه الإلهيه،لما وجدت فى نفس الإنسان روح التسليم المطلق أمام أوامر اللّه.المهم أن يكون الإنسان المسلم مستسلما إلى درجه لا يحسّ معها بثقل مثل هذه الأوامر،بل يشعر بلذتها و حلاوتها.

و أمام وسوسه الأعداء المضللين و الأصدقاء الجاهلين،الذين راحوا يشككون فى صحه ما سبق من العبادات قبل تغيير القبله،تقول الآيه: وَ ما كانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ .

فأوامر اللّه مثل و صفات الطبيب لكل مرحله من مراحل العلاج نسخه خاصه، و كلها شافيه وافيه تضمن سعاده الإنسان و سلامته،و العمل بأجمعها صحيح لا غبار عليه.

بحوث

اشاره

١-أسرار تغيير القبله

تغيير القبله من بيت المقدس إلى الكعبه أثار لدى الجميع تساؤلات عديده، أولئك الذين قالوا إن الأحكام ينبغى أن تبقى ثابته راحوا يتساءلون عن سبب هذا التغيير،فلو كانت القبله الصحيحه هى الكعبه،فلما ذا لم يؤمر المسلمون بالصلاه نحوها منذ البدء،و إن كانت بيت المقدس فلم هذا التغيير؟! و أعداء الإسلام وجدوا الفرصه سانحه لبث سمومهم و لإعلامهم المضّاد.

قالوا إن تغيير القبله تمّ بدافع عنصرى،و زعموا أن النّبى اتجه أوّلا إلى قبله الأنبياء السابقين،ثم عاد إلى قبله قومه بعد تحقيق انتصاراته!و قالوا:إن محمّدا صلّى اللّه عليه و اله و سلّم أراد استعطاف أهل الكتاب بانتخابه بيت المقدس قبله له،و لمّا يئس منهم استبدل

الكعبه بها.

واضح مدى القلق و الاضطراب الذى تتركه هذه الوساوس على مجتمع لم يتغلغل نور العلم و الإيمان فى كل زواياه،و لم يتخلص بعد تماما من رواسب الشرك و العصبيه.

لذلك تصرّح الآيه أعلاه أن تغيير القبله اختبار كبير لتمييز المؤمنين من المشركين.

لا نستبعد أن يكون أحد أسباب تغيير القبله ما يلى:

لما كانت الكعبه فى بدايه البعثه المباركه بيتا لأصنام المشركين،فقد أمر المسلمون مؤقتا بالصلاه تجاه بيت المقدس،ليتحقّق الانفصال التام بين الجبهه الإسلاميه و جبهه المشركين.

و بعد الهجره و إقامه الدوله الإسلاميه و المجتمع الإسلامى،حدث الانفصال الكامل بين الجبهتين،و لم تعد هناك ضروره لاستمرار وضع القبله،حينئذ عاد المسلمون إلى الكعبه أقدم قاعده توحيديه،و أعرق مركز للأنبياء.

و من الطبيعى أن يستثقل الصلاه نحو بيت المقدس لأولئك الذين كانوا يعتبرون الكعبه الرصيد المعنوى لقوميتهم،و أن يستثقلوا أيضا العوده إلى الكعبه بعد أن اعتادوا على قبلتهم الاولى(بيت المقدس).

المسلمون بهذا التحوّل وضعوا فى بوتقه الاختبار،لتخليصهم ممّا علّق فى نفوسهم من آثار الشرك،و لتنقطع كل انشداداتهم بماضيهم المشرك،و لتنمو فى وجودهم روح التسليم المطلق أمام أوامر اللّه سبحانه.

إن اللّه سبحان ليس له مكان و محل-كما ذكرنا-و القبله رمز لوحده صفوف المسلمين و لإحياء ذكريات خط التوحيد،و تغييرها لا يغيّر شيئا،المهم هو الاستسلام الكامل أمام اللّه،و كسر أوثان التعصب و اللجاج و الأنانيه فى النفوس.

۲–الأمّه الوسط

«الوسط»ما توسط بين شيئين،و بمعنى الجميل و الشريف،و المعنيان يعودان ظاهرا إلى حقيقه واحده لأن الجمال و الشرف فيما اعتدل و ابتعد عن الإفراط و التفريط.

ما أجمل التعبير القرآنى عن الامّه المسلمه...الامّه الوسط.

الوسط:المعتدله فى«العقيده»لا- تسلك طريق«الغلو»و لا- طريق«التقصير و الشرک»،لا- تنحو منحى«الجبر»و لا-«التفويض»،و لا تؤمن«بالتشبيه»فى صفات اللّه و لا«بالتعطيل».

معتدله فى«القيم الماديه و المعنويه»لا تغطّ فى عالم الماده و تنسى المعنويات،و لا تغرق فى المعنويات و تتناسى الماديات.ليست كمعظم اليهود لا يفهمون سوى الماده،و ليست كرهبان النصارى يتركون الدنيا تماما.

معتدله فى«الجانب العلمى»...لا ترفض الحقائق العلميه،و لا تقبل كل نعره ترتفع باسم العلم.

معتدله فى«الرّوابط الاجتماعيه»لا- تضرب حولها حصارا يعزلها عن العالم، و لا تفقد استقلالها و تذوب فى هذه الكتله أو تلك،كما نرى الذائبين فى الشرق و الغرب اليوم! معتدله فى«الجانب الأخلاقى»...فى عباداتها...فى تفكيرها...و فى جميع أبعاد حياتها.

المسلم الحقيقى لا يمكن إطلاقا أن يكون إنسانا ذا بعد واحد،بل هو إنسان ذو أبعاد مختلفه...مفكر،مؤمن،عادل،مجاهد،مكافح،شجاع،عطوف،واع، فعّال،ذو سماح.

عباره الامّه الوسط توضّح من جانب مسأله شهاده الامّه الإسلاميه،لأن من يقف على خطّ الوسط يستطيع أن يشهد كل الخطوط الانحرافيه المتجهه نحو

ص:۴۱۰

اليمين و اليسار.

و من جانب آخر تحمل العباره دليلها و تقول:«إنّما كنتم شهداء على النّاس لأنّكم معتدلون و أنكم أمه وسط» (۱) .

۳-الامّه الشاهده

لو اجتمعت الصفات التي ذكرناها للأمّه الوسط فی أمّه،فهذه الامّه دون شك رائده للحق،و شاهده على الحقيقه،لأن مناهجها تشكل الميزان و المعيار لتمييز الحق عن الباطل.

ورد عن أئمه أهل البيت عليهم السّلام قولهم: «نحن الامّه الوسطى،و نحن شهداء اللّه على خلقه و حججه فی أرضه...نحن الشّهداء على النّاس...إلينا يرجع الغالی و بنا يرجع المقصّر»

(۲)

مثل هذه الروايات-كما ذكرنا-لا تحدد المفهوم الواسع للآيه، بل تبين المصداق الأمثل للأمّه الوسط،و تعطی نموذجا متكاملا لها.

۴-علم اللّه

عباره لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ... و أمثالها من التعبيرات القرآنيه،لا تعنی أن اللّه لم يكن يعلم شيئا،ثم علم به بعد ذلك،بل تعنی تحقّق هذه الواقعيات.

بعباره أوضح،اللّه سبحانه يعلم منذ الأزل بكل الحوادث و الموجودات،و إن ظهرت بالتدريج على مسرح الوجود.فحدوث الموجودات و الأحداث لا يزيد اللّه علما،بل إن هذا الحدوث تحقّق لما كان فی علم اللّه.و هذا يشبه علم المهندس بكل تفاصيل البناء عند وضعه التصميم.ثم يتحول التصميم إلى بناء عملی.

و المهندس يقول حين ينفّذ تصميمه على الأرض:أريد أن أرى عمليا ما كان فی

۱- ۱) -المنار،تفسير الآيه المذكوره.

۲- ۲) -نور الثقلين،ج ۱،ص ۱۳۴.

علمی نظریـا.(علم اللّه یختلف دون شـک عن علم البشـر اختلافـا کبیرا کما ذکرنا ذلک فی بحث صـفات اللّه،و إنما ذکرنا هـذا المثال للتوضیح).

عبـاره وَ إِنْ کٰانَتْ لَکَبِیرَهً إِلاّٰ عَلَی الَّذِینَ هَدَی اللّٰهُ توضّـح حقیقه الصـعوبه فی مخالفه العاده الجاریه،و فی التخلص من سـیطره العواطف غیر الصحیحه،إلاّ علی الذین آمنوا باللّه حقّا،و استسلموا لأوامره.

ص :۴۱۲

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۱۴۴]

اشاره

قَدْ نَرىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِکَ فِی اَلسَّمٰاءِ فَلَنُوَلِّیَنَّکَ قِبْلَهً تَرْضٰاهٰا فَوَلِّ وَجْهَکَ شَطْرَ اَلْمَسْجِدِ اَلْحَرٰامِ وَ حَیْثُ مٰا کُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَکُمْ شَطْرَهُ وَ إِنَّ اَلَّذِینَ أُوتُوا اَلْکِتٰابَ لَیَعْلَمُونَ أَنَّهُ اَلْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَ مَا اَللّٰهُ بِغٰافِلٍ عَمّٰا یَعْمَلُونَ (۱۴۴)

التّفسیر

اشاره

کل الوجوه شطر الکعبه

ذکرنا أن بیت المقدس کان القبله الاولی المؤقته للمسلمین.و الرّسول صلّی اللّه علیه و اله و سلّم کان ینتظر الأمر الإلهی بتغییر القبله،خاصه و أن الیهود استغلّوا مسأله اشتراک المسلمین معهم فی القبله،لیوجهوا سهام إعلامهم المضاد للمجموعه المسلمه، مرددین أن المسلمین لا استقلال لهم،و أنهم لا یعرفون معنی القبله و إنما اقتبسوه منّا،و أن قبولهم قبلتنا یعنی اعترافهم بدیننا!و أمثال هذه الأقاویل.

الآیه تشیر إلی هذه المسأله و تقول:

قَدْ نَرىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِکَ فِی السَّمٰاءِ،فَلَنُوَلِّیَنَّکَ قِبْلَهً تَرْضٰاهٰا،فَوَلِّ وَجْهَکَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرٰامِ،وَ حَیْثُ مٰا کُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَکُمْ شَطْرَهُ

.

ذکرت الروایه-کما أشرنا من قبل-أن هذا الأمر الإلهی نزل فی لحظه

حساسه ملفته للأنظار،حين كان الرّسول و المسلمون يؤدون صلاه الظهر.فأخذ جبرائيل بذراع الرّسول صلّى اللّه عليه و اله و سلّم و أدار وجهه نحو الكعبه.و تذكر الروايه أن صفوف المسلمين تغيّرت على أثر ذلك،و ترك النساء مكانهنّ للرجال و بالعكس. (كان اتجاه بيت المقدس نحو الشمال تقريبا،بينما كان اتجاه الكعبه نحو الجنوب).

من المفيد أن نذكر أنّ تغيير القبله من علامات نبى الإسلام المذكوره فى الكتب السابقه.فقد كان أهل الكتاب على علم بأن النّبى المبعوث«يصلّى إلى القبلتين».

لذلك تضيف الآيه: وَ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ .

أضف إلى ذلك أن دلائل نبوّه رسول الإسلام،تحرره من التأثر بعادات بيئته الاجتماعيه،و تركه الكعبه التى كانت موضع تقديس العرب، و اتجاهه نحو قبله أقليه محدوده.

ثم تقول الآيه: وَ مَا اللّٰهُ بِغٰافِلٍ عَمّٰا يَعْمَلُونَ .

فهؤلاء الذين يكتمون ما جاء فى كتبهم بشأن تغيير قبله نبى الإسلام، و يستغلون هذه الحادثه لإثاره ضجه بوجه المسلمين،بدل أن يتخذوها دليلا على صدق دعوى النّبى،سيلاقون جزاء أعمالهم،و اللّه ليس بغافل عن أعمالهم و نياتهم.

بحوث

اشاره

۱-نظم الآيات

محتوى هذه الآيه يبيّن بوضوح أنها نزلت قبل الآيه التى سبقتها فى الترتيب القرآنى.ذلك لأن القرآن لم تجمع آياته حسب نزوله،بل كان ترتيب الآيات يتم استنادا إلى مناسبات معينه بتعيين من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم و بأمر من البارى سبحانه.

(و من تلك المناسبات مثلا رعايه الأولويه و أهميه الموضوعات).

٢-انتظار صعب!

يستفاد من هذه الآيه أن النّبى صلّى اللّه عليه و اله و سلّم كان مرتبطا بالكعبه ارتباطا خاصا، و منتظرا لأمر تغيير القبله،و لعلنا نستطيع أن نتلمس سبب ذلك فى ارتباط النّبى صلّى اللّه عليه و اله و سلّم بإبراهيم عليه السّلام،أضف إلى ذلك أن الكعبه أقدم قاعده توحيديه،و أنه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم كان يعلم بوقوع هذا التغيير،و كان يترقب حدوثه.

و هنا تبرز ظاهره الاستسلام المطلق للرسول،حيث لم يتردد على لسانه طلب بهذا الشأن،بل كان يقلب طرفه فى السماء منتظرا بتلهّف نزول الوحى.

و تعبير«السماء»فى الآيه قد يشير إلى انتظاره هبوط«جبرائيل»من الأعلى،و إلاّ فاللّه لا مكان له،و هكذا وحيه المرسل.

٣-معنى الشطر

يثير الالتفات أن الآيه لم تأمر المسلمين أن يصلوا تجاه الكعبه،بل«شطر المسجد الحرام».

لعل ذلك يعود إلى صعوبه بل تعذّر محاذاه الكعبه على المصلين البعيدين عن الكعبه.لذلك ذكر المسجد الحرام بدل الكعبه لأنه أوسع،ثم كلمه«شطر»تعنى السمت و الجانب،و بذلك كان الاتجاه شطر المسجد الحرام عملا ميسورا للجميع، و خاصه لصفوف الجماعه الطويله التى يزيد طولها غالبا على طول الكعبه.

بديهى أن المحاذاه الدقيقه للكعبه-و حتى للمسجد الحرام-عمل صعب على المصلين البعيدين،لكن الوقوف شطره يخلو من كل صعوبه (١) .

١- ١) -من المفسرين من قال إن أحد معانى«شطر»:النصف،و من هنا فإن مفهوم«شطر المسجد الحرام»يساوى

۴-خطاب عام

کـل خطابـات القرآن هی دون شـک-شـامله لکـل المسـلمین-و إن اتجهت إلی النّبی صـلّی اللّه علیه و اله و سـلّم(اللهم إلاّ فی مواضع دل الـدلیل علی أنّهـا خاصّه بالنّبی)،من هنا یطرح سؤال بشأن سـبب اتّجاه الآیه الّتی نحن بصـددها فی الخطاب إلی النّبی تاره تأمره أن یصلی شطر المسجد الحرام،و تاره اخری إلی عامه المسلمین.

هـذا التکرار قـد یعـود إلی أنّ تغییر القبله مسـأله مـثیره حسـاسه،و من الممکن أن تـؤدی الضـجه الـتی تثیرهـا هـذه المسـأله إلی اضـطراب بین المسـلمین،و قـد یتذرع بعض فی وسط هذه الضـجه بأن الخطاب«فولّ وجهک»موجّه إلی النّبی خاصه، فلا یصـلی تجـاه الکعبه.لـذلک خاطبت الآیه الرّسول مره و عامه المسـلمین مرّه اخری لتؤکـد أن هـذا التغییر غیر خاص بالرّسول،بل یشـمل عامّه المسلمین أیضا.

۵-هل الهدف من هذا التغییر تحقیق رضی النّبی؟

عبـاره«قبله ترضاهـا»قـد تـوهم أن هـذا التغییر تم إرضـاء للنـبی صـلّی اللّه علیه و اله و سـلّم،و یزول هـذا التوهم لو علمنـا أن بیت المقدس کان قبله مؤقته،و أن النّبی کان ینتظر القبله النهائیه،و بصدور أمر التغییر وضع حد لطعن الیهود من جهه،و توفرت أرضیه اسـتماله أهل الحجاز المرتبطین ارتباطا خاصا بالکعبه نحو الإسـلام من جهه اخری،کما أن إعلان بیت المقدس کقبله اولی أزال عن الإسلام الطابع القومی، و أسقط اعتبار الأصنام المتواجده فی الکعبه.

۶-الکعبه مرکز دائره کبری

لو نظر شخص من خارج الکره الأرضیه إلی المصلین المسلمین لرأی دوائر

(۱)

مفهوم«وسط المسجد الحرام»و نعلم أن الکعبه تقع وسط المسجد الحرام.(التّفسیر الکبیر،الفخر الرازی،الآیه المذکوره).

متعدده بعضها داخل بعض و تضيق بالتدريج لتصل إلى المركز الأصلى المتمثل بالكعبه.و هذه الصوره توضح محوريه و مركزيه بيت اللّه الحرام.و هذه ظاهره متميزه فى الإسلام دون سواه من الأديان.

جدير بالذكر أن ضروره اتجاه المسلمين شطر المسجد الحرام كان باعثا على تطور علم الهيئه و علم الجغرافيا و الفلك عند المسلمين بسرعه مدهشه خلال العصور الإسلاميه الاولى،لأن معرفه جهه القبله فى مختلف بقاع الأرض ما كانت متيسّره من دون معرفه بهذه العلوم.

ص: ۴۱۷

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۱۴۵]

اشاره

وَ لَئِنْ أَتَیْتَ اَلَّذِینَ أُوتُوا اَلْکِتٰابَ بِکُلِّ آیَهٍ مٰا تَبِعُوا قِبْلَتَکَ وَ مٰا أَنْتَ بِتٰابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَ مٰا بَعْضُهُمْ بِتٰابِعٍ قِبْلَهَ بَعْضٍ وَ لَئِنِ اِتَّبَعْتَ أَهْوٰاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَکَ مِنَ اَلْعِلْمِ إِنَّکَ إِذاً لَمِنَ اَلظّٰالِمِینَ (۱۴۵)

التّفسیر

اشاره

لا یرضون بأیّ ثمن

مرّ بنا فی تفسیر الآیه السابقه أن تغییر القبله من بیت المقدس إلی الکعبه لا یمکن أن یثیر شبهه حول النّبی،بل إنه من دلائل صحه دعواه،فأهل الکتاب قد قرءوا عن صلاه النّبی الموعود إلی قبلتین،لکن تعصبهم منعهم من قبول الحق.

و الإنسان،حین لا یواجه المسائل بقناعات مسبقه،یکون مستعدا للتفاهم و لتصحیح تصوراته بالدلیل و المنطق،أو عن طریق إراءه المعجزه.

أمّا حینما یکون قد کوّن له رأیا مسبقا قاطعا،و خاصّه حین یکون مثل هذا الفرد جاهلا متعصبا،فلا یمکن تغییر رأیه بأی ثمن.

لذلک تقول الآیه: وَ لَئِنْ أَتَیْتَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتٰابَ بِکُلِّ آیَهٍ مٰا تَبِعُوا قِبْلَتَکَ .

فلا تتعب نفسک إذن،لأن هؤلاء یأبون الاستسلام للحق،و لا توجد فیهم روح طلب الحقیقه.

ص: ۴۱۸

كل الأنبياء واجهوا مثل هؤلاء الأفراد،و هم إمّا أثرياء متنفذون،أو علماء منحرفون،أو جاهلون متعصبون.

ثم تضيف الآيه: وَ مٰا أَنْتَ بِتٰابِعٍ قِبْلَتَهُمْ .

أى إن هؤلاء لا يستطيعون مهما افتعلوا من ضجيج،أن يغيروا مرّه اخرى قبله المسلمين،فهذه هى القبله الثابته النهائيه.

و هذا التعبير القاطع الحاسم أحد سبل الوقوف بوجه الضجيج المفتعل،و من الضرورى فى مثل هذه الظروف أن يعلن الإنسان المسلم أمام الأعداء كلمته صريحه قويه،مؤكدا أنه لا ينثنى أمام هذه الانفعالات.

ثم تقول الآيه: وَ مٰا بَعْضُهُمْ بِتٰابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ .

لا النصارى بتابعين قبله اليهود،و لا اليهود بتابعين قبله النصارى.

و لمزيد من التأكيد و الحسم ينذر القرآن النّبى و يقول: وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوٰاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّکَ إِذاً لَمِنَ الظّٰالِمِينَ .

و فى القرآن يكثر مثل هذا اللون من الخطاب التهديدى للنبى بأسلوب القضيه الشرطيه،و الهدف من ذلک ثلاثه أشياء:

الأوّل:أن يعلم الجميع عدم وجود أى تمييز بين النّاس فى إطار القوانين الإلهيه،و حتى الأنبياء مشمولون بهذه القوانين.و من هنا فلو صدر عن النّبى-على الفرض المحال-انحراف،فسيشمله العقاب الإلهى،مع استحاله صدور ذلک عن النّبى(بعباره اخرى القضيه الشرطيه لا تدل على تحقق الشرط).

الثّانى:أن يتنبّه النّاس إلى واقعهم،فإذا كان ذلک شأن النّبى،فمن الأولى أن يكونوا هم أيضا واعين لمسؤولياتهم،و أن لا يستسلموا إطلاقا لميول الأعداء و ضجاتهم المفتعله.

الثّالث:أن يتّضح عدم قدره النّبى على تغيير أحكام اللّه،و عدم إمكان الطلب إليه أن يغير حكما من الأحكام،فهو عبد أيضا خاضع لأمر اللّه تعالى.

الآیتان [سوره البقره (٢): الآیات ١۴۶ الی ١۴٧]

اشاره

اَلَّذِینَ آتَیْنٰاهُمُ اَلْکِتٰابَ یَعْرِفُونَهُ کَمٰا یَعْرِفُونَ أَبْنٰاءَهُمْ وَ إِنَّ فَرِیقاً مِنْهُمْ لَیَکْتُمُونَ اَلْحَقَّ وَ هُمْ یَعْلَمُونَ (١۴۶) اَلْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ فَلاٰ تَکُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِینَ (١۴٧)

التّفسیر

اشاره

یعرفون حقّ المعرفه و لکن...

استمرارا لحدیث القرآن عن تعصب مجموعه من أهل الکتاب و لجاجهم، تقول الآیه: اَلَّذِینَ آتَیْنٰاهُمُ الْکِتٰابَ یَعْرِفُونَهُ کَمٰا یَعْرِفُونَ أَبْنٰاءَهُمْ .

إنهم یعرفون النّبی صلّی اللّه علیه و اله و سلّم و اسمه و علاماته من خلال کتبهم الدینیه، وَ إِنَّ فَرِیقاً مِنْهُمْ لَیَکْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ یَعْلَمُونَ .

و هناک طبعا فریق سارع لاعتناق الإسلام بعد أن رأی هذه الصفات و العلامات فی نبی الإسلام،مثل عبد اللّه بن سلام و هو من علماء الیهود،و نقل عنه بعد إسلامه قوله«أنا أعلم به منی بابنی» (١) .

هذه الآیه تمیط اللثام فی الواقع عن حقیقه هامّه،هی إن صفات نبی الإسلام

١- ١) -المنار،ج ٢،و التّفسیر الکبیر للفخر الرازی،فی تفسیر الآیه.

الجسميه و الروحيه و خصائصه كانت بقدر من الوضوح فى الكتب السماويه السابقه،بحيث ترسم الصوره الكامله فى أذهان المطلعين على هذه الكتب.

و هل من الممكن أن تصرح الآيه بوجود اسم النّبى و علاماته فى كتب أهل الكتاب إذا لم تكن بالفعل موجوده عندهم؟!ألا يدل عدم معارضه علماء اليهود لهذا التصريح،بل اعتراف بعضهم به و استسلامهم للحق،أن اسم النّبى الخاتم و صفاته كانت معروفه لديهم!؟ هذه الآيات-إذن-دليل على صدق دعوه الرّسول و صحّه نبوته.

ثم تؤكد الآيه ما سبق أن طرحته بشأن تغيير القبله،أو بشأن أحكام الإسلام بشكل عام: اَلْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ فَلاٰ تَکُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ أى المترددين.

و بهذه العباره تثبّت الآيه فؤاد النّبى،و تنهاه عن أى ترديد أمام افتراءات الأعداء بشأن تغيير القبله و غيرها،و إن جنّد هؤلاء الأعداء كل طاقاتهم للمحاربه.

المخاطب فى الآيه و إن كان شخص النّبى صلّى اللّه عليه و اله و سلّم،و لكن الهدف هو تربيه البشريه كما ذكرنا من قبل،فمن المؤكد أن النّبى المتصل بالوحى الإلهى لا يعتريه تردد،لأن الوحى بالنسبه له ذو جانب حسّى و عين اليقين.

الآيه [سوره البقره (۲): آيه ۱۴۸]

اشاره

وَ لِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهٰا فَاسْتَبِقُوا اَلْخَيْرٰاتِ أَيْنَ مٰا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اَللّٰهُ جَمِيعاً إِنَّ اَللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۱۴۸)

التّفسير

اشاره

لكلّ أمّه قبله

هـذه الآيه الكريمه ترد على الضجه التى أثارها اليهود حول تغيير القبله و تقول: وَ لِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهٰا كان للأنبياء على مرّ التاريخ و جهات عديده يولونها،و ليست القبله كأصول الدين لا تقبل التغيير،و لا أمرا تكوينيا لا يمكن مخالفته،فلا تطيلوا الحديث فى أمر القبله،و بدل ذلك فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرٰاتِ ،لأن معيار القيمه الوجوديه للإنسان هى أعمال البرّ و الخير.

مثل هذا المعنى تضمنته الآيه ۱۷۷ من هذه السّوره: لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ لٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ الْمَلاٰئِكَهِ وَ الْكِتٰابِ وَ النَّبِيِّينَ .

إن كنتم تريدون اختبار الإسلام أو المسلمين،فاختبروهم بهذه الأمور لا بمسأله تغيير القبله.

ص :۴۲۲

ثم تتغير لهجه الآيه إلى نوع من التحـذير و التهديد لأولئك المفترين، و التشـجيع للمحسـنين فتقول: أَيْنَ مٰا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللّٰهُ جَمِيعاً فى تلك المحكمه الكبرى حيث يتلقى كل جزاء عمله.

لا يتساوى المفترون و المشاغبون المخربون مع المحسنين المؤمنين،و لا بدّ من يوم ينال كل فريق جزاءه.

و قـد يخـال بعض أن جمع النّاس لمثل هـذا اليوم عجيب،فكيف تجتمع ذرات التراب المتناثره لترتـدى ثانيه حلّه الحياه؟!لـذلك تجيب الآيه بالقول: إِنَّ اللّٰهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

هذه العباره الأخيره فى الآيه بمثابه الدليل على العباره السابقه: أَيْنَ مٰا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللّٰهُ جَمِيعاً .

بحثان

اشاره

١-يوم يجتمع أصحاب المهدى عليه السّلام

ورد عن أئمه أهـل البيت عليهم السّـلام فى تفسـير أَيْنَ مٰا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللّٰهُ جَمِيعاً أن المقصود بهم أصـحاب المهـدى عليه السّلام.

من ذلك

ما ورد فى«روضه الكافى»عن«الإمام الباقر»عليه السّـلام أنه تلا الفقره المذكوره من الآيه ثم قال:«يعنى أصحاب القائم الثلاثمائه و البضعه عشر رجلا،و هم و اللّه الأمّه المعدوده،قال:يجتمعون و اللّه فى ساعه واحده قزع (١) كقزع الخريف»

(٢)

.

و روى عن الإمـام على بن موسـى الرضا عليه السّـلام أيضا: «و ذلك و اللّه أن لو قام قائمنا يجمع اللّه إليه جميع شـيعتنا من جميع البلدان»

(٣)

.

١- ١) -أى يجتمعون كاجتماع قطع السحب الخريفيه لدى هبوب الريح.

۲- ۲) -نور الثقلين،ج ۱،ص ۱۳۹.
۳- ۳) -مجمع البيان،الآيه.

هذا التّفسير للآيه دون شك يتحدث عن«بطن»الآيه،و الأحاديث ذكرت أن لكلام اللّه ظاهرا لعامه النّاس،و باطنا لخاصّتهم.

بعباره اخرى:هذه الروايات تشير إلى حقيقه،هى إن اللّه القادر على أن يجمع النّاس من ذرات التراب المتناثره فى يوم القيامه،لقادر على أن يجمع أصحاب المهدى فى ساعه بسهوله،من أجل انقداح الشراره الاولى للثوره العالميه الرّاميه إلى إقامه حكم اللّه على ظهر الأرض،و إزاله الظلم و العدوان عن وجهها.

٢-عباره وَ لِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهٰا فسرناها سابقا بأنها إشاره للقبلات المتعدده للأمم.و من المفسرين من توسع فى المعنى و قال إنها تعبّر عن القضاء و القدر التكوينيين أيضا(تأمل بدقه) (١) .

و لو خلت الآيه ممّا يحيطها من قرائن قبلها و بعدها لأمكن مثل هذا التّفسير، لكن القرائن تدل على أن المراد هو المعنى الأوّل.و لو افترضنا أن الآيه تشير إلى المعنى الثّانى،فلا تعنى إطلاقا القضاء و القدر الجبريين،بل القضاء و القدر المنسجمين مع الإراده و الإختيار (٢) .

١- ١) -تفسير الميزان،ج ١،ص ٣٣١.

٢- ٢) -لمزيد من التوضيح راجع(انگيزه پيدايش مذهب) دافع وجود الدين،فصل القضاء و القدر.

الآيتان [سوره البقره (٢): الآيات ١۴٩ الی ١۵٠]

اشاره

وَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ اَلْمَسْجِدِ اَلْحَرٰامِ وَ إِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَ مَا اَللّٰهُ بِغٰافِلٍ عَمّٰا تَعْمَلُونَ (١۴٩) وَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ اَلْمَسْجِدِ اَلْحَرٰامِ وَ حَيْثُ مٰا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاّٰ يَكُونَ لِلنّٰاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ اَلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلاٰ تَخْشَوْهُمْ وَ اِخْشَوْنِي وَ لِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١۵٠)

التّفسير

الخوف من اللّه فقط هذه الآيات تتابع الحديث عن مسأله تغيير القبله و نتائجها.

الآيه الاولى تأمر النّبى عليه السّلام و تقول: وَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ ...من أيه مدينه، و أيه ديار فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرٰامِ .

و لمزيد من التأكيد تقول الآيه: وَ إِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ .

و تنتهى الآيه بتهديد المتآمرين: وَ مَا اللّٰهُ بِغٰافِلٍ عَمّٰا تَعْمَلُونَ .

هذه التأكيدات المتواليه فى الآيه و فى الآيه التاليه تبيّن أن مسأله تغيير القبله كانت صعبه و ثقيله على مجموعه من المسلمين حديثى العهد بالإسلام،كما كانت

ص: ۴٢۵

ذريعه بيد أعداء الإسلام اللجوجين لبثّ سمومهم.

مثل هـذه الحاله تتطلب دائما موقفا قاطعا حاسـما ينهى كل شك و ريبه،من هنا توالت التأكيـدات القرآنيه القارعه لتبعث العزم و اليقين فى نفوس الأتباع، و تعمق اليأس و الخيبه بين الأعداء.و هذا أسلوب اتبعه القرآن فى مواقف عديده.

إضافه إلى ما سبق،فالتكرار فى هذه الآيات يتضمن أيضا أحكاما جديده.

على سبيـل المثال،الآيات السابقه و ضـحت حكم القبله فى المـدينه التى يسـكنها المسـلمون.و هـذه الآيه و الآيه التاليه أوضـحت الحكم لدى السفر و الخروج من المدن و الديار.

الآيه التاليه كررت الحكم العام بشأن التوجه إلى المسـجد الحرام فى أى مكان: وَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ .

صحيح أن هذه العباره القرآنيه تخاطب النّبى صلّى اللّه عليه و اله و سلّم،لكنها تقصد دون شك مخاطبه عامّه المسلمين،و لمزيد من التأكيد تخاطب الجمله التاليه المسلمين و تقول: وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ .

ثم تشير الآيه إلى ثلاث مسائل هامّه:

١-إلجام المعارضين-تقول الآيه: لِئَلّا يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ .

قبل تغيير القبله كانت ألسنه المعارضين من اليهود و المشركين تقذف المسلمين بالتهم و الحجج،اليهود يعترضون قائلين:إن النّبى الموعود يصلى إلى قبلتين،و هذه العلامه غير متوفره فى محمّد صلّى اللّه عليه و اله و سلّم،و المشركون يعترضون على النّبى صلّى اللّه عليه و اله و سلّم قائلين:كيف ترك محمّد الكعبه و هو يدعى أنّه بعث لإحياء ملّه إبراهيم.

هذا التغيير أنهى كل هذه الاعتراضات.

لكن هذا لا يمنع الأفراد اللجوجين المعاندين أن يصروا على مواقفهم،و أن يرفضوا كل منطق،لذلك تقول الآيه: إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ .

فهؤلاء لا يستقيمون على طريق،حتّى اتجهتم صوب بيت المقدس للصلاه

اتهموكم بالـذيليه و عـدم الأصـاله،و حين عـدلتم إلى الكعبه و صـفوكم بعـدم الثبـات! هؤلاـء المفترون ظـالمون حقا...ظـالمون لأنفسهم،و ظالمون لمن يقطعون عليه طريق الهدايه.

٢-حين وصف الآيه هؤلاء المعاندين أنهم ظالمون،فقد يثير هذا الوصف خوفا فى نفوس البعض لذلك قالت الآيه: فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنِى .

و هذه الفقره من الآيه تطرح أصـلا عاما أساسيا من أصول التربيه التوحيديه الإسلاميه،هو عدم الخوف من أى شىء سوى اللّه(أو بعباره أصح الخوف فقط من معصيه اللّه)،و إذا ترسخ هذا المبدأ التربوى فى نفوس الجماعه المسلمه،فلن تفشل و لن تنهزم قط.

أمـا المتظـاهرون بالإسـلام فهـم يخـافون مـن«الشـرق»تـاره،و مـن«الغرب» تـاره اخرى،و مـن«المنـافقين الـداخليين»و من«الأعـداء الخارجيين»و من كل شىء سوى اللّه.و هؤلاء دائما أذلاء ضعفاء مهزومون.

٣-و آخر هدف ذكر لتغيير القبله هو إتمام النعمه: وَ لِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ .

تغيير القبله كـان فى الواقع نوعـا من الـتربيه و التكامـل و النعمه للمسـلمين كى يتعرفوا على الانضـباط الإسـلامى و يتخلصوا من التقليد و التعصب، فاللّه سـبحانه أمر المسـلمين فى البدايه أن يصـلوا تجاه بيت المقدس كى تنعزل صـفوف المسلمين -كما قلنا- عن صـفوف المشـركين الذين كانوا يقدسون الكعبه.و بعد الهجره و إقامه الدوله الإسلاميه صدر الأمر بالصلاه نحو الكعبه...نحو أقدم بيت توحيدى، و بذلك تحقق اجتياز مرحله من مراحل تكامل المجتمع الإسلامى.

الآيتان [سوره البقره (٢): الآيات ١٥١ الى ١٥٢]

اشاره

كَمٰا أَرْسَلْنٰا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيٰاتِنٰا وَ يُزَكِّيكُمْ وَ يُعَلِّمُكُمُ اَلْكِتٰابَ وَ اَلْحِكْمَهَ وَ يُعَلِّمُكُمْ مٰا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (١٥١) فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَ اُشْكُرُوا لِي وَ لاٰ تَكْفُرُونِ (١٥٢)

التّفسير

اشاره

مهمّه رسول اللّه:

ذكرت الفقره الأخيره من الآيه السابقه أن أحد أسباب تغيير القبله هو إتمام النعمه على النّاس و هدايتهم،و الآيه أعلاه ابتدأت بكلمه«كما»إشاره إلى أن تغيير القبله ليس هو النعمه الوحيده التي أنعمها اللّه عليكم،بل منّ عليكم بنعم كثيره كَمٰا أَرْسَلْنٰا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ .

و كلمه«منكم»قد تعني أن الرّسول بشر مثلكم،و الإنسان وحده هو القادر على أن يكون مربّي البشر و قدوتهم و أن يتحسس آمالهم و آلامهم،و تلك نعمه كبرى أن يكون الرّسول بشرا«منكم».

و قد يكون المعنى أنه من بني قومكم و وطنكم،فالعرب الجاهليون قوم متعصبون عنصريون،و ما كان بالإمكان أن يخضعوا لنبي من غير قومهم،كما قال سبحانه في الآيتين:(١٩٨ و ١٩٩)من سوره الشعراء: وَ لَوْ نَزَّلْنٰاهُ عَلىٰ بَعْضِ

الْأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مٰا كٰانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ .

كـان هـذا طبعـا المرحله الاـولى من الـدعوه،و فى المراحل التاليه ألغيت مسائل القوميه و الوطن(الجغرافى)،و ربّى الإسـلام أبناءه على أساس مبادئ«العالميّه» كوطن،و«الإنسانيه»كقوميه.

بعد ذكر هذه النعمه يشير القرآن إلى أربع نعم عادت على المسلمين ببركه هذه النّبى صلّى اللّه عليه و اله و سلّم:

١- يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيٰاتِنٰا ،و يتلو من التلاوه،أى من إتيان الشىء متواليا، و الإتيان بالعبارات المتواليه(و بنظام صحيح)هى التلاوه.

النّبى صلّى اللّه عليه و اله و سلّم إذن يقرأ عليكم آيات اللّه متتاليه،لتنفذ إلى قلوبكم،و لإعداد أنفسكم إلى التعليم و التربيه.

٢- وَ يُزَكِّيكُمْ .

و«التّزكيه»هو الزياده و الإنماء،أى إنّ النّبى بفضل آيات اللّه يزيـدكم كمالا ماديا و معنويا،و ينمّى أرواحكم،و يربّى فى أنفسـكم الطهر و الفضيله،و يزيل ألوان الرذائل التى كانت تغمر مجتمعكم فى الجاهليه.

٣- وَ يُعَلِّمُكُمُ الْكِتٰابَ وَ الْحِكْمَةَ .

التعليم طبعـا مقـدم بشـكل طبيعى على التربيه،و لكن القرآن-كمـا ذكرنـا-يقـدم التربيه فى مواضع تأكيـدا على أنها هى الهـدف النهائى.

الفرق بين«الكتـاب»و«الحكمه»قـد يكون بلحـاظ أن الكتـاب إشـاره إلى آيـات القرآن و الوحى الإلـهى النازل على النّبى بشـكل إعجازى،و الحكمه حديث النّبى صلّى اللّه عليه و اله و سلّم و تعاليمه المسمّاه بالسنه.

و قد يكون الكتاب إشاره إلى أصل التعاليم الإسلاميه،و الحكمه إشاره إلى أسرارها و عللها و نتائجها.

و من المفسرين من احتمل أن«الحكمه»إشاره إلى الحاله و الملكه الحاصله من تعاليم الكتاب.و بامتلاكها يستطيع الفرد أن يضع الأمور فى نصابها (۱) .

صاحب«المنار»يرفض أن يكون معنى الحكمه«السنه»،و يستدل على رفضه بالآيه الكريمه ذٰلِكَ مِمّٰا أَوْحىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَهِ (۲) .

لكننا نعتقد أن الحكمه لها معنى واسع يشمل الكتاب و السنه معا،أمّا استعمالها القرآنى مقابل«الكتاب»(كما فى هذه الآيه)فيشير إلى أنها«السنه»لا غير.

۴- وَ يُعَلِّمُكُمْ مٰا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ و هذا الموضوع طرحته الفقرات السابقه من الآيه،حيث دار الحديث عن تعليم الكتاب و الحكمه.لكن القرآن عاد فأكد ذلك فى فقره مستقله تنبيها على أن الأنبياء هم الذين بيّنوا لكم المعارف و العلوم،و لولا هم لخفى كثير من ذلك عليكم.فهم لم يكونوا قاده أخلاقيين و اجتماعيين فحسب،بل كانوا هداه طريق العلم و المعرفه،و بدون هدايتهم لم يكتب النضج للعلوم الإنسانيه.

بعد استعراض جانب من النعم الإلهيه فى الآيه،تذكر الآيه التاليه أن هذه النعم تستدعى الشكر،و بالاستفاده الصحيحه من هذه النعم يؤدى الإنسان حقّ شكر البارى تعالى: فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ وَ اشْكُرُوا لِى وَ لاٰ تَكْفُرُونِ .

واضح أن عباره فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ لا تشير إلى معنى عاطفى بين اللّه و عباده كما يقول النّاس لبعضهم ذلك.بل تشير إلى أصل تربوى و تكوينى،أى اذكرونى...اذكروا الذات المقدسه التى هى معدن الخيرات و الحسنات و المبرات و لتطهر أرواحكم و أنفسكم،و تكون قابله لشمول الرحمه الإلهيه.ذكركم لهذه الذات المقدسه يجعل تحرككم أكثر إخلاصا و مضاء و قوّه و اتحادا.

كذلك المقصود من«الشكر و عدم الكفران»ليس تحريك اللسان بعبارات

۱- ۱) -فى ظلال القرآن،ج ۱،ص ۱.

۲- ۲) -الإسراء،۳۹.

الشکر،بل المقصود استثمار کل نعمه فی محلها و علی طریق نفس الهدف الذی خلقت له، کی یؤدی ذلک الی زیاده الرحمه الإلهیه.

بحثان

اشاره

۱-أقوال المفسرین فی تفسیر فَاذْکُرُونِی أَذْکُرْکُمْ

للمفسرین آراء متنوعه فی تفسیر هذه الآیه،و فی بیان کیفیه ذکر العبد و ذکر اللّه.

الفخر الرازی فی تفسیره لخصها فی عشره:

۱-اذکرونی«بالإطاعه»کی أذکرکم«برحمتی».و الشاهد علی ذلک قوله تعالی: وَ أَطِیعُوا اللّٰهَ وَ الرَّسُولَ لَعَلَّکُمْ تُرْحَمُونَ (۱) .

۲-اذکرونی«بالدعاء»کی أذکرکم«بالإجابه»،دلیل ذلک قوله تعالی:

اُدْعُونِی أَسْتَجِبْ لَکُمْ .

۳-اذکرونی«بالثناء و الطاعه»لأذکرکم«بالثناء و النعمه».

۴-اذکرونی فی«الدنیا»لأذکرکم فی«الآخره».

۵-اذکرونی فی«الخلوات»کی أذکرکم فی«الجمع».

۶-اذکرونی«لدی وفور النعمه»لأذکرکم فی«الصعاب».

۷-اذکرونی«بالعباده»لأذکرکم«بالعون»،و الشاهد علی ذلک قوله: إِیّٰاکَ نَعْبُدُ وَ إِیّٰاکَ نَسْتَعِینُ .

۸-اذکرونی«بالمجاهده»لأذکرکم«بالهدایه»،الشاهد علی ذلک قوله

۱- ۱) -آل عمران،۱۳۲.

سبحانه فی الآیه ۶۹ من سوره العنکبوت: وَ الَّذِینَ جٰاهَدُوا فِینٰا لَنَهْدِیَنَّهُمْ سُبُلَنٰا .

۹-اذکرونی«بالصدق و الإخلاص»لأذکرکم«بالخلاص و مزیدا للاختصاص».

۱۰-اذکرونی«بالربوبیه»لأذکرکم بالرحمه.دلیل ذلک مجموع آیات سوره الحمد. (۱)

کل واحده من التفاسیر المذکوره هی طبعا مظهر من مظاهر المعنی الواسع للآیه.و لا تقتصر هذه المظاهر علی ما سبق فیشمل المعنی أیضا:اذکرونی «بالشکر»لأذکرکم«بزیاده النعمه»کما ورد فی قوله سبحانه: لَئِنْ شَکَرْتُمْ لَأَزِیدَنَّکُمْ (۲) کل ذکر للّه-کما قلنا-له أثر تربوی فی وجود الإنسان إذ یجعل روحه مستعده لنزول برکات جدیده متناسبه مع طریقه الذکر.

۲-المقصود من ذکر اللّه

من المؤکد أن ذکر اللّه لیس بتحریک اللسان فقط،بل اللسان ترجمان القلب، الهدف هو التوجه بکل الوجود إلی ذات الباری سبحانه،ذلک التوجّه الذی یصون الإنسان من الذنب و یدعوه إلی الطاعه.

و من هنا ورد فی أحادیث عدیده عن المعصومین:أن ذکر اللّه لیس باللسان فحسب،و من ذلک

حدیث عن الرّسول صلّی اللّه علیه و اله و سلّم یوصی به علیا قائلا:

«ثلاث لا تطیقها هذه الأمّه:المواساه للأخ فی ماله،و إنصاف النّاس من نفسه،و ذکر

۱- ۱) -التّفسیر الکبیر،الفخر الرازی،ج ۴،ص ۱۴۴،مع شیء من التصرف.

۲- ۲) -إبراهیم،۷.

اللّه على حـال،و ليس هو سـبحان اللّه و الحمـد للّه و لاـ إله إلاّ اللّه و اللّه أكبر،و لكن إذا ورد على ما يحرم عليه خاف اللّه تعالى عنده و تركه»

(۱)

.

على أيه حال،لا ينبغى أن نغفل عن الروعه فى هـذا الاقتران...اللّه سـبحانه على عظمته و جلاله و جبروته يقرن ذكره بـذكر عبـده الضعيف المحدود الصغير،إنه تكريم ما بعده تكريم للإنسان.

۱- ۱) -كتاب الخصال،نقلا عن تفسير نور الثقلين،ج ۱،ص ۱۴۰.

الآيتان [سوره البقره (٢): الآيات ١٥٣ الى ١٥۴]

اشاره

يا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا اِسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ اَلصَّلاٰهِ إِنَّ اَللّٰهَ مَعَ اَلصّٰابِرِينَ (١٥٣) وَ لاٰ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ اَللّٰهِ أَمْوٰاتٌ بَلْ أَحْيٰاءٌ وَ لٰكِنْ لاٰ تَشْعُرُونَ (١٥۴)

سبب النّزول

روى عن ابن عباس بشأن نزول الآيه الثانيه إنها نزلت فى قتلى بدر، و عددهم أربعه عشر،سته من المهاجرين و ثمانيه من الأنصار.و بعد انتهاء الغزوه قال بعض المسلمين عن هؤلاء الشهداء إنّهم«أموات»فنهت الآيه عن ذلك.

التّفسير

اشاره

الشّهداء أحياء

الآيات السابقه عرضت مفاهيم التعليم و التربيه و الذكر و الشكر،و هى مفاهيم ذات معنى واسع جدا،و تتضمن أغلب التعاليم الدينيه، و فى الآيه الاولى من آيتى بحثنا دار الحديث حول الصبر الذى لا تتحقق المفاهيم السابقه بدونه.

تقول الآيه أوّلا: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاٰهِ .

واجهوا المشاكل و الصعاب بهاتين القوتين،فالنصر حليفكم: إِنَّ اللّٰهَ مَعَ

الصّابِرِينَ

.

خلافا لما يتصور بعض النّاس«الصّبر»لا يعنى تحمل الشقاء و قبول الذله و الاستسلام للعوامل الخارجيه،بل الصبر يعنى المقاومه و الثبات أمام جميع المشاكل و الحوادث.

لذلک قال علماء الأخلاق إن الصبر على ثلاث شعب:

الصبر على الطّاعه:أی المقاومه أمام المشاكل التی تعترى طريق الطاعه.

الصبر على المعصيه:أی الثبات أمام دوافع الشهوات العاديه و ارتكاب المعصيه.

الصبر على المصيبه:أی الصمود أمام الحوادث المرّه و عدم الانهيار و ترک الجزع و الفزع.

قلّما كرر القرآن موضوعا و أكد عليه كموضوع«الصبر»،ففی سبعين موضعا قرآنيا تقريبا دار الحديث عن الصبر.بينها عشره تختص بالنّبی صلّی اللّه عليه و اله و سلّم.

تاريخ العظماء يؤكد أن أحد عوامل انتصارهم-بل أهمها-صبرهم و استقامتهم.و الأفراد الفاقدون لهذه الصفه سرعان ما ينهزمون و ينهارون.و يمكن القول أن دور هذا العامل فی تقدم الأفراد و المجتمعات يفوق دور الإمكانات و الكفاءات و الذكاء و نظائرها.

من هنا طرح القرآن هذا الموضوع بعبارات مؤكده كقوله تعالى: إِنَّمٰا يُوَفَّى الصّٰابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسٰابٍ (۱) و فی موضع آخر يقول سبحانه بعد أن ذكر الصبر أمام الحوادث: فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (۲) من خصائص الصبر أن بقيه الفضائل لا يكون لها قيمه بدونه،لأن السند

۱- ۱) -الزمر،۱۰.

۲- ۲) -لقمان،۱۷.

و الرصيد فی جميعها هو الصبر،لذلك

يقول أمير المؤمنين علی عليه السّلام: «و عليكم بالصّبر فإنّ الصّبر من الإيمان كالرّأس من الجسد،و لا خير فی جسد لا رأس معه و لا فی إيمان لا صبر معه»

(۱)

.

الروايات الإسلاميه ذكرت أن أسمی مراحل الصبر ضبط النفس تتجلّی فی مقاومه الإنسان عند توفّر وسائل المعاصی و الذنوب.

الآيه التی يدور حولها بحثنا تؤكد للجماعه المسلمه الثائره فی صدر الإسلام خاصه أن الأعداء يحيطونهم من كل حدب و صوب،و تأمرهم أن يستعينوا بالصبر أمام الحوادث،فنتيجه ذلك استقلال الشخصيه و الاعتماد علی النفس و الثّقه بالذات فی كنف الإيمان باللّه.و تاريخ الإسلام يشهد بوضوح أن هذا الأصل كان أساس كل الانتصارات.

الموضوع الآخر الذی أكدت عليه الآيه أعلاه باعتباره السند الهام إلی جانب الصبر هو«الصلاه».

و روی أن عليّا عليه السّلام: «كان إذا أهاله أمر فزع قام إلی الصّلاه ثمّ تلا هذه الآيه: اِسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاٰةِ...

(۲)

.

و لا عجب فی ذلك،فالإنسان حين يری نفسه أمام عواصف المشاكل المضنيه،و يحسّ بضعفه فی مواجهتها،يحتاج إلی سند قوی لا متناه يعتمد عليه.

و الصلاه تحقق الارتباط بهذا السند،و تخلق الطمأنينه الروحيه اللازمه لمواجهه التحديات.

فالآيه أعلاه تطرح مبدأين هامّين:الأوّل-الاعتماد علی اللّه،و مظهره الصلاه،و الآخر-الاعتماد علی النفس،و هو الذی عبرت عنه الآيه بالصبر.

و بعد ذكر الصبر و الاستقامه تتحدث الآيه التاليه عن خلود الشهداء،الذين يجسّدون أروع نماذج الصابرين علی طريق اللّه.

۱- ۱) -نهج البلاغه،الكلمات القصار،رقم ۸۲.

۲- ۲) -الكافی،نقلا عن الميزان،ج ۱،ص ۱۵۴.

تقول الآيه: وَ لاٰ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِی سَبِيلِ اللّٰهِ أَمْوٰاتٌ ثم تؤكد هذا المفهوم ثانيه بالاستدراك بَلْ أَحْيٰاءٌ وَ لٰكِنْ لاٰ تَشْعُرُونَ .

فی كل حركه-أساسا-تنزوی مجموعه محبّه للعافيه،و تبتعد عن الامّه الثائره،و لا تكتفی هی بالتقاعس و التكاسل،بل تسعی إلی تثبيط عزائم الآخرين و بثّ الرخوه و التماهل فی المجتمع. و ما أن تظهر حادثه مؤلمه حتی يعربون عن أسفهم و ينقمون علی الحركه التی أدت إلی هذه الحادثه،غافلين أن كل هدف مقدس يحتاج إلی تضحيات،و تلك سنه كونيه.

القرآن الكريم يتحدث عن مثل هذه الفئه كرارا و يؤنّبهم بشدّه.

ثمه أفراد من هؤلاء كانوا يتظاهرون بالتأسف و التألم علی(موت)شهيد من شهداء الإسلام فی المعركه،و يبعثون بذلك القلق و الاضطراب فی النفوس.

و اللّه سبحانه يرد علی هذه الأقاويل السامه بالكشف عن حقيقه كبری هی إن الذين يضحون بأنفسهم فی سبيل اللّه ليسوا بأموات...هؤلاء أحياء...و يتمتعون بنعم اللّه و رضوانه،لكن البشر المحدودين فی عالم الحسّ لا يدركون هذه الحقائق.

بحوث

اشاره

١-خلود الشّهداء

للمفسرين آراء مختلفه فی معنی حياه الشّهداء و خلودهم.ظاهر الآيه يشير دون شك إلی أنّهم يتمتعون بنوع من الحياه البرزخيه الروحيه،لأن أجسامهم قد تلاشت،فهم يعيشون تلك الحياه بجسم مثالی (١) كما يقول الإمام الصادق عليه السّلام (٢) .

١- ١) -سنشرح ذلك فی تفسير الآيه ١٠٠ من سوره(المؤمنون).«و من ورائهم برزخ إلی يوم يبعثون».

٢- ٢) -تفسير نور الثقلين،ج ٣،ص ۵۵۹.

من المفسرين من قال إنها«حياه غيبيه»خاصه بالشّهداء لا تتوفر لدينا تفاصيلها و خصائصها.

و قيل إن الحياه المذكوره فى الآيه تعنى الهدايه،و الموت يعنى الضلال، فتكون الآيه قد نهت عن وصف الشهداء بالضلاله،بل هم مهتدون.و قيل إن الشهداء أحياء لأن هدفهم حى و رسالتهم حيه.

و لكن مع الأخذ بنظر الاعتبار التّفسير الأول للحياه يتضح أن المعانى فى الاخرى غير مقبوله.فلا حاجه لأن نتكلف التّفسيرين التاليين،و لا ـ أن الحياه البرزخيه مختصه بالشهداء فهم يحيون حياه برزخيه روحانيه،و يتنعمون كذلك بالقرب من رحمه اللّه و بأنواع نعمه.

٢-الشّهاده سعاده فى الإسلام

قرر الإسلام مسأله الشهاده و بيّن منزلتها العظيمه فى الآيه أعلاه و آيات اخرى لتكون عاملا فعّالا هامّا على ساحه المواجهه بين الحق و الباطل.و هذا العامل أمضى من أى سلاح و أقوى من كل المؤثرات،و هو قادر على أن يجابه أخطر الأسلحه و أفتكها فى عصرنا الراهن،و تجربه الثوره الإسلاميه فى إيران أثبتت ذلك بوضوح.و قد شاهدنا بأم أعيننا انتصار المندفعين نحو الشهاده-بالرغم من ضعف إمكاناتهم الماديه-على أعتى القوى المتجبّره.

و لو ألقينا نظره على تاريخ الإسلام،و الملاحم التى سطرها المسلمون فى جهادهم الدّامى،و التضحيات التى قدمها المجاهدون على طريق الرساله، لألفينا أن الدافع الأساس لكل هذه التضحيات هو درس الشهاده الذى لقنه الإسلام لأبنائه،و بموجبه آمنوا أن الشهاده على طريق اللّه و طريق الحق و العداله لا تعنى الفناء،بل السعاده و الحياه الخالده.

المقاتلون الذين تلقوا مثل هذا الدرس فى مثل هذه المدرسه الكبرى،لا

یقاسون بالمقاتلین العادیین الذین یفکّرون فی صیانه أرواحهم.أولئک یحاربون من أجل الرساله و ینـدفعون بشوق عظیم نحو کسب و سام الشهاده.

۳-الحیاه البرزخیه و بقاء الروح

هـذه الآیه تثبت بوضوح بقاء الروح و الحیاه البرزخیه للبشر(الحیاه بعد الموت و قبل البعث)،و تردّ بصراحه علی أولئک الـذین ینکرون تعرض القرآن للحیاه البرزخیه و بقاء الروح.

سنفصّل الحدیث فی هذا الموضوع،و فی موضوع خلود الشّهداء و منزلتهم العظیمه،فی المجلد الثانی من هذا التّفسیر عند تناولنا الآیه ۱۶۹ من سوره آل عمران.

الآيات [سوره البقره (٢): الآيات ١٥٥ الى ١٥٧]

اشاره

وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ اَلْخَوْفِ وَ اَلْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِنَ اَلْأَمْوٰالِ وَ اَلْأَنْفُسِ وَ اَلثَّمَرٰاتِ وَ بَشِّرِ اَلصّٰابِرِينَ (١٥٥) اَلَّذِينَ إِذٰا أَصٰابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قٰالُوا إِنّٰا لِلّٰهِ وَ إِنّٰا إِلَيْهِ رٰاجِعُونَ (١٥۶) أُولٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوٰاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَ أُولٰئِكَ هُمُ اَلْمُهْتَدُونَ (١٥٧)

التّفسير

اشاره

الدّنيا دار اختبار إلهى

بعد ذكر مسأله الشهاده فى سبيل اللّه،و الحياه الخالده للشّهداء،و مسأله الصبر و الشكر...و كلّها من مظاهر الاختبار الإلهى،تعرضت هذه الآيه للاختبار الإلهى العام،و لمظاهره المختلفه، باعتباره سنه كونيه لا تقبل التغيير وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِنَ الْأَمْوٰالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَرٰاتِ .

و لمّا كان الإنتصار فى هذه الاختبارات،لا يتحقق إلاّ فى ظل الثبات و المقاومه،قالت الآيه بعد ذلك وَ بَشِّرِ الصّٰابِرِينَ .

فالصابرون هم الذين يستطيعون أن يخرجوا منتصرين من هذه الامتحانات، لا غيرهم.

الآيه التاليه تعرّف الصابرين و تقول: اَلَّذِينَ إِذٰا أَصٰابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قٰالُوا:إِنّٰا لِلّٰهِ

وَ إِنّٰا إِلَيْهِ رٰاجِعُونَ

.

الإقرار التام بالعبوديه المطلقه للّه،يعلمنا أن لا نحزن على ما فاتنا،لأنه سبحانه مالكنا و مالك جميع ما لدينا من مواهب،إن شاء منحنا إيّاها،و إن استوجبت المصلحه أخذها منا،و فى المنحه و المحنه مصلحه لنا.

و الالتفات المستمر إلى حقيقه عودتنا إلى اللّه سبحانه،يشعرنا بزوال هذه الحياه،و بأن نقص المواهب الماديه و وفورها غرض زائل،و وسيله لارتقاء الإنسان على سلم تكامله،فاستشعار العبوديه و العوده فى عباره إِنّٰا لِلّٰهِ وَ إِنّٰا إِلَيْهِ رٰاجِعُونَ له الأثر الكبير فى تعميق روح المقاومه و الاستقامه و الصبر فى النفس.

واضح أن المقصود من قول هذه العباره ليس ترديدها باللسان فقط،بل استشعار هذه الحقيقه،و الالتفات إلى ما تنطوى عليه من توحيد و إيمان.

و آخر آيه فى بحثنا هذا،تتحدث عن الألطاف الإلهيه الكبرى،التّى تشمل الصابرين الصامدين المتخرجين بنجاح من هذه الامتحانات الإلهيه: أُولٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوٰاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ (١) .

هذه الصلوات و الرحمه تجعل هؤلاء على بصيره من أمرهم،فى مسيرتهم الحياتيه المحفوفه بالمزالق و الأخطار،لذلك تقول الآيه: وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ .

و بهذه العبارات المختصره المقتضبه،يطرح القرآن مسأله الامتحان الكبير بأبعاده المختلفه،و عوامل النجاح فيه و نتائجه.

ص:۴۴۱

۱- ۱) -قيل إن الصّلوات هنا ألوان التكريم و التأييد و رفعه المقام،و عن ابن عباس أنّها غفران الذنوب(المنار،ج ۲،ص ۴۰)،و واضح أن الصّلوات لها مفهوم واسع يشمل هذه الأمور و سائر النعم الإلهيه.

بحوث

اشاره

۱-لماذا الاختبار الإلهی؟

فی مجال الاختبار الإلهی تطرح بحوث کثیره،و أوّل ما یتبادر للذهن فی هذا المجال هو سبب هذا الاختبار.فنحن نختبر الأفراد لنفهم ما نجهله عنهم. فهل أن اللّه سبحانه و تعالی بحاجه إلی مثل هذا الاختبار لعباده،و هو العالم بکل الخفایا و الأسرار؟!و هل هناک شیء خفی عنه حتی یظهر له بهذا الامتحان؟! و الجواب أن مفهوم الاختبار الإلهی یختلف عن الاختبار البشری.

اختباراتنا البشریه-هی کما ذکرت آنفا-تستهدف رفع الإبهام و الجهل، و الاختبار الإلهی قصده«التربیه».

فی أکثر من عشرین موضعا تحدث القرآن عن الاختبار الإلهی،باعتباره سنّه کونیه لا تنقض من أجل تفجیر الطاقات الکامنه،و نقلها من القوّه إلی الفعل، و بالتالی فالاختبار الإلهی من أجل تربیه العباد،فکما أن الفولاذ یتخلص من شوائبه عند صهره فی الفرن،کذلک الإنسان یخلص و ینقی فی خضمّ الحوادث، و یصبح أکثر قدره علی مواجهه الصعاب و التحدیات.

الاختبار الإلهی یشبه عمل زارع خبیر،ینثر البذور الصالحه فی الأرض الصالحه،کی تستفید هذه البذور من مواهب الطبیعه و تبدأ بالنمو،ثمّ تصارع هذه البذره کل المشاکل و الصعاب بالتدریج،و تقاوم الحوادث المختلفه کالرّیاح العاتیه و البرد الشدید و الحر اللافح،لتخرج بعد ذلک نبته مزهره أو شجره مثمره، تستطیع أن تواصل حیاتها أمام الصعاب.

و من أجل تصعید معنویات القوات المسلحه،یؤخذ الجنود إلی مناورات و حرب اصطناعیه،یعانون فیها من مشاکل العطش و الجوع و الحر و البرد و الظروف الصعبه و الحواجز المنیعه.

و هذا هو سرّ الاختبارات الإلهیه.

يقول سبحانه فى موضع آخر من كتابه العزيز: وَ لِيَبْتَلِيَ اللّهُ مٰا فِى صُدُورِكُمْ وَ لِيُمَحِّصَ مٰا فِى قُلُوبِكَمْ وَ اللّهُ عَلِيمٌ بِذٰاتِ الصُّدُورِ (١) .

و يقول أمير المؤمنين على عليه السّلام فى بيان سبب الاختبارات الإلهيه: «...و إن كان سبحانه أعلم بهم من أنفسهم،و لكن لتظهر الأفعال الّتى بها يستحقّ الثّواب و العقاب»

(٢)

.

أى أن الصفات الكامنه لا يمكن أن تكون وحدها معيارا للثواب و العقاب، فلا بدّ أن تظهر من خلال أعمال الإنسان،و اللّه يختبر عباده ليتجلّى ما يضمرونه فى أعمالهم،و لكى تنتقل قابليّاتهم من القوّه إلى الفعل،و بذلك يستحقون الثواب أو العقاب.

لو لم يكن الاختبار الإلهى لما تفجرت هذه القابليات،و لما أثمرت الكفاءات،و هذه هى فلسفه الاختبار الإلهى فى منطق الإسلام.

٢-الاختبار الإلهى عام

نظام الحياه فى الكون نظام تكامل و تربيه،و كل الموجودات الحيّه تطوى مسيره تكاملها،حتى الأشجار تعبّر عن قابلياتها الكامنه بالأثمار،من هنا فإن كل البشر،حتى الأنبياء،مشمولون بقانون الاختبار الإلهى كى تنجلى قدراتهم.

الامتحانات تشمل الجميع و إن اختلفت شدّتها و بالتالى تختلف نتائجها أيضا،يقول سبحانه: أَ حَسِبَ النّٰاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنّٰا وَ هُمْ لاٰ يُفْتَنُونَ (٣) .

القرآن يعرض نماذج لاختبارات الأنبياء إذ يقول: وَ إِذِ ابْتَلىٰ إِبْرٰاهِيمَ رَبُّهُ (۴) .

و يقول فى موضع آخر بشأن اختبار سليمان: فَلَمّٰا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قٰالَ:

هٰذٰا مِنْ فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِى أَ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ...

(۵)

.

١- ١) -آل عمران،١۵۴.

٢- ٢) -نهج البلاغه،الكلمات القصار،رقم ٩٣.

۳- ۳) -العنکبوت،۲.

۴- ۴) -البقره ۱۲۴.

۵- ۵) -النمل،۴۰.

۳-طرق الاختبار

ذكرت الآيه أعلاه نماذج ممّا يختبر به الإنسان،كالخوف و الجوع و الأضرار الماليه و الموت...لكن سبل الاختبار الإلهى لا تنحصر بما تقدم فذكر القرآن منها فى مواضع اخرى:البنين،و الأنبياء،و أحكام اللّه،بل حتى بعض ألوان الرؤيا:

وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ

(۱)

.

نعلم أن النّاس إزاء الاختبارات الإلهيه على نوعين:متفوّق فى الامتحان، و خاسر.

فحيثما تسود حاله«الخوف»مثلا،ترى جماعه يتراجعون كى لا يصيبهم سوء،فينفضون أيديهم من المسؤوليه،أو يلجأون إلى المداهنه أو التماس الأعذار، كقولهم الذى يحكيه القرآن: نَخْشىٰ أَنْ تُصِيبَنٰا دٰائِرَةٌ (۲) .

و ثمه جماعه تقف كالطود الأشمّ أمام كل المخاوف،تزداد توكلا و إيمانا، و هؤلاء الذين يقول عنهم القرآن: اَلَّذِينَ قٰالَ لَهُمُ النّٰاسُ إِنَّ النّٰاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ،فَزٰادَهُمْ إِيمٰاناً وَ قٰالُوا حَسْبُنَا اللّٰهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ (۳) .

و هكذا موقف النّاس من ألوان الامتحانات الاخرى،يعرض القرآن نماذج لموقف النّاجحين و الفاشلين فى الاختبار الإلهى،سنتناولها فى مواضعها.

۴-عوامل النجاح فى الامتحان

هنا يتعرض الإنسان لاستفهام آخر،و هو أنه إذا كان القرار أن يتعرض جميع أفراد البشر للامتحان الإلهى،فما هو السبيل لاحراز النجاح و التوفيق فى هذا الامتحان؟القرآن يعرض هذه السبل فى القسم الأخير من آيه بحثنا و فى آيات اخرى:

۱- ۱) -الأنبياء،۳۵.

۲- ۲) -المائده،۵۲.

۳- ۳) -آل عمران،۱۷۳.

۱-أهمّ عامل للانتصار أشارت إليه الآيه بعباره: وَ بَشِّرِ الصّابِرِينَ ،فالآيه تبشّر بالنجاح أولئك الصابرين المقاومين،و مؤكده أن الصبر رمز الإنتصار.

۲-الالتفات إلى أن نكبات الحياه و مشاكلها مهما كانت شديده و قاسيه فهي مؤقّته و عابره و هذا الإدراک يجعل كل المشاكل و الصعاب عرضا عابرا و سحابه صيف،و هذا المعنى تضمنته عباره: إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ .

«كلمه الاسترجاع»هذه خلاصه كل دروس التوحيد،و الانقطاع إلى اللّه، و الاعتماد على ذاته المقدسه فى كل شيء و فى كل زمان.و أولياء اللّه ينطلقون من هذا التعليم القرآنى،فيسترجعون لدى المصائب كى لا تهزمهم الشدائد،و كى يجتازوا مرحله الاختبار بسلام فى ظل الإيمان بمالكيه اللّه و الرجوع إليه.

قال أمير المؤمنين على عليه السّلام فى تفسير الاسترجاع: «إنّ قولنا:إنّا للّه إقرار على أنفسنا بالملک،و قولنا:إنا إليه راجعون إقرار على أنفسنا بالهلک».

(۱)

۳-الاستمداد من قوّه الإيمان و الألطاف الإلهيه عامل مهم آخر فى اجتياز الاختبار دون اضطراب و قلق و فقدان للتوازن.فالسائرون على طريق اللّه يتقدّمون بخطوات ثابته و قلوب مطمئنه لوضوح النهج و الهدف لديهم. و ترافقهم الهدايه الإلهيه فى اختيار الطريق الصحيح،يقول سبحانه: وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا (۲) .

۴-التدقيق فى تأريخ الأسلاف،و إمعان النظر فى مواقفهم من الاختبارات الإلهيه،عامل مؤثر فى إعداد الإنسان لاجتياز الامتحان الإلهى بنجاح.

لو عرف الإنسان بأن ما أصيب به ليس حاله شاذّه،و إنما هو قانون عام شامل لكل الأفراد و الجماعات،لهان الخطب عليه،و لتفهم الحاله بوعى،و لاجتاز المرحله بمقاومه و ثبات.و لذلک يثبت اللّه سبحانه على قلب نبيّه و المؤمنين

۱- ۱) -نهج البلاغه،الكلمات القصار،رقم ۹۹.

۲- ۲) -العنكبوت،۶۹.

باستعراض تأريخ الماضين،و ما واجهه الأنبياء،و الفئات المؤمنه من محن و مصائب خلال مراحل دعوتهم،يقول سبحانه: وَ لَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ . (۱) .

و يقول تعالى: وَ لَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلىٰ مٰا كُذِّبُوا وَ أُوذُوا حَتّٰى أَتٰاهُمْ نَصْرُنٰا (۲) .

۵-الالتفات الى حقيقه علم اللّه سبحانه بكل مجريات الأمور،عامل آخر فى التثبيت و زياده المقاومه.

المتسابقون فى ساحه اللعب يشعرون بالارتياح حينما يعلمون أنهم فى معرض أنظار أصدقائهم من المتفرجين، و يندفعون بقوّه أكثر فى تحمل الصعاب.

إذا كان تأثير وجود الأصدقاء كذلك،فما بالك بتأثير استشعار رؤيه اللّه لما يجرى على الإنسان و هو على ساحه الجهاد و المحنه؟!ما أعظم القوّه التى يمنحها هذا الاستشعار لمواصله طريق الجهاد و تحمل مشاقّ المحنه! حين واجه نوح عليه السّلام أعظم المصائب و الضغوط من قومه و هو يصنع الفلك، جاءه نداء التثبيت الإلهى ليقول له: وَ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنٰا (۳) .

و عباره«بأعيننا»كان لها-دون شك-وقع عظيم فى نفس هذا النّبى الكريم، فاستقام و واصل عمله حتى المرحله النهائيه دون الالتفات إلى تقريع الأعداء و استهزائهم.

ورد عن سيّد الشهداء الحسين بن على عليه السّلام أنّه قال بعد أن تفاقم الخطب أمامه فى كربلاء،و استشهد أصحابه و أهل بيته:«هوّن علىّ ما نزل بى أنّه بعين اللّه»

(۴)

.

۱- ۱) -الأنعام،۱۰.

۲- ۲) -الانعام،۳۴.

۳- ۳) -هود،۳۷.

۴- ۴) -بحار الأنوار،ج ۴۵،ص ۴۶.

۵-الاختبار بالخیر و الشرّ

الامتحـان الإلـهی لا یجری عن طریق الحوادث الصـعبه القاسـیه فحسب،بل قـد یمتحن اللّه عبـده بالخیر و بوفور النعمه،کما یقول سبحانه: وَ نَبْلُوکُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَیْرِ فِتْنَهً (۱) .

و یقول سبحانه علی لسان نبیّه سلیمان: هٰذٰا مِنْ فَضْلِ رَبِّی لِیَبْلُوَنِی أَ أَشْکُرُ أَمْ أَکْفُرُ (۲) .

و هنا ینبغی أن نشیر إلی عدّه مسائل أحدها:أنه لیس من الضروری أن یختبر جمیع النّاس بجمیع وسائل الاختبار،بل من الممکن أن یکون اختبار کل فئه بلون من الامتحان یتناسب مع الوضع الفردی و الاجتماعی لتلک الفئه.

و الاخری:أنه من الممکن أن یجتاز الإنسان بعض الامتحانات،بینما یفشل فی امتحانات اخری.

و قـد یکون امتحـان فرد من الأـفراد موضع امتحان فرد آخر،کأن یکون موت ولـد لإنسان موضع امتحان أصـدقائه و أقاربه،لیری مدی اتخاذهم موقف المواساه من صاحبهم.

و أخیرا،فالاختبـار الإلـهی-کمـا ذکرنـا-شامـل عـام یـدخل فی نطـاقه حـتی الأنبیـاء علیهم السّـلام،بـل إن اختبـارهم بسـبب ثقل مسئولیتهم أشدّ بکثیر من اختبار الآخرین.

القرآن الکریم یعرض صورا لاختبـارات شدیـده مرّ بهـا الأنبیـاء علیهم السّـلام و بعضـهم مرّ بمراحل طویله شاقه قبل وصوله إلی مقام الرساله،کی یکون علی أتمّ الاستعداد لتحمل أعباء قیاده أمّته.

۱- ۱) -الأنبیاء،۳۵.

۲- ۲) -النمل،۴۰.

و بین أتباع مدرسه الأنبیاء نماذج رائعه للصابرین المحتسبین،کل واحد منهم قدوه علی ساحه الامتحان الإلهی.

فقد روی «أنّ أمّ عقیل کانت امرأه فی البادیه فنزل علیها ضیفان و کان ولدها عقیل مع الإبل فأخبرت بأنّه ازدحمت علیه الإبل فرمت به فی البئر فهلک فقالت المرأه للنّاعی انزل و اقض ذمام القوم و دفعت إلیه کبشا فذبحه و أصلحه و قرّب إلی القوم الطّعام فجعلوا یأکلون و یتعجّبون من صبرها(قال الرّاوی)فلمّا فرغنا خرجت إلینا و قالت یا قوم هل فیکم من یحسن من کتاب اللّه شیئا؟فقلت:نعم.قالت:فاقرأ علیّ آیات أتعزّی بها عن ولدی فقرأت:«و بشّر الصّابرین الّذین إذا أصابتهم مصیبه قالوا إنّا للّه و إنّا إلیه راجعون إلی قوله المهتدون».

«فقالت السّلام علیکم،ثمّ صفّت قدمیها وصلّت رکعات ثمّ قالت:اللّهمّ إنّی فعلت ما أمرتنی فانجز لی ما وعدتنی.و لو بقی أحد لأحد-قال فقلت فی نفسی لبقی ابنی لحاجتی إلیه- فقالت لبقی محمّد صلّی اللّه علیه و اله و سلّم لأمّته،فخرجت» (۱)

۱- ۱) -سفینه البحار،ج ۲،ص ۷،(ماده صبر).

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۱۵۸]

اشاره

إِنَّ اَلصَّفٰا وَ اَلْمَرْوَهَ مِنْ شَعٰائِرِ اَللّٰهِ فَمَنْ حَجَّ اَلْبَيْتَ أَوِ اِعْتَمَرَ فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمٰا وَ مَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اَللّٰهَ شٰاكِرٌ عَلِيمٌ (۱۵۸)

النّزول

کان المشرکون فی الجاهلیه یأتون مکه لأداء مناسک الحج،و کانت هذه المناسک ذات أصل إبراهیمی مع کثیر من التحریف و الخرافات و الشرک.فکانت المناسک عباره عن الوقوف بعرفات و الاضحیه و الطّواف و السّعی بین الصفا و المروه.و لکن بشکل خاص بالجاهلیین.

و جاء الإسلام و أصلح هذه المناسک،و طهّرها مما علق بها من تحریف،و أقرّ ما کان صحیحا منها و من جملتها السعی بین الصفا و المروه.

و استنادا إلی روایات المؤرخین من الشّیعه و أهل السّنه أن المشرکین کانوا یسعون بین الصفا و المروه،و قد وضعوا علی الصفا صنما اسمه«أساف»،و علی المروه صنما آخر سموه«نائله»و کانوا یتمسحون بهما لدی السعی،من هنا خال المسلمون أن السعی بین الصفا و المروه عمل غیر صحیح،و کرهوا أن یفعلوا ذلک.

الآیه المذکوره نزلت لتعلن أن الصفا و المروه من شعائر اللّه،و تلویثها بالشرک علی

يد الجاهليين لا يبرر إعراض المسلمين عن السعی بينهما.

و اختلف المفسرون فی وقت نزول الآيه،منهم من قال إنها نزلت فی(عمره القضاء)فی السنه السابعه للهجره،و كان من شروط النّبی صلّی اللّه عليه و اله و سلّم مع المشركين فی هذه السفره رفع الصنمين من الصفا و المروه،و قد عملوا بهذا الشرط،لكنهم أعادوهما إلی محلهما.و هذا أدّی إلی كراهه المسلمين و السعی بين الصفا و المروه، فنزلت الآيه لتنهاهم عن هذه الكراهه.

و قيل إنّها نزلت فی حجه الوداع فی السنه العاشره للهجره.و من المؤكد أن مكه كانت فی هذه السنه خاليه من الأصنام.و من هنا يلزمنا أن نعتبر كراهه المسلمين السعی بين الصفا و المروه بسبب السوابق التاريخيه لهذين المكانين حيث انتصب فيهما«أساف و نائله».

التّفسير

اشاره

أعمال الجهله لا توجب تعطيل الشعائر

هذه الآيه الكريمه تستهدف إزاله ما علق فی ذهن المسلمين و نفوسهم من رواسب بشأن الصفا و المروه كما مرّ فی سبب النّزول،و تقول للمسلمين: إِنَّ الصَّفٰا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعٰائِرِ اللّٰهِ .

و من هذه المقدمه تخرج الآيه بنتيجه هی: فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمٰا .

لا ينبغی أن تكون أعمال المشركين الجاهليين عاملا علی إيقاف العمل بهذه الشعيره،و علی تقليل شأن و قدسيه هذين المكانين.

ثم تقول الآيه أخيرا: وَ مَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللّٰهَ شٰاكِرٌ عَلِيمٌ .

فاللّه يشكر عباده المتطوعين للخير بأن يجازيهم خيرا،و هو سبحانه عالم

بسرائرهم،یعلم من تعلّق قلبه بهذه الأصنام و من تبرّأ منها.

بحوث

اشاره

١-الصفا و المروه

الصفا و المروه اسمان لجبلین صغیرین فی مکه،یقعان الیوم بعد توسیع المسجد الحرام،فی الضلع الشرقی للمسجد،فی الجهه التی یقع فیها الحجر الأسود و مقام إبراهیم.

یفصل بین الجبلین ۴۲۰ مترا تقریبا،و المسعی الیوم بدل بصاله کبیره مسقّفه ذات طابقین یسعی الحجاج فیهما،و ارتفاع الصفا خمسه عشر مترا،و المروه ثمانیه أمتار.

و اللفظان الیوم علمان لهذین الجبلین،و فی الأصل الصفا هی الصخره الملساء القویه المختلطه بالحصی و الرمل،و المروه الصخره القویه المتعرّجه.

و الشعائر جمع شعیره أی العلامه،و شعائر اللّه أی العلامات التی تذکّر الإنسان باللّه،و تعید إلی الأذهان ذکریات مقدسه.

و«اعتمر»أی أدی العمره،و العمره فی الأصل الملحقات الإضافیه فی البناء، و فی الشریعه تطلق علی الأعمال الخاصه،التی یؤدیها المسلم إلی جانب أعمال الحج،أو یؤدیها لوحدها فی العمره المفرده.و بینها و بین أعمال الحج أوجه اشتراک و افتراق.

٢-من أسرار السعی بین الصفا و المروه

صحیح أن قراءه تاریخ حیاه عظماء التاریخ یدفع الإنسان إلی الاقتداء بهم، لکن هناک طریقا أکثر تأثیرا،و هو مشاهده المعالم الأثریه التی کافح علیها هؤلاء

الرجال،و سجلوا فيها بطولاتهم.

هـذه المعـالم هى فى الواقع ليست مثـل كتب التاريـخ الميته،بـل هى تاريـخ حىّ نـاطق،يسـتطيع أن يحلّق بالإنسـان عـبر القرون و الأعصار،ليجعله يعيش مع الحوادث الماضيه بكل مشاعره.

الأـثر التربوى لهـذه المشاهـدات أعمق بكثير من تـأثير الكتب و المحاضـرات و أمثالها...فهنـا الشـعور لا الإدراك،و التصـديق لا التصور،و العينيه لا الذهنيه.

من جهه اخرى،قلّ أن يوجد بين الأنبياء نبىّ كإبراهيم عليه السّلام،خاض ألوان النضال و تعرض لأنواع الامتحان،حتى قال القرآن عمّا اختبر به: إِنَّ هٰذٰا لَهُوَ الْبَلاٰءُ الْمُبِينُ (١) .

و هذه المعاناه الطويله التى عاشها إبراهيم هى التى أهّلته لأن ينال مقام «الإمامه».

مناسـك الحـج تجسّـد فى الأذهـان دوره كـامله من مشاهـد كفـاح إبراهيم و مراحل تكامله التوحيـدى و عبوديته و تضـحياته و إخلاصه.

لو فهم المسلمون-لدى أدائهم مناسك الحج-روح الحج و أسراره،و تعمّقوا فى جوانبه«الرّمزيه»لكان الحج دوره تربويه فى حقل معرفه اللّه و النّبوه و الشخصيه الإنسانيه.

بعد هذه المقدمه نعود إلى الخلفيّه التاريخيه للصّفا و المروه.

إبراهيـم عليـه السّـلام بلغـه الكـبر و لـم يرزق ولـدا،فـدعى ربّـه أن لاـ يـتركه فردا،فاسـتجاب لـه،و رزقـه من جـاريته هـاجر ولـدا سمّاه«إسماعيل».

لم تسـتطع«سـاره»زوجته الاولى أن تطيق الحاله الجديـده،و قـد رزق إبراهيم ولـدا من غيرها،فأمر اللّه إبراهيم أن يهاجر بالطفل و الأم إلى مكه حيث الأرض

۱- ۱) -الصافات،۱۰۶.

القاحله المجدبه آنذاک،و یسکنهما هناک.

امتثل إبراهیم أمر ربه،و ذهب بهما إلی صحراء مکه و أسکنهما فی تلک الأرض، و همّ بالرجوع،فضجّت زوجته بالبکاء،إذ کیف تستطیع أن تعیش امرأه وحیده مع طفل رضیع فی مثل هذه الأرض؟! بکاء هاجر و معه بکاء الطفل الرضیع هزّ إبراهیم من الأعماق،لکنه لم یزد علی أن ناجی ربّه قائلا: رَبَّنا إِنِّی أَسْکَنْتُ مِنْ ذُرِّیَّتِی بِوادٍ غَیْرِ ذِی زَرْعٍ عِنْدَ بَیْتِکَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنا لِیُقِیمُوا الصَّلاهَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَهً مِنَ النّاسِ تَهْوِی إِلَیْهِمْ وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ یَشْکُرُونَ (۱) ،ثم ودّع زوجه و طفله بحزن و ألم عمیقین.

لم یمض وقت طویل حتی نفذ طعام الأمّ و ماؤها،و جفّ لبنها.بکاء الطفل أضرم فی نفس الأم نارا،و دفعها لأن تبحث بقلق و اضطراب عن الماء.اتجهت أولا إلی جبل«الصفا»فلم تجد للماء أثرا،لفت نظرها بریق ماء عند جبل «المروه»فأسرعت إلیه فوجدته سرابا،ثم رأت عند المروه بریقا لدی الصفا أسرعت إلیه فما وجدت شیئا،و هکذا جالت سبع مرات بین الصفا و المروه بحثا عن الماء.و فی النهایه،و بعد أن أشرف الطفل علی الموت،انفجرت عند رجله فجأه عین زمزم،فشرب الطفل و أمه و نجیا من الموت المحقق.

الماء،رمز الحیاه،و انفجار العین جرّ الطیور من الآفاق نحو هذه الأرض، و القوافل شاهدت حرکه الطیور،فاتجهت هی أیضا نحو الماء و ببرکه هذه العائله تحولت أرض مکه إلی مرکز حضاری عظیم.

و یقع جوار الکعبه حجر إسماعیل حیث مدفن تلک المرأه و ابنها، و علی الحاج أن یضمه إلی البیت فی طوافه،أی یجب علی الحجاج أن یطوفوا خارج هذه الحجر و کأنه جزء من الکعبه.

۱- ۱) -إبراهیم،۳۷.

فی الصفا و المروه درس فی التضحیه بکل غال و نفیس،حتی بالطفل الرضیع، من أجل المبدأ و العقیده.

السعی بینهما یعلمنا أن نعیش دائما أمل النجاح و الإنتصار،حتی فی أشدّ لحظات الشدّه،فهاجر بذلت سعیها و جاءها رزق اللّه من حیث لا تحتسب.

السعی بین الصفا و المروه یقول لنا:إن هاتین الشعیرتین کانتا یوما و کرا لصنمین من أصنام العرب،و أصبحتا الیوم معلمین من معالم التوحید بفضل جهاد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و سلّم،من حق جبل الصفا أن یفخر و یقول:أنا أول منطلق لدعوه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و سلّم،فحینما کانت مکه تغطّ فی ظلمات الشرک و بزغ من عندی فجر الهدایه.

و اعلموا أیّها الساعون بین الصفا و المروه أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و سلّم صعد یوما علی هذا الجبل لیدعو النّاس إلی اللّه،فلم یجبه أحد،و الیوم فإن الآلاف المؤلفه تجیب الدعوه و تحج بیت اللّه علی النهج المحمّدی الإبراهیمی.و إنه لدرس لکم یعلمکم أن تسیروا علی طریق الحقّ دونما یأس،و إن قلّ الناصر و المجیب.

السعی بین الصفا و المروه یقول لنا:اعرفوا قدر نعمه هذا الدین و هذا المرکز التوحیدی،فثمه أفراد حفظوا الشریعه و شعائرها لنا بدمائهم علی مرّ التاریخ.

من أجل إحیاء کل تلک الأحاسیس و المشاعر فی النفوس،أمر اللّه الحجیج أن یسعوا سبع مرات بین الصفا و المروه.

أضف إلی ما تقدم أن السعی یقضی علی کبر الإنسان و غروره،فلا أثر للتبختر و التصنع فی السعی،بل لا بدّ من قطع هذه المسافه ذهابا و مجیئا مع کافه النّاس،و بنفس لباس النّاس،و بهروله أحیانا!!و لذلک ورد فی الروایات أن السعی إیقاظ للمتکبرین.

علی أیه حال،بعد أن ذکرت الآیه أن الصفا و المروه من شعائر اللّه،أکدت عدم وجود جناح علی من یطوّف بهما فی الحج و العمره،و الطواف بین الصفا و المروه هو السعی بینهما،لأن الحرکه التی یعود فیها الإنسان إلی حیث ابتدأ هی

طواف و إن لم تکن الحرکه دائریه.

٣-جواب علی سؤال

لفظ فَلاٰ جُنٰاحَ یشیر إلی عدم حرمه السعی بین الصفا و المروه و جواز ذلک، و قد یسأل سائل عن سبب وجوب السعی فی الفقه الإسلامی،بینما الآیه تبیحه فقط؟ الجواب علی هذا السؤال نفهمه بوضوح من سبب نزول الآیه.فالمسلمون کرهوا السعی بین الصفا و المروه،بعد أن شاهدوا بأم أعینهم مدی عبث المشرکین بهذا المکان،و مدی تلویثهم إیاه بالأصنام.فخالوا أن من غیر اللائق بالمسلم أن یسعی فی هذا المکان.

جاءت الآیه لتقول لهم:إن الصفا و المروه من شعائر اللّه،و عباره فَلاٰ جُنٰاحَ (١) لإزاله ما تصوروه من کراهه لهذا العمل.

و ثمّه تعبیرات مشابهه ذکرها القرآن لأحکام اخری کصلاه المسافر فی قوله تعالی: وَ إِذٰا ضَرَبْتُمْ فِی الْأَرْضِ فَلَیْسَ عَلَیْکُمْ جُنٰاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاٰهِ (٢) .

و نعلم أن القصر واجب فی صلاه المسافر،لا جائز.بشکل عام قد تستعمل کلمه(لا جناح)لإزاله التوهم بحرمه الشیء أو بکراهته،و هذا المعنی یؤکده حدیث عن الإمام محمّد بن علی الباقر علیه السّلام فی کتاب«من لا یحضره الفقیه».

۴-معنی التطوع

التطوع فی اللغه:قبول الطاعه و الانصیاع للأوامر،و فی الفقه یطلق علی

١- ١) -(الجناح)فی الأصل المیل نحو اتجاه معیّن،و قیل للذنب جناح لأنه یمیل بالإنسان عن طریق الحق.(قاله الراغب فی المفردات).

٢- ٢) -النساء،١٠١.

الأعمال المستحبه،من هنا ذهب أغلب المفسرين إلى تفسير«و من تطوع...» بالحج المستحب و العمره المستحبه،أو الطواف،أو أى عمل مستحب آخر.

فالعباره تعنى إذن أن اللّه شاكر لمن يعمل الخيرات امتثالا لأوامره سبحانه،و اللّه عليم بكل هذه الأعمال.

و من المحتمل أيضا أن تكون العباره تأكيدا لما سبقها،و يكون المقصود بالتطوع حينئذ قبول الطاعه فى أداء الأعمال الشاقه.

معنى العباره،على هذا،على الحجاج السعى بين الصفا و المروه بكل ما فيه من مشاق و رغم كراهتكم لذلك...هذه الكراهه الناتجه عن سوء تصرف الجاهليين بهذا المكان المقدس.

۵-شكر اللّه

ينبغى الالتفات هنا إلى عباره الشاكر فى الآيه،و هو تعبير فى غايه الروعه، و إنه لتكريم ما بعده تكريم للإنسان،أن يشكره اللّه على أعماله الخيّره.

و حين يكون اللّه شاكرا لعبده على برّه،فمن الأولى أن يكون العبد شاكرا لربّه على نعمه التى لا تحصى،و شاكرا لمن أحسن إليه من العباد.

الآیتان [سوره البقره (۲): الآیات ۱۵۹ الی ۱۶۰]

اشاره

إِنَّ اَلَّذِینَ یَکْتُمُونَ مٰا أَنْزَلْنٰا مِنَ اَلْبَیِّنٰاتِ وَ اَلْهُدیٰ مِنْ بَعْدِ مٰا بَیَّنّٰاهُ لِلنّٰاسِ فِی اَلْکِتٰابِ أُولٰئِکَ یَلْعَنُهُمُ اَللّٰهُ وَ یَلْعَنُهُمُ اَللاّٰعِنُونَ (۱۵۹) إِلاَّ اَلَّذِینَ تٰابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ بَیَّنُوا فَأُولٰئِکَ أَتُوبُ عَلَیْهِمْ وَ أَنَا اَلتَّوّٰابُ اَلرَّحِیمُ (۱۶۰)

سبب النّزول

روی جلال الـدین السـیوطی عن ابن عباس،أن عددا من المسـلمین أمثال «معاذ بن جبل»و«سـعد بن معاذ»و«خارجه بن زید»سألوا أحبـار الیهود عن مسائـل فی التوراه قـد ترتبط بظهور النّبی الخاتم صـلّی اللّه علیه و اله و سـلّم،فأبی الأحبار أن یجیبوا و کتموا ما عندهم من علم (۱) .

التّفسیر

اشاره

حرمه کتمان الحق

الآیه-و إن خاطبت کما فی أسباب النّزول،علماء الیهود-غیر محدوده

ص :۴۵۷

۱- ۱) -لباب النقول فی أسباب النّزول،ص ۲۲.

بمخاطبيها،بل تبين حكما عاما بشأن كاتمى الحق.

الآيه الكريمه تتحدث عن هؤلاء بشدّه و تقول: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مٰا أَنْزَلْنٰا مِنَ الْبَيِّنٰاتِ وَ الْهُدىٰ مِنْ بَعْدِ مٰا بَيَّنّٰاهُ لِلنّٰاسِ فِى الْكِتٰابِ،أُولٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللّٰهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللاّٰعِنُونَ .

فاللّه سبحانه و عباده الصالحون و ملائكته المقربون يلعنون من يكتم الحق، و بعباره اخرى،كل أنصار الحق يغضبون على من كتم الحق.و أيه خيانه للعالم أكبر من محاوله العلماء كتمان آيات اللّه المودعه عندهم من أجل مصالحهم الشخصيه و لتضليل النّاس.

و عباره مِنْ بَعْدِ مٰا بَيَّنّٰاهُ لِلنّٰاسِ فِى الْكِتٰابِ إشاره إلى أن هؤلاء الأفراد يصادرون فى الواقع جهود الأنبياء و تضحيات أولياء اللّه الصالحين،و هو ذنب عظيم.

و الفعل(يلعن)تكرر فى الآيه للتأكيد،و استعمل بصيغه المضارع لبيان استمرار اللعن،و من هنا فإنّ لعنه اللّه و لعنه اللاعنين تلاحق هؤلاء الكاتمين لآيات اللّه باستمرار،و ذلك أقسى صور العقاب.

«البينات»و«الهدى»لهما معنى واسع يشمل كل وسائل الهدايه و التوعيه و الإيقاظ و إنقاذ النّاس.

و لما كان القرآن كتاب هدايه،فإنه لا يغلق منافذ الأمل و التوبه أمام الأفراد، و لا يقطع أملهم فى العوده مهما ارتكسوا فى الذنوب،لذلك تبين الآيه التاليه طريق النجاه من هذا الذنب الكبير و تقول: إِلاَّ الَّذِينَ تٰابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ بَيَّنُوا فَأُولٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَ أَنَا التَّوّٰابُ الرَّحِيمُ .

عباره أَنَا التَّوّٰابُ الرَّحِيمُ جاءت بعد عباره فَأُولٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ للدلاله على كثره محبه اللّه،و سبق عطفه على عباده التائبين.فيقول سبحانه لهؤلاء:إن تبتم،أى عدتم إلى نشر الحقائق،فأنا أعود أيضا إلى إغداق الرحمه و المواهب

ص :۴۵۸

علیکم.

و من الملفت للنظر،أن اللّه لم یقل أنه یقبل التوبه ممن تاب،بل یقول: من تاب فأنا أیضا أتوب علیه،و الفرق فی التعبیرین واضح،فالثانی فیه من التودّد و التحنن و إغداق اللطف ما لا یمکن وصفه.

ثم استعمال الضمیر(أنا)فی هذا الموضع یستهدف نوعا من التودّد و بیان الارتباط المباشر بین المتکلم و السّامع و خاصه إذا قال عظیم من العظماء:«أنا أتکفل لک بالعمل الفلانی»حیث یختلف عما لو قال:«سنقوم نحن بإنجاز العمل» فالمحبّه الکامنه فی الأسلوب الاول غیر خافیه علی أحد.

و کلمه«توّاب»صیغه مبالغه تبعث الأمل فی نفوس المذنبین و تمزق أستار الیأس،عن سماء أرواحهم خاصه و أنها اقترنت بکلمه(رحیم)التی تشیر إلی الرحمه الالهیه الخاصه.

بحوث

اشاره

۱-مفاسد کتمان الحق

کتمان الحقائق من المسائل التی عانت منها المجتمعات البشریه علی مرّ التاریخ،و کان لها دوما آثار سیئه عمیقه استمرت قرونا و اعصارا.و یتحمل تبعه هذه المساوئ دون شک أولئک العلماء الذین یعلمون تلک الحقائق و یکتمونها.

لعل القرآن لم یهدد و یذمّ فئه کما هدّد و ذم هذه الفئه الکاتمه للحقائق.و لم لا؟ فإن عمل هؤلاء یجرّ أجیالا متعاقبه إلی طریق الضلال و الفساد،کما أن نشر الحقائق یدفع بالأمم إلی طریق الهدایه و الصلاح.

البشریه تمیل للحقائق بفطرتها،و کتمان الحقائق عنها یعنی صدّ البشریه عن طریق تکاملها الفطری المرسوم لها.

ص :۴۵۹

لو أن علماء اليهود و النصارى أعلنوا ما عندهم من حقائق بشأن النّبى الخاتم صلّى اللّه عليه و اله و سلّم،و نشروا ما جاء فى العهدين من بشائر حول رسول الإسلام، لانضوى أهل الكتاب تحت رايه الإسلام،و لأصبحوا مع المسلمين أمه واحده.

كتمان الحقائق لا ينحصر دون شك فى كتمان علامات النّبوه و البشائر بالنّبى الخاتم صلّى اللّه عليه و اله و سلّم،بل يشمل كتمان كل حقيقه تستطيع أن تدفع النّاس إلى الفهم الصحيح بالمعنى الواسع لهذه الكلمه.

السكوت فى مواضع يجب فيها البيان قد يكون من مصاديق كتمان الحق، و ذلك يكون فى موارد يحتاج النّاس فيها بشدّه إلى فهم الحقائق و يستطيع العلماء فيها أن يلبّوا هذه الحاجه.

بعباره اخرى:نشر الحقائق التى يعانى منها النّاس لا يتوقف على السّؤال، و ما يذهب إليه صاحب المنار من أن كتمان الحقائق يكون فى مواضع السؤال ليس بصحيح.خاصه و أن القرآن لا يتحدث عن كتمان الحقائق فحسب،بل يتحدث فى مواضع اخرى عن تبيين الحقائق أيضا،و هذا يرد على أولئك الذين يلتزمون جانب الصمت أمام الانحرافات بحجّه عدم وجود سائل يطرح عليهم سؤالا بشأن تلك الانحرافات.يقول سبحانه:

وَ إِذْ أَخَذَ اللّٰهُ مِيثٰاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنّٰاسِ وَ لاٰ تَكْتُمُونَهُ

(1)

.

جدير بالذكر أن إلهاء النّاس بالمسائل الفرعيه،لصرف أنظارهم عن المسائل السياسيه الحياتيه نوع من كتمان الحقائق.إذا لم يشمله فرضا تعبير«كتمان الحقائق»فهو مشمول حتما بملاك و فلسفه كتمان الحق.

۱- ۱) -آل عمران،۱۸۷.

۲-کتمان الحق فی الأحادیث

حملت الأحادیث بشدّه أیضا علی کاتمی الحق،

فروی عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و سلّم قال: «من سئل عن علم یعلمه فکتم ألجم یوم القیامه بلجام من نار»

(۱)

.

و نعید هنا القول أن ابتلاء الناس بمسأله و الحاجه الی بیانها یحل محل السّؤال.و بیان الحقائق فی هذه الحاله واجب.

و

سئل الامام أمیر المؤمنین علیه السّلام:

«من شرّ خلق اللّه بعد إبلیس و فرعون؟قال:العلماء إذا فسدوا،هم المظهرون للأباطیل،الکاتمون للحقائق،و فیهم قال اللّه عزّ و جلّ: أُولٰئِکَ یَلْعَنُهُمُ اللّٰهُ وَ یَلْعَنُهُمُ اللاّٰعِنُونَ (۲)

۳-معنی اللعن

اللعن فی الأصل:الطرد و الإبعاد الممزوج بالغضب و الاستیاء.فاللعن الإلهی إذن إبعاد الإنسان عن رحمه اللّه،و عن جمیع المواهب المغدقه علی عباده.

و ما قیل بشأن تقسیم اللعن إلی:لعن فی الآخره،و هو العذاب و العقوبه،و لعن فی الدنیا و هو سلب التوفیق،إنما هو من قبیل بیان المصداق،لا حصر اللعن بهذین القسمین.

و کلمه(اللاعنون)لها معنی واسع لا یقتصر علی الملائکه و المؤمنین،بل یشمل کل الموجودات التی تتحدث بلسان القال أو الحال.و فی بعض الروایات نری أن کل الموجودات تدعو لطلب العلم

کقول المعصوم: «و إنّه یستغفر لطالب العلم من فی السّماء و من فی الأرض حتّی الحوت فی البحر»

(۳)

۱- ۱) -مجمع البیان،فی تفسیر الآیه.

۲- ۲) -الاحتجاج للطبرسی،نقلا عن نور الثقلین،ج ۲،ص ۱۳۹.

۳- ۳) -أصول الکافی،ج ۱،باب ثواب العالم و المتعلم.

و إن استغفرت هذه الموجودات لطالب العالم،فمن الطبيعی أن تلعن کاتمه.

۴-کلمه(توّاب)صیغه مبالغه من تاب:عاد،و تبین حقیقه انفتاح باب التوبه أمام الإنسان،حتی و لو انخدع الإنسان بوساوس الشیطان بعد توبته،فیستطیع أن یتوب ثانیه و یعود إلی اللّه و یکشف ما عنده من الحق،فاللّه توّاب،و لا یجوز الیأس من رحمته و عفوه.

ص:۴۶۲

الآیات [سوره البقره (۲): الآیات ۱۶۱ الی ۱۶۳]

اشاره

إِنَّ اَلَّذِینَ کَفَرُوا وَ مٰاتُوا وَ هُمْ کُفّٰارٌ أُولٰئِکَ عَلَیْهِمْ لَعْنَهُ اَللّٰهِ وَ اَلْمَلاٰئِکَهِ وَ اَلنّٰاسِ أَجْمَعِینَ (۱۶۱) خٰالِدِینَ فِیهٰا لاٰ یُخَفَّفُ عَنْهُمُ اَلْعَذٰابُ وَ لاٰ هُمْ یُنْظَرُونَ (۱۶۲) وَ إِلٰهُکُمْ إِلٰهٌ وٰاحِدٌ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ اَلرَّحْمٰنُ اَلرَّحِیمُ (۱۶۳)

التّفسیر

اشاره

الّذین ماتوا و هم کفّار

تحدثت الآیات السابقه عن نتیجه کتمان الحقائق،و هذه الآیات تکمل الموضوع السابق،و تتناول جزاء الذین یواصلون طریق الکفر و الکتمان و العناد إلی آخر عمرهم.

تقول الآیه: إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا وَ مٰاتُوا وَ هُمْ کُفّٰارٌ أُولٰئِکَ عَلَیْهِمْ لَعْنَهُ اللّٰهِ وَ الْمَلاٰئِکَهِ وَ النّٰاسِ أَجْمَعِینَ .

هؤلاء أیضا مثل کاتمی الحق،مستحقون للعنه اللّه و الملائکه و جمیع النّاس، مع اختلاف هو أن هؤلاء المصرّین علی الکفر حتی نهایه حیاتهم لا رجعه لهم طبعا و لا توبه.

ثم تقول الآیه التالیه إن هؤلاء الکفار المصرّین علی کفرهم حتی اللحظات

الأخيره من حياتهم: خٰالِدِينَ فِيهٰا لاٰ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذٰابُ وَ لاٰ هُمْ يُنْظَرُونَ .

و لما كان التوحيد ينهى كل هذه المصائب،فالآيه الثالثه تطرح هذا الأصل و تقول: وَ إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وٰاحِدٌ .

ثم تؤكد هذا الأصل و تقول: لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ .

بعد ذلك تصف الآيه اللّه بأنه اَلرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ لتقول إن اللّه الذى تشمل رحمته العامه كل الموجودات،و رحمته الخاصه المؤمنين،هو اللائق بالعبوديه لا الموجودات المحتاجه.

بحوث

اشاره

۱-يوضح القرآن فى مواضع متعدّده

،أن الذين ماتوا على كفرهم لا نجاه لهم،و هذا أمر طبيعى،لأن سعاده الحياه الآخره و شقاءها نتيجه مباشره لما ادّخره الإنسان من أعمال فى هذه الحياه. و من أحرق جناحيه فى الحياه الدنيا بنار الكفر و الانحراف لا يستطيع طبعا أن يحلّق فى الآخره،و لا بدّ من سقوطه فى درك الجحيم.و واضح أيضا أن هذا الفرد سيبقى على وضعه هذا فى عالم الآخره،لأن ذلك العالم ليس عالم الحصول على وسيله.

هذا يشبه إنسانا فقد عينيه بسبب جنوحه و اتباعه الشهوات و الأهواء عالما عامدا،فلا بدّ له أن يعيش أعمى طول حياته.

و بديهى أن هذا مصير الكافرين الذين سلكوا طريق الكفر عن علم و عمد.

(و سنوضح مسأله الخلود أكثر فى تفسير الآيتين ۱۰۷ و ۱۰۸ من سوره هود،فى المجلد السابع من هذا التّفسير).

۲-الآيه الثالثه فى بحثنا هذا تبين أحديه اللّه بشكل ينفى كل شرك و انحراف.

قد نرى أحيانا موجودات منفرده فى صفه من صفاتها،لكن هذه الموجودات

تتفرد فی صـفه أو عدّه صـفات.أمّا اللّه فهو أحد فی ذاته،و أحد فی صفاته،و أحد فی أفعاله،أحدیته لا تقبل التعدد عقلا،إنه أحد أزلی و أبدی لا تؤثر الحوادث علی أحدیته.إنه أحد فی الذهن و خارج الذهن.إنه أحد فی أحدیته!

۳-ألا یکفی لعن اللّه؟!

الآیه أعلاه ذکرت أن الـذین ماتوا و هم کفار،مشـمولون بلعنه اللّه و الملائکه و النّاس أجمعین.و هنا قـد یسأل سائل:أ لیست لعنه اللّه کافیه؟ الجواب واضح،فلعنه الملائکه و النّاس زیدت علی لعنه اللّه للتأکید،و لبیان کراهه النّاس لمثل هؤلاء المذنبین.

و لـو قیـل لـم ذکرت الآـیه(النّاس)بشـکل عـام،بینمـا یوجـد بین النّاس من هم شـرکاء فی الجریمه،و هؤلاـء لاـ یلعنـون أولئک المجرمین؟ و الجواب:إن هؤلاء أیضا کارهون لأعمال أولئک،فهؤلاء یکرهون مثلا کتمان الحقائق عنهم،و یلعنون من یستر عنهم الحقیقه،لکنهم یفعلون هم أیضا هذه السیئه إن اقتضت مصلحتهم ذلک.

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۱۶۴]

اشاره

إِنَّ فِی خَلْقِ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ اِخْتِلاٰفِ اَللَّیْلِ وَ اَلنَّهٰارِ وَ اَلْفُلْکِ اَلَّتِی تَجْرِی فِی اَلْبَحْرِ بِمٰا یَنْفَعُ اَلنّٰاسَ وَ مٰا أَنْزَلَ اَللّٰهُ مِنَ اَلسَّمٰاءِ مِنْ مٰاءٍ فَأَحْیٰا بِهِ اَلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهٰا وَ بَثَّ فِیهٰا مِنْ کُلِّ دَابَّهٍ وَ تَصْرِیفِ اَلرِّیٰاحِ وَ اَلسَّحٰابِ اَلْمُسَخَّرِ بَیْنَ اَلسَّمٰاءِ وَ اَلْأَرْضِ لَآیٰاتٍ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ (۱۶۴)

التّفسیر

اشاره

مظاهر عظمه اللّه فی الکون

آخر آیه فی المبحث الماضی دارت حول توحید اللّه،و هذه الآیه تقدم الدلیل علی وجود اللّه و وحدانیته.

قبل أن ندخل فی تفسیر الآیه،لا بدّ من مقدمه موجزه.حیثما کان«النظم و الانسجام»،فهو دلیل علی وجود العلم و المعرفه،و أینما کان«التنسیق»فهو دلیل علی الوحده.من هنا،حینما نشاهد مظاهر النظم و الانسجام فی الکون من جهه، و التنسیق و وحده العمل فیه من جهه اخری،نفهم وجود مبدأ واحد للعلم و القدره صدرت منه کل هذه المظاهر.

حینما نمعن النظر فی الأغشیه السته للعین الباصره و نری جهازها البدیع،

ص: ۴۶۶

نفهم أن الطبيعه العمياء الصماء لا يمكن إطلاقا أن تكون مبدأ مثل هذا الأثر البديع، ثم حينما ندقق فى التعاون و التنسيق بين هذه الأغشيه،و التنسيق بين العين بكل أجزائها و بين جسم الإنسان،و التنسيق الفطرى الموجود بين الإنسان و بين سائر البشر،و التنسيق بين بنى البشر و بين كل مجموعه نظام الكون،نعلم أن كل ذلك صادر من مبدأ واحد،و كل ذلك من آثار و قدره ذات مقدسه واحده.

ألا تدل القصيده الجميله العميقه المعنى على ذوق الشاعر و قريحته؟! ألا يدلّ التنسيق الموجود بين قصائد الديوان الواحد على أنها جميعا صادره من قريحه شاعر مقتدر واحد؟ بعد هذه المقدمه نعود إلى تفسير الآيه،هذه الآيه الكريمه تشير إلى سته أقسام من آثار النظم الموجود فى عالم الكون،و كل واحد آيه تدل على وحدانيه المبدأ الأكبر.

١- إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ...

من العلامات الداله على ذات اللّه المقدسه و على قدرته و علمه و وحدانيته، السماء و كرات العالم العلوى،أى هذه المليارات من الشموس المشرقه و النجوم الثابته و السياره،التى ترى بالعين المجرده أو بالتلسكوبات،و لا يمكن رؤيه بعضها بأقوى أجهزه الإرصاد لبعدها الشاسع...الشاسع للغايه،و التى تنتظم مع بعضها فى نظام دقيق مترابط.

و هكذا الأرض بما على ظهرها من حياه،تتجلّى بمظاهر مختلفه و تتلبس بلباس آلاف الأنواع من النبات و الحيوان.

و من المدهش أن عظمه هذا العالم و سعته و امتداده تظهر أكثر كلما تقدّم العلم، و لا ندرى المدى الذى سيبلغه العلم فى فهم سعه هذا الكون! يقول العلم لنا اليوم:إن فى السماء آلافا مؤلفه من المجرات،و منظومتنا الشمسيه جزء من واحده من المجرات،و فى مجرتنا وحدها مئات الملايين من

الشموس و النجوم السّاطعه،و حسب دراسات العلماء يوجد بين هذه الكواكب مليون كوكب مسكون بمليارات الموجودات الحيّه! حقا ما أعظم هذا الكون!و ما أعظم قدره خالقه!! ٢- وَ اخْتِلاٰفِ اللَّيْلِ وَ النَّهٰارِ...

من الدّلائل الاخرى على ذاته المقدسه و صفاته المباركه تعاقب الليل و النهار،و الظلمه و النور بنظام خاص،فينقص أحد هما بالتدريج ليزيد فى الآخر، و ما يتبع ذلك من تعاقب الفصول الأربعه،و تكامل النباتات و سائر الأحياء فى ظل هذا التكامل.

لو انعدم هذا التغيير التدريجى،أو انعدم النظام فى هذا التدريج،أو انعدم تعاقب الليل و النهار لانمحت الحياه من وجه الكره الأرضيه،و لو بقيت و استمرت -فرضا-لأصابتها الفوضى و الخبط (١) .

٣- وَ الْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِمٰا يَنْفَعُ النّٰاسَ الإنسان يمخر عباب البحار و المحيطات بالسفن الكبيره و الصغيره، مستخدما هذه السفن للسفر و لنقل المتاع.و حركه هذه السفن خاصه الشراعيه منها تقوم على عدّه أنظمه:

الأوّل،نظام هبوب الرياح على سطح مياه الكره الأرضيه،فهناك الرياح القاريه التى تهبّ من القطبين الشمالى و الجنوبى نحو خطّ الإستواء و بالعكس و تدعى«اليزه»و«كنتراليزه»؟؟.و هناك الرياح الإقليميه التى تهب وفق نظام معين،و تعتبر قوه طبيعيه لتحريك السفن نحو مقاصدها.

---

١ - ١) -«الاختلاف»قد يعنى التعاقب أى مجيء شيء و ذهاب آخر،و قد يعنى الزياده و النقصان فى الليل و النهار، و على المعنيين تتحدث الآيه عن نظام خاص للّيل و النهار لا يمكن أن يكون قائما على الصدفه.و من دون تدخل وجود عالم و قادر فى ذلك.و لهذا ورد فى القرآن الكريم،هذا المعنى فى موارد متعدده كدليل على الذات المقدسه.

و هكذا خاصيه الخشب،أو خاصيه القوّه الدافعه التى يسلطها الماء على الأجسام الغاطسه فيه،فيجعل هذه السفن تطفو على سطح الماء.

أضف إلى ذلك خاصيه القطبين المغناطيسيين للكره الأرضيه،التى تساعد البحاره باستخدام البوصله أن يعرفوا اتجاههم فى وسط البحار،إضافه إلى استفادتهم من نظام حركه الكواكب فى معرفه جهه السير.

كل هذه الأنظمه تساعد على الاستفاده من الفلكك (۱) ،و تعطى دليلا محسوسا على قدره اللّه و عظمته،و تعتبر آيه من آيات وجوده.

استعمال المحركات الوقوديه بدل الأشرعه فى السفن اليوم،لم يقلل أهميه هذه الظاهره،بل زادها عجبا و دهشه،إذ نرى اليوم السفن العملاقه التى تشبه مدينه بجميع مرافقها، تطفو على سطح الماء و تتنقل بفنادقها و ساحات لعبها و أسواقها،بل و مدارج للطائرات فيها...على ظهر البحار و المحيطات.

۴- وَ مٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ مِنَ السَّمٰاءِ مِنْ مٰاءٍ فَأَحْيٰا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهٰا وَ بَثَّ فِيهٰا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ... .

من مظاهر قدره اللّه و عظمته المطر الذى يحيى الأرض،فتهتز ببركته و تنمو فيها النباتات و تحيا الدواب بحياه هذه النباتات،و كل هذه الحياه تنتشر على ظهر الأرض من قطرات ماء لا حياه فيها.

۵- وَ تَصْرِيفِ الرِّيٰاحِ... ،لا على سطح البحار و المحيطات لحركه السفن فحسب،بل على الجبال و الهضاب و السهول أيضا لتلقيح النباتات فتخرج لنا ثمارها اليانعه.

و تاره تعمل على تحريك أمواج المحيطات بصوره مستمره و مخضها مخض السقاء لإيجاد محيط مستعد لنمو و حياه الكائنات البحريه.

۱- ۱) -الفلكك،هى السفينه أو السفن،فاللفظ مفرد و جمع.

و اخرى تقوم بتعديل حراره الجو و تلطيف المناخ بنقلها حراره المناطق الاستوائيه إلى المناطق البارده،و بالعكس.

و أحيانا تقوم بنقل الهواء الملوّث الفاقد للاوكسجين من المدن إلى الصحارى و الغابات لمنع تراكم السموم فى الفضاء.

أجل فهبوب الرياح مع كل تلك البركات و الفوائد علامه اخرى على حكمه البارى و لطفه الدائم.

۶- وَ السَّحٰابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمٰاءِ وَ الْأَرْضِ و السحب المتراكمه فى أعالى الجو،المحمّله بمليارات الأطنان من المياه خلافا لقانون الجاذبيه،و المتحركه من نقطه إلى اخرى دون إيجاد خطر،من مظاهر عظمه اللّه سبحانه.

إضافه إلى أن هذا الودق(المطر)الّذى يخرج من خلال السحاب يحيى الأرض،و بحياه الأرض تحيا النباتات و الحيوانات و الإنسان،و لو لا ذلك لتحولت الكره الأرضيه إلى أرض مقفره موحشه.و هذا مظهر آخر لعلم اللّه سبحانه و قدرته.

و كل تلك العلامات و المظاهر لَآيٰاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ،لا للغافلين الصم البكم العمى.

الآيات [سوره البقره (٢): الآيات ١۶۵ الى ١۶٧]

اشاره

وَ مِنَ اَلنّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اَللّهِ أَنْداداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اَللّهِ وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلّهِ وَ لَوْ يَرَى اَلَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ اَلْعَذابَ أَنَّ اَلْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَ أَنَّ اَللّهَ شَدِيدُ اَلْعَذابِ (١۶۵) إِذْ تَبَرَّأَ اَلَّذِينَ اُتُّبِعُوا مِنَ اَلَّذِينَ اِتَّبَعُوا وَ رَأَوُا اَلْعَذابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ اَلْأَسْبابُ (١۶۶) وَ قالَ اَلَّذِينَ اِتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَما تَبَرَّؤُا مِنّا كَذلِكَ يُرِيهِمُ اَللّهُ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَيْهِمْ وَ ما هُمْ بِخارِجِينَ مِنَ اَلنّارِ (١۶٧)

التّفسير

اشاره

أئمّه الكفر يتبرّءون من أتباعهم!

تناولت الآيات السابقه دلائل وجود اللّه سبحانه و إثبات وحدانيته،عن طريق عرض مظاهر لنظام الكون.و هذه الآيات تتحدث عن أولئك الذين أعرضوا عن كل تلك الدلائل الواضحه،و ساروا على طريق الشرك و الوثنيه و تعدّد الآلهه..عن أولئك الذين يحنون رؤوسهم تعظيما أمام الآلهه المزيقه، و يتعشقونها و يشغفون بها حبّا لا يليق إلاّ باللّه سبحانه مصدر كل الكمالات و واهب جميع النعم.

تقول الآيه: وَ مِنَ النّٰاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللّٰهِ أَنْدٰاداً (١) .

و لم يتخذ المشركون هؤلاء الأنداد للعباده فحسب،بل يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّٰهِ .

وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلّٰهِ

،لأنهم أصحاب عقل و إدراك،يفهمون أن اللّه سبحانه مصدر كل الكمالات،و هو وحده اللائق بالحبّ،و لا يحبون شيئا آخر إلاّ من أجله.و قد غمر الحبّ الإلهی قلبهم حتی أصبحوا يرددون مع أمير المؤمنين علیّ عليه السّلام:

«فهبنی صبرت علی عذابک،فكيف أصبر علی فراقک»؟!

(٢)

.

الحبّ الحقيقی يتجه دائما نحو نوع من الكمال،فالإنسان لا يحبّ العدم و النقص،بل يسعی دوما وراء الوجود و الكمال،و لذلک كان الأكمل فی الوجود و الكمال أحق بالحبّ.

الآيه أعلاه تؤكد أن حبّ المؤمنين للّه أشدّ من حبّ الكافرين لمعبوداتهم.

و لم لا يكون كذلک؟!فلا يستوی من يحبّ عن عقل و بصيره،و من يحبّ عن جهل و خرافه و تخيّل.

حبّ المؤمنين ثابت عميق لا يتزلزل،و حبّ المشركين سطحی تافه لا بقاء له و لا استمرار.

لذلک تقول الآيه: وَ لَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا،إِذْ يَرَوْنَ الْعَذٰابَ،أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّٰهِ جَمِيعاً وَ أَنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعَذٰابِ لرأوا سوء فعلهم و سوء عاقبتهم (٣) .

فی هذه اللحظات تزول حجب الجهل و الغرور و الغفله من أمام أعينهم،و حين يرون أنفسهم دون ملجأ أو ملاذ،يتجهون إلی قادتهم و معبوديهم،ولات حين ملاذ بغير اللّه إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا،وَ رَأَوُا الْعَذٰابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبٰابُ

١- ١) -الأنداد جمع(ند)و هو(المثل)،و قال جمع من علماء اللغه،هو المثل المشابه فی الجوهر،أی إن المشركين كانوا يعتقدون بأن هذه الأنداد تحمل الصفات الإلهيه!

٢- ٢) -من دعاء علی عليه السلام المروی علی لسان كميل بن زياد.المعروف بدعاء(كميل).

٣- ٣) -هذا علی تفسير«لو»شرطيه و جوابها محذوف،و من المفسرين من قال إن(لو)هنا للتمنی.

.

واضح أن المعبودين هنا ليسوا الأصنام الحجريه أو الخشبيه،بل الطغاه الجبابره الذين استعبدوا النّاس،فقدم لهم المشركون فروض الولاء و الطاعه، و استسلموا لهم دون قيد أو شرط.

هؤلاء الغافلون المغفّلون حين يروا ما حلّ بهم يمنّون أنفسهم: وَ قالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنا كَرَّهً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَما تَبَرَّؤُا مِنّا لكنها أمنيه لا تتحقق،و عبرت آيه اخرى عن مثل هذا التمنى على لسان كافر يقول لمعبوده المزيف: حَتّى إِذا جاءَنا قالَ يا لَيْتَ بَيْنِی وَ بَيْنَکَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ (١) .

ثم تقول الآيه: كَذلِکَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَيْهِمْ،وَ ما هُمْ بِخارِجِينَ مِنَ النّارِ .

ليس لهم إلاّ أن يتحسّروا،يتحسّرون على أموالهم التى كنزوها و استفاد منها غيرهم...و على فرصه الهدايه و النجاه التى هيئت لهم فلم يستثمروها...و على عبادتهم لآلهه زائفه بدل عباده اللّه الواحد الأحد.

لكنّها حسره غير نافعه...فاليوم الجزاء على ما جنته يد الإنسان من أخطاء، و ليس يوم تلافى الأخطاء.

۱- ۱) -الزخرف،۳۸.

الآيتان [سوره البقره (٢): الآيات ١۶٨ الى ١۶٩]

اشاره

يا أَيُّهَا اَلنّاسُ كُلُوا مِمّا فِي اَلْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَ لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ اَلشَّيْطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١۶٨) إِنَّما يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَ اَلْفَحْشاءِ وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اَللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (١۶٩)

سبب النّزول

عن ابن عباس أن طوائف من العرب مثل ثقيف و خزاعه،حرموا على أنفسهم بعض النباتات و الحيوانات دونما دليل،(و نسبوا التحريم إلى اللّه أيضا)،فنزلت الآيتان تنهاهم عن ذلك.

التّفسير

اشاره

خطوات الشيطان!

ذمّت الآيات السابقه الشرك و المشركين،و أحد أنواع الشرك إيكال أمر التقنين و التشريع و تقرير الحلال و الحرام إلى غير اللّه.

الآيه أعلاه اعتبرت هذا العمل شيطانيا و قالت: يا أَيُّهَا النّاسُ كُلُوا مِمّا فِی الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً،وَ لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ .

تكرر فی القرآن طلب الاستفاده من الأطعمه،و ورد الطلب عاده مقيّدا

ص :۴٧۴

بالحلال و بالطيّب.

و«الحلال»ما أبيح تناوله،و الطيب ما طاب و وافق الطبع السليم،و يقابله «الخبيث»الذى يشمأز منه الإنسان.

و«الخطوات»جمع«خطوه»و هى المرحله التى يقطعها الشيطان للوصول إلى هدفه و للتغرير بالنّاس.

عباره لاـ تَتَّبِعُوا خُطُوٰاتِ الشَّيْطٰانِ تكررت خمس مرات فى القرآن الكريم،و كانت فى موضعين بشأن الاستفاده من الأطعمه و الرزق الإلهى.و هى تحذير من استهلاك هذه النعم الإلهيه فى غير موضعها.و حثّ على الاستفاده منها على طريق العبوديه و الطاعه لا الفساد و الطغيان فى الأرض.

النهى عن اتباع خطوات الشيطان فى استثمار مواهب الطبيعه،توضحه آيات اخرى تنهى أيضا عن الإفساد فى استثمار ما وهبه اللّه للناس،كقوله تعالى: كُلُوا وَ اشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللّٰهِ وَ لاٰ تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (1) ،و كقوله سبحانه كُلُوا مِنْ طَيِّبٰاتِ مٰا رَزَقْنٰاكُمْ وَ لاٰ تَطْغَوْا فِيهِ (2) .

هذه المواهب و الإمكانات ينبغى أن تكون طاقه دافعه نحو الطاعه لا وسيله لارتكاب الذنوب.

عباره إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ تكررت فى القرآن الكريم عشر مرات بعد الحديث عن الشيطان،كى تحفّز الإنسان،و تجعله متأهبا لمجابهه هذا العدوّ اللدود الظاهر.

الآيه التاليه تؤكد على عداء الشيطان،و على هدفه المتمثل فى شقاء الإنسان، و تقول: إِنَّمٰا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَ الْفَحْشٰاءِ وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللّٰهِ مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ .

منهج الشيطان يتلخص فى ثلاثه أبعاد هى:السوء،و الفحشاء،و التّقول على اللّه.

۱- ۱) -البقره،۶۰.

۲- ۲) -طه،۸۱.

الفحشاء من«الفحش»،و هو کل عمل خارج عن حدّ الاعتدال،و یشمل کل المنکرات و القبائح المبطنه و العلنیه.و استعمال هذه المفرده حالیا بمعنی الأعمال المنافیه للعفّه هو من قبیل استعمال اللفظ الکلی فی بعض مصادیقه.

عباره تَقُولُوا عَلَی اللّهِ مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ قد تشیر إلی تحریم بعض الأطعمه المحلله،کما مرّ بنا فی سبب النّزول.و هو عمل بعض القبائل العربیه فی الجاهلیه، و قیل:إن رواسبه کانت باقیه فی ذهن بعض المسلمین الجدد (1) .

و قد یتسع معناها لیشمل الشرک و التشبیه باللّه أیضا.

علی أیه حال،العباره تشیر إلی القول غیر القائم علی العلم،و هو قول شیطانی مذموم،خاصه إذا کان متضمنا نسبه شیء إلی اللّه.

الإسلام یحثّ دوما علی الانطلاق من العقل و المنطق فی اتخاذ المواقف و فی إصدار الأحکام،و لو کان دأب أفراد المجتمع ذلک لزال من المجتمع الشقاء.

کل ما دخل فی الأدیان الإلهیه من تحریف و مسخ إنما کان علی ید أفراد بعیدین عن المنطق،و الجانب الأکبر من الانحرافات العقائدیه یعود إلی عدم رعایه هذا الأصل،لذلک کان محورا من محاور النشاط الشیطانی بعنوان مستقل-فی مقابل السوء و الفحشاء-فی الآیه المذکوره.

بحوث

اشاره

۱-أصل الحلیّه:

هذه الآیه تدل علی أنّ الأصل فی کل الأغذیه الموجوده علی ظهر الأرض

۱- ۱) -المیزان،ج ۱،ص ۴۲۵.

الحلیّه،و المستثناه هی الأغذیه المحرمه.من هنا فإن الحرمه تحتاج إلی دلیل لا الحلیه.و هذا ما یقتضیه أیضا طبیعه الخلیقه.إذ لا بدّ من وجود تنسیق بین القوانین التشریعیه و القوانین التکوینیه.

بعباره أوضح ما خلقه اللّه لا بدّ أن ینطوی علی فائده لعباده.من هنا فلا معنی أن یکون الأصل الأوّلی للأطعمه علی ظهر الأرض التحریم.فکل غذاء إذن حسب هذه الآیه الکریمه حلال ما لم تثبت حرمته بدلیل صحیح،و ما دام لا یشکل ضررا علی الفرد و المجتمع.

۲-الانحرافات التدریجیه

عباره خُطُوٰاتِ الشَّیْطٰانِ قد تشیر إلی مسأله تربویه دقیقه،هی إنّ الانحرافات تدخل ساحه الإنسان بشکل تدریجی،لا دفعی فوری.فتلوّث شاب بالقمار،أو شرب الخمر،أو بالمخدرات مثلا یتم علی مراحل:

یشترک أوّلا متفرجا فی جلسه من جلسات الخمارین أو المقامرین،ظانا أنه عمل اعتیادی لا ضیر فیه.

ثم یشترک فی القمار للترویح عن النفس(دون ربح أو خساره)،أو یتناول شیئا من المخدرات بحجه رفع التعب أو المعالجه أو أمثالها من الحجج.

و فی الخطوه الاخری یمارس العمل المحرم قاصدا أنه یمارسه مؤقتا.

و هکذا تتوالی الخطوات واحده بعد اخری و یصبح الفرد مقامرا محترفا أو مدمنا خطرا.

وساوس الشیطان تدفع بالفرد علی هذه الصوره التدریجیه نحو هاویه السقوط،و لیست هذه طریقه الشیطان الأصلی فحسب،بل کل الأجهزه الشیطانیه تنفذ خططها المشؤومه علی شکل«خطوات»لذلک یحذّر القرآن کثیرا من اتّخاذ الخطوه الاولی علی طریق الانزلاق.

جدير بالذكر أن الأعمال الخرافيه غير القائمه على أساس منطقى اعتبرتها النصوص الإسلاميه من«خطوات الشّيطان».

و قد ورد فى رجل أقسم أن يذبح ابنه،

قال الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام: «ذلک من خطوات الشّيطان»

(۱)

.

و عن الإمام محمّد بن على الباقر عليه السّلام: «کلّ يمين بغير اللّه فهو من خطوات الشّيطان».

(۲)

و

عن الامام الصادق أيضا: «إذا حلف الرّجل على شىء و الّذى حلف عليه إتيانه خير من ترکه فليأت الّذى هو خير و لا کفّاره له و إنّما ذلک من خطوات الشّيطان» (۳) .

۳-الشّيطان عدوّ قديم

الآيه الكريمه و صفت الشّيطان أنّه عَدُوٌّ مُبِينٌ ،و ذلک إمّا لعدائه لآدم بعد أن أبى السجود له،و خسر كل شىء على أثر ذلک.و إما بسبب إغوائه الواضح لبنى البشر و دفعهم على طريق الإجرام.و واضح أن هذا الدفع لا يصدر إلاّ من عدوّ لدود.

أو لأن الشيطان أعلن عداءه صراحه للإنسان،و عاهد نفسه على إغوائهم إذ قال: لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ .

۴-طريقه الوسوسه الشّيطانيه

الآيه الكريمه تحدثت عن أمر الشيطان:فقالت: إِنَّما يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَ الْفَحْشاءِ... و هذا الأمر هو الوسوسه الشيطانيه.و قد يطرح سؤال بشأن هذه الأوامر الشيطانيه إذ لا يحسّ الإنسان بأمر خارجى يصدر إليه حين يرتکب

۱- ۱) -تفسير الميزان،ج ۱،ص ۴۲۸.

۲- ۲) -نفس المصدر.

۳- ۳) -نفس المصدر.

السيئات،و لا يتلمس سعيا شيطانيا لإضلاله.

الجواب هو أن هـذه«الوسوسه»تـأثير خفى عبّرت عنه بعض الآيـات بالإيحـاء: وَ إِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ (1) .و الإيحاء من«الوحى»الذى هو تأثير غيبى خفى أو التأثيرات اللاواعيه أحيانا.

و ثمّه فرق بين«الإلهـام الإلـهى»و«الوسوسه الشـيطانيه»هو إن الإلهـام الإلـهى لانسـجامه مع الفطره الإنسـانيه و مع تركيب الجسم و الروح،يترك فى النفس حاله انبساط و انشراح.

بينما الوسوسه الشـيطانيه لتناقضـها مع الفطره الإنسانيه السـليمه،تجعل القلب يحسّ بظلام و انزعاج و ثقل.و إن لم يحدث فيه مثل هذا الإحساس قبل ارتكاب السيئه فإنه يحسّ بها بعد الارتكاب.هذا هو الفرق بين الإلهامات الشيطانيه و الإلهامات الإلهيه.

۱- ۱) -الأنعام،۱۲۱.

الآيتان [سوره البقره (۲): الآيات ۱۷۰ الی ۱۷۱]

اشاره

وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اَللّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَ وَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَ لا يَهْتَدُونَ (۱۷۰) وَ مَثَلُ اَلَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ اَلَّذِي يَنْعِقُ بِما لا يَسْمَعُ إِلاّ دُعاءً وَ نِداءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ (۱۷۱)

التّفسير

اشاره

التّقليد الأعمى

تشير الآيه إلى منطق المشركين الواهى فى تحريم ما أحلّ اللّه،أو عباده الأوثان و تقول: وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا .

و يدين القرآن هذا المنطق الخرافى،القائم على أساس التقليد الأعمى لعادات الآباء و الأجداد،فيقول: أَ وَ لَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَ لا يَهْتَدُونَ .

أى إن اتباع الآباء صحيح لو أنهم كانوا على طريق العقل و الهدايه.أمّا إذا كانوا لا يعقلون و لا يهتدون،فما اتباعهم إلاّ تركيز للجهل و الضلال.

الإنسان الجاهلى لا يستند إلى قاعده ايمانيه يحسّ معها بوجوده و بشخصيته و بأصالته،لذلك يستند إلى مفاخر الآباء و عاداتهم و تقاليدهم،ليصطنع له شخصيه

ص: ۴۸۰

كاذبه و أصاله موهومه.و هذه عاده الجاهليين قديما و حديثا فى تعصبهم القومى و خاصه فى ما يتعلق باسلافهم.

الإسلام أدان المنطق الرجعى القائم على تقديس ما عليه الآباء و الأجداد، لأنه ينفى العقل الإنسانى.و يرفض تطوّر التجارب البشريه،و يصادر الموضوعيه فى معالجه قضايا السلف.

هذا المنطق الجاهلى يسود اليوم-و مع الأسف-فى بقاع مختلفه من عالمنا، و يظهر هنا و هناك بشكل«صنم»يوحى بعادات و تقاليد خرافيه مطروحه باسم «آثار الآباء» و مؤامره باسم الحفاظ على المآثر القوميّه و الوطنيه،مشكّلا بذلك أهم عامل لانتقال الخرافات من جيل إلى جيل آخر.

لا- مانع طبعا من تحليل عادات الآباء و تقاليدهم،فما انسجم منها مع العقل و المنطق حفظ،و ما كان وهما و خرافه لفظ.المقدار المنسجم مع العقل و المنطق من العادات و الثقاليد يستحق الحفظ و الصيانه باعتباره تراثا قوميا.أمّا الاستسلام التام الأعمى لتلك العادات و التقاليد فليس إلّا الرجعيه و الحماقه.

جدير بالذكر أن الآيه أعلاه تتحدث عن آباء هؤلاء المشركين و تقول عنهم إنهم لا يعلمون،و لا يهتدون.و هذا يعنى إمكان الاقتداء باثنين.بمن كان يملك الفكر و العقل و العلم،و من كان قد اهتدى بالعلماء.

أما أسلاف هؤلاء فلم يكونوا يعلمون،و لم يكونوا قد اهتدوا بمن يعلم و هذا اللون من التقليد الأعمى هو السبب فى تخلف البشريه لأنه تقليد الجاهل للجاهل.

الآيه التاليه تبين سبب تعصّب هؤلاء و إعراضهم عن الانصياع لقول الحق تقول: وَ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلّا دُعاءً وَ نِداءً .تقول الآيه:

إن مثلك فى دعوه هؤلاء المشركين إلى الايمان و نبذ الخرافات و التقليد الأعمى كمن يصيح بقطيع الغنم(لإنقاذهم من الخطر)و لكن الأغنام لا تدرك منه سوى أصوات غير مفهومه.

أجل فهؤلاء الكفار و المشركين كالحيوانات و الانعام التى لا تسمع من راعيها الذى يريد لها الخير سوى أصوات مبهمه.

ثم تضيف الآيه لمزيد من التأكيد و التوضيح أن هؤلاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْیٌ فَهُمْ لاٰ یَعْقِلُونَ (۱) .

و لذلک یتمسکون بالتقالید الخاطئه لآبائهم،و یعرضون عن کل دعوه بنّاءه.

و قیل فی تفسیر الآیه أیضا إن معناها:مثل الذین یدعون أصنامهم و آلهتهم الکاذبه کالذی یدعو البهائم،لا الحیوانات تفهم النداء و لا تلک الأصنام،لأن هذه الأصنام صمّاء بکماء عمیاء لا تعقل.

أکثر المفسرین علی التّفسیر الأوّل للآیه،و الروایات الإسلامیه تؤیده و نحن علی ذلک أیضا.

بحثان

اشاره

۱-سبل المعرفه

یحتاج الإنسان فی ارتباطه بالخارج دون شک إلی سبل،تسمّی سبل المعرفه.أهم هذه السبل العین و الأذن للرؤیه و السماع،و اللسان للسؤال.

لذلک،بعد أن تصف الآیه هؤلاء بأنهم صم بکم عمی،تستنتج باستعمال فاء التفریع و تقول: فَهُمْ لاٰ یَعْقِلُونَ .

من هنا یقرر القرآن أن أساس العلوم العین و الأذن و اللسان،العین و الأذن للفهم المباشر،و اللسان لإقامه الارتباط بالآخرین و کسب علومهم.

---

۱ – ۱) -وفقا لهذا التّفسیر فان المعنی بحاجه إلی تقدیر،ففی الأصل:مثل الداعی للذین کفروا إلی الایمان...و علی هذا تکون جمله«صم بکم عمی فهم لا یعقلون»و صفیه لهؤلاء الأشخاص الذین فقدوا جمیع آلیات الإدراک عملیا.لا أنهم فقدوا العین و الاذن و اللسان و لکن بما أنهم لم ینتفعوا بها بالوجه الصحیح،فکأنما قد فقدوها.

و الفلسفه أثبتت أيضا حقيقه انطلاق العلوم غير الحسيه أيضا من العلوم الحسيّه،و هو بحث واسع لا مجال هنا لشرحه.(لمزيد من التوضيح عن نعمه أدوات المعرفه راجع المجلد الثامن من هذا التّفسير،فى شرح الآيه ٧٨ من سوره النحل).

٢-نعق الغراب:

إذا صوّت دون أن يمدّ عنقه،فإذا مدّ عنقه و حركها ثم صاح قيل:نغق (بالغين) (١) .

ثم توسّعوا فى نعق لتشمل كل صوت تنادى به البهائم،و واضح أن هذه البهائم لا تفهم شيئا من هذا النداء و إن أبدت ردّ فعل تجاه هذا النداء،فإنما هو لدوىّ هذا الصوت و طريقه أدائه الخاصه.

ص :۴۸۳

١- ١) -مجمع البيان،تفسير الآيه مورد البحث.

الآیتان [سوره البقره (۲): الآیات ۱۷۲ الی ۱۷۳]

اشاره

یا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا کُلُوا مِنْ طَیِّباتِ ما رَزَقْناکُمْ وَ اُشْکُرُوا لِلّهِ إِنْ کُنْتُمْ إِیّاهُ تَعْبُدُونَ (۱۷۲) إِنَّما حَرَّمَ عَلَیْکُمُ اَلْمَیْتَهَ وَ اَلدَّمَ وَ لَحْمَ اَلْخِنْزِیرِ وَ ما أُهِلَّ بِهِ لِغَیْرِ اَللّهِ فَمَنِ اُضْطُرَّ غَیْرَ باغٍ وَ لا عادٍ فَلا إِثْمَ عَلَیْهِ إِنَّ اَللّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۱۷۳)

التّفسیر

اشاره

الطّیبات و الخبائث

القرآن ینهج أسلوب التأکید و التکرار بأشکال مختلفه فی معالجته للانحرافات المزمنه.و فی هذه الآیات عوده إلی مسأله تحریم المشرکین فی الجاهلیه لبعض الأطعمه دونما دلیل.مع فارق هو أن الخطاب یتجه فی هذه الآیات إلی المؤمنین،بینما خاطبت الآیات السابقه جمیع النّاس.

تقول الآیه: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا کُلُوا مِنْ طَیِّباتِ ما رَزَقْناکُمْ وَ اشْکُرُوا لِلّهِ إِنْ کُنْتُمْ إِیّاهُ تَعْبُدُونَ .

هذه النعم الطیبه المحلله المتناسبه مع الفطره الإنسانیه السلیمه قد خلقت لکم،فلم لا تستفیدون منها؟! هذه الأطعمه تمنحکم القوه علی أداء مهامکم،و تذکرکم بشکر خالقکم

و عبادته.

لو قارنا هذه الآيه بقوله تعالى: يَا أَيُّهَا النّٰاسُ كُلُوا مِمّٰا فِي الْأَرْضِ (۱) لفهمنا نكتتين:

تقول الآيه هنا: مِنْ طَيِّبٰاتِ مٰا رَزَقْنٰاكُمْ ،بينما تقول تلك مِمّٰا فِي الْأَرْضِ .

و لعل هذا الاختلاف يشير إلى أن النعم الطيبه مخلوقه أصلا للمؤمنين،و غير المؤمنين يتناولون هذه الأطعمه ببركه المؤمنين،كالماء الذى يستعمله البستانى لسقى أشجاره و أغراسه،بينما تستفيد من هذا الماء أيضا الأعشاب و النباتات الطفيليه.

و الاخرى،أن الآيه تقول لعامه النّاس: كُلُوا ... وَ لاٰ تَتَّبِعُوا خُطُوٰاتِ الشَّيْطٰانِ و هذه الآيه تخاطب المؤمنين و تقول: كُلُوا ... وَ اشْكُرُوا لِلّٰهِ أى لا تكتفى هذه الآيه بالطلب من المؤمنين أن لا يسيئوا الاستفاده من هذه النعم،بل تحثهم على حسن الاستفاده منها.

فالمتوقع من النّاس العاديين أن لا يذنبوا فى استهلاك هذه النعم،بينما المتوقع من المؤمنين أن يستثمروها فى أفضل طريق.

و قد يثير تكرار التأكيد فى القرآن الكريم على الاستفاده من الأطعمه الطيبه تساؤلا عن سبب هذا التكرار. أمّا لو عدنا إلى تاريخ العصر الجاهلى لفهمنا السبب.فالجاهليون قد حرّموا على أنفسهم بعض الأطعمه دونما دليل،و تناقلت أجيالهم هذا التحريم و كأنّه وحى منزل،و نسبوه أحيانا بصراحه إلى اللّه،و القرآن استهدف اقتلاع جذور هذه الأفكار الخرافيه من أذهانهم.

ثم إن التركيز على كلمه«طيب»يتضمن أيضا دعوه إلى اجتناب ما خبث من الأطعمه،كالميته و الوحوش و الحشرات،و كالمسكرات السائده بين النّاس بشدّه

ص: ۴۸۵

۱- ۱) -الآيه ۱۶۸ من هذه السّوره.

آنذاک.

فی تفسیر الآیه ۳۲ من سوره الأعراف تحدثنا بالتفصیل عن استثمار المؤمنین الأطعمه الطیبه و الزینه المعقوله(المجلد الخامس من هذا التّفسیر).

الآیه التالیه تبین بعض ألوان الأطعمه المحرمه،و تقول: إِنَّمٰا حَرَّمَ عَلَیْکُمُ الْمَیْتَهَ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِنْزِیرِ وَ مٰا أُهِلَّ بِهِ لِغَیْرِ اللّٰهِ .

تذکر الآیه ثلاثه أنواع من اللحوم المحرمه إضافه إلی الدم،و هی من أکثر المحرمات انتشارا فی ذلک العصر،فی بعضها خبث ظاهر لا یخفی علی أحد کالمیته و الدم و لحم الخنزیر،و فی بعضها خبث معنوی کالتی ذبحت من أجل الأصنام.

الحصر فی الآیه بکلمه«إنما»هو«حصر إضافی»لا یستهدف منه بیان جمیع المحرمات،بل نفی ما ابتدعوه بشأن بعض اللحوم المحلله.بعباره اخری،هؤلاء الجاهلیون حرّموا بعض الأطعمه الطیبه استنادا إلی ما توارثوه من خرافات و أوهام،لکنهم بدلا من ذلک کانوا یعمدون عند قله الطعام إلی أکل المیته أو الخنزیر أو الدم.

القرآن یقول لهؤلاء إن هذه هی الأطعمه المحرمه لا تلک(و هذا هو معنی الحصر الإضافی).

و لمّا کانت بعض الضرورات تدفع الإنسان إلی تناول الأطعمه المحرمه حفظا لحیاته،فقد استثنت الآیه هذه الحاله و قالت: فَمَنِ اضْطُرَّ غَیْرَ بٰاغٍ وَ لاٰ عٰادٍ فَلاٰ إِثْمَ عَلَیْهِ .

و من أجل أن تقطع الآیه الطریق أمام من یتذرع بالاضطرار،أکدت علی کون المضطر«غیر باغ»و«لا عاد».و الباغی هو الطالب،و المراد هنا طالب اللذه و العادی هو المتجاوز للحد،أی المتجاوز حدّ الضروره،فالرخصه هنا إذن لمن لا یرید اللذه فی تناول هذه الأطعمه،و لا یتجاوز حد الضروره اللازمه لنجاته من

الموت.

و لأن معنى البغى الظلم أيضا ذهب بعض المفسرين إلى أن الرخصه ممنوحه لأولئك الذين يضطرون خلال سفر محلل،لا خلال سفر المعصيه.

فالمسافرون لهدف غير مشروع قد يجب عليهم تناول الأطعمه المحرمه لحفظ النفس من التلف،إلّا أن هذا العمل يكتب فى صحيفه أعماله من الذنوب.

بعباره اخرى:هؤلاء العاصون قد يجب عليهم عقلا فى أسفارهم المحرمه أن يتناولوا شيئا من الأطعمه المحرمه لدى الاضطرار،لكن هذا الوجوب لا يرفع عنهم المسؤوليه،لأنهم أجبروا على ذلك و هم على مسير خاطئ.

و هناك روايات تذكر أن الآيه تشير إلى السائرين على طريق الخروج على إمام المسلمين،فهؤلاء مستثنون من هذه الرخصه.و هذه الروايات تشير فى الواقع إلى نفس الحقيقه المذكوره،و هكذا الأمر فى أحكام صلاه المسافر،فالمسافر يقصر الصلاه فى السفر إلّا ما كان سفرا حراما،و لذلك يستدلّ بعباره(غير باغ و لا عاد)للحكمين معا،حكم صلاه المسافر،و حكم ضروره تناول اللحوم المحرمه (1) و فى الختام تقول الآيه: إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ فإن اللّه الذى حرّم تلك الأطعمه أباح تناولها فى موارد الضروره برحمته الخاصه.

بحوث

اشاره

1-فلسفه تحريم اللحوم المحرمه:

الأغذيه المحرمه التى ذكرتها الآيه الكريمه أعلاه لها-كسائر المحرمات الإلهيه-فلسفتها الخاصه.و قد شرّعت انطلاقا من خصائص الإنسان جسميا

1- 1) - روى عن الإمام الصادق عليه السّلام: «أنّ(الباغى)هو الذّاهب للصّيد على سبيل التّنزّه،و(العادى)هو السّارق،و هذان مستثنيان من رخصه أكل الميته و قصر الصّلاه»، (وسائل الشيعه،ج 5،ص 509)

و روحیا. و الروایات الإسلامیه ذکرت علل بعض هذه الأحکام،و العلوم الحدیثه أماطت اللثام أیضا عن بعض هذه العلل.

علی سبیل المثال،

روی عن الإمام الصادق علیه السّلام قال: «...أمّا المیته فإنّه لم ینل منها أحد إلاّ ضعف بدنه،و ذهبت قوّته،و انقطع نسله،و لا یموت آکل المیته إلاّ فجأه»

(۱)

.

و لعل هذه المفاسد تعود إلی أن جهاز الهضم لا یستطیع أن یصنع من المیته دما سالما حیا،إضافه إلی أن المیته مرتع أنواع المیکروبات،و الإسلام اعتبر المیته نجسه،کی یبتعد عنها المسلم فضلا عن عدم تناولها.

و المحرّم الثانی فی هذه الآیه«الدم»،و شرب الدم له مفاسد أخلاقیه و جسمیه، فهو وسط مستعد تماما لتکاثر أنواع المیکروبات.

المیکروبات التی تدخل البدن تتجه أول ما تتجه إلی الدم،و تتخذه مرکزا لنشاطهم،و لذلک اتخذت الکریات البیضاء مواقعها فی الدم للوقوف بوجه توغل هذه الأحیاء المجهریه فی الدم المرتبط بکل أجزاء الجسم.

و حین یتوقف الدم عن الحرکه و تنعدم الحیاه فیه،یتوقف نشاط الکریات البیض أیضا،و یصبح الدم علی بذلک وسطا صالحا لتکاثر المیکروبات دون أن تواجه عقبه فی التکاثر.و لذلک نستطیع القول إن الدم-حین یتوقف عن الحرکه- یکون أکثر أجزاء جسم الإنسان و الحیوان تلوثا.

و من جهه اخری ثبت الیوم فی علم الأغذیه،أن الأغذیه لها تأثیر علی الأخلاق و المعنویات عن طریق التأثیر فی الغدد و إیجاد الهورمونات.و منذ القدیم ثبت تأثیر شرب الدم علی تشدید قسوه الإنسان،و أصبح ذلک مضرب الأمثال.لذلک نری الروایه

عن الإمام جعفر بن محمّد علیه السّلام تقول:

«أمّا الدم فإنه یورث القسوه فی القلب و قلّه الرأفه و الرحمه حتی لا یؤمن أن یقتل

۱- ۱) -وسائل الشیعه،ج ۱۶،ص ۳۱۰.

ولده و والديه و لا يؤمن على حميمه و لا يؤمن على من يصحبه» (۱) .

ثالث:المحرمات المذكوره فی الآیه«لحم الخنزیر».

الخنزیر-حتی عند الأوروبیین المولعین بأکل لحمه-رمز التحلل الجنسی.

و هو حیوان قذر للغایه،و تأثیر تناول لحمه علی التحلل الجنسی لدی الإنسان مشهود.

حرمه تناول لحمه صرحت بها شریعه موسی علیه السّلام أیضا،و فی الأناجیل شبّه المذنبون بالخنزیر،کما أن هذا الحیوان مظهر الشیطان فی القصص.

و من العجیب أن أناسا یرون بأعینهم قذاره هذا الحیوان حتی إنه یأکل عذرته،و یعلمون احتواء لحمه علی نوعین خطرین من الدیدان،و مع ذلک یصرّون علی أکله.

دوده«التریشین»التی تعیش فی لحم هذا الحیوان تتکاثر بسرعه مدهشه، و تبیض فی الشهر الواحد خمسه عشر ألف مره،و تسبب للإنسان أمراضا متنوعه کفقر الدم،و الغثیان،و حمّی خاصه،و الإسهال،و آلام المفاصل،و توتر الأعصاب، و الحکّه،و تجمع الشحوم داخل البدن،و الإحساس بالتعب،و صعوبه مضغ الطعام و بلعه،و التنفس و....

و قد یوجد فی کیلو واحد من لحم الخنزیر(۴۰۰)ملیون دوده من هذه الدیدان!!و لذلک أقدمت بعض البلدان الأوروبیه فی السنوات الماضیه علی منع تناول لحم هذا الحیوان.

و هکذا تتجلی عظمه الأحکام الإلهیه بمرور الأیّام أکثر فأکثر.

یقول البعض أن العلم تطور بحیث استطاع أن یقضی علی دیدان هذا الحیوان،و لکن علی فرض اننا استطعنا بواسطه العقاقیر،أو بالاستفاده من الحراره

۱- ۱) -الوسائل،ج ۱۶،ص ۳۱۰.

الشديده فی طبخه،إلّا أن أضراره الاخری ستبقی.و قد ذکرنا أن للأطعمه تأثیرا علی أخلاق الإنسان عن طریق تأثیرها علی الغدد و الهورمونات و ذلک الأصل علمی مسلّم،و هو أن لحم کل حیوان یحوی صفات ذلک الحیوان أیضا.من هنا تبقی للحم الخنزیر خطورته فی التأثیر علی التحلل الجنسی للآکلین،و هی صفه بارزه فی هذا الحیوان.

و لعل تناول لحم هذا الحیوان أحد عوامل التحلّل الجنسی فی أوربا.

رابع،المحرمات فی الآیه مٰا أُهِلَّ بِهِ لِغَیْرِ اللّٰهِ ،و هی الحیوانات التی تذبح علی غیر اسم اللّه،کالتی کانت تقدم للأصنام فی الجاهلیه.

و تحریم لحوم هذه الحیوانات لا یلزم بالضروره أن تکون لها إضرار صحیه حتی؟یقال:إن ذکر اسم اللّه أو غیر اللّه حین الذبح لا ربط له بالأمور الصّحیحه.

فلیس من الحتم أن تکون للحم آثار صحیه حتی تکون محرمه.لان المحرمات فی الإسلام لها أبعاد مختلفه،فتاره بسبب الصحه و حفظ البدن و اخری یکون للتحریم جانب معنوی و أخلاقی و تربوی،فهذه اللحوم تبعد الإنسان عن اللّه،و لها تأثیر نفسی و تربوی سلبی علی الآکل،لأنها من سنن الشرک و الوثنیه و تعید إلی الذهن تلک التقالید الخرافیه.

۲-التکرار و التأکید

تحریم المواد الأربع المذکوره تکرر فی أربع سور من القرآن،سورتین مکیتین(الأنعام،۱۴۵ و النحل،۱۱۵)و سورتین مدنیتین(البقره،۱۷۳ و المائده،۳).

یبدو أن تحریم هذه اللحوم أعلن أولا فی أوائل البعثه،ثم أعلن ثانیه فی أواخر إقامه الرّسول صلّی اللّه علیه و اله و سلّم فی مکه،و تکرر الإعلان ثالثه فی أوائل الهجره إلی المدینه،ثم أعید التأکید رابعه فی أواخر عمر الرّسول فی سوره المائده و هی آخر

سور القرآن.

كل هـذا التأكيـد يعود إلى أهميه الموضوع و إلى ما فى هـذه المواد من أخطار جسـميه و روحيه،و إلى اتساع نطاق تلوث النّاس آنئذ بها.

٣-حقن الدم

واضـح أن تحريم تنـاول الـدم فى الآ-يه لا- يشـمل مـوارد الاسـتفاده المعقوله من هـذه المـاده مثـل حقن الـدم لإنقـاذ الجرحى و المرضى،كما لا يتوفر لدينا دليل على حرمه بيع الدم و شرائه فى هذه الموارد،لأنها موارد استفاده عقلائيه مشروعه عامه.

ص :۴۹۱

الآيات [سوره البقره (۲): الآيات ۱۷۴ الی ۱۷۶]

اشاره

إِنَّ اَلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مٰا أَنْزَلَ اَللّٰهُ مِنَ اَلْكِتٰابِ وَ يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولٰئِكَ مٰا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ اَلنّٰارَ وَ لاٰ يُكَلِّمُهُمُ اَللّٰهُ يَوْمَ اَلْقِيٰامَةِ وَ لاٰ يُزَكِّيهِمْ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ (۱۷۴) أُولٰئِكَ اَلَّذِينَ اِشْتَرَوُا اَلضَّلاٰلَةَ بِالْهُدىٰ وَ اَلْعَذٰابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمٰا أَصْبَرَهُمْ عَلَى اَلنّٰارِ (۱۷۵) ذٰلِكَ بِأَنَّ اَللّٰهَ نَزَّلَ اَلْكِتٰابَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّ اَلَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِي اَلْكِتٰابِ لَفِي شِقٰاقٍ بَعِيدٍ (۱۷۶)

سبب النّزول

أجمع المفسرون على نزول هذه الآيه فی أهل الكتاب،و قيل إنها نزلت خاصه فی علماء اليهود.فقد كانوا قبل ظهور الإسلام يبشرون بصفات النّبی المرتقب و بعلاماته.و بعد البعثه خاف هؤلاء الأحبار على مصالحهم فكفّوا عن طريقتهم السابقه،و كتموا ما عندهم فی التوراه من صفات النّبی،فنزلت الآيات تؤنّبهم.

التّفسير

اشاره

إدانه كتمان الحقّ مرّه اخرى

هذه الآيات تأكيد على ما مرّ فی الآيه ۱۵۹ بشأن كتمان الحقّ.و هی-و إن

كانت تخاطب أحبار اليهود-لها مفهوم عام،لا يقتصر-كما ذكرنا مرارا-على سبب نزولها.فسبب النّزول-فى الواقع-وسيله لبيان الأحكام الكليه العامه، و مصداق من مصاديق الحكم الكلى للآيه.

فكل الـذين يكتمون أحكـام اللّه و ما يحتاجه النّاس من حقائق طلبا للرّئاسه أو الثروه،قـد ارتكبوا خيانه كبرى،و عليهم أن يعلموا أنهم باعوا حقيقه نفيسه بثمن بخس،و هى تجاره خاسره.

الآيه الاولى تقول: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ مِنَ الْكِتٰابِ وَ يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولٰئِكَ مٰا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النّٰارَ .

هذه الهدايا و العطايا التى ينالونها من هذا الطريق نيران محرقه تدخل بطونهم.هذا التعبير يوضح ضـمنيا مسأله تجسيم الأعمال فى الآخره و تدل على أن الأموال المكتسبه عن هذا الطريق المحرّم،هى فى الواقع نيران تدخل فى بطونهم و ستتجسّم بشكل واقعى فى الآخره.

ثم تتعرض الآيه إلى عقاب معنوى سينال هؤلاء أشدّ من العقاب المادى، و تقول: وَ لاٰ يُكَلِّمُهُمُ اللّٰهُ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ وَ لاٰ يُزَكِّيهِمْ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ .

و فى موضع آخر ذكر القرآن مثل هـذا اللون من العقاب لأولئك الـذين ينكثون عهد اللّه من أجل مصالح تافهه،فقال: إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّٰهِ وَ أَيْمٰانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولٰئِكَ لاٰ خَلاٰقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَهِ وَ لاٰ يُكَلِّمُهُمُ اللّٰهُ وَ لاٰ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ وَ لاٰ يُزَكِّيهِمْ وَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ (۱) .

يستفاد من هـذه الآيه و الآيه التاليه أن واحـده من أعظم المواهب الإلهيه فى الآخره أن يكلم اللّه المؤمنين تلطفا بهم.أى إن المؤمنين سينالون فى الآخره نفس المنزله التى نالها أنبياء اللّه فى الدنيا،و سيلتذون بما التذ به الأنبياء من تكليم إلهى

۱- ۱) -آل عمران،۷۷.

المنزله التی نالها أنبیاء اللّه فی الـدنیا،و سـیلتذون بما التذ به الأنبیاء من تکلیم إلهی ...و أیه لذه أعظم من هذه اللذه؟! أضف إلی ذلک إن اللّه ینظر إلیهم بعین لطفه،و یطهرهم بماء عفوه و رحمته، و أیه نعمه أعظم من هذه النعمه؟! بدیهی أن تکلیم اللّه عباده لا یعنی أن اللّه له جسم و لسان،بل إنه بقـدرته الواسـعه یخلق فی الفضاء أمواجا صوتیه خاصه قابله للسـمع و الإدراک،(کما کلّم اللّه موسی عند جبل الطور)،أو أنه یتکلم مع خاصه عباده بلسان القلب عن طریق الإلهام.

علی أیه حال،هـذا اللطف الإلهی الکبیر،و هـذه اللـذه المعنویه المنقطعه النظیر، للعباد المخلصـین الـذین ینطقون بالحق و یعرّفون النّاس بالحقائق،و یلتزمون بعهودهم و مواثیقهم،و لا یضحون برسالتهم من أجل مصالحهم المادیه.

و قـد یسـأل سائـل عن تکلیم اللّه المجرمین یوم القیـامه،اسـتنادا الی ما ورد فی الآیات کقوله تعالی: قٰالَ اخْسَؤُا فِیهٰا وَ لاٰ تُکَلِّمُونِ (۱) .و هذا جواب من اللّه لأولئک الذین یطلبون الخروج من النار.و مثل هذا الحوار نجده فی الآیتین ۳۰ و ۳۱ من سوره الجاثیه.

و الجواب:أن المقصود من التکلیم فی آیـات بحثنا،هو تکلیم عن لطف و حبّ و احترام،لا عن تحقیر و طرد و عقوبه فـذلک من أشدّ الجزاء.

من الواضح أن عباره یَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِیلاً لا تعنی السـماح بأن یشتروا به ثمنا باهظا،فالمقصود أن الثمن المادّی مهما زاد فهو تافه لا قیمه له أمام کتمان الحقّ،حتی و لو کان الثمن الدنیا و ما فیها.

الآیه التالیه تحدد وضع هذه المجموعه و تبین نتیجه صفقتها الخاسره و تقول:

أُولٰئِکَ الَّذِینَ اشْتَرَوُا الضَّلاٰلَهَ بِالْهُدیٰ وَ الْعَذٰابَ بِالْمَغْفِرَهِ

.

۱- ۱) -المؤمنون،۱۰۸.

فهؤلاء خاسرون من ناحيتين:من ناحيه ترکهم الهدایه و اختیار الضلاله، و من ناحیه حرمانهم من رحمه اللّه و استحقاقهم بدل ذلک العقاب الإلهی،و هذه مبادله لا یقدم علیها إنسان عاقل.

لذلک تتحدث الآیه عن هؤلاء بلغه التعجب و تقول: فَمٰا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النّٰارِ ؟! آخر آیه فی بحثنا تقول إن ذلک التهدید و الوعید بالعذاب لکاتمی الحق،یعود إلی أن اللّه أنزل القرآن بالدلائل الواضحه،حتی لم تبق شبهه لأحد: ذٰلِکَ بِأَنَّ اللّٰهَ نَزَّلَ الْکِتٰابَ بِالْحَقِّ .

مع ذلک فإن زمره محرفه تعمد إلی کتمان الحقائق صیانه لمصالحها،و تثیر الاختلاف فی الکتاب السماوی لتتصید فی الماء العکر.

مثل هؤلاء الذین یثیرون الاختلاف فی الکتاب السماوی بعیدون عن الحقیقه: وَ إِنَّ الَّذِینَ اخْتَلَفُوا فِی الْکِتٰابِ لَفِی شِقٰاقٍ بَعِیدٍ .

کلمه«شقاق»تعنی فی الأصل الشق و الانفصال،و لعل المراد به أن الإیمان و التقوی و نشر الحقائق رمز وحده المجتمع الإنسانی،أما الخیانه و کتمان الحقائق فعامل التفرقه و التبعثر و الإنشقاق لا الإنشقاق السطحی الذی یمکن التغافل عنه بل البعید و العمیق.

ص: ۴۹۵

الآیه [سوره البقره (۲): آیه ۱۷۷]

اشاره

لَیْسَ اَلْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَکُمْ قِبَلَ اَلْمَشْرِقِ وَ اَلْمَغْرِبِ وَ لٰکِنَّ اَلْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَ اَلْیَوْمِ اَلْآخِرِ وَ اَلْمَلاٰئِکَهِ وَ اَلْکِتٰابِ وَ اَلنَّبِیِّینَ وَ آتَی اَلْمٰالَ عَلیٰ حُبِّهِ ذَوِی اَلْقُرْبیٰ وَ اَلْیَتٰامیٰ وَ اَلْمَسٰاکِینَ وَ اِبْنَ اَلسَّبِیلِ وَ اَلسّٰائِلِینَ وَ فِی اَلرِّقٰابِ وَ أَقٰامَ اَلصَّلاٰهَ وَ آتَی اَلزَّکٰاهَ وَ اَلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذٰا عٰاهَدُوا وَ اَلصّٰابِرِینَ فِی اَلْبَأْسٰاءِ وَ اَلضَّرّٰاءِ وَ حِینَ اَلْبَأْسِ أُولٰئِکَ اَلَّذِینَ صَدَقُوا وَ أُولٰئِکَ هُمُ اَلْمُتَّقُونَ (۱۷۷)

النّزول

تغییر القبله أثار بین النّاس ضجه،و خاصه بین الیهود و النصاری الذین کانوا یرون فی اتّباع المسلمین لقبلتهم سند افتخار لهم.القرآن الکریم رد فی الآیه ۱۴۲ من هذه السّوره علی اعتراضاتهم فی قوله تعالی: سَیَقُولُ السُّفَهٰاءُ... و فی هذه الآیه یطرح المعیار الصحیح لتقییم المجموعه البشریه.

التّفسیر

اشاره

أساس البرّ

ذکرنا فی تفسیر آیات تغییر القبله،أن النصاری کانوا یتجهون فی عباداتهم

ص :۴۹۶

نحو الشرق و اليهود نحو الغرب،و قرر اللّه الكعبه قبله للمسلمين،و كانت فى اتجاه الجنوب وسطا بين الاتجاهين.

و مرّ بنا الحديث عن الضّجه التى أثيرت بين اعداء الإسلام و المسلمين الجدد بشأن تغيير القبله.

الآيه أعلاه تخاطب هؤلاء و تقول: لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ .

«البر»فى الأصل التوسّع،ثم أطلق على أنواع الإحسان،لأن الإنسان بالإحسان يخرج من إطار ذاته ليتسع و يصل عطاؤه إلى الآخرين.

و«البرّ»بفتح الباء،فاعل البرّ،و هى فى الأصل الصحراء و المكان الفسيح، و أطلقت على المحسن بنفس اللحاظ السابق.

ثمّ يبين القرآن أهم أصول البرّ و الإحسان و هى سته،فيقول: وَ لٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ الْمَلاٰئِكَهِ وَ الْكِتٰابِ وَ النَّبِيِّينَ .

هذا هو الأساس الأوّل:الإيمان بالمبدأ،و المعاد،و الملائكه المأمورين من قبل اللّه،و المنهج الإلهى،و النبيّين الدعاه إلى هذا المنهج.و الإيمان بهذه الأمور يضىء وجود الإنسان،و يخلق فيه الدافع القوى للحركه على طريق البناء و الأعمال الصالحه.

جدير بالذكر أن الآيه تقول: وَ لٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ... و لم تقل و لكن البرّ بفتح الباء،أو البار بصيغه اسم الفاعل.أى أن الآيه استعملت المصدر بدل الوصف،و هذا يفيد بيان أعلى درجات التأكيد فى اللغه العربيه.فحين يقول أحد:على عليه السّلام هو العدل فى عالم الإنسانيه.فهو يقصد أنه عادل للغايه و أن العداله قد ملأت وجوده بحيث أن من يراه فكأنما لا يرى سوى العداله متجسده.و حين يقول:بنى أميه ذلّ الإسلام،فيعنى أن كل وجودهم ذلّ للإسلام.

ثم تـذكر الآيه الإنفـاق بعـد الإيمان،و تقول: وَ آتَى الْمٰالَ عَلىٰ حُبِّهِ ذَوِى الْقُرْبىٰ وَ الْيَتٰامىٰ وَ الْمَسٰاكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ السّٰائِلِينَ وَ فِى الرِّقٰابِ .

إنفاق المال ليس بالعمل اليسير على الجميع،خاصه إذا بلغ الإنفاق درجه الإيثار،لأن حبّ المال موجود بدرجات متفاوته فى كل القلوب.و عباره عَلىٰ حُبِّهِ إشاره إلى هذه الحقيقه.هؤلاء يندفعون للإنفاق رغم هذا الحبّ للمال من أجل رضا اللّه سبحانه.

الآيه عددت سته أصناف من المحتاجين إلى المال:

ذكرت بالـدرجه الاولى ذوى القربى،ثم اليتـامى و المسـاكين،ثم أولئك الـذين اعترتهم الحاجه مؤقتا كابن السبيل و هو المسافر المحتاج،ثم تـذكر الآيه بعـد ذلك السائلين إشاره إلى أنّ المحتاجين ليسوا جميعا أهل سؤال.فقـد يكونون متعففين لا تبـدو على سيمائهم الحاجه.لكنهم فى الواقع محتاجون،و عن هؤلاء قال القرآن فى موضع آخر: يَحْسَبُهُمُ الْجٰاهِلُ أَغْنِيٰاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ (۱) .

ثم تشير الايه إلى الرقيق الـذين يتعطشون إلى الحريه و الاسـتقلال بالرغم من عـدم احتياجهم المادى و تأمين نفقتهم على عهده مالكيهم.

و الأصـل الثـالث مـن أصـول البـرّ:إقـامه الصــلاه: وَ أَقٰامَ الصَّلاٰةَ .و الصـلاه إن أدّاهـا الفرد بشـروطها و حـدودها،و بإخلاـص و خضوع،تصده عن كل ذنب و تدفعه نحو كل سعاده و خير.

و الأصل الرابع:أداء الزكاه و الحقوق الماليه الواجبه: وَ آتَى الزَّكٰاهَ .

فالآيه سـبق أن ذكرت الإنفاق المسـتحب،و هنا تذكر الإنفاق الواجب.بعض النّاس يكثر من المستحبات فى الإنفاق و يتساهل فى الواجب،و بعضهم يلتزم

۱- ۱) -البقره،۲۷۳.

بالواجب فقط و لا ينفق درهما فی إيثار.و المحسنون الحقيقيون هم الذين ينفقون فی المجالين معا.

يلفت النظر أن الآيه ذكرت عباره عَلىٰ حُبِّهِ بعد الإنفاق المستحب.و لم تذكر ذلك مع الزكاه الواجبه.و لعل ذلك يعود إلى أن أداء الحقوق الواجبه وظيفه إلهيه و اجتماعيه،و الفقراء-فی منطق الإسلام-شركاء فی أموال الأغنياء،و دفع المال للشريك لا يحتاج إلى العباره المذكوره.

الخامس من الأصول:الوفاء بالعهد: وَ الْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذٰا عٰاهَدُوا ،فالثقه المتبادله رأس مال الحياه الاجتماعيه.و ترك الوفاء بالعهد من الذنوب التی تزلزل الثقه و توهن عرى العلاقات الاجتماعيه،من هنا وجب على المسلم أن يلتزم بثلاثه أمور تجاه المسلم و الكافر،و إزاء البرّ و الفاجر،و هی:الوفاء بالعهد،و أداء الأمانه،و احترام الوالدين (۱) .

الأساس السادس و الأخير من أسس البرّ فی نظر الإسلام:الصبر وَ الصّٰابِرِينَ فِی الْبَأْسٰاءِ (حال الفقر و المسكنه) وَ الضَّرّٰاءِ (حال المرض) وَ حِينَ الْبَأْسِ (حال القتال مع الأعداء) (۲) .

ثم تؤكد الآيه على أهميه الأسس السته و على عظمه من يتجلّى بها،فتقول:

أُولٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ

.

صدقهم يتجلّى فی انطباق أعمالهم و سلوكهم مع إيمانهم و معتقداتهم،و تتجلى تقواهم فی التزامهم بواجبهم تجاه اللّه و تجاه المحتاجين و المحرومين و كل المجتمع الإنسانی.

۱- ۱) -أصول الكافی،ج ۲،باب البر بالوالدين،ص ۱۲۹،حديث ۱۵.

۲- ۲) -البأساء من البؤس و هو الفقر،و الضراء تعنی الألم و المرض،و حين البأس أی حين الحرب(مجمع البيان، الآيه).

و الملفت للنظر أن الصفات الست المذكوره تشمل الأصول الاعتقاديه و الأخلاقيه و المناهج العمليه.فتضمنت الآيه كل أسس العقيده،و كذلك أشارت إلى الإنفاق و الصلاه و الزكاه بين المناهج العمليه،و هى أسس ارتباط المخلوق بالخالق،و المخلوق بالمخلوق.و فى الحقل الأخلاقى ركزت الآيه على الوفاء بالعهد،و على الصبر و الاستقامه و الثبات،و هى أساس كل الصفات الأخلاقيه الساميه.

الآیتان [سوره البقره (٢): الآیات ١٧٨ الی ١٧٩]

اشاره

یا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا کُتِبَ عَلَیْکُمُ اَلْقِصاصُ فِی اَلْقَتْلی اَلْحُرُّ بِالْحُرِّ وَ اَلْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَ اَلْأُنْثی بِالْأُنْثی فَمَنْ عُفِیَ لَهُ مِنْ أَخِیهِ شَیْءٌ فَاتِّباعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَ أَداءٌ إِلَیْهِ بِإِحْسانٍ ذلِکَ تَخْفِیفٌ مِنْ رَبِّکُمْ وَ رَحْمَهٌ فَمَنِ اعْتَدی بَعْدَ ذلِکَ فَلَهُ عَذابٌ أَلِیمٌ (١٧٨) وَ لَکُمْ فِی اَلْقِصاصِ حَیاهٌ یا أُولِی اَلْأَلْبابِ لَعَلَّکُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩)

سبب النّزول

شاع بین القبائل العربیه انتقام قبیله من قبیله اخری،و لم یکن لهذا الانتقام حدود،فقد یقتل رجل فتهدد قبیلته قتل کل رجال قبیله القاتل،فنزلت الآیه و شرعت حکم القصاص.

و هذا الحکم الإسلامی جاء لیقرر الموقف من عرفین قائمین عن العرب، عرف یری حتمیه القصاص،و عرف یری حتمیه الدیه.فجاءت الآیه لتقرر القصاص عند عدم موافقه أولیاء المقتول علی أخذ الدیه،و إن وافقوا فالدیه.

التّفسیر

اشاره

فی القصاص حیاه

الآیات السابقه طرحت المنهج الإسلامی فی«البرّ»،و هنا یقدّم القرآن

ص:٥٠١

الكريم-و هكذا فی الآیات التالیه-مجموعه من الأحكام الإسلامیه،إكمالا لبیان المنهج الإسلامی فی الحیاه.

تبـدأ هذه الأحكام من مسأله حفظ حرمه الدماء،و هی مسأله هامه فی الحیاه الاجتماعیه،فتنفی العادات و التقالید الجاهلیه،و تقول للمؤمنین: یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا کُتِبَ عَلَیْکُمُ الْقِصٰاصُ فِی الْقَتْلیٰ .

عباره کُتِبَ عَلَیْکُمْ تبیّن أهمیه الموضوع،و توحی بالتأکیـد علیه،و ذکرت فی آیات اخری بشأن الصوم و الوصـیّه، و لا یکتب من المسائل عاده إلاّ ما کان قاطعا و جادّا.

و«القصـاص»من«قصّ»،یقـال قصّ أثره:أی تلاه شـیئا بعـد شـیء.و منه القصاص لأنه یتلو أصل الجنایه و یتبعه،و قیل هو أن یفعل بالثانی مثل ما فعله هو بالأول،مع مراعاه المماثله،و منه أخذ القصص کأنه یتبع آثارهم شیئا بعد شیء (1) .

الآیه کما ذکرنا تسـتهدف بیان الموقف الصـحیح من المجرم،و لفظ القصاص یـدلّ علی إنزال عقوبه بالمجرم مماثله لما ارتکبه هو،لکن الآیه لا تکتفی بذلک، بل بینت التفاصیل فقالت: اَلْحُرُّ بِالْحُرِّ وَ الْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَ الْأُنْثیٰ بِالْأُنْثیٰ .

و سنوضح إن شاء اللّه مسأله قصاص الأنثی بالأنثی،و نبیّن أنّ الرجل قاتل المرأه یمکن إنزال عقوبه القتل بحقّه ضمن شروط.

ثم تبین الآیه أنّ القصاص،حق لأولیاء المقتول،و لیس حکما إلزامیا،فإن شاؤوا أن یعفوا و یأخـذوا الـدیه،و إن شاؤوا ترک الـدیه فلهم ذلک،و تقول: فَمَنْ عُفِیَ لَهُ مِنْ أَخِیهِ شَیْءٌ فبعد تبدل حکم القصاص عند عفو أولیاء المقتول إلی دیه فَاتِّبٰاعٌ بِالْمَعْرُوفِ أی فعـل العـافی إتباع بالمعروف،و هو أن لا یشـدّد فی طلب الـدّیه و ینظر من علیه الـدیه وَ أَدٰاءٌ إِلَیْهِ بِإِحْسٰانٍ أی علی المعفوّ عنه أن یبادر إلی

ص:502

1- 1) -مجمع البیان،الآیه.

دفع الديه عند الإمكان،و أن لا يماطل.

التوصيه إلى من له الديه أن لا يشدّد فى طلبه،و أن يستوفى حقّه بشكل معقول...و على من عليه الديه أن يؤديها بإحسان،و أن لا يسوّف و يماطل.

ثم تؤكد الآيه على ضروره الالتزام بحدود ما أقرّه اللّه،و عدم تجاوز هذه الحدود: ذٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ رَحْمَهٌ فَمَنِ اعْتَدىٰ بَعْدَ ذٰلِكَ فَلَهُ عَذٰابٌ أَلِيمٌ .

و هذا الأمر بالقصاص و بالعفو يشكل تركيبا انسانيا منطقيا.فهو من جهه يدين التقاليد السائده فى الجاهليه الأولى و الجاهليات التاليه إلى يومنا هذا القاضيه بالانتقام للمقتول الواحد بقتل الآلاف.

و من جهه اخرى،يفتح باب العفو أمام المذنب،مع الحفاظ على احترام الدم و ردع القاتلين.

و من جهه ثالثه،لا يحقّ للطرفين بعد العفو و أخذ الديه التّعدّى،خلافا للجاهليين الذين كانوا يقتلون القاتل أحيانا حتى بعد العفو و أخذ الديه.

الآيه التاليه قصيره العباره وافره المعنى،تجيب على كثير من الأسئله المطروحه فى حقل القصاص،و يقول: وَ لَكُمْ فِي الْقِصٰاصِ حَيٰاهٌ يٰا؟ أُولِي الْأَلْبٰابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ .

هذه الآيه بكلماتها العشر،تضع الإطار العام-ببلاغه و فصاحه متناهيتين- للقصاص فى الإسلام،و تبين أن القصاص ليس انتقاما،بل السبيل إلى ضمان حياه النّاس.

إنه يضمن حياه المجتمع،إذ لو انعدم حكم القصاص،و تشجّع القتله القساه على تعريض أرواح النّاس للخطر-كما هو الحال فى البلدان التى ألغت حكم القصاص-لارتفعت إحصائيات القتل و الجريمه بسرعه.

و هو من جهه اخرى،يصون حياه القاتل،بعد أن يصدّه إلى حدّ كبير عن

ارتكاب جريمته.

كما أنه يصون المجتمع بجعله قانون المماثله من الانتقام و الإسراف فى القتل على طريقه التقاليد الجاهليه التى تبيح قتل الكثير مقابل فرد واحد.و هو بذلك يصون حياه المجتمع.

و مع الأخذ بنظر الاعتبار أن القصاص مشروط بعدم العفو عن القاتل فهذا الشرط نافذه أمل للحياه أيضا بالنسبه للقاتل.

و عباره لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ تحذير من كل عدوان لتكميل هذا الحكم الإسلامى العادل الحكيم.

بحوث

اشاره

١-القصاص و العفو تركيب عادل

النظره الإسلاميه نظره شموليه فى كل المجالات،قائمه على احتساب جميع جوانب الأمر الذى تعالجه.مسأله صيانه دم الأبرياء عالجها الإسلام بشكل دقيق بعيد عن كل إفراط أو تفريط،لا كما عالجتها الديانه اليهوديه المحرّقه التى اعتمدت القصاص،و لا الديانه المسيحيه المحرّفه التى ركزت على العفو...لأن فى الاولى خشونه و انتقاما،و فى الثانيه تشجيعا على الإجرام.

و لو افترضنا أنّ القاتل و المقتول أخوان أو قريبان أو صديقان،فإن الإجبار على القصاص يدخل لوعه اخرى فى قلب أولياء المقتول،خاصّه إذا كان هؤلاء من ذوى العواطف الإنسانيه المرهفه.و تحديد الحكم بالعفو يؤدى إلى تجرّؤ المجرمين و تشجيعهم.

لذلك ذكرت الآيه حكم القصاص باعتباره أساسا للحكم،ثم ذكرت إلى

جانبه حكم العفو.

بعباره أوضح،إن لأولياء المقتول أن ينتخبوا أحد ثلاثه أحكام:

۱-القصاص.

۲-العفو دون أخذ الديه.

۳-العفو مع أخذ الديه(و فی هذه الحاله تشترط موافقه القاتل أيضا).

۲-هل يتعارض القصاص مع العقل و العواطف الإنسانيه؟

اشاره

ثمّه فئه يحلو لها أن توجه إلى الإسلام-دون تفكير-اعتراضات و كثير شبهات، خاصه بالنسبه لمسأله القصاص.يقول:

۱-الجريمه لا تزيد على قتل إنسان واحد،و القصاص يؤدّی إلى تكرار هذا العمل الشنيع.

۲-القصاص ينمّ عن روح الانتقام و التشفّی و القسوه،و يجب إزاله هذه الروح عن طريق التربيه،بينما يعمّق القصاص هذه الروح.

۳-القتل لا يصدر عن إنسان سالم،لا بدّ أن يكون القاتل مصابا بمرض نفسی،و يجب علاجه،و القصاص ليس بعلاج.

۴-قوانين النظام الاجتماعی يجب أن تتطور مع تطور المجتمع.و لا يمكن لقانون سنّ قبل أربعه عشر قرنا أن يطبق اليوم.

۵-من الأفضل الاستفاده من القاتل بتشغيله فی معسكرات العمل الإجباری،و بذلك نستفيد من طاقاته و نصون المجتمع من شروره.

هذا ملخص ما يوجه للقصاص من اعتراضات.

الجواب

لو أمعنا النظر فی آيات القصاص،لرأينا فيها الجواب على كل هذه

الاعتراضات: وَ لَكُمْ فِى الْقِصٰاصِ حَيٰاةٌ يٰا أُولِى الْأَلْبٰابِ .

فالحياه الاجتماعيه لا يمكن أن تطوى مسيرتها الحياتيه التكامليه،دون اقتلاع العوامل المضرّه الهدامه فيها.و لما كان القصاص فى هذه المواضع يضمن استمرار الحياه و البقاء،فإن الشعور بضروره القصاص أودع على شكل غريزه فى وجود الإنسان.

أنظمه الطب و الزراعه و الرعى قائمه على أساس هذا الأصل العقلى،و هو إزاله الموجودات المضره الخطره.فنرى الطب يجيز قطع العضو الفاسد إذا شكل خطوره على بقيه أعضاء الجسد،و تقتلع النباتات و الأغصان المضره من أجل استمرار نمو النباتات المفيده بشكل صحيح.

أولئک الذين يرون فى الاقتصاص من القاتل قتلا لشخص آخر،ينظرون إلى المسأله من منظار فردى.و لو أخذوا بنظر الإعتبار مصلحه المجتمع،و علموا ما فى القصاص من دور فى حفظ سائر أفراد المجتمع و تربيتهم،لأعادوا النظر فى أقوالهم.

إزاله مثل هؤلاء الأفراد الخطرين المضرين من المجتمع،كقطع العضو الفاسد من جسد الإنسان،و كقطع الغصن المضر من الشجره.و لا أحد يعترض على قطع ذلک العضو و هذا الغصن.هذا بشأن الاعتراض الأول.

و بالنسبه إلى الاعتراض الثانى،لا بدّ من الالتفات إلى أن تشريع القصاص لا ارتباط له بمسأله الانتقام.لأن الهدف من الانتقام إطفاء نار الغضب المتأججه لمسأله شخصيه،بينما القصاص يستهدف الحيلوله دون استمرار الظلم فى المجتمع،و حمايه سائر الأبرياء.

و بشأن الاعتراض الثالث القائل إن القاتل مريض نفسيا،و لا تصدر هذه الجريمه من إنسان طبيعى،لا بدّ أن نقول:هذا الكلام صحيح فى بعض المواضع،

و الإسلام لم يشرع حكم القصاص للقاتل المجنون و أمثاله،و لكن لا يمكن اعتبار المرض عذرا لكل قاتل،إذ لا يخفى ما يجرّ إليه ذلك من فساد،و من تشجيع القتله على ارتكاب جرائمهم.

و لو صح هذا الاستدلال بالنسبه للقاتل،لصح أيضا بشأن جميع المعتدين على حقوق الآخرين.لأن الإنسان العاقل المعتدل لا يعتدى إطلاقا على الآخرين. و بذلك يجب حذف كل القوانين الجزائيه،و يجب إرسال المعتدين و المجرمين إلى مستشفيات الأمراض النّفسيه بدل السجون.

أمّا ادعاء عدم إمكان قبول قانون القصاص اليوم بسبب تطور المجتمع، و بسبب قدم هذا القانون،فمردود أمام إحصائيات الجرائم الفظيعه الى ترتكب فى عصرنا الراهن،و أمام التجاوزات الوحشيه التى تنتشر فى بقاع مختلفه من عالمنا بسبب الحروب و غير الحروب.

و لو أتيح للبشريه أن تقيم مجتمعا إنسانيا متطورا تطورا حقيقيا،فإن مثل هذا المجتمع يستطيع أن يلجأ إلى العفو بدل القصاص،فقد أقرّ الإسلام ذلك،و من المؤكد أن المجتمع المتطور فى آفاقه الإنسانيه سيفضّل عفو القاتل.أمّا فى مجتمعاتنا المعاصره حيث ترتكب فيها أفظع الجرائم تحت عناوين مختلفه،فإن إلغاء قانون القصاص لا يزيد فى جرائم المجتمع إلّا اتساعا و ضراوه.

و حول حفظ القتله فى السجون،فإن هذه العمليه لا تحقق هدف الإسلام من القصاص.فالقصاص-كما ذكرنا-يستهدف حفظ حياه المجتمع،و الحيلوله دون تكرار القتل و الجريمه.السجون و أمثالها لا تستطيع أن تحقق هذا الهدف(خاصه السجون الحاليه التى هى أفضل من أكثر بيوت المجرمين).و لا أدل على ذلك من ارتفاع إحصائيات جرائم القتل خلال فتره قصيره،فى البلدان التى ألغت حكم الإعدام.و لو كانت أحكام السجن عرضه للتقلّص بسبب أحكام العفو-كما هو

سائد اليوم-فإن المجرمين يعمدون إلى ارتكاب جرائمهم دون تخوّف أو تردّد.

٣-هل انتقص قانون القصاص المرأه؟

قد يظن البعض أن قانون القصاص الإسلامى قد انتقص المرأه حين قرّر أن «الرجل»لا يقتل«بالمرأه»،أى إن الرجل-قاتل المرأه- لا يقتص منه.

و ليس الأمر كذلك،مفهوم الآيه لا يعنى عدم جواز قتل الرجل بالمرأه،بل- كما هو مبين فى كتب الفقه-يجوز لأولياء المقتوله أن يطلبوا القصاص من الرجل القاتل،بشرط أن يدفعوا نصف ديته.

بعباره اخرى:المقصود من عدم قصاص الرجل بالمرأه،هو القصاص دون شرط،أمّا إذا دفعت نصف ديته فيجوز قتله.

واضح أن دفع نصف ديه الرجل القاتل،لا يعنى انتقاص الإسلام للمرأه،بل يعنى جبران الضرر المالى الذى يصيب عائله الرجل القاتل بعد قتله،(تأمل بدقّه).

و لمزيد من التوضيح نقول:الرجال يتحملون غالبا مسئوليات إعاله الأسره، و يؤمنون نفقاتها الاقتصاديه،و لا يخفى الفرق بين أثر غياب الرجل و غياب المرأه على العائله اقتصاديا،و لو لم يراع هذا الفرق لأصيبت عائله المقتص منه بأضرار ماليه،و لوقعت فى حرج اقتصادى،و دفع نصف الديه يحول دون تزلزل تلك العائله اقتصاديا.و لا يسمح الإسلام أن يتعرض أفراد أسره لخطر اقتصادى و تغمط حقوقهم تحت شعار«المساواه».

قد تكون امرأه فى أسرتها عضوه فعاله اقتصاديا أكثر من الرجل،و لكن الأحكام و القوانين لا تقوم على أساس الحالات الاستثنائيه،بل على أساس الوضع العام،و فى هذه الحاله يجب أن نقارن كل الرجال بكل النساء.(تأمل بدقّه).

۴-يلفت النظر أيضا فى الآيه عباره مِنْ أَخِيهِ ،فالقرآن يركز على مفهوم

الأخوه بين المسلمين،حتى يطلق هذا التعبير على القاتل.و بهذا التعبير يضرب القرآن على وتر العاطفه الأخويه بين المسلمين،كى يشجع أولياء المقتول على العفو!! هذا طبعا بالنسبه للقاتل الذى انزلق فى هاويه الجريمه فى ظروف عصبيه خاصه،و ندم بذلك على فعلته.أمّا المجرمون الذى يفخرون بجرائمهم،و لا يشعرون بندم على ما ارتكبوه فلا يستحقون اسم الأخ و لا العفو.

ص: ۵۰۹

الآيات [سوره البقره (٢): الآيات ١٨٠ الى ١٨٢]

اشاره

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذٰا حَضَرَ أَحَدَكُمُ اَلْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً اَلْوَصِيَّهُ لِلْوٰالِدَيْنِ وَ اَلْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى اَلْمُتَّقِينَ (١٨٠) فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مٰا سَمِعَهُ فَإِنَّمٰا إِثْمُهُ عَلَى اَلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اَللّٰهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨١) فَمَنْ خٰافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلاٰ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اَللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨٢)

التّفسير

اشاره

الوصيه بالمعروف

الآيات السابقه ذكرت تشريع القصاص،و هذه الآيات تذكر تشريع الوصيه، باعتباره جزءا من النظام المالى،و تذكر بأسلوب الحكم الإلزامى فتقول: كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذٰا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّهُ لِلْوٰالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ .

ثم تضيف الآيه أن هذه الوصيّه كتبت حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ .

ذكرنا أن تعبير كُتِبَ عَلَيْكُمْ يدل على الوجوب،من هنا كان هذا التعبير وقع بحث لدى المفسرين فى هذه الآيه،و لهم فيها أقوال مختلفه:

١-جاء فى الآيه الكريمه بشأن كتابه الوصيه كونها حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ،من

هنا فإنها مستحبه استحبابا مؤكدا،و لو كانت واجبه لقالت الآيه،«حقّا على المؤمنين».

۲-قيل أيضا:إن هذه الآيه نزلت قبل نزول أحكام الإرث،و كانت الوصيه آنئذ واجبه،كى لا يقع نزاع بين الورثه.ثم نسخ هذا الوجوب بعد نزول آيات الإرث،و أصبح حكما استحبابيا.و فى تفسير«العيّاشى»حديث يؤيّد هذا الاتجاه.

۳-يحتمل أيضا أن يكون حديث الآيه عن موارد الضروره و الحاجه،أى حين يكون الإنسان مدينا،أو فى ذمته حق،و الوصيه واجبه فى هذه الحالات.

يبدو أن التّفسير الأول أقرب من بقيه التفاسير.

يلفت النظر أن الآيه الكريمه عبرت عن المال بكلمه«خير»فقالت: إِنْ تَرَكَ خَيْراً .و هذا يعنى أن الإسلام يعتبر الثروه المستحصله عن طريق مشروع، و المستخدمه على طريق تحقيق منافع المجتمع و مصالحه خيرا و بركه.و يرفض النظرات الخاطئه التى ترى الثروه شرا ذاتيا،و يردّ على أولئك المتظاهرين بالزهد،القائلين إن الزهد مساو للفقر،مسببين بذلك ركود المجتمع الإسلامى اقتصاديا،و مؤدين بمواقفهم الانزوائيه إلى فسح المجال لاستثمار الطامعين خيرات أمتهم.

هذا التعبير يشير ضمنيا إلى مشروعيه الثروه،لأن الأموال غير المشروعه ليست خيرا بل شرا وبالا.

و يستفاد من بعض الروايات أن تعبير«خيرا»يراد به الأموال الموفوره،لأن المال اليسير لا يحتاج إلى وصيه،و يستطيع الورثه أن يقسّموه بينهم حسب قانون الإرث.بعباره اخرى المال اليسير ليس بشىء يستدعى أن يفصل الإنسان ثلثه

عن طریق الوصیه (۱) .

و جمله إِذٰا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تبیّن آخر فرصه للوصیّه،و هذه الفرصه الأخیره إن فاتت أیضا فلا فرصه بعدها...أی لا مانع أن یکتب الإنسان وصیته قبل ذلک،بل یستفاد من الروایات أن هذا عمل مستحسن.

و لا قیمه لتلک التصورات المتشائمه من کتابه الوصیه،فالوصیه إن لم تکن باعثا علی طول العمر،لا تبعث إطلاقا علی تقریب أجل الإنسان!بل هی دلیل علی بعد النظر و تحسّب الاحتمالات.

تقیید الوصیه بِالْمَعْرُوفِ إشاره إلی أن الوصیه ینبغی أن تکون موافقه للعقل من کل جهه،لأن«المعروف»هو المعروف بالحسن لدی العقل.یجب أن تکون الوصیه متعقله فی مقدارها و فی نسبه توزیعها،دون أن یکون فیها تمییز،و دون أن تؤدی إلی نزاع و انحراف عن أصول الحق و العداله.

حین تکون الوصیه جامعه للخصائص المذکوره فهی محترمه و مقدسه،و کل تبدیل و تغییر فیها محظور و حرام.لذلک تقول الآیه التالیه: فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مٰا سَمِعَهُ فَإِنَّمٰا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ .

و لا یظنّن المحرفون المتلاعبون أن اللّه غافل عمّا یفعلون،کلّا إِنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ .

و لعل هذه الآیه تشیر إلی أن تلاعب«الوصیّ»(و هو المسؤول عن تنفیذ الوصیه)لا یصادر أجر الموصی.فالموصی ینال أجره،و الإثم علی الوصی المحرّف فی کمیّه الوصیه أو کیفیتها أو فی أصلها.

و یحتمل أیضا أن الآیه تبرئ ساحه غیر المستحقین الذین قسم بینهم الإرث عند عدم التزام الوصیّ بمفاد الوصیه.و تقول إن هؤلاء(الذین لا یعملون

ص:۵۱۲

۱- ۱) -تفسیر نور الثقلین،ج ۱،ص ۱۵۹.

بتلاعب الوصی)لا إثم علیهم،بل الإثم علی الوصیّ المحرّف،و لا تناقض بین التّفسیرین،فالآیه تجمع التّفسیرین معا.

بیّن القرآن فیما سبق الأحکام العامّه للوصیه،و أکد علی حرمه کل تبدیل فیها،و لکن فی کل قانون استثناء،و الآیه الثالثه من آیات بحثنا هذا تبین هذا الاستثناء و تقول: فَمَنْ خٰافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَیْنَهُمْ فَلاٰ إِثْمَ عَلَیْهِ إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ .

الاستثناء یرتبط بالوصیه المدونه بشکل غیر صحیح،و هنا یحق للوصی أن ینبّه الموصی علی خطئه إن کان حیّا،و أن یعدّل الوصیّه إن کان میتا،و حدّد الفقهاء مواضع جواز التعدیل فیما یلی:

۱-إذا کانت الوصیّه تتعلق بأکثر من ثلث مجموع الثروه،فقد أکدت نصوص المعصومین علی جواز الوصیه فی الثلث،و حظرت ما زاد علی ذلک (۱) .

من هنا لو وصّی شخص بتوزیع کل ثروته علی غیر الورثه الشرعیین،فلا تصح وصیته، و علی الوصی أن یقلل إلی حدّ الثلث.

۲-إذا کان فی الوصیه ما یؤدی إلی الظلم و الإثم،کالوصیه بإعانه مراکز الفساد،أو الوصیه بترک واجب من الواجبات.

۳-إذا أدت الوصیه إلی حدوث نزاع و فساد و سفک دماء،و هنا یجب تعدیل الوصیه بإشراف الحاکم الشرعی.

عبرت الآیه«بالجنف»عن الانحرافات التی تصیب الموصی فی وصیته عن سهو،و«بالإثم»عن الانحرافات العمدیه.

عباره إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ تشیر إلی ما قد یقع فیه الوصی من خطأ غیر عمدی عند ما یعدّل الوصیه المنحرفه،و تقول:إن اللّه یعفو عن مثل هذا الخطأ.

۱- ۱) -وسائل الشیعه،ج ۱۳،ص ۳۶۱(کتاب أحکام الوصایا،الباب العاشر).

بحوث

اشاره

۱-فلسفه الوصيه

الإرث يوزع حسب القانون الإسلامى بنسب معينه على عدد محدود من الأقارب،و قد يكون بين الأقارب و الأصدقاء و المعارف من له حـاجه مـاسه إلى المـال،و لكن لاـ سـهم له فى قـانون الإـرث.و قـد يكون بين الورثه من له حاجه أكبر إلى المال من بقيه الورثه.

من هنا وضع الإسـلام قانون الوصـيه إلى جانب قانون الإرث،و أجاز للمسلم أن يتصرّف فى ثلث أمواله(بعد الوفاه)بالشكل الذى يرشد لملء هذا الفراغ.

أضف إلى ما سبق،قد يرغب إنسان أن يعمل بعد مماته الخيرات التى ما أتيح له أن يعملها فى حياته،و منطق العقل يفرض أن لا يحرم هذا الشخص من مثل هذا العمل الخيرى.

الوصـيه غير محصوره بالموارد المـذكوره طبعا،بل على الإنسان أن يشـخّص فى وصـيته ما لـديه من أمانات و ما عليه من ديون و أمثالها،حتى لا يبقى فى أمواله شيء مبهم من حقوق النّاس و حقوق اللّه.

النصوص الإسلاميه أكّدت على ضروره الوصيه كثيرا،من ذلك

ما روى عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلم: «ما ينبغى لامرئ مسلم أن يبيت ليله إلاّ و وصيّته تحت رأسه»

(۱)

و المقصود بوضع الوصيه تحت الرأس إعدادها و تهيئتها طبعا.

و فى روايه اخرى: «من مات بغير وصيّه مات ميته جاهليّه»

(۲)

.

۲-العداله فى الوصيه

فى الروايات الإسلاميه تأكيد وافر على«عدم الجور»و«عدم الضرار»فى

۱- ۱) -وسائل الشیعه،ج ۱۳،ص ۳۵۲.

۲- ۲) -نفس المصدر.

الوصیه،یستفاد منها جمیعا أنّ تعدی الحدود الشرعیه المنطقیه فی الوصیه عمل مذموم و من کبائر الذنوب.

روی عن الإمام الباقر علیه السّلام: «من عدل فی وصیّته کان کمن تصدّق بها فی حیاته، و من جار فی وصیّته لقی اللّه عزّ و جلّ یوم القیامه و هو عنه معرض»

(۱)

.

و الجور فی الوصیه هو الوصیه بأکثر من الثلث،و حرمان الورثه من حقهم المشروع،أو التمییز بین الورثه بسبب عواطف شخصیه سطحیه.و أوصت النصوص الإسلامیه أیضا بعدم الوصیه بالثلث إن کان الورثه فقراء محتاجین، و تقلیل النسبه إلی الربع و إلی الخمس (۲) .

موضوع العداله فی الوصیه یبلغ درجه من الأهمیه نراها فی هذه

الروایه: «أنّ رجلا من الأنصار توفی و له صبیه صغار و له ستّه من الرّقیق فأعتقهم عند موته و لیس له مال غیرهم فلمّا علم النّبیّ صلّی اللّه علیه و اله و سلّم سأل قومه ما صنعتم بصاحبکم قالوا دفنّاه قال:أما إنّی لو علمته ما ترکتکم تدفنونه مع أهل الإسلام ترک ولده صغارا یتکفّفون النّاس» (۳) .

۳-الوصایا الواجبه و المستحبه

الوصیه و إن کانت مستحبه بطبیعه حالها-کما أشرنا إلیه-و لکن قد تکون واجبه لأمور طارئه،مثل أن یکون علی الإنسان حقوق واجبه للناس أو للّه قصّر فی أدائها،أو کانت عنده أمانات و دیون أو مثل ذلک بحیث لو لم یوص احتمل ضیاع حقوق النّاس بذلک،و أهم من الکل أن یکون للإنسان مکانه خاصه فی المجتمع لو لم یوص لمن بعده وقعت اضطرابات و أمور مؤسفه ففی جمیع هذه الصور تجب الوصیّه.

۱- ۱) -وسائل الشیعه،ج ۱۳،ص ۳۵۹.

۲- ۲) -وسائل الشیعه،ج ۱۳،ص ۳۶۰.

۳- ۳) -سفینه البحار،ج ۲،ص ۶۵۹،مادّه وصی.

۴-الوصیه قابله للتغییر خلال الحیاه

القوانین الإسلامیه أجازت للموصی أن یعید النظر فی وصیته ما دام علی قید الحیاه.و جواز هذا التغییر یشمل الوصی و کیفیه الوصیه.ذلک لأن مرور الزمان قد یغیّر نظرات الموصی،و یغیر المصالح المرتبطه بالوصیه.

۵-جدیر بالذکر أن الإنسان ینبغی أن یجعل وصیته وسیله لتلافی ما مضی من تقصیر،و أن یتودّد بها إلی من جفاه من أقاربه أیضا.و فی الروایات أن قاده الإسلام کانوا یوصون خاصه لمن جفاهم من أقاربهم و یخصصون لهم مبلغا من المال،کی یعیدوا ما انقطع من أواصر الودّ،و یحررون عبیدهم،أو یوصون بتحریرهم.

ص :۵۱۶

الآيات [سوره البقره (۲): الآيات ۱۸۳ الی ۱۸۵]

اشاره

يَا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ اَلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى اَلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (۱۸۳) أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَ عَلَى اَلَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَ أَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۱۸۴) شَهْرُ رَمَضَانَ اَلَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ اَلْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَ بَيِّنَاتٍ مِنَ اَلْهُدَى وَ اَلْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ اَلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَ مَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اَللَّهُ بِكُمُ اَلْيُسْرَ وَ لاَ يُرِيدُ بِكُمُ اَلْعُسْرَ وَ لِتُكْمِلُوا اَلْعِدَّةَ وَ لِتُكَبِّرُوا اَللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۱۸۵)

التّفسير

اشاره

الصوم مدرسه التّقوی

فی سياق طرح مجموعه من الأحكام الإسلاميه،تناولت هذه الآيات أحكام واحده من أهم العبادات،و هی عباده الصوم،و بلهجه مفعمه بالتأكيد قالت الآيه:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكَمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَمْ

.

ثم تذكر الآيه مباشره فلسفه هذه العباده التربويه،فى عباره قليله الألفاظ، عميقه المحتوى،و تقول: لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ .

نعم،الصوم-كما سيأتى شرح ذلك-عامل فعّال لتربيه روح التقوى فى جميع المجالات و الأبعاد.

لما كانت هذه العباده مقرونه بمعاناه و صبر على ترك اللذائذ الماديه،و خاصه فى فصل الصيف،فإن الآيه طرحت موضوع الصوم بأساليب متنوعه لتهيّئ روح الإنسان لقبول هذا الحكم.

تبتدئ الآيه أولا بأسلوب خطابى و تقول: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا و هو نداء يفتح شغاف القلب،و يرفع معنويات الإنسان،و يشحذ همته،و فيه لذه

قال عنها الإمام الصادق عليه السّلام: «لذّه ما فى النّداء-أى يا ايّها الّذين آمنوا-أزال تعب العباده و العناء»

(۱)

.

ثمّ تبيّن الآيه أن الصوم فريضه كتبت أيضا على الأمم السابقه.

ثم تبيّن الآيه فلسفه الصوم و ما يعود به على الإنسان من منافع،لتكون هذه العباده محبوبه ملتصقه بالنفس.

الآيه التاليه تتجه أيضا إلى التخفيف من تعب الصوم و تقول:

أَيّاماً مَعْدُوداتٍ

فالفريضه لا تحتل إلاّ مساحه صغيره من أيّام السنه.

ثم تقول فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلى سَفَرٍ فَعِدَّهٌ مِنْ أَيّامٍ أُخَرَ ، فالمريض و المسافر معفوان من الصوم،و عليهما أن يقضيا صومهما فى أيّام اخرى.

ثم تصدر الآيه عفوا عن الطّاعنين فى السنّ،و عن المرضى الذين لا يرجى شفاؤهم،و ترفع عنهم فريضه الصوم ليدفعوا بدلها كفاره،فتقول:

۱- ۱) -مجمع البیان فی تفسیر الآیه.

وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعٰامُ مِسْكِينٍ

(۱) .

ثم يقول الآيه فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ (۲) أی من تطوع للإطعام أكثر من ذلک فهو خير له.

و أخيرا تبين الآيه حقيقه هی: وَ أَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ .

استدل بعض بهذه الآيه على أن الصوم كان فی بدايه التشريع واجبا تخييريا، و كان المسلمون مخيرين بين الصوم و الفديه،ثم نسخ هذا الحكم بعد أن تعوّد المسلمون على الصوم و أصبح واجبا عينيّا،و لكن ظاهر الآيه يدلّ على تأكيد آخر على فلسفه الصوم،و على أن هذه العباده-كسائر العبادات-لا تزيد اللّه عظمه أو جلالا،بل تعود كل فوائدها على النّاس.

الشاهد على ذلک ما جاء فی القرآن من تعبير مشابه لذلک،كقوله سبحانه بعد ذكر وجوب صلاه الجمعه: ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۳) .

و قوله تعالى: وَ إِبْرٰاهِيمَ إِذْ قٰالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللّٰهَ وَ اتَّقُوهُ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۴) .

بهذا تبين أن عباره وَ أَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ موجهه إلى كل الصائمين لا إلى

۱ - ۱) -«يطيقونه»من«الطوق»و هو الحلقه التی تلقى على العنق،أو توجد عليه بشكل طبيعی(كطوق الحمام)ثم أطلقت الكلمه على نهايه الجهد و الطاقه،و الضمير فی«يطيقونه»يعود على الصوم،أی الذين يبذلون غايه طاقتهم لدى الصوم،أو بعباره اخرى:الذين يجهدهم الصوم و يثقل عليهم،و هم الطاعنون فی السّن و المرضى الذين لا يرجى علاجهم،فهؤلاء معفوون من الصوم و عليهم أن يدفعوا الفديه بدل ذلک(و على المرضى الذين يشفون أن يقضوا صومهم). و قيل«الّذين يطيقونه»يعنی الذين كانوا يطيقونه،و لم يعودوا اليوم قادرين على الصوم(و هذا المعنى جاء فی بعض الروايات).

۲ - ۲) -قيل فی عباره«تطوّع خيرا»إنها إشاره إلى الصوم المستحب،و قيل أيضا:إنها تأكيد على أن الصوم ينبغی أن يكون عن رغبه و طواعيه،لا عن إجبار و إكراه.

۳- ۳) -الجمعه،۹.

۴- ۴) -العنكبوت،۱۶.

مجموعه خاصه.

آخر آیه فی بحثنا تتحدث عن زمان الصوم و بعض أحکامه و معطیاته تقول:

شَهْرُ رَمَضٰانَ

هو الشهر الذی فرض فیه الصیام.

و هو اَلَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ،هُدیً لِلنّٰاسِ وَ بَیِّنٰاتٍ مِنَ الْهُدیٰ وَ الْفُرْقٰانِ ،أی معیار معرفه الحق و الباطل.

ثم تؤکد ثانیه حکم المسافر و المریض و تقول: فَمَنْ شَهِدَ مِنْکُمُ الشَّهْرَ فَلْیَصُمْهُ،وَ مَنْ کٰانَ مَرِیضاً أَوْ عَلیٰ سَفَرٍ فَعِدَّهٌ مِنْ أَیّٰامٍ أُخَرَ (۱) .

تکرار حکم المسافر و المریض فی هذه الآیه و الآیه السابقه،قد یکون سبب کراهیه بعض المسلمین أن لا یصوموا أیام شهر رمضان حتی و لو کانوا مرضی أو مسافرین.و القرآن بهذا التکرار یفهم المسلمین أن الصوم فی حاله السلام و الحضر حکم إلهی،و الإفطار فی حال السفر و المرض حکم إلهی أیضا لا تجوز مخالفته.

و فی آخر الآیه إشاره اخری إلی فلسفه تشریع الصوم،تقول: یُرِیدُ اللّٰهُ بِکُمُ الْیُسْرَ وَ لاٰ یُرِیدُ بِکُمُ الْعُسْرَ .فالصوم-و إن کان علی الظاهر نوعا من التضییق و التحدید-مؤدّاه راحه الإنسان و نفعه علی الصعیدین المادی و المعنوی، (و سیأتی تفصیل ذلک فی بحث فلسفه الصوم).

و لعل هذه العباره إشاره إلی أن الأوامر الإلهیه لیست کأوامر الحاکم الظالم، ففی الصوم رخص حیثما کان فیه مشقه علی الصائم،لذلک رفع تکلیف الصوم- علی أهمیته-عن المریض و المسافر و الضعیف.

ثم تقول الآیه: وَ لِتُکْمِلُوا الْعِدَّهَ أی یلزم علی کل إنسان سلیم أن یصوم شهرا،فذلک ضروری لتربیه جسمه و نفسه.لذلک وجب علی المریض و المسافر أن یقضی ما فاته من شهر رمضان لیکمل العدّه،و حتی الحائض-التی أعفیت من

۱- ۱) -أی من کان فی حضر فلیصم شهر رمضان،و قیل إن جمله«من شهد منکم الشّهر»تعنی رؤیه الهلال،و هو بعید،و الحق ما ذکرناه و روایات أئمه أهل البیت تؤید ذلک.

قضاء الصلاه-غير معفوّه عن قضاء الصوم.

و العباره الأخيره من الآيه تقول: وَ لِتُكَبِّرُوا اللّٰهَ عَلىٰ مٰا هَدٰاكُمْ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ لتكبروه على ما وفّر لكم من سبل الهدايه،و لتشكروه على ما أنعم عليكم.

الشكر فى الآيه مسبوق بكلمه«لعلّ»،لكن التكبير مؤكد بشكل قاطع غير مسبوق بترجّ.و قد يعود الاختلاف فى التعبير إلى أن عباده(الصوم)هى على كل حال تكبير للّه و تعظيم له سبحانه،أما الشكر-و هو إنفاق النعم فى مواضعها و الاستفاده من الآثار العمليه للصوم-فله شروط أهمها الإخلاص التام،و فهم حقيقه الصوم،و الاطلاع على أبعاده و أعماقه.

بحوث

اشاره

١-الآثار التّربويه و الاجتماعيه و الصحّيه للصوم

للصوم أبعاد متعدده و آثار غزيره ماديه و معنويه فى وجود الإنسان،و أهمها البعد الأخلاقى،التّربوى.

من فوائد الصوم الهامه«تلطيف»روح الإنسان،و«تقويه»إرادته، و«تعديل»غرائزه.

على الصائم أن يكف عن الطعام و الشراب على الرغم من جوعه و عطشه، و هكذا عليه أن يكف عن ممارسه العمل الجنسى،ليثبت عمليا أنه ليس بالحيوان الأسير بين المعلف و المضجع،و أنه يستطيع أن يسيطر على نفسه الجامحه و على أهوائه و شهواته.

الأثر الروحى و المعنوى للصوم يشكل أعظم جانب من فلسفه هذه العباده.

مثل الإنسان الذى يعيش إلى جوار أنواع الأطعمه و الأشربه،لا يكاد يحس

بجوع أو عطش حتى يمدّ يده إلى ما لذّ و طاب كمثل شجره تعيش إلى جوار نهر وفير المياه،ما إن ينقطع عنها الماء يوما حتى تذبل و تصفرّ.

أما الأشجار التى تنبت بين الصخور و فى الصحارى المقفره،و تتعرض منذ أوائل إنباتها إلى الرياح العاتيه،و حراره الشمس المحرقه حينا،و بروده الجوّ القارصه حينا آخر،و تواجه دائما أنواع التحديات،فإنها أشجار قويه صلبه مقاومه.

و الصوم له مثل هذا الأثر فى نفس الإنسان،فبهذه القيود المؤقته يمنحه القدره و قوه الإراده و عزيمه الكفاح،كما يبعث فى نفسه النور و الصفاء بعد أن يسيطر على غرائزه الجامحه.

بعباره موجزه:الصوم يرفع الإنسان من عالم البهيميه إلى عالم الملائكه و عباره لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ تشير إلى هذه الحقائق.

و هكذا

الحديث المعروف: «الصّوم جنّه من النّار»

(۱)

يشير إلى هذه الحقائق.

و عن على عليه السّلام عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم أنه سئل عن طريق مجابهه الشيطان،قال:

«الصّوم يسوّد وجهه،و الصّدقه تكسر ظهره،و الحبّ فى اللّه و المواظبه على العمل الصّالح يقطع دابره،و الاستغفار يقطع وتينه»

(۲)

.

و فى نهج البلاغه عرض لفلسفه العبادات،و فيه يقول أمير المؤمنين على عليه السّلام:

«و الصّيام ابتلاء لإخلاص الخلق»

(۳)

.

و روى عن النّبى صلّى اللّه عليه و اله و سلّم قال: «إنّ للجنّه بابا يدّعى الرّيّان،لا يدخل فيها إلاّ الصّائمون».

يقول المرحوم الصدوق فى«معانى الأخبار»معلقا على هذا الحديث:إنما سمى هذا الباب بالريّان لأن مشقه الصائم إنما تكون فى

الأغلب من العطش،

ص :۵۲۲

۱- ۱) -بحار الأنوار،ج ۹۶،ص ۲۵۶.

۲- ۲) -بحار الأنوار،ج ۹۶،ص ۲۵۵.

۳- ۳) -نهج البلاغه،الكلمات القصار،رقم ۲۵۲.

و عند ما يدخل الصائمون من هذا الباب يرتوون حتى لا يظمأوا بعده أبدا (۱) .

الأثر الاجتماعى للصوم لا يخفى على أحد.فالصوم درس المساواه بين أفراد المجتمع.الموسرون يحسّون بما يعانيه الفقراء المعسرون،و عن طريق الاقتصاد فى استهلاك المواد الغذائيه يستطيعون أن يهبوا لمساعدتهم.

قد يمكن تحسيس الأغنياء بما يعانيه الفقراء عن طريق الكلام و الخطابه، لكن المسأله حين تتخذ طابعا حسّيّا عينيّا لها التأثير الأقوى و الأبلغ.الصوم يمنح هذه المسأله الهامه الاجتماعيه لونا حسيا،لذلك

يقول الإمام الصادق عليه السّلام فى جواب عن سؤال بشأن علّه الصوم: «إنّما فرض اللّه الصّيام ليستوى به الغنىّ و الفقير، و ذلك إنّ الغنىّ لم يكن ليجد مسّ الجوع فيرحم الفقير،و إنّ الغنىّ كلّما أراد شيئا قدر عليه فأراد اللّه تعالى أن يسوّى بين خلقه،و أن يذيق الغنىّ مسّ الجوع و الألم،ليرقّ على الضّعيف و يرحم الجائع»

(۲)

.

ترى،لو أن الدول الغنيه فى العالم صامت عدّه أيّام فى السنه و ذاقت مراره الجوع،فهل يبقى فى العالم كل هذه الشعوب الجائعه؟!

الآثار الصحيه للصوم

أهميه«الإمساک»فى علاج أنواع الأمراض ثابته فى الطب القديم و الحديث.

البحوث الطبيه لا تخلو عاده من الحديث عن هذه المسأله،لأن العامل فى کثیر من الأمراض الإسراف فى تناول الأطعمه المختلفه.المواد الغذائيه الزائده تتراكم فى الجسم على شكل مواد دهنيه،و تدخل هى و المواد السكريه فى الدم،و هذه المواد الزائده وسط صالح لتكاثر أنواع الميكروبات و الأمراض،و فى هذه الحاله يكون الإمساك أفضل طريق لمكافحه هذه الأمراض،و للقضاء على هذه المزابل

۱- ۱) -بحار الأنوار،ج ۹۶،ص ۲۵۲.

۲- ۲) -وسائل الشيعه،ج ۷،أول كتاب الصوم،ص ۳.

المتراكمه فى الجسم.

الصوم يحرق الفضلات و القمامات المتراكمه فى الجسم،و هو فى الواقع عمليه تطهير شامله للبدن،إضافه إلى أنه استراحه مناسبه لجهاز الهضم و تنظيف له، و هذه الاستراحه ضروريه لهذا الجهاز الحساس للغايه،و المنهمك فى العمل طوال أيام السنه.

بديهى أن الصائم ينبغى أن لا يكثر من الطعام عند«الإفطار»و«السّحور» حسب تعاليم الإسلام،كى تتحقق الآثار الصحيه لهذه العباده،و إلاّ فقد تكون النتيجه معكوسه.

العالم الروسى«الكسى سوفورين»يقول فى كتابه:

«الصوم سبيل ناجح فى علاج أمراض فقر الدم،و ضعف الأمعاء،و الالتهابات البسيطه و المزمنه،و الدمامل الداخليه و الخارجيه،و السل،و الاسكليروز، و الروماتيزم،و النقرس و الاستسقاء،و عرق النساء،و الخراز(تناثر الجلد)، و أمراض العين،و مرض السكر،و أمراض الكليه،و الكبد و الأمراض الاخرى.

العلاج عن طريق الإمساك لا يقتصر على الأمراض المذكوره،بل يشمل الأمراض المرتبطه بأصول جسم الإنسان و خلاياه مثل السرطان و السفليس، و السل و الطاعون أيضا» (۱) .

عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم قال: «صوموا تصحّوا»

(۲)

.

و عنه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم أيضا: «المعده بيت كلّ داء و الحميّه رأس كلّ دواء»

(۳)

.

۲-الصوم فى الأمم السابقه

يظهر من النصوص الموجوده فى التوراه و الإنجيل،أن الصوم كان موجودا

۱- ۱) -كتاب«الصوم طريقه حديثه لعلاج الأمراض»،ص ۶۵،الطبعه الاولى.

۲- ۲) -بحار الأنوار،ج ۹۶،ص ۲۵۵.

۳- ۳) -بحار الأنوار،ج ۱۴،من الطبعه القديمه.

بين اليهود و النصارى،و كانت الأمم الاخرى تصوم فى أحزانها و مآسيها،فقد ورد فى«قاموس الكتاب المقدس»:«الصوم بشكل عام و فى جميع الأوقات كان متداولا فى أوقات الأحزان و النوائب بين جميع الطوائف و الملل و المذاهب» (1) .

و يظهر من التوراه أن موسى عليه السّلام صام أربعين يوما،فقد جاء فيها:«أقمت فى الجبل أربعين نهارا و أربعين ليله لا آكل خبزا و لا أشرب ماء» (2) .

و كان اليهود يصومون لدى التوبه و التضرع إلى اللّه:«اليهود كانوا يصومون غالبا حينما تتاح لهم الفرصه للإعراب عن عجزهم و تواضعهم أمام اللّه،ليعترفوا بذنوبهم عن طريق الصوم و التوبه،و ليحصلوا على رضا حضره القدس الإلهى» (3) .

«الصوم الأعظم مع الكفاره كان على ما يبدو خاصا بيوم من أيام السنه بين طائفه اليهود،طبعا كانت هناك أيام اخرى مؤقته للصوم بمناسبه ذكرى تخريب أورشليم و غيرها» (4) .

السيد المسيح عليه السّلام صام أيضا أربعين يوما كما يظهر من«الإنجيل»:«ثم اصعد يسوع إلى البريه من الروح ليجرّب من إبليس فبعد ما صام أربعين نهارا و أربعين ليله جاع أخيرا» (5) .

و يبدو من نصوص إنجيل«لوقا»أن حواريّى السيد المسيح صاموا أيضا (6) .

و جاء فى قاموس الكتاب المقدس أيضا:«...من هنا كانت حياه الحواريّين و المؤمنين مملوءه بالابتعاد عن اللذات و بالأتعاب و بالصوم» (7) .

بهذا نستطيع أن نجد فى نصوص الكتب الدينيه القديمه(حتى بعد تحريفها) شواهد على ما جاء فى القرآن الكريم كَمٰا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ .

ص: 525

1- 1) -قاموس الكتاب المقدس،ص 427.

2- 2) -التوراه،سفر التثنيه،الفصل 9،الرقم 9.

3- 3) -قاموس الكتاب المقدس،ص 428.

4- 4) -نفس المصدر.

5- 5) -إنجيل متى،الإصلاح الرابع،الرقم 1 و 2.

6- 6) -إنجيل لوقا،الإصحاح الخامس،الرقم 35-33.

7- 7) -قاموس الكتاب المقدس،ص 428.

۳-امتیاز شهر رمضان

هذا الشهر-إنما اختیر شهرا للصوم-لأنه یمتاز عن بقیه الشهور.و القرآن الکریم بیّن مزیه هذا الشهر فی الآیه الکریمه بأنه اَلَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ أی القرآن الذی یفصل الصالح عن الطالح و یضمن سعاده البشریه.و فی الروایات الإسلامیه أن کل الکتب السماویه:«التوراه»و«الإنجیل»و«الزبور»و«الصحف» و«القرآن»نزلت فی هذا الشهر (۱) .فهو إذن شهر تربیه و تعلیم،لأن التربیه غیر ممکنه دون تعلیم صحیح،و منهج الصوم التربوی یجب أن یکون مرافقا لوعی عمیق منطلق من تعالیم السماء لتطهیر الإنسان من کل أثم.

فی آخر جمعه من شهر شعبان،ألقی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و سلّم خطبه أعدّ فیها المسلمین لاستقبال شهر رمضان المبارک قال فیها:

«أیّها النّاس إنّه قد أقبل إلیکم شهر اللّه بالبرکه و الرّحمه و المغفره،شهر هو عند اللّه أفضل الشّهور،و أیّامه أفضل الأیّام،و لیالیه أفضل اللّیالی،و ساعاته أفضل السّاعات،هو شهر دعیتم فیه إلی ضیافه اللّه،و جعلتم فیه من أهل کرامه اللّه.أنفاسکم فیه تسبیح،و نومکم فیه عباده،و عملکم فیه مقبول،و دعاؤکم فیه مستجاب فاسألوا اللّه ربّکم بنیّات صادقه، و قلوب طاهره أن یوفّقکم لصیامه و تلاوه کتابه،فإنّ الشّقیّ من حرم غفران اللّه فی هذا الشّهر العظیم،و اذکروا بجوعکم و عطشکم فیه جوع یوم القیامه و عطشه،و تصدّقوا علی فقرائکم و مساکینکم،و وقّروا کبارکم،و ارحموا صغارکم،و صلوا أرحامکم،و احفظوا ألسنتکم،و غضّوا عمّا لا یحلّ النّظر إلیه أبصارکم،و عمّا لا یحلّ الاستماع إلیه أسماعکم، و تحنّنوا علی أیتام النّاس یتحنّن علی أیتامکم...»

(۲)

.

۴-قاعده«لا حرج»

آیات بحثنا فیها إشاره إلی أن اللّه یرید بالنّاس الیسر و لا یرید بهم العسر،

۱- ۱) -وسائل الشیعه،ج ۷،أبواب أحکام شهر رمضان،الباب ۱۸،الحدیث ۱۶.

۲- ۲) -وسائل الشّیعه،ج ۷،الباب ۱۸ من أبواب أحکام شهر رمضان،ح ۲۰.

و هـذه الإشاره تـدور طبعا هنا حول موضوع الصوم و فوائده و حكم المسافر و المريض،لكن أسـلوبها العام يجعلها قاعده تشـمل كل الأحكام الإسلاميه،و يصيّر منها سندا لقاعده «لا حرج»المعروفه.

هذه القاعده تقول:لا تقوم قوانين الإسـلام على المشـقه،و إن أدّى حكم إسـلامى إلى حرج و مشقه،فإنه يرفع عنه مؤقتا،و لذلك أجاز الفقهاء التيمّم لمن يشق عليه الوضوء،و الصلاه جلوسا لمن يشق عليه الوقوف.

و فى موضع آخر من القرآن الكريم،يقول سبحانه: هُوَ اجْتَبٰاكُمْ وَ مٰا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ (۱) .

و عن الرّسول صلّى اللّه عليه و اله و سلّم قال: «بعثت على الشّريعه السّمحه السّهله».

ص :۵۲۷

۱- ۱) -الحج،۷۸.

الآیه [سوره البقره (٢): آیه ١٨۶]

اشاره

وَ إِذٰا سَأَلَکَ عِبٰادِی عَنِّی فَإِنِّی قَرِیبٌ أُجِیبُ دَعْوَهَ اَلدّٰاعِ إِذٰا دَعٰانِ فَلْیَسْتَجِیبُوا لِی وَ لْیُؤْمِنُوا بِی لَعَلَّهُمْ یَرْشُدُونَ (١٨۶)

سبب النّزول

سأل رجل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و سلّم عن اللّه سبحانه،أهو قریب لیناجیه بصوت خفی أم بعید لیدعوه بصوت مرتفع؟فنزلت الآیه (١) .

التّفسیر

سلاح اسمه الدعاء بعد أن ذکرت الآیات السابقه مجموعه هامّه من الأحکام الإسلامیه،تناولت هذه الآیه موضوع الدعاء باعتباره أحد وسائل الارتباط بین العباد و المعبود سبحانه.و مجیء هذه الآیه فی سیاق الحدیث عن الصوم،یعطیه مفهوما جدیدا،إذ أن الدعاء و التقرب إلی اللّه روح کل عباده.

هذه الآیه تخاطب النّبی صلّی اللّه علیه و اله و سلّم و تقول: وَ إِذٰا سَأَلَکَ عِبٰادِی عَنِّی فَإِنِّی قَرِیبٌ .

١- ١) -مجمع البیان،فی تفسیر الآیه.

إنه أقرب ممّا تتصورون،أقرب منكم إليكم،بل وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١) .

ثم تقول الآيه: أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إِذا دَعانِ .

إذن فَلْيَسْتَجِيبُوا لِی،وَ لْيُؤْمِنُوا بِی،لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ .

و يلفت النظر فی الآيه،أن اللّه سبحانه أشار إلی ذاته المقدسه سبع مرات، و أشار إلی عباده سبعا!مجسدا بذلك غايه لطفه و قربه و ارتباطه بعباده.

روی عبد اللّه بن سنان عن الإمام الصادق عليه السّلام قال: «الدّعاء يردّ القضاء بعد ما أبرم إبراما فأكثر من الدّعاء فإنّه مفتاح كلّ رحمه و نجاح كلّ حاجه و لا ينال ما عند اللّه عزّ و جلّ إلاّ بالدّعاء و إنّه ليس باب يكثر قرعه إلاّ يوشك أن يفتح لصاحبه» (٢) .

نعم،إنه قريب منّا،و كيف يبتعد و هو سبحانه يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ (٣) .

بحوث

اشاره

١-فلسفه الدعاء

أولئك الجاهلون بحقيقه الدعاء و آثاره التربويّه و النفسيه،يطلقون أنواع التشكيك بشأن الدعاء.

يقولون:الدعاء عامل مخدّر،لأنه يصرف النّاس عن الفعّاليه و النشاط و عن تطوير الحياه،و يدفعهم بدلا من ذلك إلی التوسّل بعوامل غيبيه.

و يقولون:إن الدعاء تدخّل فی شؤون اللّه،و اللّه يفعل ما يريد،و فعله منسجم مع مصالحنا،فما الداعی إلی الطلب منه و التضرّع إليه؟!

١- ١) -ق،١۶.

٢- ٢) -أصول الكافی،ج ٢،كتاب الدعاء(باب إن الدعاء يرد البلاء)،الحديث ٧.

٣- ٣) -الأنفال،٢۴.

و يقولون أيضا:إنّ الدعاء يتعارض مع حاله الإنسان الراضـى بقضاء اللّه المستسلم لإرادته سبحانه! هؤلاء-كما ذكرنا-يطلقون هذا التشـكيك لجهلهم بالآثار التربويه و النفسـيه و الاجتماعيه للـدعاء،فالإنسان بحاجه أحيانا إلى الملجأ الـذى يلوذ به فى الشدائـد،و الدعاء يضىء نور الأمل فى نفس الإنسان.

من يبتعد عن الدعاء يواجه صدمات عنيفه نفسيه و اجتماعيه.و على حد تعبير أحد علماء النفس المعروفين:

«ابتعاد الامّه عن الـدعاء يعنى سـقوط تلك الامّه!المجتمع الذى قمع فى نفسه روح الحاجه إلى الدعاء سوف لا يبقى مصونا عاده من الفساد و الزوال.

و من نافله القول أنه من العبث الاكتفاء بالدعاء لدى الصـباح و قضاء بقيه اليوم كالوحش الكاسـر،لا بدّ من مواصـله الدعاء،و من اليقظه المستمره،كى لا يزول أثره العميق من نفس الإنسان». (1)

و أولئك الـذين يصـفون الدعاء بأنه تخديرى لم يفهموا معنى الدعاء،لأن الدعاء لا يعنى ترك العلل و الوسائل الطبيعيه و اللجوء بـدلها إلى الـدعاء،بل المقصود أن نبـذل نهايه جهدنا للاسـتفاده من كل الوسائل الموجوده،بعد ذلك إن انسدت أمامنا الطرق،و أعيتنـا الوسـيله،نلجأ إلى الـدعاء،و بهـذا اللجوء إلى اللّه يحيى فى أنفسـنا روح الأمـل و الحركه،و نسـتمد من عون المبـدأ الكبير سبحانه.

الدعاء إذن لا يحل محل العوامل الطبيعيه.

«الدعاء-إضافه إلى قدرته فى بث الطمأنينه فى النفس-يؤدى إلى نوع من النشاط الدماغى فى الإنسان،و إلى نوع من الإنشـراح و الانبساط الباطنى و أحيانا إلى تصعيد روح البطوله و الشجاعه فيه.الدعاء يتجلى بخصائص مشخصه فريده

۱- ۱) -الدعاء،الطبيب و عالم النفس الشهير«الكسيس كاريل».

...صفاء النظره،و قوه الشخصيه،و الإنشراح و السرور،و الثقه بالنفس،و الاستعداد للهدايه،و استقبال الحوادث بصدر رحب،كل هذه مظاهر لكنز عظيم دفين فى نفوسنا.و انطلاقا من هذه القوّه يستطيع حتى الأفراد المتخلفون أن يستثمروا طاقاتهم العقليه و الأخلاقيه بشكل أفضل،و أكثر.لكن الأفراد الذين يفهمون الدعاء حق فهمه قليلون جدا-مع الأسف-فى عالمنا اليوم» (۱) .

ممّا تقدم نفهم الرد على من يقول أن الدعاء يخالف روح الرضا و التسليم، لأن الدعاء-كما ذكرنا-نوع من كسب القابليه على تحصيل سهم أكبر من فيض اللّه اللامتناهى.

بعباره اخرى:الإنسان ينال بالدعاء لياقه أكبر للحصول على فيض البارى تعالى.و واضح أن السعى للتكامل و لكسب مزيد من اللياقه هو عين التسليم أمام قوانين الخليقه،لا عكس ذلك.

أضف إلى ذلك،الدعاء نوع من العباده و الخضوع و الطاعه،و الإنسان-عن طريق الدعاء-يزداد ارتباطا باللّه تعالى،و كما أن كلّ العبادات ذات أثر تربوى كذلك الدّعاء له مثل هذا الأثر.

و القائلون أن الدعاء تدخّل فى أمر اللّه و أن اللّه يفعل ما يشاء،لا يفهمون أن المواهب الإلهيه تغدق على الإنسان حسب استعداده و كفاءته و لياقته،و كلّما ازداد استعداده ازداد ما يناله من مواهب.

لذلک

يقول الإمام الصادق عليه السّلام: «إنّ عند اللّه عزّ و جلّ منزله لا تنال إلاّ بمسأله»

(۲)

.

و يقول أحد العلماء:«حينما ندعو فإننا نربط أنفسنا بقوه لا متناهيه تربط جميع الكائنات مع بعضها» (۳) .

۱- ۱) -الدعاء للكسيس كاريل.

۲- ۲) -أصول الكافى،ج ۲،ص ۳۳۸،باب فضل الدعاء و الحثّ عليه،حديث ۳.

۳- ۳) -آئين زندگى(فارسى)،ص ۱۵۶.

و يقول:«إنّ أحدث العلوم الإنسانيه-أعنی علم النفس-یعلّمنا نفس تعالیم الأنبیاء،لماذا؟لأن أطباء النفسانیین أدرکوا أن الدعاء و الصلاه و الإیمان القوی بالدین یزیل عوامل القلق و الاضطراب و الخوف و الهیجان الباعثه علی أکثر أمراضنا» (۱) .

۲-المفهوم الحقیقی للدعاء

علمنا أنّ الدعاء إنّما یکون فیما خرج عن دائره قدرتنا،بعباره اخری الدعاء المستجاب هو ما صدر لدی الاضطرار و بعد بذل کل الجهود و الطاقات أَمَّنْ یُجِیبُ الْمُضْطَرَّ إِذٰا دَعٰاهُ وَ یَکْشِفُ السُّوءَ (۲) .یتضح من ذلک أن مفهوم الدعاء طلب تهیئه الأسباب و العوامل الخارجه عن دائره قدره الإنسان،و هذا الطلب یتجه به الإنسان إلی من قدرته لا متناهیه و من یهون علیه کل أمر.

هذا الطلب طبعا یجب أن لا یصدر من لسان الإنسان فقط،بل من جمیع وجوده،و اللسان ترجمان جمیع ذرات وجود الإنسان و أعضائه و جوارحه.

یرتبط القلب و الروح باللّه عن طریق الدعاء ارتباطا وثیقا،و یکتسبان القدره عن طریق اتصالهما المعنوی بالمبدأ الکبیر،کما تتصل القطره من الماء بالبحر الواسع العظیم.

جدیر بالذکر أن هناک نوعا آخر من الدعاء یردّده المؤمن حتی فیما اقتدر علیه من الأمور،لیعبّر به عن عدم استقلال قدرته عن قدره الباری تعالی،و لیؤکد أن العلل و العوامل الطبیعیه إنما هی منه سبحانه، و تحت إمرته.فإن بحثنا عن الدواء لشفاء دائنا،فإنّما نبحث عنه لأنّه سبحانه أودع فی الدواء خاصیه الشفاء (هذا نوع آخر من الدعاء أشارت إلیه الروایات الإسلامیه أیضا).

۱- ۱) -ن.م.ص ۱۵۲.

۲- ۲) -النمل،۶۲.

بعباره موجزه:الدعاء نوع من التوعيه و إيقاظ القلب و العقل،و ارتباط داخلى بمبدإ كل لطف و إحسان،لذلك نرى

أمير المؤمنين عليا عليه السّلام يقول: «لا يقبل اللّه عزّ و جلّ دعاء قلب لاه»

(۱)

.

و عن الإمام الصادق عليه السّلام: «إنّ اللّه عزّ و جلّ لا يستجيب دعاء بظهر قلب ساه»

(۲)

.

۳-شروط استجابه الدعاء

دراسه شروط استجابه الدعاء توضّح لنا كثيرا من الحقائق الغامضه فى مسأله الدعاء،و تبين لنا آثاره البناءه،و الروايات الإسلاميه تذكر شروطا لاستجابه الدعاء منها:

۱-ينبغى لمن يدعو أن يسعى أولا لتطهير قلبه و روحه،و أن يتوب من الذنب،و أن يقتدى بحياه قاده البشريه الإلهيين.

عن الإمام الصادق عليه السّلام: «إيّاكم أن يسأل أحدكم ربّه شيئا من حوائج الدّنيا و الاخره حتّى يبدأ بالثّناء على اللّه،و المدحه له و الصّلاه على النّبى و آله،و الاعتراف بالذّنب،ثمّ المسأله»

(۳)

.

۲-أن يسعى الداعى إلى تطهير أمواله من كل غصب و ظلم،و أن لا يكون طعامه من حرام.

عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم قال: «من أحبّ أن يستجاب دعاؤه فليطب مطعمه و مكسبه»

(۴)

.

۳-أن لا يفترق الدعاء عن الجهاد المستمرّ ضدّ كل ألوان الفساد،لأنّ اللّه لا يستجيب ممن ترك الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر،

عن النّبی صلّی اللّه علیه و اله و سلّم: «لتأمرنّ بالمعروف و لتنهنّ عن المنکر،أو لیسلّطنّ اللّه شرارکم علی خیارکم فیدعو خیارکم فلا

ص: ۵۳۳

۱- ۱) -أصول الکافی،ج ۲،ص ۳۴۲،باب الإقبال علی الدعاء،الحدیث ۱.

۲- ۲) -نفس المصدر.

۳- ۳) -سفینه البحار،ج ۱،ص ۴۴۸ و ۴۴۹.

۴- ۴) -نفس المصدر.

يستجاب لهم»

(۱)

.

ترک هذه الفریضه الإلهیه(فریضه المراقبه الاجتماعیه)یؤدی إلی خلوّ الساحه الاجتماعیه من الصالحین،و ترکها للمفسدین،و عند ذاک لا أثر للدعاء، لأن هذا الوضع الفاسد نتیجه حتمیه لأعمال الإنسان نفسه.

۴-العمل بالمواثیق الإلهیه،الإیمان و العمل الصالح و الأمانه و الصلاح من شروط استجابه الدعاء،فمن لم یف بعهده أمام بارئه لا ینبغی أن یتوقع من اللّه استجابه دعائه.

جاء رجل إلی أمیر المؤمنین علی علیه السّلام،و شکا له عدم استجابه دعائه،فقال الإمام:

«إنّ قلوبکم خانت بثمان خصال:

أوّلها:إنّکم عرفتم اللّه فلم تؤدّوا حقّه کما أوجب علیکم،فما أغنت عنکم معرفتکم شیئا.

و الثانیه:إنّکم آمنتم برسوله ثمّ خالفتم سنّته،و أمتّم شریعته فأین ثمره إیمانکم؟! و الثّالثه:إنّکم قرأتم کتابه المنزل علیکم فلم تعملوا به،و قلتم سمعنا و أطعنا ثمّ خالفتم! و الرّابعه:إنّکم قلتم تخافون من النّار،و أنتم فی کلّ وقت تقدمون إلیها بمعاصیکم فأین خوفکم؟! و الخامسه:إنّکم قلتم ترغبون فی الجنّه،و أنتم فی کلّ وقت تفعلون ما یباعدکم منها فأین رغبتکم فیها؟ و السّادسه:إنّکم أکلتم نعمه المولی فلم تشکروا علیها! و السّابعه:إنّ اللّه أمرکم بعداوه الشّیطان،و قال: إِنَّ الشَّیْطٰانَ لَکُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ،فعادیتموه بلا قول،و والیتموه بلا مخالفه.

و الثّامنه:إنّکم جعلتم عیوب النّاس نصب أعینکم و عیوبکم وراء ظهورکم تلومون

ص:۵۳۴

۱- ۱) -نفس المصدر السابق.

من أنتم أحقّ باللوم منه فأىّ دعاء يستجاب لكم مع هذا،و قد سددتم أبوابه و طرقه؟فاتّقوا اللّه و أصلحوا أعمالكم و أخلصوا سرائركم و أمروا بالمعروف و انهوا عن المنكر فيستجيب اللّه لكم دعاءكم»

(۱)

.

هذا الحديث يقول بصراحه:إن وعد اللّه باستجابه الدعاء وعد مشروط لا مطلق.مشروط بتنفيذ المواثيق الإلهيه،و إن عمل الإنسان بهذه المواثيق الثمانيه المذكوره فله أن يتوقع استجابه الدعاء،و إلاّ فلا.

العمل بالأمور الثمانيه المذكوره باعتبارها شروطا لاستجابه الدعاء كاف لتربيه الإنسان و لاستثمار طاقاته على طريق مثمر بنّاء.

۵-من الشروط الاخرى لاستجابه الدعاء العمل و السعى،

عن على عليه السّلام:

«الدّاعى بلا عمل كالرّامى بلا وتر» (۲) .

الوتر بحركته يدفع السهم نحو الهدف،و هكذا دور العمل فى الدعاء.

من مجموع شروط الدعاء المذكوره نفهم أن الدعاء لا يغنينا عن التوسل بالعوامل الطبيعيه،بل أكثر من ذلك يدفعنا إلى توفير شروط استجابه الدعاء فى أنفسنا،و يحدث بذلك تغييرا كبيرا فى حياه الإنسان و تجديدا لمسيرته،و إصلاحا لنواقصه.

أليس من الجهل أن يصف شخص الدعاء بهذا المنظار الإسلامى أنه مخدّر؟!

۱- ۱) -نفس المصدر.

۲- ۲) -نهج البلاغه،الكلمات القصار،رقم ۳۳۷.

الآيتان [سوره البقره (٢): آيه ١٨٧]

اشاره

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ اَلصِّيٰامِ اَلرَّفَثُ إِلىٰ نِسٰائِكُمْ هُنَّ لِبٰاسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِبٰاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اَللّٰهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتٰانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتٰابَ عَلَيْكُمْ وَ عَفٰا عَنْكُمْ فَالْآنَ بٰاشِرُوهُنَّ وَ اِبْتَغُوا مٰا كَتَبَ اَللّٰهُ لَكُمْ وَ كُلُوا وَ اِشْرَبُوا حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ اَلْخَيْطُ اَلْأَبْيَضُ مِنَ اَلْخَيْطِ اَلْأَسْوَدِ مِنَ اَلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا اَلصِّيٰامَ إِلَى اَللَّيْلِ وَ لاٰ تُبٰاشِرُوهُنَّ وَ أَنْتُمْ عٰاكِفُونَ فِي اَلْمَسٰاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اَللّٰهِ فَلاٰ تَقْرَبُوهٰا كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اَللّٰهُ آيٰاتِهِ لِلنّٰاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٨٧)

سبب النّزول

روى أن الأكل كان محرّما فى شهر رمضان بالليل بعد النوم،و كان النكاح حراما بالليل و النهار فى شهر رمضان.و كان رجل من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم يقال له مطعم بن جبير شيخا ضعيفا،و كان صائما،فأبطأت عليه أهله بالطعام فنام قبل أن يفطر،فلما انتبه قال لأهله:قد حرّم علىّ الأكل فى هذه الليله.

فلما أصبح حضر حفر الخندق فأغمى عليه،فرآه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم فرقّ له.

و كان قوم من الشباب ينكحون بالليل سرّا فى شهر رمضان،فأنزل اللّه هذه

الآيه فأحلّ النّكاح بالليل فى شهر رمضان،و الأكل بعد النوم إلى طلوع الفجر (۱) .

التّفسير

اشاره

رخصه فى أحكام الصّوم

مرّ بنا فى سبب نزول الآيه أن النكاح كان محرّما فى ليالى شهر رمضان إضافه إلى نهاره،و أن الأكل و الشرب كانا محرمين فى الليل أيضا بعد النوم، و لعل ذلک کان اختبارا للجيل الإسلامى الأوّل و إعدادا له كى يتقبل أحكام الصوم الثابته.

الآيه الكريمه تتضمن أربعه أحكام إسلاميه فى حقل الصوم و الاعتكاف.

تقول أولا: أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَهَ الصِّيٰامِ الرَّفَثُ (۲) إِلىٰ نِسٰائِكُمْ .

ثم تذكر الآيه سبب الحكم فتقول: هُنَّ لِبٰاسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِبٰاسٌ،لَهُنَّ .

و اللباس يحفظ الجسم من الحر و البرد و أنواع الأخطار من جهه،و يستر عيوب الجسم من جهه اخرى،أضف إلى أنه زينه للإنسان،و تشبيه الزوج باللباس يشمل كل هذه الجوانب.

الزوجان يحفظ كل منهما الآخر من الانحراف و العيوب،و يوفّر كل منهما سبل الراحه و الطمأنينه للآخر،و كل منهما زينه للآخر.

هذا التعبير يوضّح غايه الارتباط المعنوى بين الرجل و المرأه و مساواتهما فى هذا المجال،فالتعبير جاء للرجل كما جاء للمرأه بدون تغيير.

ثم يبين القرآن سبب تغيير هذا القانون الإلهى و يقول: عَلِمَ اللّٰهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتٰانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتٰابَ عَلَيْكُمْ وَ عَفٰا عَنْكُمْ .

فاللّه سبحانه وسّع عليكم الأمر و خفّفه،و جعل فيه رخصه بلطفه و رحمته،كى

۱- ۱) -مجمع البيان،فى تفسير الآيه.
۲- ۲) -الرفث:هو الحديث المكشوف عن المسائل الجنسيه،و استعير لمعنى الجماع كما فى الآيه.

لا تتلوثوا بالذنوب.

فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَ ابْتَغُوا مٰا كَتَبَ اللّٰهُ لَكُمْ

.

و هذا الأمر لا يعنى طبعا الوجوب،بل هو رخصه بعد المنع،أو هو بتعبير الأصوليين«الأمر عقيب الخطر»،و يدل على الجواز.

عباره وَ ابْتَغُوا مٰا كَتَبَ اللّٰهُ لَكُمْ إشاره إلى أن الاستفاده من هذه الرخصه الكائنه فى مسير قوانين الخلقه و حفظ النظام و بقاء النسل لا مانع فيها.

ثمّ تبيّن الآيه الحكم الثانى و تقول: وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ .

للمسلم-إذن-أن يأكل و يشرب فى الليل،حتى إذا طلع الفجر يمسك.

و تبين الآيه الحكم الثالث: ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيٰامَ إِلَى اللَّيْلِ .

هذه الجمله تأكيد على حظر الأكل و الشرب و النكاح فى أيّام شهر رمضان للصائمين،و تشير إلى أن الحظر يبدأ من طلوع الفجر و ينتهى عند الليل.

تطرح الآيه بعد ذلك الحكم الرّابع و تقول: وَ لاٰ تُبَاشِرُوهُنَّ وَ أَنْتُمْ عٰاكِفُونَ فِي الْمَسٰاجِدِ .

هذا الحكم يرتبط بالاعتكاف،و هو شبيه بالاستثناء من الحكم السابق،ففى الاعتكاف الذى لا تقلّ مدّته عن ثلاثه أيّام،لا يحق للمعتكف الصائم أن يباشر زوجته لا فى الليل و لا فى النهار.

فى ختام الآيه عباره تشير إلى كل ما ورد فيها من أحكام تقول: تِلْكَ حُدُودُ اللّٰهِ فَلاٰ تَقْرَبُوهٰا لأن الاقتراب من الحدود يبعث على الوسوسه،و قد يدفع الإنسان إلى تجاوز الحدود و الوقوع فى الذنب.

نعم، كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ آيٰاتِهِ لِلنّٰاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ .

ص :۵۳۸

اشاره

۱-الحدود الإلهيه:

بعـد أن ذكرت الآـيه الكريمه بعض أحكـام الصوم و الاعتكـاف،عـبّرت عن هـذه الأحكـام بالحـدود الإلـهيه،و هى الحـدود بين الحلال و الحرام...بين الممنوع و المباح.و من الملفت للنظر أن الآيه لم تقل لا تتجاوزوا هذه الحدود،بل قالت:

فَلاٰ تَقْرَبُوهٰا

،لأن الاقتراب منها يؤدى إلى إثاره الوساوس،و قد يؤدى أحيانا إلى تجاوز هذه الحدود.

لذلک نهى الإسلام عن الولوج فى مناطق تؤدى إلى انزلاق الإنسان فى المحرمات،کالنهى مثلا عن الاشتراک فى مجالس شرب الخمر حتى مع عدم التلوث بالخمره،أو النهى عن الاختلاء بالمرأه الأجنبيه.

هذا النهى ورد فى النصوص الإسلاميه تحت عنوان«حمايه الحمى».

ورد عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و اله و سلّم قال: «إنّ حمى اللّه محارمه،فمن يرتع حول الحمى يوشک أن يقع فيه»

(۱)

.

من هنا فالمتقون لا يجنّبون أنفسهم الوقوع فى المحرمات فحسب،بل يسعون إلى عدم الاقتراب من حافّه الحرام.

۲-الاعتكاف:

العكوف و الاعتكاف أصـله اللزوم،يقال:عكفت بالمكان،أى أقمت به ملازما له،و هو فى الشرع اللبث فى المساجد للعباده،و أقلّه ثلاثه أيّام يصوم خلالها المعتكف و يكفّ عن بعض المباحات.

هذه العباده لها الأثر العميق على تصـفيه الروح و القرب من اللّه،و ذكرت كتب الفقه آدابها و شـروطها،هذه العباده مسـتحبه،و قد تتخذ أحيانا فى ظروف استثنائيه

۱- ۱) -تفسير الصافى،فى تفسير الآيه المذكوره.

طابع الوجوب.فی الآیه التی نبحث فیها ورد ذکر أحد شروط الاعتکاف و هو حظر النکاح لیلا و نهارا،و هذه الإشاره جاءت لارتباطها بمسأله الصوم.

۳-طلوع الفجر:

الفجر فی الأصل شقّ الشیء شقا واسعا،و سمّی الصبح فجرا لأنه فجر اللیل.

و عبّرت الآیه عن الفجر أیضا بأسلوب حَتّٰی یَتَبَیَّنَ لَکُمُ الْخَیْطُ الْأَبْیَضُ مِنَ الْخَیْطِ الْأَسْوَدِ .و من الظریف

أن«عدی بن حاتم»قال للنبی:إنی وضعت خیطین من شعر أبیض و أسود فکنت أنظر فیهما فلا یتبین لی،فضحک رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله و سلّم حتی رؤیت نواجذه ثم قال:«یا ابن حاتم إنّما ذلک بیاض النّهار و سواد اللّیل فابتداء الصّوم من هذا الوقت» (۱) .

و هذا التعبیر یوضّح أیضا الفرق بین الصبح الصادق و الصبح الکاذب:لأنّ الفجر فجران:الفجر الکاذب و هو علی شکل عمود من الضوء یظهر فی السماء کذنب السرحان(الثعلب)،و بعده یظهر الفجر الصادق و هو بیاض شفّاف أفقی یظهر فی أفق السماء کخیط أبیض یظهر إلی جوار الخیط الأسود.و هذا هو الصبح الصادق و به یتعلق حکم الصوم و الصلاه.و لا یشبه الفجر الکاذب.

۴-التقوی،هی الأوّل و الآخر:فی أوّل آیه ترتبط بأحکام الصوم ورد ذکر التقوی علی أنها الهدف النهائی للصوم،و فی آخر آیه أیضا وردت عباره لَعَلَّهُمْ یَتَّقُونَ و هذا یؤکد أن کل مناهج الإسلام وسیله لتربیه الروح و التقوی و الفضیله و الإراده و الإحساس بالمسؤولیه.

و آخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمین

ص :۵۴۰

۱- ۱) -مجمع البیان،فی تفسیر الآیه.

تعریف مرکز

بسم الله الرحمن الرحیم

هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَالَّذِینَ لَا یَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مرکز القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان بإشراف آیة الله الحاج السید حسن فقیه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدینیة والثقافیة والعلمیة معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائیین والمثقفین فی الجامعات والحوزات العلمیة.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراکز القائمة بتوفیر المصادر فی العلوم الإسلامیة وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحیاناً، تهدف مؤسسة القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان إلی التوفیر الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثین فی العلوم الإسلامیة وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الکترونیة من الکتب والمقالات العلمیة والدراسات المفیدة وهی منظمة فی برامج إلکترونیة وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثین والمثقفین والراغبین فیها.

وتحاول المؤسسة تقدیم الخدمة معتمدة علی النظرة العلمیة البحتة البعیدة من التعصبات الشخصیة والاجتماعیة والسیاسیة والقومیة وعلی أساس خطة تنوی تنظیم الأعمال والمنشورات الصادرة من جمیع مراکز الشیعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامیة وتعالیم القرآن وآل بیت النبیّ علیهم السلام

تحفیز الناس خصوصا الشباب علی دراسة أدقّ فی المسائل الدینیة

تنزیل البرامج المفیدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثین والمحققین فی الحوازت العلمیة والجامعات

توسیع عام لفکرة المطالعة

تهمید الأرضیة لتحریض المنشورات والکتّاب علی تقدیم آثارهم لتنظیمها فی ملفات الکترونیة

السیاسات:

مراعاة القوانین والعمل حسب المعاییر القانونیة

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراکز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتینیة وتکرار المحاولات السابقة

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.
عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.